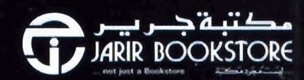
وماذا بعد؟

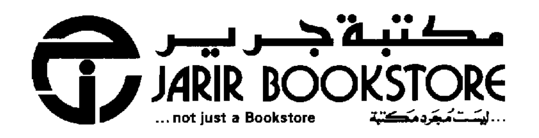
مايكل كرايتون



وماذا بعد؟

مايكل كرايتون





للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى ٢٠١٠

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

تقرير عن شمبانزي يتكلم في جزيرة جاوا

أقسم مجموعة من السائحين بأندونسيا أن قردا قام بسبهم في غابات برنيو...

وماذا بعد؟

علماء يعزلون جين «السيطرة»

فهل يكون ذلك الجين وسيلة للتحكم في الآخرين؟

وماذا بعد؟

حيوانات محورة جينيا في الأفق

صراصير عملاقة، صغار الكلاب تعيش جراء للأبد، الصناعة تسير حثيثا في هذا المجال

مرحبا بك في عالم الجينات الوراثية: ذلك العالم المتلاحق والمثير والغامض. لن تعيش هذا العالم في المستقبل، بل إنك تعايشه الآن.

هل فقد أحد أحبائك بعض أعضاء جسده؟ هل سينقرض الشقر؟ هل كل من يجلس معك على مائدة العشاء من نفس النوع؟ يختلف البشر عن حيوانات الشمبانزي في ٤٠٠ جين فقط: فهل هذا ما يجعل جنين الشمبانزي مشابها لجنين الإنسان؟ هناك عقار جيني جديد لعلاج إدمان المخدرات - فهل هو أسوأ من داء إدمان المخدرات نفسه؟

إننا نعيش عصر القفزات العلمية الهائلة، عصرا أصبح فيه المرء قادرا على بيع خصيته وحيواناته المنوية عبر الإنترنت مقابل آلاف الدولارات، وكذلك إجراء فحوص طبية على زوجته لاكتشاف أي عيوب وراثية.

إننا نعيش عصرا أصبحت فيه خمس جيناتنا الوراثية مملوكة لشخص آخر، وقد يتم ملاحقة

MICHAEL CRICHTON

NEXT

A Novel



هذه الرواية محض خيال ،
ما عدا الأجزاء المشار إليها .

كلما بدا لنا العالم مفهوماً على نحو أكبر ، تبين لنا أيضاً أنه أكثر تعقيداً مما يبدو .

- ستيفن واينبرج

إن كلمة " سبب " هى الدافع وراء سلوكيات الإنسان .

- وليام جيمز

الاختيار شيء لا مفر منه .

- جان بول سارتر

مقدمة

كان فاسكو بوردن ، البالغ من العمر ٤٩ عاماً ، مشدوداً عند صدر سترة بذلته وقد قام بضبط رباط عنقه ، بينما كان يسير عبر الرواق المغطى بالسجاد المخملى ؛ فهو لم يكن معتادًا على ارتداء بذلة ، على الرغم أنه اضطر لارتداء واحدة ، فى البحرية ، تم تفصيلها خصيصا لتقليل الكتلة العضلية لجسمه . لقد كان بوردن ضخماً ، يبلغ طوله ٦,٤ قدم ، ووزنه مائتين وأربعين رطلا ، وهو لاعب كرة قدم سابق ، وقد عمل كمحقق خاص ومتخصص فى استعادة الهاربين . وكان الرجل الذى يلاحقة فاسكو يبلغ من العمر ٣٠ عاما ، وهو أصلع حاصل على شهادة ما بعد الدكتوراه ، هارب من شركة مايكرو بروتينوميكس فى كامبريدج ، ماسيتيوشتس ؛ حيث اتجه يميناً نحو الغرفة الرئيسية للمؤتمر .

لقد كان مؤتمر التغيير البيولوجى ٢٠٠٦ الحماسى ، بعنوان " اجعله يحدث الآن ! " ، يعقد هذا المؤتمر فى فندق فينيسى فى لاس فيجاس ، ولقد كان عدد الحضور ٢٠٠٠ شخص يمثلون كل أنواع العاملين فى مجال التقنية الحيوية ، ويشمل مستثمرين ، ومسئولى الموارد البشرية الذين يقومون بتوظيف العلماء ، ومسئولى التحول التكنولوجى ، ومدراء تنفيذيين ، ومحامين

متخصصين فى الملكية الفكرية ، أو بعبارة أخرى ، كانت كل شركة تقنية حيوية فى أمريكا ممثلة هنا تقريباً .

ولقد كان ذلك هو المكان المثالى بالنسبة للهارب ليقابل فيه الشخص الذى يسعى إليه . ولقد كان الهارب يبدو ضئيلاً ؛ وذا وجه برىء ؛ وكان مترهلاً فى مشيته ويعطى انطباعاً بالجبن وعدم الكفاءة . ولكن الحقيقة ، أنه قد انسل هارباً ومعه اثنا عشر جنيناً محوَّراً فى ترمس مُجَمِّد ونقلها عبر البلاد لهذا المؤتمر ؛ حيث كان ينوى تسليمها لمن يعمل لحسابهم .

ولن تكون المرة الأولى أو الأخيرة التى يمل فيها شخص ـ حاصل على شهادة ما بعد الدكتوراه ـ من العمل بمرتب .

ولقد توجه الرجل الهارب إلى طاولة تسجيل الدخول ليحصل على بطاقة المؤتمر ليضعها حول عنقه . وقد تباطأ فاسكو عند المدخل ، وهو يسقط البطاقة من فوق رأسه . لقد أصبح مستعداً لذلك . وقد تظاهر بأنه ينظر فى جدول أحداث المؤتمر .

وكان سيتم إلقاء الخطب الكبيرة جميعها فى الغرفة الرئيسية . وكانت الحلقات الدراسية مقسمة لموضوعات مثل " كيف تحسن من عمليات التوظيف فى شركتك ؟ " ، و " استراتيجيات الفوز للاحتفاظ بقدرتك على القيام بأبحاث " ، و " التعويضات التنفيذية والإنصافية " و " التحكم فى المؤسسة " و " اتجاهات مكتب براءة الاختراع " و " ممولو الاستثمار " : نعمة أم نقمة ؟ " وأخيراً " قرصنة الأسرار التجارية : احمِ نفسك الآن ! " .

وقد عمل فاسكو لصالح الشركات عالية التقنية . ولقد حضر كثيرًا من هذه المؤتمرات من قبل . وكانت هذه المؤتمرات إما عن العلم أو عالم التجارة والأعمال ، وكان هذا المؤتمر عن عالم التجارة والأعمال .

ومشى الرجل الهارب الذى يدعى إدى تولمان أمامه متجهاً إلى الغرفة الرئيسية ، وتبعه فاسكو . مشى تولمان صفوفاً قليلة

وجلس فى مقعد لم يكن بجواره أحد . وانسل فاسكو إلى الصف الذى خلفه وجلس قريباً من أحد الجوانب . أخذ تولمان يفحص هاتفه الخلوى للتأكد من الرسائل النصية الواردة إليه ، ثم بدا أنه شعر بالراحة ، ونظر بعدها إلى أعلى ليستمع إلى الخطاب .

ولقد تعجب فاسكو لماذا يفعل ذلك .

وكان الرجل الذى يلقى الخطاب على المنصة هو أحد أشهر رأسماليى المشروعات بكاليفورنيا ، وأسطورة فى الاستثمارات عالية التقنية ، إنه جاك بى . واطسون . وقد ظهر واطسون مكبراً على الشاشة التى خلفه ، ولقد كانت بشرتة السمراء ماركته المسجلة ونظراته الثاقبة المكبرة تملأ الغرفة . لقد كان واطسون يبدو أصغر من كونه فى الثانية والخمسين ، ولقد سعى بكل اجتهاد وبكل السبل ليكتسب سمعته كرأسمالى ذى ضمير . ولقد ساعدته سمعته تلك على القيام بسلسلة من الصفقات غير الإنسانية والإفلات بذلك : حيث إن وسائل الإعلام لم تكن تظهره إلا عندما يزور مدارس القانون ، أو يقدم منحًا دراسية للشباب غير القادرين .

ولكن فى هذه الغرفة ، عرف فاسكو ، أن سمعة واطسون فى القيام بصفقات غير إنسانية ستكون فى عقل كل شخص فى المقام الأول ، وقد تساءل إذا كان واطسون قاسياً وغير إنسانى بما يكفى لكى يسعى لامتلاك دستة من الأجنة المحورة بطرق غير مشروعة . إنه ربما يكون كذلك .

على أية حال ، فى هذه اللحظة ، كان واطسون يهتف : " إن التكنولوجيا الحيوية تزدهر . إننا نشهد اليوم أعظم نمو ، وأعظم تطور فى المجال الصناعى والذى لم نشهد مثيلاً له منذ تطور مجال الحاسوب ، الذى كان منذ ثلاثين عامًا مضت . فشركة " آجمن " على سبيل المثال ، أكبر شركة فى مجال التكنولوجيا الحيوية بولاية لوس أنجلوس ، توظف سبعة آلاف

موظف . وتزيد المنح الفيدرالية التى تقدم للجامعات على أربعة ملايين منحة سنوية من نيويورك إلى فرانسيسكو ، ومن بوسطن إلى ميامى - وبلغ رأس المال المستثمر فى مجال التكنولوجيا الحيوية خمسة بلايين دولار سنويا . ولقد جذبت إغراءات العلاجات وإمكانات الشفاء العظيمة والتى أصبحت ممكنة بواسطة الخلايا الجذعية ، والسيتوكينز ، واليرونوميكس ، جذبت ألمع المواهب إلى هذا المجال ، ومع تزايد عمر سكان العالم فى كل دقيقة ، فإن مستقبلنا يكون مشرقاً أكثر من أى وقت سبق ، وذلك ليس كل شيء !

لقد وصلنا إلى نقطة حيث نستطيع أن نتمسك بشركات الأدوية الكبيرة - وسوف نفعل ذلك . وهذه الشركات الضخمة والمنتفخة تحتاج إلينا وهم يعرفون ذلك ؛ فهم يحتاجون إلى الجينات ، ويحتاجون للتكنولوجيا . فهم الماضى ونحن المستقبل ، نحن نكون حيث يكون المال ! " .

وقد أثار ذلك تصفيقاً هائلا من الحضور . وقد حرك فاسكو جسمه الضخم في مقعده . لقد كان المستمعون يصفقون استحسانا على الرغم من أنهم قد عرفوا أن هذا الوغد يمكن أن يمزق شركاتهم إرباً فى ثانية واحدة إذا ناسب ذلك أغراضه .

" بالطبع ، إننا نواجه عقبات فى طريق تقدمنا ؛ فهناك بعض الأشخاص - الذين يعتقدون أنهم حسنو النوايا - قد اختاروا أن يقفوا فى طريق تقدم البشرية ؛ فهم لا يريدون للرجل إن أصابه الشلل أن يمشى ، أو لمريض السرطان أن يتحسن ، أو للطفل المريض أن يحيا ويلعب . هؤلاء الناس لديهم أسبابهم للرفض . سواء كانت دينية ، أو أخلاقية ، أو حتى عملية ، ولكن مهما كانت أسبابهم ، فإنهم يقفون جانب الموت . ولن يفوزوا ! " .

واهتزت القاعة بمزيد من التصفيق المدوى . نظر فاسكو إلى الرجل الهارب ، تولمان . وكان تولمان يتفحص هاتفه الخلوى مرة أخرى . ومن الواضح أنه ينتظر رسالة ، وينتظرها بفارغ الصبر .

هل ذلك يعنى أن الشخص الذى ينتظر قدومه قد تأخر ؟

إن ذلك بالتأكيد يجعل تولمان متوتراً . ولكن فاسكو كان يعرف أن تولمان قد أخفى في مكان ما ترمسًا من الصلب الذى لا يصدأ ، وأن هذا الترمس مملوء بالنتروجين السائل الذى يحوى الأجنة ، ولكنه لم يكن فى غرفة تولمان ؛ لأن فاسكو سبق أن بحث فيها ولم يعثر على شيء . ولقد مرت خمسة أيام منذ أن غادر تولمان كامبريدج . ومحلول التبريد لن يستمر للأبد . وإذا فقدت الأجنة التبريد فإنها لن تساوى شيئاً . لذلك ، إذا لم يكن لدى تولمان طريقة للحفاظ على الأجنة مدة أطول ، فإنه الآن يجب أن يكون قلقاً بشأن إحضار ذلك الوعاء الذى يحتوى على الأجنة المحفوظة وتسليمه للمشترى .

ويجب أن يحدث ذلك عاجلاً .

يجب أن يقوم بتسليمه خلال ساعة ؛ لقد كان فاسكو متأكداً من ذلك .

•

قال واطسون من على المنصة : " بالطبع ، سيحاول الناس إعاقة التقدم ؛ فحتى أفضل شركاتنا تجد نفسها مشوشة فى دعاوى قضائية تافهة ، وغير مثمرة . فإن إحدى شركاتى الأولى ، " بيوجين " ، الكائنة بولاية لوس أنجلوس ، الآن فى المحكمة لأن شخصاً يدعى بيرنت يعتقد أنه ليس فى حاجة للوفاء بالعقد الذى وقعه بنفسه ؛ لأنه الآن قد غير رأيه . ويحاول بيرنت الآن أن يعترض سبيل التقدم الطبى ما لم ندفع له ، وهو شخص مبتز ، وتتولى ابنته المحامية عنه القضية التى رفعها ضدنا لتحتفظ بالمسألة داخل نطاق الأسرة " . ابتسم واطسون .

" ولكننا سنفوز فى قضية بيرنت ؛ لأنه لا يمكن اعتراض سبيل التقدم " .

وعندئذٍ رفع واطسون كلتا يديه فى الهواء ، ملوحاً للجمهور بينما ملأ التصفيق الغرفة . وقد اعتقد فاسكو أنه تقريباً يتصرف كمرشح انتخابى . هل هذا ما يهدف إليه واطسون ؟ فإن الرجل بالتأكيد لديه ما يكفى من مال لكى يُنتخب ، فمن المهم أن تكون غنياً فى السياسة الأمريكية هذه الأيام . وقريباً ـ

نظر فاسكو ، ووجد أن تولمان قد ذهب .

لقد كان المقعد خالياً .

اللعنة !

صرخ واطسون : " إن التقدم هو رسالتنا ، مهنتنا المقدسة ، التقدم لقهر المرض! التقدم للإسراع فى إطالة الأعمار ، وللتخلص من العته ، ولإطالة الحياة . حياة خالية من المرض ، والاعتلال ، والألم ، والخوف ! الحلم الكبير للإنسانية ـ قد أصبح حقيقة أخيراً ! " .

لم يكن فاسكو بوردن مصغياً . لقد كان متوجهاً أسفل الصفوف تجاه المشى الجانبى ، متفحصاً أبواب الخروج . كان هناك شخصان يغادران ولكن لم يكن أحدهما يشبه تولمان ؛ فالرجل لا يمكن أن يكون قد ذهب بعيداً ، كان هناك بالتأكيد .

نظر فاسكو للخلف فى الوقت المناسب ليرى تولمان يتحرك ببطء أعلى المشى الأوسط ، وقد كان تولمان ينظر إلى هاتفه الخلوى مرة أخرى .

" ستون بليوناً هذا العام ، ومائتا بليون العام القادم وخمسمائة بليون خلال خمس سنوات ! هذا هو مستقبل صناعتنا ، وهذا هو باب الأمل الذى نفتحه لكل البشرية ! " .

نهض الجمهور فجأة على أقدامهم ليقدموا لواطسون تحية حماسية حارة وهم واقفون ، وللحظة لم يعد فاسكو قادرًا على رؤية تولمان على الإطلاق .

تمكن فاسكو من رؤيته للحظة واحدة الآن ووجد تولمان كان متوجهًا للمخرج الأوسط . استدار فاسكو بعيداً ، منسلاً خلال الباب الجانبي إلى الرواق ، بينما كان تولمان ينظر بعينين طارفتين في ضوء الردهة الساطع .

نظر تولمان إلى ساعته وتوجه نحو الممر البعيد ، متجاوزاً نوافذ زجاجية كبيرة تطل على البرج ذى الطوب الأحمر التابع لإحدى دور العبادة الشهيرة ، والذى تمت إعادة بنائه بواسطة فندق الفنيسى وتمت إضاءته ببراعة في الليل . لقد كان تولمان متوجهًا نحو منطقة حمام السباحة ، أو ربما الفناء .

في هذا الوقت من الليل تكون هذه الأماكن مزدحمة .

لقد بقى فاسكو قريباً .

لقد اعتقد فاسكو ، أن لحظة التسليم قد حانت .

وفى الغرفة الرئيسية ، كان جاك واطسون يسير جيئة وذهاباً ، يبتسم ويلوح للجماهير المبتهجة . " أشكركم ، هذا لطف كثير جداً ، أشكركم . . . " حانياً رأسه في كل مرة يقول فيها ذلك ؛ فقد كان يظهر مجرد القدر المناسب من التواضع .

وقد عبر " ريك دايهل " عن ازدرائه في اشمئزاز بينما كان يشاهد الخطاب . لقد كان وراء الكواليس يسجل كل ذلك على شاشة صغيرة أبيض وأسود . كان دايهل الذى يبلغ من العمر ٣٤ عاماً وهو مدير تنفيذى لشركة " بيوجين " للأبحاث ، وهى شركة بادئة في لوس أنجلوس ، وكان هذا الأداء المسرحي الذى قدم به جاك واطسون ، أحد أهم المستثمرين ، خطابه قد ملأه بعدم الراحة ؛ لأن دايهل قد عرف أنه على الرغم من ذلك التهليل لجاك واطسون وعلى الرغم من تصريحاته الصحفية مع أطفال سود مبتسمين في نهاية اليوم ، فإن جاك واطسون ما هو إلا كاذب حقيقى . وكما قال أحد الأشخاص : " إن أفضل ما

أستطيع أن أقوله عن واطسون هو ، إنه ليس ساديًا ، ولكنه مجرد وغد من الدرجة الأولى " .

وكان دايهل قد قبل تمويلاً من واطسون على مضدد شديد . وتمنى لو لم يكن فى حاجة له . لقد كانت زوجة دايهل ثرية ، ولقد بدأ شركة " بيوجين " بأموالها . وكان مشروعه الأول كمدير تنفيذى أن يقدم عرضاً على خط خلايا مرخص بواسطة جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس . لقد كان اسم خط خلايا الذى يقوم عليه مشروع دايهل هو " خط خلايا بيرنت " ، والذى تم إعداده وتطويره من رجل يدعى فرانك بيرنت ، الذى أنتج جسمه مواد كيميائية قوية مقاومة للسرطان تسمى سيتوكينز ، وهو نفس الرجل الذى يرفع قضية على الشركة الآن .

لم يكن دايهل يتوقع حقاً أن يحصل على الترخيص ، ولكنه حصل عليه ، وفجأة وجد أنه من الممكن أيضًا الإسراع فى الحصول على موافقة مؤسسة الدواء الفيدرالية الـ إف . دى . إيه على التجارب الإكلينيكية التى تقوم بها الشركة ؛ فقد بدأت تكاليف التجارب الإكلينيكية بمليون دولار وارتفعت بسرعة لعشرة ملايين فى قفزة واحدة ، وذلك دون حساب التكاليف الجارية ومصاريف ما بعد التسويق ؛ فهو لم يعد يستطيع الاعتماد على أموال زوجته فقط . لذلك فهو فى حاجة إلى تمويل خارجى .

وذلك عندما اكتشف كيف أن مستثمرى المشروعات يقدرون مدى خطورة الاستثمار فى مادة السيتوكينز . فكثير من السيتوكينز مثل الإنترلوكينز ، قد استغرقت سنوات لتظهر فى السوق . والكثير منها كان معروفاً بأنه خطر ، بل إنه قد يكون مميتاً لبعض المرضى . ثم رفع فرانك بيرنت قضية على شركة بيوجين ؛ حيث يشكك فى ملكية شركة بيوجين لخط إنتاج الخلية . وقد واجه دايهل عناءً لكى يجعل المستثمرين يقابلونه ، وفى نهاية الأمر ، كان عليه أن يقبل بكل سرور

وابتسام مساعدة جاك واطسون صاحب الوجه الذى لوحته الشمس .

ولكن دايهل كان يعرف أن واطسون لا يريد شيئاً أقل من الاستيلاء على بيوجين وإلقاء جاك دايهل خارج الشركة .

" جاك ! حديث رائع ! رائع ! " مد ريك يده ، بينما جاء واطسون لكواليس المسرح أخيراً .

" أجل . أنا سعيد أنه قد أعجبك " . ولكن واطسون لم يصافحه ، وبدلاً من ذلك فك الناقل اللاسلكى الخاص به وأسقطه فى راحة يد دايهل .

" اهتم بهذا يا ريك " .

" بالتأكيد ، يا جاك " .

" هل زوجتك هنا ؟ " .

" لا ، كارن لم تتمكن من الحضور " . هزّ دايهل كتفيه استهجاناً ثم أردف قائلاً : " إنها تقوم بشىء مع الأولاد " .

قال واطسون : " أنا آسف أنه قد فاتها هذا الخطاب " .

قال دايهل : " سوف أتأكد من حصولها على أسطوانة الدى فى دى " .

قال واطسون : " ولكننا نقلنا الأخبار السيئة هناك " ، وهذا هو الأمر المهم هنا ؛ فكل شخص يعرف الآن أن هناك قضية ، ويعرفون أن بيرنت رجل سيئ ، ويعرفون أننا فى وضع متقدم فيها . فهذا هو الشىء المهم يا صديقى . إن الشركة الآن فى موقف مثالى حقاً " .

قال دايهل : " ألهذا السبب وافقت أن تلقى هذا الخطاب ؟ " .

حدق واطسون إليه ، وقال : " هل تعتقد أنى أريد أن أحضر إلى فيجاس ؟ " .

وفك الميكروفون ، وأعطاه لدايهل . " اهتم بهذا أيضاً " .

" بالتأكيد ، يا جاك " .
والتفت جاك واطسون ومشى بعيداً عنه دون كلمة أخرى .
ارتعد ريك دايهل ، وفكر قائلاً : أشكرك يارب على نقود كارن . وذلك لأنه بدونها ، لكان قد هلك .

تحرك فاسكو بوردن ماراً بالأقواس التي تزين سقف قصر دوجي ، ودلف إلى الفناء ، ملاحقاً الرجل الهارب ، إدى تولمان ، خلال زحام الليل . وفي هذه اللحظة سمع سماعة أذنه تطقطق ، هذه هي مساعدته دوللي التي في جزء آخر من الفندق تحاول الاتصال به . لمس أذنه وقال : " اذهبي " .
" إن تولمان قد بحث لنفسه عن بعض التسلية والمتعة " .
" هل هذا حقيقي ؟ " .
" أجل حقيقي ، لقد ـ " .
قال فاسكو : " تمهلي سنتحدث عن ذلك بعد قليل " .
في الأعلى للأمام ، كان يشاهد شيئاً لم يستطع تصديقه . من الجانب الأيمن للفناء ، شاهد جاك بي . واطسون ، تصحبه امرأة جميلة ، ونحيلة ، ذات شعر أسود يختلط وسط الجماهير . ولقد كان جاك واطسون مشهوراً دائماً باصطحاب نساء فائقات الجمال . وكلهن يعملن لديه وكلهن ذكيات وفاتنات .
لم يندهش فاسكو لرؤية المرأة ، ولكنه أصيب بالدهشة عندما رأى جاك واطسون يتجه مباشرة نحو إدى تولمان ، الرجل الهارب . فلم يكن لذلك مغزى إطلاقاً ؛ فحتى لو كان تولمان يقوم بصفقة مع واطسون ، فإن المستثمر الشهير لن يقابله أبداً وجهاً لوجه ، وبالتأكيد ليس علناً أبداً . ولكنهم كانوا هناك ، معاً في الفناء الفينيسي المزدحم ، أمام عينيه .
ماذا يحدث بحق السماء ؟ لم يستطع أن يصدق ما يحدث .
ولكن عندئذٍ تعثرت المرأة النحيلة قليلاً ، وتوقفت . كانت ترتدي فستاناً ضيقاً وحذاء ذا كعب عال . انحنت على كتف

واطسون ، وثنت ركبتها ، مظهرة جزءًا كبيرًا من ساقها ، وفحصت حذاءها ، وقامت بضبط شريط كعبها ، ثم وقفت مرة أخرى ، وابتسمت لواطسون ، ونظر فاسكو بعيداً عنهما ورأى أن تولمان قد ذهب .

ولكن الآن اعترض كل من واطسون والمرأة طريق فاسكو ، مارين بالقرب منه للغاية لدرجة أنه كان يستطيع أن يشم رائحة عطرها ، وسمع واطسون يهمس بشيء لها ، وقد تشبثت بذراعه ووضعت رأسها على كتفه أثناء سيرهما . ياله من زوج رومانسي .

هل كان كل ذلك مصادفة ؟ أم حدث عن قصد ؟ هل يساعدونه على الهرب ؟ ثم ضغط على سماعة أذنه .

وقال : " دوللي . لقد فقدته " .

" لا مشكلة لقد وجدته " ، ونظر فاسكو لأعلى . لقد كانت دوللي في الدور الثاني ، تشاهد كل شيء في أسفل . سألته دوللي : " هل كان ذلك جاك واطسون الذى مر لتوه ؟ " .

" نعم . أعتقد أنه ربما . . . " .

قالت دوللي : " لا ، لا ، لا أستطيع أن أتخيل واطسون متورطاً في هذا . ليس أسلوبه . أعني أن الفتى الأصلع إدى تولمان يتوجه نحو غرفته لأن لديه موعداً . هذا ما كنت أقوله لك منذ قليل ، إن لديه بعض التسلية " .

" ما نوع التسلية بالتحديد ؟ " .

" فتاة ليل روسية . من الواضح أنه يحب الروسيات فقط . طويلات القامة منهن " .

" هل أحد نعرفه ؟ " .

" لا ، ولكن لدى معلومات قليلة عنها . ولدى كاميرات في جناحه " .

" سألها مبتسمًا : كيف فعلت ذلك ؟ " .

" دعنا نقل إن الأمن الفينيسى ليس علىٍ ما كان عليه من قبل . كما أن رشوته أصبحت أرخص أيضاً " .

طرقت أرينا كاتاييفا ، التى تبلغ من العمر ٢٢ عاماً الباب . وكانت تحمل فى يدها اليسرى زجاجة شراب مغلفة فى حقيبة هدايا مخملية مع أربطة فى قمتها . فتح الباب شخصٍ فى حوالى الثلاثين من العمر ، وابتسم لها ، ولكنه لم يكن جذاباً .

" هل أنت إدى ؟ " .

" أجل ، تفضلى بالدخول " .

" أحضرت هذه من أجلك من خزانة الفندق " ، وأعطته الزجاجة .

قال فاسكو وهو يشاهد كل ذلك على شاشته الصغيرة المحمولة على يده : " لقد أعطتها له فى المدخل ؛ حيث يمكن مشاهدتها فى شاشة الأمن . لماذا لم تنتظر حتى تدخل الغرفة ؟ " .

قالت دوللى : " ربما طُلب منها أن تفعل ذلك بهذه الطريقة " .

" يبدو أن طولها حوالى ٦ أقدام . ماذا نعرف عنها ؟ "

" تجيد اللغة الإنجليزية . ولها أربعة أعوام فى هذا البلد . وتدرس بالجامعة " .

" هل تعمل بالفندق ؟ " .

" لا " .

قال فاسكو : " إذن ليست محترفة ؟ " .

قالت دوللى : " هذه هى نيفادا قد وصلت " .

وعلى الشاشة دخلت الفتاة الروسية الغرفة وتم غلق الباب . حول فاسكو مفتاح الموجات على شاشة العرض والتقط إحدى الكاميرات الداخلية . إن الجناح الذى ينزل فيه تولان كبير

حقاً ، تقرب مساحته من ٢٠٠٠ قدم مربعة ، مصمم على الطراز الفينيسى . أومأت الفتاة الروسية له وابتسمت .

" قالت : إنها غرفة لطيفة ، لطيفة حقاً " .

" نعم . هل تريدين شراباً ؟ " .

هزّت رأسها وقالت : " ليس لدى وقت حقاً " ومدت يدها خلف ظهرها وفتحت سوستة الرداء ، وتركته معلقاً من على كتفيها . والتفتت متظاهرة بالارتباك : " فى أى اتجاه تكون غرفة النوم ؟ " .

" هذا الاتجاه ، يا فتاتى " .

وبينما ذهبا إلى غرفة النوم ، حرك فاسكو مرة أخرى مفتاح الشاشة . وشاهد غرفة النوم بينما كانت الفتاة تقول : " أنا لا أعرف شيئاً عن عملك ، ولا أريد أن أعرف ؛ فالعمل ممل جداً " واستلقت على الفراش ، وقالت : " لا أعتقد أنك ستحتاج لشراب . وأعرف أنى لن أحتاج له أيضًا " .

قال فاسكو : "آه ، اللعنة" وهو يحدق إلى الشاشة الصغيرة . " هل تصدقين ذلك ؟ لم أعتقد حقاً أنه بهذه الأخلاق ، إنها حقا امرأة ـ " .

قالت دوللى من خلال سماعة الرأس : " لا تبال ، إنها على وشك المغادرة الآن " .

قال : " إنها مغادرة حقًا ، وبسرعة إلى حد ما أيضًا " .

من المفترض أن تمضى معه نصف ساعة إذا كان قد دفع لها ، أنا لم أر ذلك " .

" ولا أنا أيضاً ، ولكنه على وشك الانصراف أيضاً " .

قالت دوللى : " هناك شىء يحدث ؛ لقد ذهب تجاه الباب " .

حرك فاسكو المؤشر ، محاولاً أن يحول إلى كاميرا مختلفة ، ولكنه لم يحصل على شيء ، فقال: " اللعنة لا أستطيع أن أرى شيئاً " .

" إنها تغادر . وهو ما زال هناك . لا ، انتظر . . .إنه يغادر ، أيضاً " .

" حقاً ؟ " .

" نعم . وهو يأخذ زجاجة الشراب معه " .

قال فاسكو : " حسناً ، وأين سيذهب بها ؟ " .

كانت الأجنة المجمدة في نيتروجين سائل قد نُقلت في ترمس خاص من الصلب الذى لا يصدأ ، إن هذا الوعاء مبطن بزجاج بوروسيليكات ، الذى يمنع انتقال الحرارة ، وإنه يسمى إناء ديور . كانت هذه الترامس غالباً ذات أحجام كبيرة ، وتأخذ شكل وعاء اللبن ، ولكن يمكن أن تحصل على حجم صغير منه سعة لتر واحد . والديور لا يأخذ شكل زجاجة شراب ؛ لأن له غطاء عريضاً ، ولكن يمكن أن يكون في نفس الحجم . وبالتأكيد يمكن أن يوضع في الكيس الخاص بحمل زجاجات الشراب .

قال فاسكو : " لابد أنه يحمل الأجنة في هذا الكيس ، يجب أن تكون في الكيس " .

قالت دوللى : " أعتقد ذلك ، هل تراها بعد ؟ " .

" نعم ، أراها " .

التقط فاسكو الزوج من على الشاشة في الدور الأرضي ، بالقرب من تمثال على شكل زورق الغندول . كانا يمشيان ذراعاً في ذراع ، وكان تولمان يحمل زجاجة الشراب في ثنية ذراعه ، محتفظاً بها في وضع عمودى ؛ فلو كانت تلك زجاجة شراب عادية ، لكانت تلك طريقة غير ملائمة لحملها ، ولقد كانا زوجاً غريب المنظر ـ الفتاة الجميلة والفتى غير الواثق من نفسه

المترهل . لقد سارا بجانب الطريق ، بالكاد ينظران إلى المحلات التي يمران بها .

قال فاسكو : " إنهما في طريقهما لاجتماع " .

قالت دوللي " أنا أراهما " . نظر فاسكو إلى الشارع المزدحم ورأى دوللي في نهاية الشارع البعيد ، وكانت دوللي تبلغ من العمر ٢٨ عاماً ، وهي فتاة ذات مظهر عادى تماماً . يمكن أن تكون أى شخص : محاسبة ، صديقة ، سكرتيرة أو مساعدة . وكانت دائماً تنجح في ذلك . والليلة هي ترتدى ثوباً على طراز فيجاس ، وكان شعرها الأشقر ممشطاً وفستانها اللامع به شق . لقد كان وزنها زائداً قليلاً مما جعل الانطباع مثالياً ، ولقد كان فاسكو يعمل معها منذ أربع سنوات ، ولقد شكلا معًا فريقًا رائعًا ، وكانت حياتهما الخاصة معًا على ما يرام كذلك ، إلا أنها كانت تكره تدخينه السيجار أثناء تواجدهما معاً .

قالت دوللي : " إنهما يتوجهان نحو الرواق " ، " لا ، إنهما يعودان معاً " .

لقد كان الرواق الرئيسي على شكل ممر بيضاوى ، وسقف مطلى مرتفع ، وبه أضواء ناعمة ، وأعمدة رخامية . إنه يجعل الجماهير التى تتحرك خلاله تبدو أصغر حجماً .

انحنى فاسكو وقال : " هل غيرا رأيهما ؟ أم جعلانا نعتقد ذلك ؟ " .

" أعتقد أنهما حذران " .

" حسناً ، هذه هي اللحظة الكبرى " ؛ لأنه بالإضافة إلى إمساك الهارب ، يجب أن يعرفا هوية الشخص الذى سيستلم الأجنة . بالتأكيد كان هذا الشخص أحد حضور المؤتمر .

قالت دوللي : " لن يمر وقت طويل الآن حتى نعرف كل شيء " .

كان ريك دايهل يمشي جيئة وذهاباً أمام المحلات ، ممسكاً هاتفه الخلوى فى يده ، لقد تجاهل تلك المحلات ، التى كانت مملوءة بأشياء غالية من النوع الذى لا يرغب فيه أبداً . كان دايهل الابن الثالث لطبيب يعمل فى بالتيمور . دخل أخواه الآخران كلية الطب وأصبحا طبيبى توليد ، مثل أبيهم . ولكن دايهل رفض ذلك المجال ، واتجه إلى البحث الطبى . ولقد دفعته الضغوط التى مارستها عليه أسرته فى نهاية الأمر إلى الاتجاه والتحرك نحو الغرب . لقد قام بأبحاث جينية فى جامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو لفترة ، ولكنه انجذب بصورة أكبر لثقافة المقاولات التى سادت بين جامعات فى سان فرانسيسكو . فقد بدا له أن كل أستاذ ذى شأن فى هذه الجامعات إما بدأ شركته الخاصة ، أو أصبح رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات تعمل فى مجال التكنولوجيا الحيوية . وأن أحاديث هؤلاء الأساتذة على الغداء اقتصرت على وسائل نقل التكنولوجيا ، أو التراخيص المتبادلة ، وشراء أسهم الشركات وحقوق الملكية .

عندئذٍ كانت كارن ، زوجة ريك ، قد حصلت على ميراث سخى ، وأدرك أن لديه رأس مال كافياً للبدء . وكانت منطقة الخليج مزدحمة بالكثير من الشركات ، وكانت هناك منافسة على الأماكن والإيجارات . وقرر أن يذهب إلى منطقة شمال لوس أنجلوس ؛ حيث كانت شركة أجمن قد بدأت صرحها الضخم . لقد بنى دايهل شركة حديثة رائعة ، ووضع فرق بحث نابهة فى موضعها ، وكان قد اتخذ خطواته الأولى فى الطريق بالفعل . وقد جاء أبوه وإخوته لزيارته هناك ، وقد انبهروا تماماً لما رأوه .

ولكن . . . لماذا لم تتصل به مرة أخرى ؟ ونظر إلى ساعته .

لقد كانت الساعة التاسعة . يجب أن يكون الأولاد فى الفراش الآن . ويجب أن تكون كارن فى المنزل . لقد قالت الخادمة إنها

خرجت منذ ساعة ، وهى لا تعرف أين . ولكن كارن لا تخرج أبداً دون هاتفها الخلوى . يجب أن يكون هاتفها معها . لماذا لا تتصل به رداً على مكالماته ؟

لم يفهم ريك سببًا ، الأمر الذى جعله متوتراً جداً . إنه هنا ، وحيد فى هذه المدينة الملعونة ، فى كل قدم مربعة المزيد من النساء الجميلات ، أكثر جمالاً من أى نساء قابلهن فى حياته . فى الحقيقة كان جمالهن نابعًا من إجراء الكثير من عمليات التجميل ، ولكنهن ، رغم ذلك ، كن يتمتعن بجاذبية كبيرة حقا .

وفى الأمام ، رأى رجلاً غير مهندم يمشى مع فتاة طويلة كانت تمشى على حذاء ذى كعب عال ، وكانت الفتاة جذابة حقاً : لها شعر أسود ، وجلد ناعم ، وذات جسد نحيل . لم يكن مظهر الرجل البالى يوحى بأن شخصاً مثله يسير إلى جوار فتاة جذابة مثلها ، ورغم ذلك بدا أنه لم يقدرها . لقد كان يقبض على زجاجة الشراب مثل طفل ، وكان يبدو متوترًا جداً حتى إنه كان يتصبب عرقاً .

ولكن الفتاة ... يا إلهى كانت رائعة ... رائعة ... رائعة ...

ولكن أخذ دايهل يفكر ، اللعنة لماذا لم تتصل كارن رداً على مكالماته ؟

قال فاسكو : " انظرى ، إن هذا هو رجل شركة بيوجين ، إنه يمشى كما لو لم يكن لديه شىء يفعله " .

قالت دوللى : " أنا أراه " كانت على بعد مبنى أمامه .

" لا تبالى " .

تخطى تولمان والفتاة الروسية رجل شركة بيوجين ، الذى لم يفعل أى شىء سوى فتح هاتفه الخلوى والاتصال برقم ما . ماذا كان اسمه ؟ دايهل ؛ فلقد كان فاسكو قد سمع شيئاً عنه . لقد عرف أن دايهل قد أسس شركة بأموال زوجته ، وربما هى الآن

المتحكم فى زواجهما . إنه رجل غنى ، ينتمى لأسرة شرقية قديمة ، ولديه الكثير من الأموال . هؤلاء المتحررون يمكن أن يرتدوا بنطلونات .

قالت دوللى : " المطعم ، إنهم يدخلون فى مطعم تيرازو " .

إنه مطعم الترازو انتيكو ، مكون من دورين بهما شرفات زجاجية . ولقد كان الديكور حديثاً ، كل شىء مطلى ، أعمدة ، وسقف ، وحوائط : كل سطح كان مغطى بالديكور ؛ مما جعل فاسكو ينبهر لمجرد النظر إليه .

لقد مشى كل من تولمان والفتاة الروسية ، متجاوزين طاولة الحجز ، متجهين إلى مائدة جانبية ، وعلى المائدة ، رأى فاسكو هناك رجلاً ممتلئ الجسم يبدو عليه أنه قاطع طريق ، ذا بشرة داكنة وحواجب كثيفة ، وكان قاطع الطريق ينظر إلى الفتاة الروسية منبهراً بجمالها .

مشى تولمان إلى المائدة وتحدث مع الرجل ذى البشرة الداكنة . لقد بدا الرجل مرتبكاً . ولم يدعهم للجلوس . *اعتقد فاسكو أن هناك خطأ ما* . وأخذت الفتاة الروسية خطوة للخلف .

فى هذه اللحظة ، انطلق فلاش . لقد التقطت دوللى صورة . نظر الفتى تولمان ، وأخذ كل شىء وفر .

" اللعنة ، دوللى ! " .

بدأ فاسكو يعدو وراء تولمان ، الذى توجه إلى داخل المطعم . ورفع النادل يديه معترضاً طريقه وقال : " سيدى ، معذرة — " .

ولكن فاسكو صدمه وطرحه أرضاً ، واستمر يعدو . وكان تولمان أمامه ، يتحرك أبطأ مما ينبغى ؛ لأنه كان يحاول ألا يرج زجاجة الشراب الثمينة . ولكنه لم يكن يعرف أين يذهب بعد الآن . فهو لا يعرف هذا المطعم ؛ ولكنه كان يجرى فقط . انطلق بقوة من خلال الأبواب المتحركة ، إلى داخل المطبخ . وكان فاسكو وراءه مباشرة . وكان الجميع يصرخ فى وجههم ، وبعض الطهاة

يلوحون بسكاكينهم ، ولكن تولمان اندفع دون توقف وبدا أنه كان يعتقد أن هناك مدخلاً خلفياً للمطبخ .

ولكن لم يكن هناك أى مداخل . ووقع تولمان فى الشرك . ونظر حوله بوحشية باحثًا عن أى مخرج . وأبطأ فاسكو من سرعته ، ولوح فى وجه تولمان بواحدة من شاراته التى كانت فى حافظة رسمية وقال : " أنت رهن الاعتقال " ، ورجع تولمان خطوتين بين مجموعة من الثلاجات وباب ضيق له شباك صغير رأسي . دخل تولمان من خلال الباب الضيق وأغلقه خلفه .

وومض ضوء بالباب .

لقد كان مصعد خدمة .

" اللعنة : إلى أين يؤدى هذا ؟ " .

" إلى الدور الثانى " .

" هل يؤدى إلى أى مكان آخر ؟ " .

" لا ، فقط الدور الثانى " .

ضغط فاسكو على سماعته وقال : " دوللى ؟ " .

قالت : " أنا وراءه " . سمعها تلهث ، بينما تصعد السلالم .

وضع فاسكو نفسه أمام باب المصعد وانتظر .

وضغط على الزر ليجلب المصعد لأسفل .

قالت دوللى : " أنا عند المصعد الآن ، لقد رأيته ؛ لقد توجه للاسفل " .

قال فاسكو : " إن هذا مصعد صغير " .

" أعرف " .

" إذا كان حقاً معه نيتروجين سائل ، لا يجب أن يبقى هناك هكذا " .

منذ عامين مضيا ، طارد فاسكو هارباً داخل مخزن لإمداد أحد المعامل . وأوشك الرجل أن يختنق بعد أن حبس نفسه داخل دولاب .

هبط المصعد ، وبمجرد أن توقف جذب فاسكو المقبض ليفتحه ، ولكن يبدو أن تولمان كان قد ضغط على مفتاح الطوارئ ؛ لأن الباب لم ينفتح . وكان فاسكو يرى حقيبة زجاجة الشراب على الأرض ، ولقد اندفع الكيس لأسفل لكشف الجسم الصلب للوعاء .

والغطاء كان منزوعاً . وهناك بخار أبيض حول الفتحة .

ومن خلال الزجاج حدق تولمان إليه بعين شرسة . قال فاسكو : " اخرج يا بنى لا تكن أحمق " .

هزّ تولمان رأسه .

قال فاسكو : " إنه خطر ، أنت تعرف أنه خطر " .

لكن الفتى ضغط على زر ، وبدأ المصعد فى الصعود لأعلى .

وكان لدى فاسكو شعور .

" إن الفتى تولمان قد عرف مصيره ، تماماً . وهو يعرف بالضبط ما يفعله " .

قالت دوللى : "إنه فى الأعلى هنا" وهى واقفة فى الدور الثانى . " لكن الباب لا ينفتح . لا ، إنه يتجه لأسفل مرة أخرى " .

قال لها فاسكو : " عودى إلى المائدة ، دعيه يذهب " .

وقد أدركت فى الحال ما كان يتحدث عنه ؛ فأسرعت عائدة للأسفل عبر السلالم المغطاة بالسجاد المخملى للدور الأرضى . ولم تندهش عندما رأت أن المائدة التى كان يجلس عليها الرجل الذى يشبه قاطع الطريق قد أصبحت فارغة الآن . لا يوجد قاطع طريق ، ولا فتاة جميلة روسية . فقط ورقة بمائة دولار تحت الكأس . لقد دفع نقداً ، بالطبع .

واختفى .

كان فاسكو الآن محاطاً بثلاثة من رجال الأمن بالفندق ، كلهم يتحدثون فى نفس الوقت . صاح فاسكو وهو يقف أعلى منهم جميعًا ليلتزموا بالهدوء : " شيء واحد أرغب فى معرفته كيف يمكن أن نفتح هذا المصعد ؟ " .

" لابد أنه قد ضغط على زر الإيقاف " .

" كيف يمكن أن نجعله ينفتح ؟ " .

" يجب أن نعطل التيار لنفعل ذلك " .

" وهل سيجعله ذلك ينفتح ؟ " .

" لا ، ولكن يمكن أن نفتحه بالقوة ، بمجرد أن يتوقف " .

" كم يستغرق ذلك من الوقت ؟ " .

" ربما عشر ، أو خمس عشرة دقيقة . لا يهم فالفتى لن يذهب لأى مكان " .

قال فاسكو : " أجل إنه لن يفعل ذلك " .

ضحك رجل الأمن وقال : " أين يمكن أن يذهب بحق السماء ؟ " .

عاد المصعد للهبوط مرة أخرى ، كان تولمان جالساً على ركبتيه ، ممسكاً الباب الزجاجي لغلقه .

قال فاسكو : " انهض ، انهض . تعال يا بنى ؛ إن الأمر لا يستحق ذلك ، قف " .

فجأة ، تحركت عينا تولمان فى رأسه وسقط على ظهره . وبدأ المصعد فى الصعود .

قال رجل الأمن : " ماذا يحدث بحق السماء ، من هو ذلك الرجل ، على أية حال ؟ " .

اللعنة ! فكر فاسكو .

لقد ضغط الفتى على مفاتيح الإيقاف مما عطل دوائر المصعد . قد استغرق فتح الأبواب وجذبه خارجاً أربعين دقيقة ، وكان قد فارق الحياة منذ فترة طويلة ، بالطبع ؛ فلقد فارق الحياة فى

اللحظة التي سقط فيها ، وانغمس في جو ١٠٠٪ من النيتروجين ، الذى كان يتبخر من وعاء الديور . ولأن النيتروجين أثقل من الهواء ، فإنه قد ملأ المصعد تدريجياً من أسفل لأعلي . وبمجرد أن ارتمى الفتى على ظهره ، كان فاقداً الوعى فعلا ، ولابد أنه قد فارق الحياة خلال دقيقة .

أراد رجال الأمن أن يعرفوا ماذا كان داخل وعاء الديور ، الذى لم يعد يدخن . أحضر فاسكو بعض القفازات وجذب العصا المعدنية الطويلة . لم يكن هناك شيء ، مجرد مجموعة من المشابك ؛ حيث يجب أن تكون الأجنة . لقد تمت إزالة الأجنة .

قال أحد رجال الأمن : " تقصد أن تقول إنه قد قتل نفسه ؟ " .

قال فاسكو : " هذا صحيح ، لقد عمل فى معمل للأجنة . لقد عرف خطورة النيتروجين السائل في مكان مغلق " . فالنيتروجين يسبب أكثر معدلات الوفيات في المعامل ، أكثر من أى مادة كيمائية أخرى . فنصف الأشخاص الذين لقوا حتفهم كانوا يحاولون إنقاذ زملائهم الذين انهاروا في أماكن مغلقة .

قال فاسكو : " لقد كانت تلك طريقته للخروج من موقف سيئ " .

وقالت دوللى فيما بعد ، أثناء عودتهما للمنزل : " إذن ماذا حدث للأجنة ؟ " .

هز فاسكو رأسه : " ليس لدى فكرة . إنها لم تكن بحوزة تولمان أبداً " .

" هل تعتقد أن الفتاة قد أخذتها قبل أن تذهب إلى غرفته ؟ " .

تنهد فاسكو وقال : " لقد أخذها شخص ما ، ألا تعرف إدارة الفندق تلك الفتاة ؟ " .

" لقد راجعوا كاميرات الأمن ، وهم لا يعرفونها " .

" وحالتها الدراسية كطالبة ؟ " .

" لقد كانت مقيدة كطالبة بالجامعة العام الماضي . لكنها لم تسجل هذا العام " .

" إذن فإنها قد اختفت " .

قالت دوللي : " نعم ، هي ، والرجل ذو البشرة الداكنة ، والأجنة ، كل شيء اختفى " .

قال فاسكو : " أود أن أعرف كيف يسير كل ذلك معاً " .

قالت دوللي : " ربما لا يكون الأمر كما تعتقد " .

قال فاسكو : " لن تكون المرة الأولى " ولأعلى أمامه شاهد إضاءة فلورسنت لمنزل على الطريق في الصحراء . فأوقف السيارة جانباً . لقد كان في حاجة لشروب .

الفصل ١

كانت الدائرة رقم ٤٨ من محكمة لوس أنجلوس العليا عبارة عن غرفة مغطاة بألواح من الخشب يهيمن عليها الشعار الكبير لولاية كاليفورنيا . كانت الغرفة صغيرة وتعطى انطباعًا بأنها نفذت بطريقة مبهرجة . كانت السجادة الحمراء بالية وعليها خطوط من التراب ، وكانت القشرة الخشبية على منصة الشهود متشظية ، وكانت إحدى لمبات الفلورسنت مطفأة ، تاركة المكان الذى يجلس فيه المحلفون أكثر ظلمة من باقى الغرفة ، وكان المحلفون أنفسهم يرتدون ملابس عادية ، جينز وقمصاناً بأكمام قصيرة . وكان كرسى القاضى يحدث صريراً كلما التفت القاضى المبجل ديفيد بايك بعيداً لينظر إلى كمبيوتره المحمول ، الأمر الذى كان يفعله غالباً خلال اليوم . لقد كانت أليكس بيرنت تشك أنه يتفقد بريده الإلكترونى أو أسهمه فى البورصة .

وعلى أية حال ، فإن الغرفة بدت مكاناً غريباً لنظر قضايا التكنولوجيا الحيوية ، ولكن هذا ما كانوا يفعلونه خلال الأسبوعين الماضيين فى *قضية فرانك إم . بيرنت ضد أعضاء مجلس جامعة كاليفورنيا* .

كانت أليكس بيرنت التى تبلغ من العمر ٣٢ عاماً ، محامية ناجحة ، وشريكة صغيرة فى شركة محاماة . وقد جلست على

منضدة الادعاء مع أعضاء آخرين من الفريق القانوني لوالدها ، وشاهدت والدها يأخذ منصة الشهود . وعلى الرغم من أنها ابتسمت بشكل يدعو للطمأنينة ، فإنها كانت فى الحقيقة ، قلقة بشأن الكيفية التى سينتهى بها الأمر .

كان فرانك بيرنت ذا صدر يشبه البرميل يبدو أصغر من سنه الحقيقى وهو ٥١ عاماً . كان يبدو موفور الصحة وواثقًا من نفسه حين أدى القسم . كانت أليكس تعرف أن مظهر أبيها القوى يمكن أن يضعف قضيته . وبالطبع ، فإن الدعاية التى سبقت المحاكمة كانت سلبية بشكل ضار . لقد عمل فريق المدعى لريك دايهل بجد لتصوير والدها كرجل ناكر للجميل ، وجشع ، ومجرد من المبادئ . رجل تدخل فى البحث الطبى . ورجل لم يحافظ على كلمته ، صورته كرجل لا يريد سوى المال .

ولم يكن أى من ذلك صحيحًا ـ فى الحقيقة ، لقد كان العكس هو الصدق . ولكن لم يتصل مراسل واحد بوالدها ليسأله عن وجهة نظره فى القصة ، ولو مراسلاً واحداً . وقف جاك واطسون ، ذلك المحسن محب الإنسانية الشهير خلف ريك دايهل . وقد افترضت وسائل الإعلام أن واطسون هو الرجل الصالح ، إذن فإن أباها هو الرجل السيئ . وبمجرد أن ظهرت المسرحية الهزلية الأخلاقية فى جريدة نيويورك تايمز (والتى كتبها أحد صحفيى الترفيه) ، تنافس جميع الصحفيين الآخرين على كتابة القصة نفسها ، وبالفعل صدر الكثير من المقالات أيضًا فى لوس أنجلوس تايمز ، والتى كانت تحاول أن تفوق نسخة نيويورك تايمز فى الحط من قدر أبيها . وعروض الأنباء المحلية استمرت يومياً فى قرع الطبول عن أبيها الذى أراد أن يوقف التقدم الطبى ، والرجل الذى جرؤ على نقد جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، تلك الجامعة نبراس التعلم والمعرفة ، وجامعة المدينة الكبيرة لوس أنجلوس ، وكانت نصف دستة من

الكاميرات تتابع خطواتها هى وأبيها أثناء سيرهما فى قاعة المحكمة .

وكانت جهودهما الخاصة لإخراج القصة الحقيقية للجمهور والرأى العام ، غير ناجحة بشكل فردى . لقد استأجر أبوها مستشاراً إعلامياً كان كفئاً بشكل كاف ، ولكن ليس نداً لماكينة جاك واطسون المجهزة والممولة جيداً .

وبالطبع ، فإن أعضاء المحلفين كانوا قد شهدوا بعض التغطية الإعلامية التى نسجها جاك واطسون ؛ لتعمل فى صالحه . وقد كان تأثير هذه التغطية قد وضع ضغطاً إضافياً على أبيها ، فلم تكن الصعوبة التى تواجهه تكمن فى روايته لقصته فحسب ، ولكنها تكمن أيضًا فى لملمة شتات نفسه ، ومقاومة كل ذلك الضرر الذى لحق به بواسطة الصحافة ، كل ذلك قبل أن يقف على منصة الشهود .

وقف محامى أبيها وبدأ أسئلته : " يا سيد بيرنت ، دعنى أرجع معك للوراء لشهر يونيو ، منذ حوالى ثمانى سنوات مضت . ماذا كنت تعمل فى ذلك الوقت ؟ " .

قال أبوها فى صوت حازم : " كنت أعمل فى الإنشاءات ، أشرف على كل أعمال اللحام فى مشروع كالجارى لأنابيب الغاز الطبيعى " .

" ومتى شككت لأول مرة أنك مريض ؟ " .

" عندما بدأت أستيقظ فى الليل . أتصبب عرقاً ، ومبللاً " .

" هل كانت لديك حمى ؟ " .

" لقد اعتقدت ذلك فى البداية " .

" وهل استشرت طبيباً ؟ " .

قال : " لا ليس قبل مدة ؛ فقد اعتقدت أننى مصاب بأنفلونزا أو شىء من هذا القبيل . ولكن العرق لم يتوقف أبداً . وبعد شهر بدأت أشعر بأنى ضعيف جداً ، ثم ذهبت للطبيب " .

" وماذا أخبرك الطبيب ؟ " .

" قال إن لدىّ نمواً فى بطنى ، وحولنى على أشهر إخصائى فى الساحل الغربى . بروفيسور فى المركز الطبى لجامعة كاليفورنيا ، فى لوس أنجلوس " .

" من كان هذا الإخصائى ؟ " .

" إنه دكتور مايكل جروس الذى يجلس هناك " ، أشار أبوها إلى المدعى عليه ، الجالس عند المنضدة المقابلة ، ولكن أليكس لم تنظر هناك ، واستمرت فى النظر إلى والدها .

" وتم فحصك فيما بعد بواسطة دكتور جروس ؟ " .

" نعم ، تم ذلك " .

" هل أجرى اختباراً جسمانيًا ؟ " .

" نعم " .

" هل قام بأى اختبارات فى هذا الوقت ؟ " .

" نعم ، أخذ عينة دم ، وأجرى أشعة إكس ، وأشعة مقطعية لكامل جسمى . وأخذ عينة من نخاع عظمى " .

" وكيف تم ذلك يا سيد بيرنت ؟ " .

" لقد غرس إبرة فى عظمة حوضى ، هنا . وتخترق الإبرة خلال العظم وإلى داخل النخاع . لقد سحبوا النخاع وقاموا بتحليله " .

" وبعد أن انتهت هذه الاختبارات ، هل أخبرك بتشخيصه ؟ " .

" أجل . قال إن لدى لوكيميا لمفية حادة فى الخلايا " .

" ماذا فهمت أن يكون هذا المرض ؟ " .

" سرطان نخاع العظم " .

" هل اقترح علاجاً ؟ " .

" نعم ، اقترح جراحة ثم علاجاً كيميائياً " .

" وهل أخبرك بالتكهنات الخاصة بك ؟ ماذا ستكون النتيجة المحتملة لهذا المرض ؟ " .

" قال إنها ليست جيدة " .
" هل كان أكثر تحديداً ؟ " .
" قال ، ربما لن أعيش لأكثر من عام " .
" هل حصلت فيما بعد على رأى ثانٍ من طبيب آخر ؟ " .
" نعم ، فعلت " .
" ماذا كانت النتيجة ؟ " .
" كان تشخيصه لحالتي هو . . . لقد أكد نفس التشخيص " . توقف أبوها ، وعض شفته ، مقاوماً العاطفة . كانت أليكس مندهشة . لقد كان أبوها عادة قوياً وغير عاطفي . وشعرت بوخز من الخوف عليه ، على الرغم من أنها عرفت أنٍ هذه اللحظة قد تساعد قضيته . قال أبوها : " كنت خائفاً ، حقاً كنت خائفاً " . وخفض صوته قائلاً : " كلهم أخبرونى بأننى لن أعيش لمدة طويلة " .

كانت غرفة المحكمة فى صمت .
" سيد بيرنت ، هل تريد بعض الماء ؟ " .
رفع صوته وقال : " لا ، أنا بخير " ورفع رأسه ، ومرر يده عبر جبهته .
" أرجو أن تستمر بمجرد أن تكون قادراً على ذلك " .
" لقد أخذت رأياً ثالثاً ، أيضًا . وقد أخبرنى الجميع بأن دكتور جروس هو الأفضل لهذا المرض " .
" إذن بدأت علاجك مع دكتور جروس " .
" نعم . فعلت " .

وقد بدا والدها قد استرد نفسه . جلست أليكس فى مقعدها ، وأخذت نفساً ؛ فقد كشفت الشهادة بهدوء الآن ، قصة والدها التى قيلت عشرات المرات من قبل . لقد أوضحت شهادته كيف أنه ، كان رجلاً مذعوراً وخائفاً ، خائفاً على حياته ، قد وضع ثقته فى دكتور جروس ، وكيف أنه قد أجريت له جراحة وعلاج كيميائى تحت توجيهات دكتور جروس ، وكيف

أن أعراض المرض قد اختفت ببطء على مدار العام التالى ، وكيف أن دكتور جروس كان أول من شعر بأن والدها كان بخير ، وأن علاجه قد اكتمل بنجاح .

" هل أجريت اختبارات متابعة مع دكتور جروس ؟ " .

" أجل . كل ثلاثة شهور " .

" وماذا كانت النتيجة ؟ " .

" كل شىء كان طبيعياً . لقد استعدت وزنى ، وعادت قوتى ، ونما شعرى مرة أخرى . وشعرت بأننى بخير " .

" ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

" بعد حوالى عام ، وبعد إحدى المرات التى تم فحصى فيها ، اتصل بى دكتور جروس ليقول إنه يحتاج لإجراء المزيد من الاختبارات " .

" هل ذكر السبب ؟ " .

" قال إن بعض نتائج تحليل دمى لا تبدو على ما يرام " .

" هل ذكر أى اختبارات على وجه التحديد ؟ " .

" لا " .

" هل قال إنك مازلت مصاباً بالسرطان ؟ " .

" لا ، ولكن هذا ما كنت خائفاً منه . فإنه لم يقم مطلقاً بإعادة أى اختبارات من قبل " ، وتحرك أبوها فى المقعد ثم أردف قائلاً : " لقد سألته هل عاد السرطان مرة أخرى ؟ " ، فقال : " ليس عند هذه النقطة ، ولكن يجب أن نراقبك عن قرب جداً ، وأصر على أننى فى حاجة لاختبارات مستمرة " .

" ماذا كان رد فعلك ؟ " .

" كنت مرعوباً . أو بطريقة أخرى كان الأمر أسوأ فى المرة الثانية . عندما كنت مريضاً فى المرة الأولى وكنت على علم بطبيعة حالتى ، وعلى ذلك أعددت وصيتى ، وقمت بجميع التجهيزات . ثم استرددت صحتى مرة أخرى ، وحصلت على

فرصة جديدة في الحياة ـ فرصة للبدء من جديد ، ثم جاءت هذه المكالمة الهاتفية وشعرت بالذعر من جديد " .

" هل اعتقدت أنك كنت مريضاً ؟ " .

" بالطبع ، ولماذا إذن يكرر الاختبارات ؟ " .

" كنت خائفاً ؟ " .

" مذعوراً " .

وأثناء الاستجواب ، فكرت أليكس ، *من السيئ أنه ليست* لدينا صور له عندما كان مريضاً . لقد بدا والدها في المحكمة قوياً ومتمتعاً بصحة جيدة ، وتذكرت عندما كان نحيفاً ، وكان لونه شاحباً ، وفي حالة من الوهن والضعف . كانت ملابسه معلقة على هيكله من فرط نحافته ؛ كان يبدو كرجل يحتضر . والآن هو يبدو قوياً كرجل الإنشاءات ، مثلما كان طوال حياته . فإنه لا يبدو كرجل أصبح يخاف بسهولة . وقد عرفت أليكس أن هذه الأسئلة كانت ضرورية لتكوين أساس يوضحون من خلاله موقفهم ، ويستميلون به الحضور إليهم . ولكنها يجب أن تتم بعناية وحرص . ومحاميهم الأول ، كما تعرف ، لديه عادة إغفال ملاحظاته الخاصة بمجرد بداية الشهادة .

قال المحامي : " ماذا حدث بعد ذلك ، يا سيد بيرنت ؟ " .

" ذهبت لإجراء اختبارات . لقد أعاد دكتور جروس كل شيء . وكذلك أخذ عينة أخرى من الكبد " .

" ماذا كانت النتيجة ؟ " .

" أخبرني بأن أعود في غضون ستة أشهر " .

" لماذا ؟ " .

" هو قال فقط احضر في غضون ستة أشهر " .

" بمَ شعرت في هذا الوقت ؟ " .

" شعرت بأنني بصحة جيدة ، ولكني خمنت أنني سأنتكس " .

" هل أخبرك دكتور جروس بذلك ؟ " .

" لا ، هو لم يخبرنى بأى شىء أبداً . ولم يخبرنى أحد بالمستشفى بأى شىء أبدًا . كانوا يقولون فقط " احضر فى غضون ستة أشهر " .

ومن الطبيعى بشكل كافٍ ، أن يعتقد أبوها أنه ما زال مريضاً ، فقد قابل امرأة أحبها وكانٍ فى طريقهٍ للزواج بها ، ولكنه لم يفعل لأنه اعتقد أنه لن يعيش طويلاً ، وباع منزله وانتقل إلى شقة صغيرة ؛ حتى لا يكون هناك رهن عقارى .

قال المحامى : " يبدو أنك كنت تنتظر الموت ؟ " .

" اعتراض ! " .

" سأسحب السؤال . ولكن دعنا نكمل . يا سيد بيرنت ، ما هى المدة التى استمررت فى الذهاب فيها إلى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس لإجراء الاختبارات ؟ " .

" أربع سنوات " .

" أربع سنوات . ومتى شككت لأول مرة أنه لا يتم إخبارك بالحقيقة بشأن حالتك ؟ " .

" حسناً ، بعد أربع سنوات ، كنت أشعر بأننى مازلت بصحة جيدة . لم يحدث شىء . كل يوم ، كنت أنتظر الصاعقة أن تضرب ، لكنها لم تفعل . ولكن دكتور جروس استمر يخبرنى بأن أعود لمزيد من الاختبارات ، مزيد من الاختبارات . فى هذا الوقت كنت قد انتقلت إلى سان دييجو ، وأردت أن أجرى الاختبارات هناك ، وأرسلها له . ولكنه رفض ذلك وقال إنه يجب أن أجرى الاختبارات فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس " .

" لماذا ؟ " .

" قال إنه يفضل معمله الخاص ، ولكن ذلك لم يكن له معنى ، وكان يعطينى المزيد والمزيد من النماذج لتوقيعها " .

" أية نماذج ؟ " .

" في البداية ، كانت مجرد نماذج للموافقة على أننى أجرى إجراء ذا خطورة ، ولقد كانت النماذج الأولى تتكون من صفحة أو اثنتين . وبعد ذلك مباشرة كانت هناك نماذج أخرى تقول إننى أوافق على الاشتراك في مشروع بحثى ، وفى كل مرة كنت أعود فيها كانت هناك نماذج أخرى . وأخيراً كانت النماذج مكونة من عشر صفحات ، مستند كامل بلغة قانونية مفرطة " .

" وهل قمت بتوقيعها ؟ " .

" قرب النهاية ، لا " .

" ولِمَ لا ؟ " .

" لأن بعض النماذج كانت إذناً بالتصريح بالاستخدام التجارى للخلايا الخاصة بى " .

" وهل ضايقك ذلك ؟ " .

" بالتأكيد ؛ لأننى اعتقدت أنه لا يخبرنى بالحقيقة بشأن ما كان يقوم به . لم يخبرنى بالسبب وراء كل هذه الاختبارات . وفى زيارة سألت دكتور جروس صراحة إذا ما كان يستخدم الخلايا الخاصة بى فى أغراض تجارية . قال : بالتأكيد لا ؛ فاهتماماته هى البحث المجرد . فقلت لا بأس . ولذلك وقعت كل شىء ماعدا النماذج التى تسمح باستخدام الخلايا الخاصة بى فى أغراض تجارية " .

" ثم ماذا حدث حينها ؟ " .

" غضب دكتور جروس جداً . وقال لى إنه لن يكون قادراً على علاجى بعد ذلك ما لم أوقع على كل النماذج ، وأننى أعرض صحتى ومستقبلى للخطر ، وقال إننى ارتكب خطأً كبيراً " .

" اعتراض ! إنه مجرد كلام مرسل ! " .

" حسناً . يا سيد بيرنت ، عندما رفضت توقيع نماذج الموافقة ، هل توقف دكتور جروس عن علاجك ؟ " .

" أجل " .

" وهل استشرت عندئذٍ محامياً ؟ " .

" نعم " .

" وماذا اكتشفت لاحقاً " .

" أن دكتور جروس قد باع الخلايا الخاصة بى ـ الخلايا التى أخذها من جسمي أثناء الاختبارات ـ لشركة أدوية تسمى شركة بيوجين " .

" وبماذا شعرت عندما سمعت ذلك ؟ " .

قال والدها : " لقد صدمت ، لقد ذهبت إلى دكتور جروس عندما كنت مريضاً ، ومذعوراً ، وضعيفاً . لقد وثقت فى طبيبى . ووضعت حياتى بين يديه . لقد وثقت فيه ، ثم اتضح لى أنه كان يكذب علىّ ويخيفنى *لمدة سنوات* دون داعٍ ؛ لمجرد أن يسرق أجزاء من جسمي ويبيعها ليحصل على ثروة لنفسه ؛ فهو لم يهتم بى على الإطلاق ، ولكنه أراد فقط أن يحصل على الخلايا الخاصة بى " .

" أتعلم كم كانت تساوى هذه الخلايا ؟ " .

" شركة الأدوية قالت ٣ بلايين دولار " .

شهق المحلفون من هول المفاجأة !

الفصل ٢

كانت أليكس تشاهد المحلفين جميعاً أثناء تلك الشهادة الأخيرة . وكانت وجوههم جامدة الشعور ، ولكنٍ لم يتحرك أحد . كانت تلك الشهقة لا إرادية ، وكان ذلك دليلاً على مدى عمق اشتراكهم فيما يسمعونه . وظل المحلفون متحجرين بينما استمرت الأسئلة :

" يا سيد بيرنت ، هل اعتذر لك دكتور جروس بسبب تضليلك ؟ " .

" لا " .

" هل عرض أن تشاركه في ربحه ؟ " .

" لا " .

" هل طلبت منه ذلك ؟ " .

" أخيراً ، فعلت ذلك ، أجل . عندما أدركت ما قام به بالفعل . لقد كانت الخلايا الخاصة بى ، من جسمى . اعتقدت أنه يجب أن يكون لى رأى بشأن ما فعله بها " .

" لكنه رفض ؟ " .

" نعم . لقد قال إنه ليس من شأنى ما فعله بالخلايا الخاصة بى " .

تفاعل المحلفون مع ذلك . والتفت العديد منهم ونظر إلى دكتور جروس . واعتقدت أليكس أن هذه لفتة طيبة .

" سؤال أخير ، يا سيد بيرنت . هل وقعت أى تفويض لدكتور جروس لاستخدام الخلايا الخاصة بك فى أى أغراض تجارية ؟ " .

" لا " .

" ولم تصرح أبداً ببيعها ؟ " .

" أبداً ، ولكنه فعل ذلك على أية حال " .

" لا توجد أسئلة أخرى " .

طلب القاضى استراحة لمدة خمس عشرة دقيقة وعندما عقدت المحكمة مرة أخرى ، بدأ محامى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس الاستجواب ، ومن أجل هذه المحاكمة استعانت الجامعة بشركة " ريبر أند كروس " ، وهى شركة قانونية فى وسط البلد متخصصة فى دعاوى المؤسسات الكبيرة ، وقد مثلت ريبر شركات البترول وكبرى شركات المقاولات الأخرى . ومن الواضح أن الجامعة لا تعتبر هذه القضية كدفاع للبحث الطبى . فلقد كانت ثلاثة بلايين دولار فى خطر ، لقد كانت أعمال كبيرة ، ولقد استأجروا لذلك شركة أعمال كبيرة .

وكان المحامى الأول للجامعة " ألبرت رودريجيز " . كان ألبرت يبدو صغيراً وله مظهر مريح ، وابتسامة ودودة ، وحماسة تشير إلى أنه يبدو جديداً فى المهنة . فى الحقيقة كان رودريجيز يبلغ من العمر ٤٥ عاماً ، كان محامياً ناجحاً لمدة ٢٠ عاماً ، لكنه بطريقة ما استطاع أن يعطى انطباعاً أن هذه هى المحاكمة الأولى له ، وقد لجأ بلطف للمحلفين ليساعدوه .

" الآن ، يا سيد بيرنت ، أتخيل أنه كان مرهقاً بالنسبة لك أن تمر خلال تلك التجربة المستنزفة عاطفياً للسنوات القليلة الأخيرة ، وأقدر لك إخبارك المحلفين عن تجربتك تلك ، ولن أطيل عليك . أعتقد أنك أخبرت المحلفين أنك كنت خائفاً

جداً ، ومن الطبيعي أن يكون أى شخص كذلك . قل لى ، ما مقدار الوزن الذى فقدته ، عندما ذهبت أول مرة لدكتور جروس ؟ " .

فكرت أليكس ؛ فلقد عرفت إلى أين يتجه بسؤاله هذا فإنه يريد التأكيد على الطبيعة المأساوية لرحلة العلاج . ونظرت إلى المحامى الجالس بجانبها ، الذى كان يحاول بوضوح التفكير فى استراتيجية هجوم . مالت عليه وهمست ، *توقف عن ذلك* .

هز المحامى رأسه ، مرتبكاً .

كان أبوها يقول : " لا أعرف كم فقدت من الوزن . حوالى أربعين أو خمسين رطلاً " .

" إذن كانت ملابسك لا تناسبك جيداً ؟ " .

" على الإطلاق " .

" وكيف كانت طاقتك فى هذا الوقت ؟ هل كنت تستطيع قفز مجموعة سلالم ؟ " .

" لا . كنت أصعد درجتين أو ثلاثة ، ثم كان يجب أن أتوقف " .

" من الإعياء ؟ " .

دفعت أليكس المحامى الذى يجلس بجانبها ، وهمست ، " إنه يسأل ويجيب عن سؤاله " .

نهض المحامى فى الحال .

" اعتراض . سيدى القاضى ، لقد ذكر السيد بيرنت من قبل أنه قد تم تشخيصه بحالة ميئوس منها " .

قال رودريجيز : " نعم ، وقد ذكر أنه كان خائفاً ، ولكنى أعتقد أن المحلفين يجب أن يعرفوا كيف أن حالته كان ميئوساً منها حقاً " .

قال القاضى : " أسمح بذلك " .

" شكراً ، والآن يا سيد بيرنت . لقد فقدت ربع وزن جسمك ، وكنت ضعيفاً لا تستطيع قفز أكثر من درجتين من

السلالم ، وكانت لديك نوع خطير من اللوكيميا . هل هذا صحيح ؟ " .

" نعم " .

صرّت أليكس على أسنانها ؛ فقد كانت ترغب بشدة فى أن توقف هذا الخط من الأسئلة ، التى كانت بوضوح ضارة ، وغير مرتبطة بسؤال إذا ما كان طبيب والدها قد تصرف بشكل غير لائق بعد علاجه . ولكن القاضي قد سمح له بالاستمرار ، وليس هناك شيء يمكن أن تفعله . ولم يكن ما يقوله ذلك المحامى فظيعاً بشكل كاف لتقديم أساس للالتماس .

قال رودريجيز : " وحتى تحصل على المساعدة فى وقت حاجتك جئت لأفضل طبيب فى الساحل الغربى لعلاج هذا المرض ؟ " .

" نعم " .

" وقد عالجك " .

" نعم " .

" وقد قادك إلى الشفاء . هذا الخبير والطبيب العطوف شفاك " .

" اعتراض ! سيدى القاضى ، إن دكتور جروس هو مجرد طبيب وليس هو من يمنح الشفاء " .

" اعتراض مقبول " .

قال رودريجيز : " حسناً ، دعنى أضعها فى هذه الصيغة : سيد بيرنت ، كم سنة مضت منذ تشخيصك باللوكيميا ؟ " .

" ست سنوات " .

" أليس صحيحاً أن البقاء حياً لمدة خمس سنوات فى ظل الإصابة بالسرطان يعتبر شفاءً ؟ " .

" اعتراض ، إنه يطلب نتيجة تتطلب خبيراً لتحديدها " .

" اعتراض مقبول " .

قال رودريجيز : " سيدى القاضى " ، والتفت نحو القاضى ، " لا أعرف لماذا يكون ذلك صعباً جداً على محامى السيد بيرنت ؛ فأنا أحاول فقط أن أؤكد على أن دكتور جروس ، قام فى الواقع بشفاء المدعى من سرطان مميت " .

أجاب القاضى : " وأنا لا أعرف لماذا يكون صعبًا على الدفاع أن يسأل هذا السؤال بوضوح ، دون عبارات قابلة للاعتراض " .

" أجل ، ياسيدى القاضى . شكراً . سيد بيرنت ، هل تعتبر نفسك شفيت من اللوكيميا ؟ " .

" نعم " .

" وأنت موفور الصحة بالكامل فى هذا الوقت ؟ " .

" نعم " .

" من فى رأيك قد ساعدك على الشفاء ؟ " .

" دكتور جروس " .

" شكراً . الآن ، أعتقد أنك قد أخبرت المحكمة أنه عندما طلب منك الدكتور جروس أن تعود من أجل اختبارات أخرى ، أنك اعتقدت أن ذلك يعنى أنك مازلت مريضاً " .

" نعم " .

" هل أخبرك دكتور جروس فى أى وقت أنك ما زالت مصاباً باللوكيميا ؟ " .

" لا " .

" هل أخبرك أحد من مكتبه ، أو أى من العاملين معه فى أى وقت بذلك ؟ " .

" لا . "

قال رودريجيز : " إذن ، إذا كنت أفهم شهادتك بشكل صحيح ، فإنه لم يكن لديك فى أى وقت معلومات محددة أنك مازلت مريضاً " .

" صحيح " .

" حسناً . الآن دعنا نرجع لأمر علاجك . لقد أجريت لك جراحة وتلقيت علاجاً كيماويا . هل تعرف إذا ما كنت قد تلقيت علاجاً قياسياً للوكيميا الخلية ؟ " .

" لا ، علاجي لم يكن قياسياً " .

" هل كان نوعاً جديداً من العلاج ؟ " .

" نعم " .

" هل كنت أول مريض يتلقى هذا النظام العلاجي ؟ " .

" نعم . لقد كنت كذلك " .

" هل أخبرك دكتور جروس بذلك ؟ " .

" نعم " .

" وهل أخبرك كيف تم إعداد هذا النظام العلاجي الجديد ؟ " .

" نعم قال إنه كان جزء من برنامج بحثي " .

" ووافقت على الاشتراك فى هذا البرنامج البحثي ؟ " .

" نعم " .

" ضمن مرضى آخرين مصابين بالمرض ؟ "

" أعتقد أنه كان هناك آخرون ، نعم " .

" وقد نجح النظام البحثي فى حالتك ؟ " .

" نعم " .

" وقد شفيت " .

" نعم . "

" شكراً . والآن ، يا سيد بيرنت ، هل أنت على دراية أنه فى البحث الطبي ، هناك أدوية جديدة للمساعدة فى مقاومة المرض غالباً ما تشتق من ، أو تختبر على ، خلايا مريض ؟ " .

" نعم " .

" لقد عرفت أن خلاياك قد تستخدم بهذه الطريقة ؟ " .

" نعم ، ولكن ليس لغرض تجارى ـــــ " .

" أنا آسف ، ولكن أجب فقط بنعم أو لا . عندما وافقت على السماح باستخدام خلاياك فى البحث ، هل كنت تعرف أنها قد تستخدم في اشتقاق أو اختبار أدوية جديدة ؟ " .

" نعم " .

" وإذا وجد دواء جديد ، هل كنت تتوقع أن يكون الدواء متاحاً لمرضى آخرين ؟ " .

" نعم " .

" هل وقعت تفويضاً لكى يحدث ذلك ؟ " .

قال بعد فترة سكون طويلة : " نعم " .

" شكراً ، يا سيد بيرنت . ليست لدى أسئلة أخرى " .

سأل والدها بينما غادروا المحكمة : " كيف كان فى اعتقادك سير القضية ؟ " ، وكانت المحاجاة النهائية للقضية فى اليوم التالى . لقد ساروا تجاه موقف السيارات فى شمس وسط المدينة الغائمة في لوس أنجلوس .

قالت أليكس : " يصعب القول " لقد شوشوا الحقائق بنجاح شديد . نحن نعرف أنه لا يوجد دواء جديد انبثق عن هذا البرنامج ، ولكنى أشك أن المحلفين يفهمون ما حدث بالفعل . سوف نحضر المزيد من الشهود الخبراء ليوضحوا أن الجامعة قد أنشأت خط خلايا من أنسجتك واستخدمتها فى تصنيع سيتوكين ، بنفس الطريقة التى يصنع بها بشكل طبيعى فى جسمك . ليس هناك دواء جديد ، ولكن ذلك لن يصل للمحلفين . وهناك أيضاً حقيقة أن رودريجيز يشكل القضية على نحو واضح لتبدو تماماً مثل قضية " مور " ؛ تلك القضية التى كانت منذ حقبتين مضتا . كانت قضية مور تشبه قضيتك كثيراً . تم أخذ

أنسجة بحجة زائفة وتم بيعها . لقد فـازت الجامعـة فـى هـذه القضية بالرغم من أنها كان ينبغى ألا تفوز " .

" إذن ، أيها المستشارون ، ما هو موقف قضيتنا ؟ " .

ابتسمت أليكس لوالدها ، وألقت ذراعها حول كتفه ، وقبلته على خده .

وقالت : " الحقيقة ؟ إنها قضية شاقة " .

الفصل ٣

تحرك باری سیندلر ، وهو محامی طلاق للنجوم ، فی مقعده . لقد كان يحاول أن ينتبه للعميل الجالس أمامه عبر الطاولة ، ولكن كانت لديه مشكلة . كان العميل يدعى دايهل وهو يدير شركة تعمل في مجال التكنولوجيا الحيوية . تحدث الرجل بشكل نظرى ، دون عواطف ، وبشكل عملى دون انطباع على وجهه ، بالرغم من أنه كان يحكى كيف أن زوجته تخونه . لابد أن دايهل قد كان زوجاً سيئاً . ولكن بارى لم يكن واثقاً كم من المال سيحصل عليه في هذه القضية ؛ فقد ظهر أن الزوجة هي التي لديها كل المال .

تحدث دايهل بنبرة رتيبة ، موضحًا كيف أن شكوكه الأولى بدأت عندما اتصل بها من لاس فيجاس ، وكيف أنه اكتشف بيان حساب الفندق الذى كانت تذهب إليه كل أربعاء ، وكيف أنه انتظر فى الردهة وأمسك بها وهى تسجل للدخول مع محترف تنس محلى . نفس قصة كاليفورنيا القديمة . لقد سمعها بارى مئات المرات . ألا يعرف هؤلاء الناس أنهم يسيرون فى قوالب متكررة ؟ الزوج الغاضب يمسك بزوجته مع محترف تنس . إنهم حتى لم يستخدموا هذا الموضوع فى مسلسل زوجات يائسات Desperate House wives نظراً لكثرة تناوله .

تراجع بارى عن محاولة الاستماع ؛ فلقد كـان هنـاك الكـثير جداً فى عقله هذا الصباح . لقد خسر قضية كيركوريفيتش ، ولقد انتشر ذلك فى جميع أرجاء المدينة ؛ فقط لأن اختبارات الحمض النووى أظهرت أنه لم يكن طفل البليـونير ، ومـن ثـم لم تمنحـه المحكمة أتعابه ، بالرغم من أنه قد خفض أتعابه لمبلغ تافه وهو ١,٤ مليون دولار فقط . فقد أعطاه القاضى ربع ذلـك المبلـغ . وكـل محام ملعون فى البلدة يحدق بتعجب لأنهم كانوا يضمرون الأذى لبارى سيندلر ويتمنون فى أعماقهم ألا يحصل علـى شـىء . لقـد سمع أن مجلة لوس أنجلوس كانت تعد قصة كبيرة عن القضية ، وبالتأكيد كانت غير مواتية لبارى وليست فى صالحه . ولم يكـن بارى ليبدى اهتماماً بذلك . فالحقيقة هى ، أنه كلما تم تـصويره دون مبادئ وقاسيًا ، تـدافع العمـلاء إليـه ؛ لأنـه عنـدما يتعلـق الأمر بالطلاق ، فإن الناس يريدون حجراً قاسياً . وكانوا يصطفون من أجل محام من هذا النوع . ولقد كـان بـارى سيندلر دون شك الأقسى ، وعديم الضمير ، ومتعطشاً للدعاية ، ومبجلا لنفـسه ، ولا يتوقف عند أى شيء ، إنه محامى الطلاق الوغـد فـى جنـوب كاليفورنيا .

وفخور بذلك .

لا لم يقلق بارى بشأن أى من ذلك ، ولم يكن حتى قلقاً بـشأن المنزل الذى يقوم بتشييده فى مونتانا لدينس وطفليها القذرين .

هو لم يقلق بشأن التجديدات فى منزلهم فى هـولبى هيلـز ، بالرغم أن المطبخ وحدة تكلف ٥٠٠ دولار ، ولقد استمرت دينيس فى تغيير الخطط الخاصة بعملية التجديدات . لقد كانت دينـيس مبتكرة ومحبة للتجديد وكان ذلك مرضاً .

لا ، لا ، لا . كان بارى قلقاً بشأن شىء واحد ـ عقد الإيجار . فإن له دوراً كاملاً فى مبنى مكاتب فى ويلشير ودوهنى ، ويعمل لديه ٢٣ محامياً فى ذلك المكتب ، لا يساوى أحـدهم أى قيمـة ، ولكن رؤيتهم جميعاً فى مكاتبهم يبهر العملاء .

وكانوا يقومون بالأشياء الصغيرة ، مثل أخذ شهادات خطية واقتراحات تأجيل قضية ـ أشياء لا يريد بارى أن يشغل نفسه بها . لقد عرف بارى أن المحاماة كانت حرب استنزاف ، خصوصاً فى قضايا الحضانة . والهدف من هذه الحرب هو رفع التكلفة بأعلى ما يمكن ، ومد الدعاوى القضائية طالما أمكنك ذلك ؛ لأن بهذه الطريقة كان بارى يحصل على أكبر أتعاب ممكنة ، وكان الزوج أو الزوجة فى النهاية يشعر بالتعب من التأجيل الذى لا ينتهى ، والقضايا الجديدة التى تظهر ، وبالطبع ترهقه التكاليف اللولبية . حتى الأغنياء منهم كانوا فى النهاية يتعبون .

ودون مساعدة ، كان الأزواج حساسين ، ويريدون أن يستمروا فى حياتهم ، وأن يشتروا منزلاً جديداً وينتقلوا إليه مع زوجاتهم الجديدات ، ويحصلوا على وظيفة لطيفة يتفاخرون بها ، وأنهم يريدون حسم قضايا الحضانة ، ولكن الزوجات عادةً يردن الانتقام ـ لذلك كان بارى يبعد الأشياء عن الحسم ، عاماً بعد عام حتى يستسلم الأزواج . سواء كانوا مليونيرات أو بليونيرات ، مشاهير أو نكرات ـ لا يهم . كلهم يستسلمون فى النهاية . ويقول الناس إن هذه الاستراتيجية ليست استراتيجية جيدة للأطفال . حسنا ، دع الأطفال جانباً . إذا كان العملاء يهتمون قليلاً بشأن أطفالهم ما كانوا يطلقون من الأصل ؛ ولكانوا ظلوا متزوجين وتعساء مثل الأشخاص الآخرين ، بسبب ـ

قال دايهل شيئاً هز بارى لينتبه مرة أخرى .

قال بارى سيندلر : " أنا آسف ، أعد على سمعى ما قلته مرة أخرى يا سيد دايهل . ماذا قلت الآن ؟ " .

" قلت ، أردت أن تُجرى اختبارات لزوجتى " .

" أؤكد لك ، أن هذه الإجراءات سوف تخضع زوجتك لأقصى درجات الاختبار ، وبالطبع سنكلف مخبراً بمراقبتها ، لنرى ما إذا كانت تحتسى الخمور ، وإذا ما كانت تتعاطى جرعة

مخدرات ، أو تبقى خارج المنزل طول الليل ، أو تقوم بأى أعمال أخرى غير أخلاقية ، وكل ذلك . إنها الإجراءات القياسية المعتادة " .

قال دايهل : " لا ، لا ، إننى أريدها أن تخضع لاختبارات جينية " .

" من أجل ماذا ؟ " .

قال : " كل شيء " .

قال بارى : " آه " ، وهز رأسه بحكمة . وفكر فى نفسه عن ماذا يتحدث الرجل بحق السماء ؟ اختبارات جينية ؟ فى قضية حضانة ؟ ، ونظر إلى الأوراق التى أمامه ، وبطاقة العمل ، قرأ الاسم المدون عليها دكتور ريتشارد "*ريك*" دايهل . تجهم وجه بارى فى كآبة . إن الحمق فقط هم من يضعون كنيتهم على البطاقة . وقد ذكرت البطاقة أنه مدير مؤسسة بيوجين للبحوث ، شركة هامة فى قرية وست فيو .

قال دايهل : " على سبيل المثال ، أراهن أن زوجتى لديها استعداد جينى لمرض ذى قطبين ثنائى . وأنها بالتأكيد تتصرف بشكل غريب . قد يكون لديها جين ألزهايمر . وإذا كان لديها ذلك الجين بالفعل ، فإن الاختبارات النفسية يمكن أن تظهر السمات المبكرة للزهايمر " .

كان بارى سيندلر يومئ برأسه بقوة الآن وقال : " حسناً ، حسناً للغاية " . ولقد جعله ذلك سعيداً . فإن ذلك يمثل مناطق نزاع حديثة وجديدة . لقد أحب سيندلر مناطق النزاع . إن إجراء اختبار نفسى أحد مناطق النزاع تلك . هل أظهر الاختبار ألزهايمر المبكر أم لا ؟ من يستطيع أن يجزم بذلك ؟ رائع ، رائع - مهما كانت نتائج الاختبار ، يمكن مجادلتها فإن ذلك كله ستكون نتيجته أياماً أكثر فى المحكمة ، وشهود خبراء أكثر تتم مقابلتهم ، ومعارك بين أطباء ، تمتد لأيام . والأيام فى المحكمة كانت مربحة بصورة خاصة .

وأدرك بارى أن أفضل ما فى الأمر كله ، أن هذه الاختبارات الجينية يمكن أن تصبح إجراءاً قياسياً فى كل قضايا الحضانة . فإن ذلك سيمكن سيندلر من شق طريق جديد . سوف يحصل على دعاية لذلك ! وانحنى للأمام بشغف وقال : " استمر يا سيد دايهل . . . " .

" وأريدها أن تخضع لاختبار جين مرض السكرى ، وسرطان الثدى من جينات بى . آر . سى . إيه ، والجينات الأخرى " . واستمر دايهل : " قد تكون زوجتى لديها جين مرض هانتينجتون ، الذى يسببب انحلالاً مميتًا للعصب . فإن جدها يعانى من مرض هنتنجتن ، إذن فإن الجين موجود فى الأسرة . فمازال والداها صغاراً ، والمرض يظهر فقط عندما تكون متقدماً فى العمر ، لذلك قد تكون زوجتى حاملة للجين وذلك يعنى حكماً بالموت من مرض هنتنجتن " .

همهم بارى سيندلر وقال : " نعم ، إن ذلك قد يجعلها غير ملائمة لتكون الشخص الذى يعطى الرعاية الأولية للأطفال " .

" بالضبط " .

" أنا مندهش أنه لم يسبق اختبارها من قبل " .

قال دايهل : " إنها لا تريد أن تعرف إذا كانت تعانى من تلك المشكلة أم لا ، هناك احتمال ٥٥٪ أنه قد يكون لديها الجين . وإذا كان لديها ، فإنها فى آخر الأمر تطور المرض وتموت متلوية فى جنون . ولكنها تبلغ من العمر ٢٨ عاماً الآن . وهذا المرض قد لا يظهر لمدة عشرين عاماً أخرى . فإذا عرفت عنه الآن . . . يمكن أن يدمر بقية حياتها " .

" ولكن ذلك قد يريحها ، إذا لم يكن لديها الجين " .

" إنها مجازفة كبيرة ، وإنها لن تجرى الاختبار " .

" هل هناك اختبارات أخرى تفكر فيها ؟ " .

قال دايهل : " ياللسماء ! نعم إن هذه مجرد البداية ؛ فأنا أريدها أن تجرى اختبارات فى كل الجداول الجينية الحالية . هناك حوالى ١٢٠٠ اختبار جينى الآن " .

١٢٠٠ ! لعق سيندلر شفتيه حول الإمكانيات والفرص المتاحة إليه . ممتاز!

لماذا لم يسمع عن ذلك من قبل ؟ وتنحنح وقال : " ولكن هل تدرك أنك إذا فعلت ذلك ، ستطلب منك أن يتم اختبارك أنت أيضاً ؟ "

قال دايهل : " لا توجد مشكلة " .

" هل سبق اختبارك من قبل ؟ " .

" لا . أنا فقط أعرف كيفية تزييف نتائج المعمل " .

جلس بارى سيندلر فى مقعده .

رائع !

الفصل ٤

أسفل الغصون العالية للأشجار ، كانت أرضية الغابة مظلمة وساكنة ، ولم يكن هناك نسيم يحرك نبات السرخس العملاق على ارتفاع الكتف . وقد مسح هاجار العرق من على جبهته ، ونظر للخلف للآخرين ، وتابع عمله . تحركت البعثة في أعماق غابات وسط سوماطرة . لم يتحدث أحد ، وهذه هي الطريقة التي أرادها هاجار .

لقد كان النهر أمامهم تماماً ، وهناك قارب مصنوع من جذع الشجر على الضفة القريبة ، وحبل ممتد عبر النهر بارتفاع الكتف . لقد عبروا ذلك النهر في مجموعتين . كان هاجار يقف في القارب ، يسحبهم عبر النهر بالحبل ، ثم يعود للآخرين . لقد كان الجو ساكناً فيما عدا صرخة طائر أبو قرن عن بعد .

لقد استمروا في التحرك على الضفة المقابلة ، وكان سياج الغابة قد أصبح أضيق وبه طمي في بعض الأماكن ، وذلك لم يعجب الفريق ، فقد أصدروا الكثير من الضوضاء وهم يحاولون أن يزحفوا حول الأماكن المبتلة . وأخيراً ، قال أحدهم : " ما هي المسافة التي يجب أن نقطعها بعد ذلك ؟ " .

لقد كان الفتى الأمريكي المراهق ذو البقع في وجهه . لقد كان ينظر إلى أمه ، وهي امرأة ضخمة ترتدي قبعة من القش .

قال الفتى وكأنه ينتحب : " هل كدنا نصل إلى هناك تقريباً ؟ " .

وضع هاجار إصبعه على شفتيه وقال : " هدوء! " .

" إن قدمى تؤلمنى " .

كان السائحون الآخرون واقفين فى مكان قريب ، مرتدين سلسلة من الملابس مشرقة الألوان . ويحدقون فى الفتى .

همس هاجار : " انظروا ، إذا قمتم بعمل ضوضاء ، لن تروهم " .

قال الفتى مستاءً : " أنا لا أراهم على أية حال " . قالها وتجهم لكنه كان ملتزمًا بالسير مع مجموعته . وكان معظمهم اليوم أمريكيين . وكان هاجار لا يحب الأمريكيين ، ولكنهم لم يكونوا الأسوأ . يجب أن يعترف أن الأسوأ كانوا الـ ـ

" هناك ! ".

" انظروا هناك ! " .

كان السياح يشيرون للأمام ، يشعرون بالإثارة ويثرثرون . وعلى بعد حوالى ٥٠ ياردة أعلى السياج وجانباً لليمين ، وقف ذكر شاب من حيوان الاورانجتون منتصباً فى الأغصان التى تمايلت برفق من وزنه . مخلوق رائع ، ذو فرو يميل للاحمرار ، يبلغ وزنه تقريباً أربعين رطلاً وهناك خط أبيض مميز من الفرو فوق أذنه . لم يكن هاجار قد رآه منذ أسابيع .

أشار هاجار للآخرين ليكونوا هادئين ، وتحرك أعلى السياج ، وكان السياح قريبين خلفه الآن يتعثرون ويخبط بعضهم فى البعض من الإثارة .

همس : " ششش ! " .

قال أحدهم : " ما الغريب فى ذلك ؟ كنت أعتقد أن هذه محمية " .

" ششش ! " .

" ولكنهم محميون هنا ـ " .

" ششش ! " .

هاجار كان يريد الهدوء . بحث في جيب قميصه وضغط على زر التسجيل ، وفك الميكروفون المعلق وأمسكه في يده . لقد كانوا الآن على بعد ثلاثين ياردة من حيوان الأورانجتون . وقد مروا بلافتة مكتوب عليها محمية الاورانجتون ؛ حيث كانت تربي يتامى الأورانجتون لتتعافى ويعاد تقديمها للبرية . كانت هناك وحدة بيطرية ، ومحطة بحثية ، وفريق من الباحثين .

" إذا كانت هذه محمية ، فإني لا أفهم لماذا ـــــ " .

" جورج ، لقد سمعت ما قال . كن هادئاً " .

الآن على قرب عشرين ياردة .

" انظر ، هناك واحد آخر ! اثنان ! هناك ! " .

كانوا يشيرون جهة اليسار . في الجزء المتغصن من الغابة ، أورانجتون يبلغ من العمر عاماً محدثاً جلبة خلال الفروع مع حيوان شاب أكبر . يهتز برشاقة . لم يهتم هاجار . لقد ركز على الحيوان الأول .

الأورانجتون ذو الخط الأبيض لم يتحرك بعيداً ، وهو الآن يتعلق بيد واحدة ، يتأرجح في الهواء . وكان رأسه مردوداً لجانب واحد بينما كان ينظر إليهم . وكانت الحيوانات الصغيرة في الأغصان قد ذهبت . بينما بقي الحيوان ذو الخط الأبيض في مكانه ، يحدق .

كان الأورانجتون الآن على بعد عشر ياردات . وأمسك هاجار بالميكروفون أمامه ، وكان السياح يسحبون كاميراتهم . وحدق الأورانجتون مباشرة في هاجار وأصدر صوتاً غريباً مثل كحة : *" دواس "* .

كرر هاجار الصوت مرة أخرى : " دواس " .

حدق الأورانجتون فيه . تحركت الشفاه المقوسة . سلسلة من النخير الصادر من الحنجرة :

" أوه ستومم دواس ، فارلات لينمي " .

قال أحد السياح : " هل هو الذى يصدر هذه الأصوات ؟ " .
قال هاجار : " نعم " .
" هل هو . . . *يتكلم؟* " .
قال أحد السياح : " القرود لا تستطيع التكلم " . الأورانجتون صامتة . " إنهم يقولون ذلك فى الكتب عن عالم الحيوان " .
أخذت عدة صور فوتوغرافية بالفلاش للقرد المتعلق ، لكن الشفاه تحركت " *جيين ليشتين دواس* " .
سألت المرأة بعصبية : " هل يعانى من البرد ؟ يبدو أنه يسعل ؟ " .
قال صوت آخر : " إنه لا يسعل " .
نظر هاجار من فوق كتفه ، ووجد المتحدث رجلاً ممتلئًا فى الخلف ، جاهد حتى لا يتخلف ، وكان وجهه أحمر مثل طائر البفن ، وهو يمسك مسجلاً فى يده ، يشير نحو الأورانجتون . لقد قرر أن ينظر إلى هاجار فى وجهه . وقال لهاجار : " هل هذا نوع من الحيل تحاول أن تلعبه ؟ " .
قال هاجار : " لا " .
أشار الرجل إلى الأورانجتون : " هذه لغة ألمانية ، لقد كانت سوماطرة مستعمرة ألمانية . هذه لغة ألمانية " .
قال هاجار : " أنا لا أعرف ذلك " .
" لكنى أعرف " . قال الحيوان : " يا أحمق ، اتركنى وحدى " ، ثم قال : " لا أضواء " ، وذلك عندما أضاء فلاش الكاميرات .
قال هاجار : " أنا لا أعرف ماذا كانت هذه الأصوات " .
" ولكنك كنت تسجلها " .
" لمجرد الفضول ـ " .
" لقد كان الميكروفون فى يدك قبل أن تبدأ الأصوات . لقد كنت تعرف أن الحيوان قد يتكلم " .

قال هاجار : " الأورانجتون لا تتكلم " .

" هذا الحيوان يستطيع " .

لقد حدقوا جميعاً فى الأورانجتون ، وهو مازال يتأرجح بذراع واحدة . وحك جلده بالذراع الحرة . لقد كان صامتاً .

قال الرجل الممتلئ بصوت مرتفع : " جيين ليتشن! " .

حدق القرد ، وومضت عيناه ببطء .

" جيين ليتشن! " .

لم يبد الأورانجتون أى علامة من علامات الفهم . وبعد دقيقة تعلق بأقرب فرع ، وبدأ يقفز فى الهواء ، يتحرك بسهولة ، ذراع على ذراع .

" جيين ليتشن ! " .

واستمر القرد فى القفز . قالت المرأة ذات القبعة الكبيرة : " أعتقد أنه كان يسعل أو شيء من هذا القبيل " .

قال الرجل الممتلىء صارخاً بالفرنسية : " *هاى سيدى ! كيف حالك ؟* " .

استمر القرد أعلى الفروع ، يتأرجح فى إيقاع سهل بذراعاته الطويلة ، ولم ينظر إلى الأسفل .

قال الرجل : " اعتقدت أنه ربما يتحدث الفرنسية " ، ثم هز كتفه وقال : " ولكن من الواضح أنه لا يفعل " .

بدأت أمطار خفيفة فى السقوط من الجزء المتغصن . وضع السياح الآخرون كاميراتهم بعيداً . هز أحدهم كتفيه وكان يرتدى معطف مطر شفافاً . مسح هاجار العرق من جبهته . وفى الأعلى ، كانت هناك ثلاثة من الأورانجتون الصغيرة تعدو حول صينية من ثمر البابايا على الأرض . وحول السياح انتباههم إليها .

ومن أعلى فى الجزء المتغصن جاء صوت هادر : " *اسبيس دى كون* " .

لقد جاءت إليهم العبارة بوضوح ، ومميزة بشكل مذهل فى الهواء الساكن .

دار الرجل الممتلئ حول نفسه وقال : " *ماذا ؟* ".

التفت الجميع للأعلى .

قال المراهق : " كانت هذه عبارة سباب بالفرنسية . أنا متأكد أنها كانت عبارة سباب بالفرنسية " .

قالت أمه : " هشش " .

حدقت المجموعة للأعلى فى الجزء المتغصن ، يبحثون فى الكتلة الكثيفة للأوراق المظلمة ، ولم يستطيعوا أن يروا أى شىء فى الأعلى هناك .

صاح الرجل الممتلئ بالفرنسية : " ماذا تقول ؟ " .

لم تكن هناك إجابة . مجرد جلبة يصدرها حيوان يتحرك خلال الفروع ، وصرخة بعيدة لطائر أبو قرن .

شامبنزى صفيق يشتم السياح

(جريدة أخبار العالم)

أورانجتون يتحدث الفرنسية ؟!!

(جريدة باريس ماتش ، تحت صورة جاك ديريدا)

قرد يوبخ الغربيين

(جريدة ويكلى ستاندارد)

قرد يتحدث ، الشهود مندهشون

(جريدة ناشيونال اينكويرر)

تقرير عن شمبانزى يتكلم فى جاوا

(*نيويورك تايمز* ، تصحيح لطبعة سابقة)

ثدييات متعددة اللغات شوهدت فى سوماطرة

(لوس أنجلوس تايمز)

" وأخيراً ، مجموعة من السياح فى أندونيسيا تقسم . إنهم قد تعرضوا للإساءة بواسطة أورانجتون فى غابات بورنيو . وفقاً لما قاله السياح ، فإن القرد قد شتمهم بالألمانية والفرنسية ؛ مما يعنى أنه كان ربما أكثر منهم ذكاءاً بكثير . ولكن لم تظهر أى تسجيلات لهذا الشامبانزى الذى يسب ويلعن ؛ مما يقودنا إلى استنتاج أنك إذا كنت تصدق القصة ، فإن لدينا وظيفة لك فى الإدارة الحالية ؛ فهناك الكثير من القرود المتكلمة هنا !

(حوار مع " كيث أولبرمان " ، إم . إس . إن . بى . سى . نيوز)

الفصل ٥

قال تشارلى هيجنز وهو ينظر إلى التلفاز فى مطبخ منزله فى سان دييجو : " انظرى إلى ذلك " . لقد كان الصوت مغلقاً ، ولكنه كان يقرأ السطر المتحرك بالجزء السفلى من الشاشة " . قرد يتكلم يُشاهَد فى سوماطرة .

قالت زوجته وهى تنظر للشاشة بينما كانت تقوم بإعداد الإفطار : " ربما يعنون أنه قرد يشاهد أى يمكنه المشاهدة " .

قال هيجنز : " لا ، لابد أنهم يعنون أن القرد قد شوهد " .

قالت زوجته وهى مدرسة لغة إنجليزية فى مدرسة ثانوية " القرد قد شوهد ؟ غريب ربما يعنون أن القرد يمكنه أن يرى ؟ " .

" لا ، يا حبيبتى . القصة تقول . . . قابل بعض الأشخاص فى سوماطرة قرداً فى الغابة وأن هذا القرد قد تكلم " .

قالت زوجته : " كنت أعتقد أن القرود لا تستطيع الكلام " .

" حسناً ، هذا ما تقوله القصة " .

" إذن لابد أنها كذبة " .

" هل تعتقدين ذلك ؟ آه ، الآن . . . بريتنى سبيرز لم تطلق بعد . لقد شعرت بالارتياح . إنها قد تكون حاملاً مرة أخرى .

من الصور يبدو أنها كذلك . وبوش سبايس ترتدى رداء أخضر جميلاً للمهرجان . ويقول ستينج إنه أكثر الرجال فحولة " .

قالت زوجته : " مخفوق أم أكثر من لين ؟ " .

" إنه ستينج " .

" أقصد البيض الخاص بك " .

" مخفوق " .

قالت : " استدع الأولاد ، من فضلك ، كل شىء جاهز تقريباً " .

" حسناً " . نهض تشارلى من على المنضدة وتوجه للسلالم . وعندما وصل لغرفة المعيشة رن جرس الهاتف . لقد كان المعمل .

فى معامل شركة راديال جينوميكس ، فى بستان الأوكالبتوس لجامعة كاليفورنيا فى سان دييجو ، قرع هنرى كيندال أصابعه فوق قمة الطاولة بينما هو ينتظر تشارلى ليلتقط السماعة . رن الهاتف ثلاث مرات . أين ذهب بحق الجحيم ؟ أخيراً سمع صوت تشارلى : " ألو ؟ " .

قال هنرى : " تشارلى ، هل سمعت الأخبار ؟ " .

" أى أخبار ؟ " .

" القرد فى سوماطرة ، بربك " .

قال تشارلى : " إن ذلك يجب أن يكون هراءً " .

" لماذا ؟ " .

" دعك من ذلك ، يا هنرى . أنت تعرف أن ذلك هراء " .

" إنهم يقولون إن القرد تكلم اللغة الألمانية " .

" إنه هراء " .

قال كيندال : " ربما كان المسئول عن ذلك هو أبحاث فريق اتنبرويك " .

" لا لم يكن فريق اتنبرويك . لقد كان القرد كبيراً ، يبلغ من العمر سنتين أو ثلاث سنوات " .

" مـاذا إذن ؟ ربمـا يكـون فريـق اتنبرويـك قـد فعلـها منـذ سنوات قليلة مضت ؛ فقد تقدم فريقه بشكل كـافٍ لإجـراء مثـل هذه الاختبارات . بجانب أن جميع هؤلاء الأشخاص من اترخت كاذبون " .

تنهد تشارلى هيجنز وقال : " ولكن إجراء هذا البحـث غـير قانونى فى هولندا " .

" أجل . ولذلك هو سبب ذهابهم إلى سوماطرة لإجرائه " .

" هنرى ، إن التكنولوجيا أكثر تعقيداً ؛ فنحن نبعد سنوات عن تطوير قرد محور جينياً . أنت تعرف ذلك " .

" أنـا لا أعـرف ذلـك . هـل سمعـت مـا أعلنتـه اترخـت بالأمس ؟ لقد أخذوا خلايا جذعية من ثور وزرعوهـا فـى خـصية فأر . ويمكن أن أقول *إن ذلك* صعب ، ويمكن أن أقول أيضاً إن ذلك حد قاطع ملعون " .

" خصوصاً بالنسبة للثيران " .

" أنا لا أرى أى شيء مضحك هنا " .

" هل تتخيل هذا الفأر المسكين ، وقد أصبح عضوه التناسـلى فى حجم ذلك الخاص بالثور ؟ " .

" مازلت لا أضحك . . " .

قال تشارلى : " هنرى ، هل تخبرنى بأنك ترى تقريـراً فـى التلفاز عن قرد يتكلم ، وتصدقه فعلاً ؟ " .

" أجل أنا أصدقه " .

قال تشارلى وقد بـدا سـاخطاً : " إنـه التلفـاز يـا صـديقى ولا يمكن تصديق كل ما يقدمه ، إن هذه القصة أشـبه بقـصة الثعبـان ذى الرأسين . استجمع نفسك " .

" إن قصة الثعبان ذى الرأسين قصة حقيقية " .

قال تشارلى : " يجب أن آخـذ الأولاد للمدرسـة ، سـأتحدث إليك لاحقاً " ، ووضع السماعة .

لقد كان كاذباً ؛ فزوجته دائماً تأخذ الأولاد للمدرسة .

إنه يتجنبني .

مشى هنري كيندال حول المعمل ، وحدق خارج النافذة ، ومشى بضع خطوات إضافية . وأخذ نفساً عميقاً . بالطبع إنه عرف أن تشارلي كان على حق . يجب أن تكون هذه القصة زائفة .

ولكن . . . ماذا لو لم تكن كذلك ؟

في الحقيقة أن هنري كيندال كان من نوع الأشخاص الذين يمكن أن يصيبهم التوتر بسهولة شديدة ؛ فكانت يداه ترتعدان أحياناً عندما يتحدث ، خاصة عندما يكون مستثارًا . وكان إلى حد ما متخبطاً ، دائماً يتعثر ، يصطدم بأشياء بالمعمل . وكانت لديه معدة عصبية . لقد كان دائم القلق .

ولكن ما لم يستطع هنري إخباره لتشارلي هو أن السبب الحقيقي لقلقه الآن يتعلق بمحادثة دارت منذ أسبوع مضى . لقد كانت تبدو هذه المحادثة دون معنى في ذلك الوقت بالنسبة لكيندال .

ولكن هذه المحادثة بالنسبة له الآن منذرة بمشكلة وشيكة ؛

فقد اتصلت سكرتيرة من المعهد القومي للصحة هاتفياً بالمعمل وسألت عن دكتور كيندال ، وعندما أجاب الهاتف قالت " هل أنت دكتور هنري . إيه . كيندال ؟ " .

" نعم . . " .

" هل صحيح أنك قد حضرت إلى المعهد القومي للصحة في فترة إجازاتك من العمل منذ أربع سنوات مضت ؟ " .

" نعم ، فعلت " .

" هل كان ذلك في الفترة من مايو إلى أكتوبر ؟ " .

" أعتقد أنه كذلك . وبم يتعلق ذلك ؟ " .

" وأجريت جزءًا من بحثك في مبنى الثدييات في ميريلاند ؟ " .

" نعم " .

" وهل صحيح أنك عندما حضرت إلى المعهد القومى للصحة فى مايو من ذلك العام أجريت اختبارات معتادة عن الأمراض المعدية التى تنتقل مع الاتصال مع حامل المرض ؛ لأنك كنت ستجرى بحثاً عن الثدييات ؟ " .

قال هنرى " نعم ، لقد قاموا بحشد من الاختبارات ، لقد أجروا اختبارات كل شىء تقريبًا بدءًا بمرض نقص المناعة إلى الكبد الوبائى إلى الأنفلونزا . لقد سحبوا الكثير من عينات الدم ، هل يمكن أن أسأل بم يتعلق ذلك ؟ " .

قالت : " أنا أقوم فقط بملء بعض التقارير الإضافية . من أجل دكتور بيلارمينو " .

شعر هنرى بقشعريرة .

كان روب بيلارمينو رئيس قسم الجينات فى المعهد القومى للصحة ، ولكنه لم يكن هناك منذ أربع سنوات مضت ، عندما كان هنرى يجرى أبحاثه ، ولكن بيلارمينو أصبح مسئولاً عن الأشياء هناك الآن . ولم يكن بيلارمينو صديقاً استثنائياً لأى من هنرى أو تشارلى .

قال هنرى : " هل هناك مشكلة ما ؟ " ، لقد كان لديه شعور جلى بأن هناك مشكلة .

قالت : " لا ، لا نحن فقط وضعنا بعض أوراقنا فى غير موضعها ، ودكتور بيلارمينو شديد الدقة فيما يتعلق بالسجلات ، وبينما كنت فى مبنى الثدييات ، هل قمت بأى بحث يتضمن أنثى شمبانزى تدعى مارى ؟ كان رقم معملها إف ٤٠٢ " .

قال هنرى : " تعرفين ، أنا لا أتذكر ، لقد كان ذلك منذ وقت طويل مضى . لقد عملت مع العديد من الشمبانزى . أنا لا أتذكر على وجه التحديد " .

" لقد كانت حاملاً أثناء الصيف " .

" أنا آسف ، ولكنى فقط لا أتذكر " .

" كان ذلك الصيف الذى انتشر فيه لدينا التهاب الدماغ ، وكان عليهم أن يقوموا بحجر صحى لمعظم الشمبانزى . أليس هذا صحيحاً ؟ " .

" نعم ، أتذكر الحجر الصحى . لقد أرسلوا الشمبانزى إلى مرافق مختلفة فى البلد " .

" أشكرك يا دكتور كيندال . إذا سمحت بينما أنت معى على الهاتف ، هل يمكن أن أتأكد من عنوانك . العنوان لدينا هو ٣٤٨ ماربورى ماديسون درايف ، لاجولا ؟ " .

" نعم ، إنه كذلك " .

" شكراً على الوقت الذى منحته لنا ، يا دكتور كيندال " .

كانت هذه هى المحادثة بالكامل . وكل ما فكر فيه هنرى ، فى هذا الوقت ، أن بيلارمينو كان مخادعاً ملعوناً ؛ لا يمكن أن تعرف فيما يفكر .

ولكن الآن . . . مع هذه الثدييات فى سوماطرة . . .

هزّ هنرى رأسه .

يستطيع تشارلى هيجنز أن يجادل كما يشاء ، ولكنها الحقيقة أن العلماء قد صنعوا بالفعل قرداً محوراً جينياً . لقد قاموا بذلك منذ سنوات مضت ؛ فهناك كل أنواع الثدييات المحورة جينياً هذه الأيام ـ كلاب ، وقطط ، وكل شىء . وبلا شك فإن الأورانجتون المتكلم كان حيواناً محوراً جينياً .

ـ لقد كان عمل هنرى فى المعهد القومى للصحة مُركزًا على الأسس الجينية للتوحد . لقد ذهب إلى مرفق الثدييات لأنه أراد أن يعرف أى جينات مسئولة عن الفروق فى قدرات الاتصال بين البشر والقرود ، وقد أجرى بعض العمل مع أجنة الشمبانزى . وفى الحقيقة لم تسفر تجاربه عن أى شىء . فى الحقيقة ، لقد كان قد بدأ عمله قبل انتشار التهاب الدماغ مباشرة ، الأمر الذى

أعاق بحثه ، وانتهى به الأمر إلى العودة إلى بيثيسدا ليعمل فى معمل أثناء إجازته من العمل .

هذا هو كل ما عرفه .

على الأقل ، كل ما عرفه بالتأكيد .

البشر والشمبانزى كانوا يهجنون حتى وقت قريب

انقسام الأجناس لم ينه الجنس . اكتشف الباحثون نتيجة مثيرة للجدل من علم الوراثة .

توصل الباحثون فى هارفارد ومعهد تى للبحوث العلمية ، إلى أن الانفصال بين البشر والشمبانزى حدث مؤخراً أكثر مما هو معتقد . لقد عرف الباحثون فى الجينات منذ وقت طويل أن القرود والبشر مشتقان من سلف واحد ، الذى كان يمشى على الأرض منذ ١٨ مليون عام مضت . وقد انقسمت الجيبونز أولاً ، منذ ١٦ مليون عام مضت ، وانفصلت الأورانجتون منذ حوالى ١٢ مليون عام مضت . وانفصلت الغوريللا منذ ١٠ ملايين عام مضت . وكان الشمبانزى والبشر هم آخر من انفصل ، منذ حوالى ٩ ملايين عام مضت .

على أية حال ، فبعد فك شفرة الجينوم البشرى فى عام ٢٠٠١ ، اكتشف المتخصصون فى الجينات أن البشر والشمبانزى يختلفون فقط فى ١,٥٪ من جيناتهم ــ حوالى ٥٠٠ جين ككل ، وقد كان ذلك أقل بكثير من المتوقع . وبحلول عام ٢٠٠٣ ، بدأ العلماء فى بيان أى جينات اختلفت بين الأجناس . وأصبح من الواضح الآن أن كثيراً من البروتينات الهيكلية ، وتشمل الهيموجلوبين ، وبروتينات السيتوكروم سى ، متطابقة فى الشمبانزى والبشر . ودم البشر والشمبانزى متطابق ، إذا كانت الأجناس قد انقسمت منذ ٩ ملايين عام مضت ، لماذا هى مازالت متشابهة لهذه الدرجة ؟

يعتقد علماء هارفارد أن البشر والشمبانزى استمروا فى التهاجن بعد انفصال الأجناس بمدة طويلة . وهذا التهاجن أو التهجين ، يضع ضغطاً تطورياً على كروموزوم X ، مسبباً حدوث تغيير بهذا الكروموزوم

الكروموزوم أكثر سرعة من الطبيعى . وقد وجد الباحثون أن الجينات الأحدث على الجينوم البشرى تظهر على الكروموزوم X .

ومن ذلك يجادل الباحثون أن الأسلاف البشر استمروا فى التهاجن مع الشمبانزى حتى ٥ .٤ مليون عام مضت ؛ حيث أصبح الانفصال دائماً . وتقف وجهة النظر الجديدة فى تناقض حاد مع وجة النظر المتفق عليها بالإجماع أنه بمجرد حدوث الفصل فإن التهجين يكون ذا تأثير مهمل . ولكن وفقاً للدكتور ديفيد ريش من جامعة هارفارد ، فإن التهجين لم ير إلا نادراً بين الأجناس الأخرى " قد يكون ببساطة بسبب حقيقة أننا لم نكن نبحث عنه " .

ويحذر باحثو هارفارد من أن التهجين بين البشر والشمبانزى ليس ممكناً فى الوقت الحاضر ، وقد أوضحوا أن التقارير الصحفية للتهجين " بشرشمبانزى " قد ثبت أنها زائفة بشكل ثابت .

الفصل ٦

كانت شركة بيوجين للبحوث مبنيـة علـى شـكل مكعـب مـن التايتانيوم في ميدان صناعي خارج قرية ويست فيو فـي جنـوب كاليفورنيا . كائنة بشكل مهيب فوق المرور فـي الطريـق الـسريع ١٠١ ، ولقد كان شكل المكعب هو فكرة رئيس شـركة بيـوجين ، ريك دايهل ، وأصر على تسميته المجسم السداسي . كان المكعب يبدو مؤثراً ويعبر عن التكنولوجيا العالية بينما لا يكشف إطلاقاً أى شيء عما يحدث في الداخل ـ وهذا بالضبط ما أراده دايهل .

وبالإضافة إلى ذلك ، احتفظت شركة بيوجين بمساحة معزولة قدرها أربعة الآف قدم مربعـة فـي ميـدان صـناعي يبعـد مـيلين . وهناك تقع وحدات تخزين الحيوانات ، مع المعامـل التـي تجـرى فيها الأبحاث الأكثـر خطـورة . الـتقط " جـوش وينكلـر " ، وهـو باحث شاب ذو مستقبل واعد ، قفازاً من المطاط وكمامة جراحية من على رف بجوار الباب المؤدى لأقسام الحيوانات ، وكان مساعده ، توم ويللر ، يقرأ قصاصة أخبار مثبتة على الحائط .

قال جوش : " دعنا نذهب ، يا توم " .

قال ويللر : " لابد أن دايهل يرتعد في سرواله " ، مشيراً إلى المقال . " هل قرأت هذا ؟ " .

التفت جوش لينظر . لقد كانت مقالة من جريدة وول ستريت :

العلماء يكتشفون جين " السيطرة " ويقومون بفصله

أساس جينى للتحكم فى الأشخاص الآخرين !

تولوس ، فرنسا - فصل فريق من البيولوجيين الفرنسيين الجين الذى يدفع بعض الناس لمحاولة التحكم فى الآخرين . أعلن إخصائيو الجينات فى المعهد البيوكيميائى لجامعة تولوس ، الذين يرأسهم الدكتور مايكل نارسجاك بويلو عن الاكتشاف فى مؤتمر صحفى اليوم . ويقول دكتور نارسجاك بويلو : " إن الجين مرتبط بالسيطرة الاجتماعية والتحكم فى الأشخاص الآخرين بدرجاته . ولقد فصلناه من قادة رياضيين ، ومديرين ، ورؤساء دول . ونعتقد أن الجين موجود فى كل الديكتاتوريين خلال التاريخ " .

ولقد فسر دكتور نارسجاك بويلو أنه بينما ينتج عن وجود الشكل القوى للجين أشخاص ديكتاتوريون ، فإن الشكل المعتدل ينتج عنه دافع شبه استبدادى " معتدل " حيث جنح الشخص إلى إخبار الأشخاص الآخرين من حوله كيف يديرون حياتهم ، عادة لصالحهم الخاص أو لسلامتهم الخاصة .

ومن الواضح ، من خلال الاختبارات النفسية ، أن الأفراد ذوى الشكل المعتدل من هذه الجينات يتبنون وجهة النظر التى تقول إن الآخرين يحتاجون إلى أفكارهم ، وأن الآخرين من حولهم غير قادرين على إدارة حياتهم دون توجيهاتهم الخاصة .

ويوجد هذا الشكل من الجين بين السياسيين ، والمدافعين عن السياسة ، والمتشددين الدينيين ، والمشاهير . ويظهر مركب الثقة عن طريق شعور قوى باليقين مصحوباً بشعور بالأهلية - وشعور بالاستياء تجاه هؤلاء الذين لا يستمعون لهم .

وفى نفس الوقت ، لقد حث دكتور نارسجاك على توخى الحذر فى تفسير النتائج . قال دكتور نارسجاك : " كثير من الأشخاص الذين يوجد بداخلهم الدافع للتحكم فى آخرين لا يرغبون إلا فى أن يكون كل

شخص آخر مثلهم ؛ فهم لا يستطيعون تحمل الاختلاف " .
وقد فسر ذلك النتيجة المتناقضة التى توصل إليها أفراد الفريق ، التى تقول بأن الأشخاص ذوى الشكل المتوسط من الجين كانوا أيضاً أكثر تحملاً للبيئات التسلطية ؛ حيث توجد قواعد اجتماعية صارمة وتوسعية ، فإنهم يرغبون فى تولى السلطة ويرغبون فى أن تتم ممارسة السلطة عليهم كذلك . يقول دكتور نارسجاك : " وتظهر دراستنا أن الجين لا ينتج فقط شخصاً دكتاتورياً ولكن أيضاً يرغب فى أن تتم السيطرة عليه . ولديهم انجذاب واضح للدول الاستبدادية " ، وقد ذكر أن هؤلاء الأشخاص يستجيبون بشكل خاص للموضات بكل أنواعها ، ويقمعون الآراء والتفضيلات التى لا تشترك فيها جماعاتهم .

قال جوش : " يستجيبون بشكل خاص للموضات . . . هل هذه دعابة ؟ " .

قال توم ويللر : " لا ؛ إنهم جادون فى ذلك . إنه نوع من التسويق ، اليوم كل شىء هو عبارة عن تسويق . اقرأ باقى المقال " .

وعلى الرغم من أن الفريق الفرنسى قد توقف مقصراً عن الهدف بالادعاء أن الشكل المعتدل من جين السيطرة يمثل مرضاً جينياً وهو " إدمان الانتماء " كما صاغها نارسجاك بويلو . إلا أنهم قد اقترحوا أن الضغوط التى يفرضها التطور هى ما كانت تدفع الجنس البشرى نحو انسجام أكبر أخيراً .

قال جوش : " شىء لا يصدق ! هؤلاء الأشخاص فى تولوس يعقدون مؤتمرًا صحفيًا والعالم كله يحكى قصتهم عن " جين السيطرة " ، هل نشروا ذلك فى صحيفة فى أى مكان ؟ " .

" لا ، لقد عقدوا فقط مؤتمرًا صحفيًا . لا مطبوعات ، ولا ذكر لمطبوعات " .

قال جوش : " وماذا بعد ذلك ، جين العبودية ؟ إن ذلك كله يبدو هراءًا بالنسبة لى " ، ونظر إلى ساعته .

" تعنى ، أننا نأمل أن يكون ذلك هراءً " .

" نعم ، هذا ما أعنيه . نأمل أن يكون ذلك هراءً ؛ لأنه يعترض طريق إعلان شركة بيوجين القادم ، إن هذا شيء أكيد " .

سأل توم ويللر : " هل تعتقد أن دايهل سيؤجل الإعلان ؟ " .

" ربما . لكن دايهل لا يحب الانتظار . ولقد كان متوترًا جداً منذ عودته من فيجاس " .

لبس جوش قفازه المطاطى ، ووضع نظارة أمان واقية والكمامة الورقية على وجهه ، ثم التقط أسطوانة سعة ست بوصات من الهواء المضغوط وركبها على قنينة فيروس ارتجاعى . كانت الأداة كلها بحجم سيجار ، ثم بعد ذلك ركب مخروطاً بلاستيكيًا فى قمة الأداة ، ضاغطاً عليه بإبهامه . وقال : " أحضر القائمة من المفكرة الرقمية الخاصة بك " .

واندفعا من خلال الباب المتأرجح ، إلى قسم الحيوانات .

كانت الرائحة القوية ، المحببة قليلاً للفئران رائحة مألوفة بالنسبة لهما ؛ فقد كان هناك خمسمائة أو ستمائة فأر هنا ، كلها مصنفة بدقة فى أقفاص مكدسة على ارتفاع ست أقدام ، على جانبى ممشى يمتد فى منتصف الغرفة .

قال توم ويللر : " لمن سنعطى الجرعة اليوم ؟ " .

قرأ جوش صفاً من الأرقام . تأكد توم من قائمته الخاصة بأرقام المواقع على المفكرة الرقمية . ومشيا خلال الممشى حتى وجدا الأقفاص التى عليها أرقام اليوم . خمسة فئران فى خمسة أقفاص . لقد كانت الحيوانات بيضاء ، ممتلئة ، وتتحرك بشكل

طبيعى قال : " إنها تبدو بحالة طيبة . هذه هى الجرعة الثانية ؟ " .

" أجل " .

قال جوش : " حسناً ، يا أولاد ، لنكن ودودين من أجل والدنا " . وفتح القفص الأول ، والتقط الفأر الذى فى الداخل بسرعة ، وأمسك الحيوان من جسده ، وأمسك بأصابع السبابة رأس الفأر بخبرة ، وبسرعة ، ركب المخروط البلاستيكى فوق أنف الفأر ، وقد غيم نفس الفأر على المخروط . وصدر هسيس بسيط بينما انطلق الفيروس . أمسك جوش بالكمامة فى مكانها لمدة عشر ثوان ، بينما استنشق الفأر الفيروس ، ثم أعاد الحيوان مرة أخرى إلى القفص .

" انتهينا من واحد " .

خبط توم ويللر قلمه على القائمة ، ثم تحرك للقفص التالى .

لقد تم إنتاج الفيروس الارتجاعى بواسطة الهندسة البيولوجية ليحمل جيناً معروفاً باسم " آكامبد ٣ . إن ٧ " وهو واحد من عائلة الجينات التى تتحكم فى امينوكاربوكسيموكونات بارالديهيد الديكاربوكسليس ، وعند تنشيطه ، فإن جين " آكامبد ٣ . إن ٧ " يعدل استجابات اللوزة والتلافيف المطوقة للمخ . والنتيجة كانت تسريعاً لسلوك النضج - على الأقل فى الفئران ؛ فصغار إناث الفئران ، على سبيل المثال يظهرن بشائر سلوك الأمومة ، مثل لف البراز فى أقفاصها ، فى وقت مبكر عن المعتاد . وشركة بيوجين لديها دليل مبدئى عن عمل جين النضج فى القرد الهندى الصغير ، أيضاً .

وقد نبع الاهتمام بهذا الجين من احتمالية وجود ارتباط بينه وبين أمراض التحلال العصبى ؛ فهناك إحدى المدارس الفكرية التى تعتقد أن أمراض التحلال العصبى تنتج عن وجود تمزقات فى ممرات النضوج بالمخ .

إذا كان ذلك صحيحاً - إذا كان جين " آكامبد ٣ . إن ٧ " مشتركاً ، على سبيل المثال ، في مرض ألزهايمر ، أو أى شكل من أشكال الشيخوخة الأخرى - إذن فالقيمة التجارية للجين ستكون ضخمة .

تحرك جوش للقفص التالى وكان بصدد وضع الكمامة على الفأر الثانى عندما رن هاتفه الخلوى ، فأشار لتوم لكى يسحبه من جيب قميصه .

نظر ويللر إلى الشاشة وقال : " إنها أمك " .

قال جوش : " آه ماذا هناك ؟ هل يمكن أن تتولى ذلك عنى لمدة دقيقة ؟ " .

" **جوشوا** ، ماذا تفعل يا بنى ؟ " .

" أنا أعمل ، يا أمى " .

" حسناً ، هل يمكن أن تتوقف عن العمل ؟ " .

" فى الحقيقة لا أعتقد - " .

" إن لدينا حالة طارئة " .

تنهد جوش وقال : " ماذا فعل هذه المرة ، يا أمى ؟ " .

قالت : " لا أعرف ، ولكنه محتجز فى السجن ، فى وسط البلد " .

" حسناً ، دعى تشارلز يذهب إليه " . كان تشارلز سيلفربيرج هو محامى الأسرة .

قالت أمه : " إن تشارلز يخرجه الآن من السجن ولكن آدم يجب أن يمثل أمام المحكمة . يجب أن يوصله أحد للمنزل بعد الاستماع لشهادته " .

" لا أستطيع ، أنا فى العمل " .

" إنه أخوك ، يا جوش " .

قال جوش : " إنه أيضاً يبلغ من العمر ٣٠ عاماً " . لقد كان هذا يحدث منذ سنوات . كان أخوه آدم يعمل موظفاً فى بنك

استثمارى ، وكـان يـدخل ويخـرج مـن مـصحات إعـادة التأهيـل عشرات المرات . قـال جـوش : " ألا يـستطيع أن يـستقل سيارة أجرة ؟ " .

" لا أظن ذلك سيكون من الحكمة ، فى ظل هذه الظروف " .

تنهد جوش وقال : " ماذا فعل يا أمى ؟ " .

" من الواضح أنه أحضر كوكايين من امرأة كانـت تعمـل لـدى مؤسسة تطوير العقاقير " .

" مرة أخرى ؟ " .

" جوشوا . هل سـتذهب إلى وسط المدينـة لتقلـه بالـسيارة أم لا ؟ " .

قـال جـوش بعـد تنهيـدة طويلـة : " أجـل ، يـا أمـى . سأذهب " .

" الآن ؟ هل ستذهب الآن ؟ " .

" نعم ، يا أمى سأذهب الآن " .

لقد أغلق الهاتف الخلوى والتفت إلى ويللر : " ما قولـك فـى أن ننـهى ذلك خلال ساعتين ؟ " .

قال توم : " لا توجد مشكلة ، إن لدى بعض الملاحظات يجب أن أكتبها فى المكتب ، على أية حال " .

التفت جوشوا وهو يخلع قفازه بينما كان يغادر الغرفة . لقـد وضـع الأسـطوانة ، والنظـارات ، والكمامـة الورقيـة فـى جيـب معطف المعمل ، وخلع شـريط الإشـعاع الخـاص بـه ، وأسـرع إلى سيارتـه .

أثناء قيادته إلى وسط البلد ، نظر إلى الأسـطوانة البـارزة مـن معطف المعمل ، والذى قذفـه علـى الكرسـى الخلفـى بالـسيارة . ولكى يظل فى حدود البروتوكول الخـاص بالـشركة ، كـان علـى جوش العودة إلى المعمل وتعريض الفئـران الباقيـة للجرعـة قبـل

الساعة الخامسة مساءً . يبدو أن هذا النوع من النظام والحاجة للالتزام به كان يمثل كل شيء فصل جوش عن أخيه الأكبر .

ذات مرة ، كان آدم يتمتع بكل شيء - وسامة ، وشعبية ، وشجاعة رياضية . كانت أيامه في المدرسة الثانوية للصفوة في ويستفيلد تشهد نصراً تلو الآخر ، عمل محررا في جريدة ، وكابتن فريق لعبة كرة القدم ، ورئيسا لفريق المناظرة ، هذا علاوة على دراسته في إحدى الكليات المرموقة ، وعلى النقيض كان جوش ، ضئيلاً . ممتلئاً ، وقصير القامة ، وأخرق . وكان يمشي يتهادى ، ولم يكن له حيلة في ذلك . ولم يساعده الحذاء الطبي الذى أصرت أمه أن يرتديه على التعديل من طريقة مشيته ، وأنفت منه الفتيات . كان يسمعهن يقهقهن أثناء مروره بينهن في الرواق ، وقد ذهب آدم إلى يال ، بينما يذهب جوشوا لأى دولة أوربية .

كيف تغيرت الأمور ؟

منذ عام مضى ، تم طرد آدم من عمله في بنك ألماني ؛ فمتاعبه مع المخدرات لم تكن تنتهي . وفي الوقت نفسه ، بدأ جوش في شركة بيوجين كمساعد متواضع ، ولكنه بسرعة تحرك لأعلى وترقى حينما بدأت الشركة في إدراك عمله الدءوب وأسلوبه المبتكر . ويمتلك جوش أسهماً في الشركة ، وإذا ثبت نجاح أى من المشروعات الحالية تجارياً ، بما فيها جين النضج ، فإنه سيصبح ثريا .

وآدم ...

وقف جوش أمام دار القضاء ، وكان آدم يجلس على السلالم ، يحدق بشكل ثابت إلى الأرض . وكانت حُلته مزرية مخططة بالوسخ ، وكانت لحيته قد نمت ليوم ، وكان تشارلز سيلفربيرج يقف إلى جانبه يتحدث في هاتفه الخلوى .

ضغط جوش على بوق السيارة ، وحينها أشار له تشارلز ، ومشى بعيدا ، بينما مشى آدم مجهدا نحو السيارة وركبها .

قال آدم : " شكراً ، يا أخي " وأغلق الباب " أقدر لك ذلك " ، وأغلق باب السيارة .

" لا مشكلة " .

انطلق جوش في المرور ، وهو ينظر إلى ساعته ؛ فلديه وقت كافٍ ليأخذ آدم إلى منزل أمهم ويعود للمعمل فى حوالى الخامسة .

سأل آدم : " هل تسببت في مقاطعة شيء ؟ " .

كان ذلك هو الشيء المزعج في أخيه ؛ فقد كان دوماً ما يتسبب في مقاطعة شيء ما ، وقد كان يحب أن يحدث الفوضى في حياة كل شخص آخر ، ويبدو أيضًا أنه كان يستمتع بذلك .

" نعم ، في الواقع . لقد فعلت " .

" آسف " .

" آسف ؟ إذا كنت آسفاً لتوقفت عن ذلك السلوك السيئ " .

قال آدم : " هاى ، يا رجل ، كيف يفترض بى أن أعرف ؟ هذه المرأة أوقعتنى في الشرك . وقال تشارلز إنه سيخرجنى من الأمر بسهولة " .

قال جوش : " لم يكن هناك أى شرك ، لو كنت من البداية بعيداً عن المخدرات " .

" آه . اذهب إلى الجحيم ! لا تلق محاضرة على مسامعى " .

لم ينطق جوش شيئاً . لماذا فتح هذا الموضوع من الأساس ؟ بعد كل هذه السنوات . لقد عرف أن لا شيء مما قاله يهم ، لا شيء مما يقوله يؤثر في أخيه أو يردعه . وكانت هناك فترة من السكون بينما كان يقود السيارة .

قال آدم : " أنا آسف على كل شيء " .

" أنت لست آسفاً " .

قال آدم : " نعم ، أنت على حق ، أنت على حق " ، ودلى رأسه ، وتنهد بشكل مسرحى وقال : " لقد عبثت مرة أخرى " . إنه الآن آدم التائب .

لقد رأى جوش ذلك عشرات المرات من قبل . آدم المحارب ، آدم التائب ، آدم المنطقى ، آدم الرافض . وفى الوقت نفسه كانت نتائج اختبار الإدمان دائماً إيجابية . فى كل مرة .

ظهر ضوء برتقالى فى لوحة أجهزة القياس بالسيارة . كان مستوى الوقود منخفضاً ، ورأى محطة بنزين أمامه ، " أنا أحتاج لوقود " .

" حسناً ؛ أما أنا فيجب أن أذهب لأتبول " .

" ابق فى السيارة " .

" يجب أن أذهب لأتبول ، يا رجل " .

" ابق فى السيارة اللعينة " ، وأوقف جوش السيارة بجوار المضخة وخرج من السيارة . " ابق حيث أستطيع رؤيتك " .

" لا أريد أن أتبول فى سيارتك ، يا رجل " .

" من الأفضل لك ألا تفعل " .

" ولكن — " .

" فقط انتظر يا آدم ولا تغادر السيارة ! " .

وضع جوش بطاقة ائتمانه فى الفتحة وبدأ ضخ الوقود . لقد كان ينظر إلى أخيه من الزجاج الخلفى للسيارة ، ثم نظر إلى الأرقام المتحركة فى العداد . لقد أصبح الوقود مكلفاً جداً الآن . ربما كان يتوجب عليه شراء سيارة أرخص فى قيادتها .

لقد انتهى وعاد مرة أخرى للسيارة . ونظر إلى آدم . وكان على وجه أخيه نظرة هزلية غريبة . وكانت هناك رائحة ضعيفة فى السيارة .

" آدم ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" ماذا فعلت ؟ " .

" لا شىء " .

ثم شغل محرك السيارة . هذه الرائحة ... وخطف بصره شىء فضى اللون . ونظر على الأرض بين قدمى أخيه ورأى

الأسطوانة الفضية الخاصة بعمله المعملى . فانحنى ، والتقط الأسطوانة . وقد كانت خفيفة فى يده .

" آدم ... " .

" أنا لم أفعل شيئاً ! " .

هزّ جوش الأسطوانة . لقد كانت فارغة .

قال أخوه : " اعتقدت أنها نتروجين أو شىء من هذا القبيل " .

" أيها الأحمق " .

" لماذا ؟ إن استنشاقه لم يؤثر فى شىء " .

" إنها من أجل فأر ، يا آدم لقد استنشقت فيروساً مخصصاً للفئران " .

تراجع آدم للخلف . " هل هذا شىء ؟ " .

" على الأقل إنه ليس جيداً " .

ومع الوقت أوقف جوش السيارة أمام منزل أمه فى بيفرلى هيلز ، وقد فكر جلياً واستنتج أنه لا يوجد خطر على آدم ؛ فالفيروس نوع من الفيروسات التى تصيب الفئران ، وعلى الرغم من أنها قد تعدى الإنسان ، فإن الجرعة قد حسبت لحيوان يزن ٨٠٠ جرام ، بينما يزن أخوه أكثر من ذلك بمائة مرة ؛ فالتعرض الجينى كان متدنياً .

قال آدم : " إذن ، أنا بخير ؟ " .

" أجل " .

" بالتأكيد ؟ " .

" أجل " .

قال آدم وهو يخرج من السيارة : " آسف بشأن ذلك ، ولكن شكراً على توصيلى . أراك قريباً ، يا أخى " .

قال جوش : " سأنتظر حتى تدخل المنزل " ، وقد شاهد أخاه يسير ويقرع الباب . فتحت أمه . دخل آدم للداخل ، وأغلقت أمه الباب .

لم تنظر حتى إلى جوش .

قام جوش بتشغيل المحرك وتحرك بالسيارة بعيدًا .

الفصل ٧

فى الظهيرة ، غادرت أليكس بيرنت مكتبها فى شركتها القانونية في سنشرى سيتى وتوجهت للمنزل . لم يكن عليها الذهاب بعيداً ؛ فلقد كانت تعيش في شقة في روكسبيرى بارك مع ابنها جيمي الذى يبلغ من العمر ثمانى سنوات . لقد كان جيمى مصاباً بنزلة برد واضطر للبقاء فى المنزل ولم يذهب للمدرسة . وكان أبوها يعتنى به بالنيابة عنها .

وجدت أباها فى المطبخ يطهى مكرونة بالجبن . وهى الشيء الوحيد الذى يستطيع جيمى أكله هذه الأيام . قالت : " كيف حاله ؟ " .

" انخفضت الحرارة ، ولكن مازال أنفه جارياً ولديه سعال " .

" هل هو جائع ؟ " .

" لم يكن جائعاً منذ قليل ، ولكنه طلب الآن مكرونة " .

قالت : " هذه إشارة جيدة ، هل تريدنى أن أكمل نيابة عنك ؟ " .

هزّ أبوها رأسه : " لقد توليت أمر الاعتناء به . لم يكن من الضرورى أن تحضرى للمنزل ، تعرفين ذلك " .

" أعرف " ، ثم توقفت وقالت : " لقد أصدر القاضى حكمه ، يا أبى " .

" متى ؟ " .

" هذا الصباح " .

" ثم ؟ " .

" لقد خسرنا " .

استمر أبوها فى طهى المكرونة : " هل خسرنا كل شىء ؟ " .

قالت " نعم ، لقد خسرنا فى كل نقطة من الادعاء . ليس لديك حق فى أنسجتك . لقد تم الحكم بأنها " فضلات مادية " ، وأنك قد سمحت للجامعة بالتصرف فيها بالنيابة عنك ، وتقول المحكمة إنه ليس لك أى حقوق فيما يتعلق بأنسجتك بمجرد أن خرجت من جسمك ، وأن للجامعة الحق أن تفعل ما تشاء بها " .

" لكنهم أعادوا لى ـ " .

" لقد قال القاضى إن الشخص العاقل كان ليدرك أن الأنسجة كانت قد جمعت لاستخدام تجارى ، لذلك فإنك قد قبلت الأمر تكتيكياً " .

" ولكنهم أخبرونى بأننى كنت مريضاً " .

" لقد رفض القاضى كل حججنا ، يا أبى " .

" لقد كذبوا علىَّ " .

" أعرف ، ولكن وفقاً للقاضى ، فإن السياسة الاجتماعية الجيدة تعزز البحث الطبى . ورأى أن منح حقوق لك الآن سيكون له تأثير سلبى على بحث المستقبل . هذا هو أسلوب التفكير الذى وراء الحكم ـ الصالح العام " .

قال أبوها : " لم يكن ذلك يتعلق بالصالح العام . ولكن بالحصول على ثروة . يا إلهى ، ثلاثة بلايين دولار ... " .

" أعرف يا أبى ؛ فالجامعات تريد المال ، وأساساً فإن هذا القاضى قد تبنى نفس الموقف الذى تبناه قضاة كاليفورنيا لمدة

الـ ٢٥ سنة الماضية ، منذ قرار مور فى عام ١٩٨٠ . فمثلما حدث في قضيتك ، وجدت المحكمة أن أنسجة مور كانت مواد مهدرة ليس له الحق فيها ؛ حتى إنهم تفقدوا هذا السؤال لمدة أكثر من حقبتين " .

" إذن ماذا يحدث الآن ؟ " .

قالت : " نستأنف ، أنا لا أعتقد أن لدينا أسباباً جيدة للاستئناف ، ولكن يجب أن نفعل ذلك قبل أن نستطيع الذهاب إلى المحكمة العليا بكاليفورنيا " .

" ومتى يكون ذلك ؟ " .

" بعد سنة من الآن " .

قال أبوها : " هل لدينا فرصة ؟ " .

قال ألبرت رودريجيز : " لا على الإطلاق " وهو يلتف فى كرسيه نحو أبيها ؛ فقد حضر رودريجيز والمحامون الآخرون للجامعة لمكتب المحاماة الخاص بأليكس عقب صدور حكم القاضي ، ثم أردف قائلاً : " ليس لديك أى فرصة فى استئناف مقبل ، يا سيد بيرنت " .

قالت أليكس : " أنا مندهشة أنك واثق جداً من الحكم الذى ستصدره محكمة كاليفورنيا العليا " .

قال رودريجيز : " آه ، نحن ليس لدينا فكرة كيف ستحكم المحكمة ، ولكنى أعنى ببساطة أنك ستخسر هذه القضية بصرف النظر عن الموقف الذى سوف تتبناه المحكمة " .

قالت أليكس : " كيف يكون ذلك ؟ " .

" إن جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس هى جامعة ولاية لوس أنجلوس ، ومجلس الأوصياء مستعد بالنيابة عن ولاية كاليفورنيا ، أن يأخذ خلايا أبيك بحق الحكومة فى مصادرة الملكية الشخصية " .

نظرت أليكس بدهشة : " *ماذا ؟* " .

" إذا افترضنا أن المحكمة العليا حكمت أن خلايا أبيك هى ملكية خاصة به - وهذا غير متوقع - فإن الولاية سوف تأخذ ملكيته عن طريق مصادرة الملكية الفردية " .

" ومصادرة الملكية الفردية يشار بها إلى حق الولاية فى أخذ ملكية خاصة دون موافقة المالك . وهى غالباً ما تنفذ فى الاستخدامات العامة ، ولكن مصادرة الملكية الفردية يقصد بها المدارس والطرق السريعة . . " .

قال رودريجيز : " الولاية يمكن أن تفعل ذلك فى هذه القضية ، وسوف تفعل " .

حدق أبوها ، كما لو كانت أصابته صاعقة : " هل تمزح ؟ " .

" لا ، يا سيد بيرنت . إنه أخذ شرعى ، وستمارس الولاية حقها " .

قالت أليكس : " إذن ما الغرض من هذه المقابلة ؟ " .

" لقد رأينا أنه من المناسب أن نخبركم بالموقف ، فى حالة إذا ما أردتم أن تسقطوا الدعوى القادمة " .

قالت : " أنت تقترح أن ننهى التقاضى ؟ " .

قال لها رودريجيز : " أنا أنصح بذلك ، إذا كان هذا هو موكلى " .

" إنهاء التقاضى سيوفر للولاية مصاريف ضخمة " .

قال رودريجيز : " إنه سيوفر مصاريف للجميع " .

" إذن ماذا تقترح كتسوية ؛ لكى نسحب القضية ؟ " .

" لا شيء إطلاقا ، يا سيدة بيرنت . أنا آسف إن كنت قد أسأت فهمي . هذا ليس تفاوضاً . نحن ببساطة هنا لكى نوضح موقفنا ؛ حتى تستطيعوا أن تأخذوا قراراً واعياً بما فيه مصلحتكم " .

تنحنح أبوها وقال : " هل تقول لى إنكم ستأخذون الخلايا الخاصة بى ، على أى حال . ولقد بعتموها بثلاثة بلايين

دولار ، على أى حال ، وأنتم تحتفظون بكل الأموال ، علـى أى حال ! " .

قال رودريجيز : " لقد وضعت الحقيقة بـشكل فـظ ، ولكنـه دقيق " .

انتهى الاجتماع ، وقد شكرهم رودريجيز وفريقه على الوقت الذى أتاحوه لهم ، واستقبالهم لهم ، ثم تركـوا الغرفـة . هـزت أليكس رأسها لأبيها ثم تبعت المحامين للخـارج . وكـان فرانـك بيرنت يتابعهم أثناء حديثهم بعدما انصرفوا من خلال الزجاج .

قال : " هؤلاء السفلة ، ما نوع العالم الذى نعيش فيه ؟ " .

قـال صوت من خلفه : " إنـه أمـر مؤسـف للغايـة " . التفـت بيرنت .

كان هناك شاب يرتدى نظارة هلالية يجلس فى الركن البعيد لغرفة الاجتماع . لقد تذكره بيرنت ، لقد جاء هذا الـشاب أثنـاء الاجتماع ، وأحضر قهوة وأكواباً وضعها علـى نـضد المائـدة . ثـم جلس فى الجانب لبقيـة الاجتمـاع . افـترض بيرنـت أنـه عـضو صغير فى الشركة ، ولكن كان الشاب يتحدث الآن بثقة .

قال : " يا سيد بيرنـت ، يجـب أن نواجـه الأمـر ، لقـد تم خداعك . لقد اتضح أن خلاياك نادرة جـداً وقيمـة . وهـى مـصنع فعّال للسيتوكينز ، مواد كيميائية تقاوم المرض . وهذا هو السبب الحقيقى لبقائك على قيد الحياة من مرضك . وإحقاقاً للحق ، فإن خلايـاك تنـتج مـادة الـسيتوكينز بكفـاءة أكثـر مـن أى عمليـة تجارية . وهذا هو السبب فى أن هذه الخلايا تساوى هذه المبـالغ الكبيرة من المال . إن أطبـاء الجامعـة لم يـصنعوا أو يبتكـروا أى شىء ، وهم لم يعدلوا أى شىء جينياً . لقد أخذوا فقط خلايـاك ، ونموها فـى وعـاء ، وبـاعوا الوعـاء لـشركة بيـوجين . وأنـت يـا صديقى ، خدعوك " .

قال بيرنت : " من أنت ؟ " .

واستمر الشاب : " وليس لديك أمل فى العدالة ؛ لأن المحاكم ليست ذات أهلية تماماً ، فالمحاكم لا تدرك السرعة التى تتغير بها الأشياء . وهم لا يفهمون أننا بالفعل فى عالم جديد . ولا تصل إليهم الموضوعات الجديدة . ولأنهم جهلة من الناحية التقنية ، فإنهم لا يفهمون الإجراءات التى تمت ـ أو كما فى هذه القضية ، الإجراءات التى لم تتم . لقد سُرقت خلاياك وبيعت بمنتهى الوضوح والبساطة ، وقررت المحكمة أن ذلك لا بأس به " .

تنهد بيرنت تنهيدة طويلة .

واستمر الرجل : " ولكن مازال من الممكن أن ينال اللصوص القصاص " .

" كيف يكون ذلك ؟ " .

" لأن الجامعة لم تفعل شيئاً فى تغيير خلاياك ، يمكن لشركة أخرى أن تأخذ نفس الخلايا ، وتقوم بتعديل جينى بسيط ، وتبيعها كمنتج جديد " .

" ولكن شركة بيوجين لديها بالفعل خلاياى " .

" حقيقى ، ولكن خطوط الخلايا ضعيفة . وهناك أشياء تحدث لها " .

" ماذا تقصد ؟ " .

" إن المزرعة تكون عرضة للفطر ، والعدوى البكتيرية ، والتلوث ، وتحولات طارئة ، ويمكن أن تسير جميع الأمور بشكل خاطئ " .

" ولكن لابد أن شركة بيوجين قد أخذت احتياطاتها . . " .

قال الرجل : " بالطبع ، ولكن الاحتياطات أحياناً تكون غير كافية " .

قال بيرنت مرة أخرى : " من أنت ؟ " . كان ينظر حوله ، من خلال الحوائط الزجاجية لغرفة الاجتماع ، على المكتب

الكبير فى الخارج . لقد رأى أشخاصاً يسيرون جيئة وذهاباً . وقد تعجب أين ذهبت ابنته .

قال : " أنا لا أحد ، وأنت لم تقابلنى من قبل " .

" هل لديك بطاقة عمل ؟ " .

هزّ الرجل رأسه : " أنا لست هنا ، يا سيد بيرنت " .

عبس وجه بيرنت " وابنتى ــــ " .

" ليس لديها فكرة . أنا لم أقابلها أبداً . هذا بيننا فقط " .

" ولكنك تتحدث عن نشاط غير قانونى " .

قال الرجل : " أنا لا أتحدث على الإطلاق ؛ لأننا لم نتقابل من قبل ، لكن دعنا نفكر كيف يمكن أن يفلح ذلك " .

" حسناً ... " .

" أنت لا تستطيع *قانونياً* أن تبيع خلاياك عند هذه النقطة ؛ لأن المحكمة قد حكمت أنك لم تعد تملكها ـ ولكن شركة بيوجين هى التى تملكها . ولكن خلاياك يمكن الحصول عليها من أماكن أخرى ؛ فخلال مجرى حياتك ، أخذت عينات كثيرة من دمك فى أماكن مختلفة . لقد ذهبت إلى فيتنام منذ أربعين عاماً مضت . وقد أخذ الجيش دمك ، كما أجريت جراحة فى الركبة منذ عشرين عاماً مضت فى سان دييجو . وقد أخذت المستشفى دمك ، واحتفظت بغضروفك . كما استشرت العديد من الأطباء خلال السنوات الماضية ، وقد أجروا اختبارات دم . إذن دمك يمكن إيجاده ، لا توجد مشكلة ، ويمكن الحصول عليه من قواعد بيانات متاحة علنية ـ وذلك إذا أرادت شركة أخرى أن تستخدم خلاياك " .

" وماذا عن شركة بيوجين ؟ " .

هز الرجل كتفيه استهجاناً وقال : " التكنولوجيا الحيوية هى عمل صعب ؛ فالتلوث يحدث كل يوم . وإذا حدث شىء ما خطأ فى معاملهم ، فهذه ليست مشكلتك ، هل هى كذلك ؟ " .

" ولكن كيف يمكن ـــــ " .

" أنا ليس لدى فكرة ؛ فهناك أشياء كثيرة يمكن أن تحدث " .

سادت فترة قصيرة من السكون . " ولماذا يجب على أن أفعل هذا ؟ " .

" سوف تحصل على مائة مليون دولار " .

" من أجل ماذا ؟ " .

" أخذ عينات من أنظمة ستة أعضاء من جسمك " .

" لقد اعتقدت أنك تستطيع أن تحصل على دمى من مكان آخر " .

" نظرياً . إذا وصل الأمر للتقاضى ، فإن ذلك سيتم ادعاؤه . ولكن بشكل عملى ، فإن أى شركة سترغب فى خلايا طازجة " .

" لا أعرف ماذا أقول " .

" لا مشكلة . فكر فى الأمر ، يا سيد بيرنت " . وقف الرجل ودفع النظارة على أنفه ، " ربما تكون خُدعت ، ولكن ليس هناك ما يدعو لأن تستسلم لذلك " .

من جامعة بومونت أخبار الخريجين

جدال الخلية الجذعية يحتدم

العلاجات الفعالة " تبعد عنا عقوداً "

البروفيسور ماككيون يصدم الحاضرين .

إعداد ماكس تالر

صدم البروفيسور كيفن ماككيون ، أستاذ البيولوجى الشهير حشداً من الحاضرين فى قاعة بومونت عندما وصف أبحاث الخلية الجذعية " بالاحتيال القاسى " .

قال : " ما تم إخباركم به لا يعدو عن كونه أسطورة ، والمقصود بها التأكد من وصول التمويل للباحثين ، على حساب آمال زائفة بالنسبة للمرضى بأمراض حرجة . لذلك دعونا نصل إلى الحقيقة " .

أوضح دكتور كيفن ، أن الخلايا الجذعية هى الخلايا التى لديها القدرة على تحويل نفسها إلى أنواع أخرى من الخلايا . وهناك نوعان من الخلايا الجذعية . الخلايا الجذعية الناضجة التى توجد فى جميع أجزاء الجسم ، فإنها توجد فى العضلات ، والمخ ، وخلايا الكبد ، إلخ .. والخلايا الجذعية الناضجة يمكن أن تُولد خلايا جديدة ، ولكن يكون ذلك فى النسيج الذى توجد فيه فقط . وهى مهمة لأن الجسم البشرى يستبدل كل خلاياه كل سبع سنوات .

والبحث الذى يتضمن استخدامات الخلايا الجذعية الناضجة فى أغلب الأحوال لا يوجد جدال عليه ؛ ولكن هناك نوعاً آخر من الخلايا الجذعية الجنينية ، والتى يدور حولها جدال كبير . توجد تلك الخلايا فى دم الحبل السرى ، أو تشتق من الأجنة الصغيرة . والخلايا الجذعية الجنينية متعددة الإمكانات ، بمعنى أنها يمكن أن تنمو فى أى نوع من النسيج . ولكن الأبحاث التى تجرى على الخلايا الجذعية الجنينية محل جدال ؛ لأنها تتضمن استخدام أجنة بشرية ، والتى قد يشعر العديد من الناس ، لأسباب دينية وأسباب أخرى ، أن لديها حقوق البشر . فإنهم يرون أن هذه الأجنة لها نفس حقوق الإنسان العادى ، وهذا جدال قديم لا

يحتمل أن يتم حسمه قريباً .

العلماء يواجهون الحظر على إجراء الأبحاث

حكمت الإدارة الأمريكية الحالية أن الخلايا الجذعية الجنينية يمكن أن تؤخذ من خطوط أبحاث حالية ، ولكن ليس من أجنة جديدة ، ويعتبر العلماء الخطوط الحالية غير كافية ، ولذلك يرون أن هذا الحكم تحريم واقعي على الأبحاث ؛ لذلك فهم يذهبون لمراكز خاصة لإجراء أبحاثهم ، دون منح فيدرالية من الحكومة .

ولكن فى النهاية ، فإن المشكلة الحقيقية ليست ببساطة نقص الخلايا الجذعية ، ولكن تكمن المشكلة فى حقيقة أنه لكى تكون هناك تأثيرات علاجية ، فإن العلماء يحتاجون إلى أن يكون لدى كل شخص خلاياه الجذعية المتعددة الإمكانات . فإن ذلك سيسمح لنا بأن نعيد نمو عضو ، أو إصلاح تلف نتج عن إصابة أو مرض ، أو لعلاج الشلل . وهذا يمثل الحلم الكبير . ولم يتمكن أحد من إجراء هذه المعجزات العلاجية الآن . ولا أحد لديه فكرة كيف يمكن أن يتم ذلك ، ولكن ذلك يتطلب دون شك توفر الخلايا .

والآن ، بالنسبة للمواليد الجديدة ، يمكنك أن تجمع دم الحبل السرى وتجمده للحصول على خلايا جذعية جنينية ، والناس يفعلون ذلك بالنسبة لمواليدهم الجدد . ولكن ما الحال بالنسبة للبالغين ؟ من أين سنحصل على الخلايا الجذعية متعددة الإمكانات ؟

هذا هو السؤال الكبير .

نحو الحلم العلاجى

كل ما لدينا كبالغين هو الخلايا الجذعية الناضجة ، والتى تستطيع أن تصنع نوعاً واحداً من النسيج . ولكن ماذا إذا كانت هناك طريقة لتحويل الخلايا الناضجة مرة أخرى إلى خلايا جنينية ؟ هذا الإجراء سيمكن كل بالغ أن يكون لديه مصدر متاح من خلاياه الجذعية الجنينية الخاصة . وذلك سيجعل الحلم العلاجى ممكناً .

حسناً ، يبدو أنه فى إمكانك أن تعكس الخلايا الجذعية الناضجة ، ولكن فقط إذا وضعتها داخل بويضة . وهناك شىء داخل البويضة يبسط الفروق ويحول الخلية الجذعية البالغة مرة أخرى إلى خلية

جنينية . هذه أخبار سارة ، ولكن للأسف من الصعب للغاية القيام بذلك مع الخلايا البشرية ، وإذا أمكن إنجاح هذه الوسيلة مع البشر ، فإن الأمر يتطلب إمداداً ضخماً بخلايا بويضات بشرية . وهذا يجعل الإجراء مثيراً للجدال مرة أخرى .

لذلك يبحث العلماء عن طرق أخرى لجعل الخلايا الناضجة متعددة الإمكانات . إنه جهد عالمى ؛ فقد كان هناك باحث فى شنغهاى يحقن خلايا جذعية فى بيض الدجاج ، وقد حصل على نتائج مختلطة . بينما رفض آخرون هذا الأمر تمامًا ، وليس من الواضح الآن إذا ما كانت هذه الإجراءات سوف تنجح .

كما أنه ليس من الواضح كذلك إذا ما كان حلم الخلية الجذعية - زرع أعضاء دون أن يرفضها الجسم ، وعلاج إصابات العمود الفقرى ، إلخ . . سوف يتحقق . لقد صرح مؤيدو هذا الحلم بادعاءات غير واقعية وبعيدة عن الصدق ، وكانت توقعات وسائل الإعلام خيالية لمدة أعوام . والأشخاص الذين يعانون من أمراض خطيرة دُفعوا للاعتقاد بأن الشفاء قريب ، وللأسف فإن ذلك ليس حقيقياً . فإن الطرق العلاجية الناجحة أمر يقع فى سنوات عديدة فى المستقبل ، وربما عقود ، وقد أكد الكثير من العلماء ، سراً ، أنهم لن يعرفوا إذا ما كان علاج الخلية الجذعية سينجح حتى عام ٢٠٥٠ . وقد أشاروا إلى أن الأمر قد استغرق أربعين عامًا منذ أن فك واطسون وكريك شفرة الجين ، حتى بدأ علاج الجين البشرى .

فضيحة تصدم العالم

لاحت فى الأفق بارقة من الأمل عندما أعلن إخصائى الكيمياء الحيوية الكورى " هوانج وو - سك " فى عام ٢٠٠٤ أنه قد صنع بنجاح خلية جنينية من خلية ناضجة بواسطة تحول نووى جدارى - حقن داخل بويضة بشرية . لقد كان هوانج مشهوراً بإدمان العمل ؛ فهو يقضى ١٨ ساعة فى اليوم ، سبعة أيام فى الأسبوع فى المعمل . وقد نُشر تقرير هوانج المثير فى مارس عام ٢٠٠٥ فى مجلة العلوم . وتوجه حشد من العلماء من جميع أنحاء العالم إلى كوريا . لقد بدا أن علاج الخلية الجذعية قد أصبح فجأة على وشك أن يصبح الحقيقة . لقد أصبح هوانج بطلاً فى كوريا . واختير ليرأس اتحاد الخلية الجذعية الجديدة بالعالم ، الذى تموله الحكومة الكورية .

ولكن فى نوفمبر عام ٢٠٠٥ ، أعلن عالم أمريكى فى بيتسبيرج أنه ينهى شراكته مع هوانج ، ثم بعد ذلك كشف أحد العاملين المساعدين لهوانج أنه قد حصل على بويضات بشكل غير مشروع من سيدات عملن فى معمله .

فى ديسمبر عام ٢٠٠٥ ، أعلنت جامعة سول القومية أن خطوط خلايا هوانج كانت مختلقة وزائفة ، وكذلك كانت أبحاثه التى تم نشرها فى مجلة العلوم " ساينس " ؛ فقامت مجلة العلوم بسحب الأبحاث التى نشرتها له ، ويواجه هوانج الآن تهماً جنائية . وهناك توقف الأمر .

أخطار " التعلق بوسائل الإعلام "

سأل بروفيسور " ماككيون " ما الدروس التى نستنتجها من ذلك ؟ أولاً ، فى عالم مشبع بوسائل الإعلام ، تسبب تعلق الناس بوسائل الإعلام تلك فى تصديقهم لكل ما تبثه وسائل الإعلام ، وحتى أكثر تلك الادعاءات شراسة ، على الرغم من عدم وجود أى ضمانات لصحتها . ولمدة سنوات قامت وسائل الإعلام بوصف بحوث الخلية الجذعية بالمعجزة القادمة ، لذلك عندما أعلن شخص ما أن المعجزة قد تحققت تم تصديقه . هل يشير ذلك إلى أن هناك خطراً فى التعلق بوسائل الإعلام ؟ يمكن أن تقول ذلك لأن وسائل الإعلام تبعث الآمال الزائفة داخل نفوس المرضى فحسب ، ولكنها تؤثر على العلماء أيضاً ، فيبدءون بالاعتقاد أن المعجزة على وشك التحقق - على الرغم أنهم يجب أن يعرفوا أفضل من ذلك .

" ماذا نستطيع أن نفعل بشأن التعلق بوسائل الإعلام ؟ يمكن أن ينتهى هذا التعلق خلال أسبوع ، هذا إذا أرادت المؤسسات العلمية ذلك ، ولكنهم لا يريدون ذلك . إنهم يحبون هذا التعلق ؛ فإنهم يعرفون أنه يجلب لهم المنح . لذلك فإن هذا الموقف لن يتغير ، فإن مؤسسات وشركات كبرى مثل " يال " و " ستنافورد " و " جون هوبكينز " جميعها تشجع هذا التعلق بوسائل الإعلام ، مثلها فى ذلك مثل شركات " إيكسون " و " فورد " . وحتى الباحثون الذين يعملون فى هذه المؤسسات يتبنون نفس توجه شركاتهم . وبشكل متزايد أصبحت الدوافع التى تحرك الباحثين والجامعات دوافع تجارية ، تماماً مثل الشركات ؛ لذلك فكلما سمعت أحد العلماء يدعى أن الصحف هى من بالغ فى تصريحاته ، أو أخرجتها عن سياقها ، فقط اسأله ما إذا كان كتب

أى خطاب لمحرر الخبر ليعترض فيه على الأسلوب الذى نشرت به التصريحات ، وستجد أن تسعاً وتسعين بالمائة من المرات لم يفعل ذلك ؛ لأنه أراد لتصريحاته أن تخرج بهذا الشكل " .

" الدرس الثانى : مراجعة الباحثين النظراء . كل أبحاث هوانج فى مجلة " ساينس " المخصصة لمجال العلوم قد تمت مراجعتها بواسطة الباحثين النظراء ، فإذا أردنا دليلاً على أن مراجعة الباحثين النظراء إجراء فارغ ، فإن هذه الحادثة تقدمه . قدم هوانج ادعاءات غير عادية ولكنه لم يقدم دليلاً غير عادى . وقد أظهرت دراسات كثيرة أن مراجعة الباحثين النظراء لا تحسن نوعية الأبحاث العلمية . والعلماء أنفسهم يعرفون أن هذه المراجعة لا طائل منها ، لكن الجمهور مازال يعتبرها كعلامة على النوعية أو مدى الجودة ، فتجد الناس يقولون : " هذا البحث روجع بواسطة الباحثين النظراء ؛ أو هذا البحث لم يتم مراجعته بواسطة الباحثين النظراء . كما لو كان ذلك يعنى شيئاً ، ولكنه فى الواقع لا يعنى شيئاً على الإطلاق وليس له أى تأثير .

" يلى ذلك الجرائد نفسها . أين كانت اليد القوية لمحرر جريدة العلوم ؟ تذكر أن جريدة العلوم مؤسسة كبيرة ؛ حيث يعمل ١١٥ شخصاً فى هذه المجلة . ومع ذلك لم يتم اكتشاف خداع فادح ، بما فى ذلك صور تم تغييرها بواسطة برنامج أدوبى فوتوشوب . وبرنامج فوتوشوب معروف باستعماله بشكل كبير كأداة رئيسية للخداع العلمى ، ولكن لم يكن لدى المجلة طريقة لاكتشافه " .

" ولم تكن جريدة العلوم هى الوحيدة التى تم خداعها ؛ فقد نشرت أبحاث ملفقة فى جريدة " نيو إنجلاند جورنال فور ميديسين " للطب ؛ حيث احتفظ المؤلفون بمعلومات خطيرة عن النوبات القلبية فيوكس ؛ وفى جريدة المبضع أو " لانست " ، تم تلفيق تقرير عن الأدوية وسرطان الفم بالكامل . وفى هذا البحث ، كان هناك ٢٥٠ شخصاً فى قاعدة بيانات المرضى لهم نفس تاريخ الميلاد ! وربما كان ذلك دليلاً لاكتشاف تلفيق هذا البحث ، ولكن لم ينتبه إليه أحد . إن الاحتيال الطبى هو أكثر من مجرد فضيحة ، إنه تهديد للصحة العامة ، ومع ذلك فإنه يستمر " .

الخسائر جراء تزييف البحث العلمى

قال ماككيون : " إن الخسائر التى تتكبدها الدولة بسبب هذا

الاحتيال والتلفيق فى مجال البحث العلمى تقدر بحوالى ٣٠ بليون دولار سنوياً ، وعلى الأرجح ثلاثة أضعاف ذلك المبلغ " . والاحتيال فى مجال العلوم ليس نادراً ، وهو ليس مقصوراً على جماعة محددة من العابثين ؛ فأكثر الباحثين والمؤسسات احتراماً قد ضبطوا بمعلومات مزيفة . حتى " فرانسيس كولينز " ، رئيس مشروع الجينوم البشرى بالمعهد القومى للصحة ، قد ذُكر كمؤلف مشارك فى خمسة أبحاث مزيفة وتم سحبها .

" والدرس النهائى هو أن العلوم لم تعد شيئاً خاصاً مميزاً . على الأقل لم تعد كذلك بعد الآن . ربما كانت كذلك فى الماضى فى " آينشتاين " و " نيلز بوهر " ، وكان هناك فقط العشرات من العاملين المتميزين فى كل مجال . لكن الآن يوجد ثلاثة ملايين باحث فى الولايات المتحدة . لم يعد البحث العلمى رسالة ، بل أصبح مجرد حرفة . والبحث العلمى نشاط إنسانى عرضة للفساد مثله مثل أى نشاط آخر . وممارسوه ليسوا ملائكة ، ولكنهم بشر ، وهم يفعلون ما يفعله البشر - يكذبون ، ويغشون ، ويسرقون من بعضهم البعض ، يقاضون ، ويخفون البيانات ، ويغالون فى أهميتهم الخاصة ، ويشوهون سمعة الآراء المعارضة بشكل غير منصف . هذه هى الطبيعة البشرية ، وهى لن تتغير " .

الفصل ٨

فى معمل شركة بيوجين للحيوانات ، كان توم ويللر يمر على صف الأقفاص مع جوش وينكلر ، الذى كان يوزع جرعات الفيروس الجينى للفئران . وكان ذلك برنامجهم اليومى . ورن هاتف توم الخلوى .

نظر جوش إليه ، ولأن جوش هو رئيسه ، فيمكنه أن يتلقى مكالمات فى العمل ، ولكن توم لا يستطيع . خلع توم أحد قفازيه المطاطين وجذب الهاتف من جيبه .

" ألو ؟ " .

" توم " .

لقد كانت أمه : " أهلاً يا أمى ، أنا فى العمل الآن " .

نظر إليه جوش نظرة أخرى .

" هل يمكن أن أعاود الاتصال بك ؟ " .

قالت : " لقد أصيب أبوك فى حادث سيارة الليلة الماضية و . . . توفى " .

" ماذا ؟ " وشعر فجأة بدوار . مال توم نحو أقفاص الفئران ، وأخذ نفساً غير عميق . وأخذ جوش ينظر إليه الآن نظرة اهتمام .

سأل توم أمه : " ماذا حدث ؟ " .

قالت أمه : " اصطدمت سيارته بالمعبر العلوى فى منتصف الليل تقريبًا ، وقد نقلوه إلى مستشفى لونج بيتش التذكارى ، ولكنه فارق الحياة مبكراً صباح اليوم " .

قال توم : " يا إلهى . هل أنت فى المنزل ؟ هل تريديننى أن أحضر ؟ هل راشيل على علم بالأمر ؟ " .

" لقد أخبرتها توًا " .

قال : " حسناً ، سوف أحضر " .

قالت : " توم ، أكره أن أطلب منك ذلك ، ولكن . . " .

" هل تريديننى أن أخبر ليزا ؟ " .

" أنا آسفة ، لا أستطيع الوصول إليها " . لقد كانت ليزا ، الفرد المنبوذ فى الأسرة . أصغر الأبناء ، بلغت الآن ٢٠ عاماً . لم تتحدث ليزا مع أمها منذ سنوات . " هل تعرف مكانها هذه الأيام يا توم ؟ " .

قال : " أعتقد ذلك ، لقد اتصلت بى منذ أسابيع قليلة مضت ؟ " .

" لتطلب نقوداً ؟ " .

" لا ؛ فقط لكى تعطينى عنوانها . إنها فى تورانس " .

قالت أمه : " لا أستطيع الوصول إليها " .

قال : " سوف أذهب إليها أنا " .

" أخبرها بأن الجنازة يوم الخميس ، إذا رغبت فى الحضور " .

" سوف أخبرها " .

وأغلق الهاتف والتفت لجوش . كان جوش ينظر باهتمام وتعاطف . " ما الذى حدث ؟ " .

" لقد توفى أبى " .

" أنا آسف فى الواقع . . " .

" تصادم سيارة ، الليلة الماضية . يجب أن أذهب لأخبر أختى " .

" هل يجب أن تغادر الآن ؟ " .

" سأمر علي المكتب في طريقي للخارج وسأرسل ساندى ليكون معك بدلا منى " .

" ساندى لا يعرف الإجراء ـــ " .

قال : " جوش ، يجب أن أذهب " .

كان المرور شاقاً في شارع ٤٠٥ . لقد استغرق منه الأمر حوالى ساعة قبل أن يجد نفسه أمام شقة مزرية المنظر في مبنى في سوث إكر في تورانس ، وضغط على الجرس الموصل لشقة ٣٨ . لقد كان المبنى قريباً من الطريق السريع ، وكان ضجيج المرور متواصلا .

لقد كان يعرف أن ليزا تعمل ليلاً ، ولكن الساعة الآن كانت العاشرة صباحاً ؛ فقد تكون مستيقظة . ضغط على أحد الأجراس ففتح له باب العقار . وكانت الردهة تفوح منها رائحة بول قطط . كان المصعد لا يعمل ، لذلك فقد صعد السلالم للدور الثالث ، وكان يدوس على أكياس بلاستيكية للقمامة . وقد مزق كلب أحد هذه الأكياس ، وتناثرت المحتويات على درجتين .

لقد توقف أمام شقة ٣٨ ، وضغط على جرس الباب . ردت أخته : " دقيقة واحدة ملعونة . انتظر " . وأخيرا فتحت الباب .

كانت مرتدية روب حمام . وكان شعرها الأسود مشدوداً للخلف . كانت تبدو منزعجة ، وقالت : " لقد اتصلت تلك المرأة بى " .

" أتعنين أمى ؟ " .

" لقد أيقظتنى من النوم " التفتت وعادت داخل الشقة ، وتبعها توم . " لقد اعتقدت أنك عامل توصيل الطلبات إلى المنازل " .

لقد كانت الشقة فى حالة مزرية من الفوضى . ومشت ليزا إلى المطبخ وقلبت فى الأوانى والأطباق المكومة فى الحوض ، ووجدت كوب قهوة ، وشطفته وسألته : " هل تريد قهوة ؟ " .

هزّ رأسه وقال : " اللعنة ، يا ليزا ، هذا المكان مثل حظيرة الحيوانات " .

" أنا أعمل فى الليل ، أنت تعرف ذلك " .

إن ليزا لم تكترث أبداً بما يحيط بها . حتى وهى طفلة ، كانت غرفتها دائما فى حالة من الفوضى . ويبدو أنها لم تكن تلاحظ ذلك . نظر توم من خلال الستائر المشحمة لشباك المطبخ إلى المرور الزاحف فى شارع ٤٠٥ قال : " إذن ، كيف يسير العمل ؟ " .

" إنه بيت الفطائر . كيف تظن أنه يسير . نفس الشىء فى كل ليلة ملعونة " .

سألها : " ماذا قالت أمى لك ؟ " .

" أرادت أن تعرف إن كنت سأحضر إلى الجنازة " .

" وماذا قلت لها أنت ؟ " .

" لقد قلت لها أن تبتعد عنى . لماذا ينبغى علىّ أن أذهب ؟ إنه لم يكن أبى " .

تنهد توم . لقد كان ذلك جدالاً طويلاً داخل الأسرة .

كانت ليزا تعتقد أنها ليست ابنة جون ويللر . قالت لتوم : " أنت لا تعتقد ذلك ، أيضاً " .

" أجل " .

" إنك تقول فقط أى شىء أمى تريد أن تقوله " . بحثت عن عقب سيجارة فى طفاية سجائر مكدسة ، وانحنت على الموقد لتشعلها من شعلة الموقد . " هل كان ثملاً عندما اصطدم ؟ " .

" لا أعرف " .

" أراهن أنه كان ثملاً أو كان تحت تأثير المنشطات التى يتناولها لبناء جسمه " .

كانٍ والد توم يقوم بممارسة بناء الأجسام . وقد مارسها مؤخراً في حياته . حتى إنه نافس في مسابقات هواة . قال توم : " لم يكن أبي يستخدم منشطات " .

" آه ، بالتأكيد . لقد كنت أبحث في الحمام الخاص به . وكان لديه حقن منشطة " .

" حسناً ، إذن أنت لم تحبيه " .

قالت : " لم يعد يهم ذلك بعد الآن ، إنه لم يكن أبي . وأنا لا أهتم بأى من ذلك على أى حال " .

" تؤكد أمي دائمًا أنه أبوك ، وأنك تقولين ذلك فقط لأنك لا تحبينه " .

" حسناً ، خمن ماذا ، نحن نستطيع أن نحسم ذلك الأمر مرة وإلى الأبد " .

" ماذا تعنين ؟ " .

" أعنى ، إجراء اختبار أبوة " .

قال : " ليزا ، لا تبدئى ذلك " .

" أنا لا أبدأ . أنا أنهى " .

" لا تفعلى هذا . عاهدينى ألا تفعلى هذا . بالله عليك . أبى متوفى ، وأمى مضطربة عاهدينى " .

" إنك جبان ، هل تعرف ذلك ؟ " وقد رآها على وشك البكاء .

وضع ذراعه حولها ، وبدأت تبكى . واحتضنها وشعر بجسدها يرتعد . قالت : " أنا آسفة ، أنا آسفة جداً " .

بعد أن غادر أخوها ، قامت بتسخين كوب من القهوة فى الميكروويف ، وجلست على منضدة المطبخ بجانب الهاتف . وطلبت رقم الاستعلامات . وحصلت على رقم المستشفى . وبعد دقيقة سمعت موظفة الاستقبال تقول : " مستشفى لونج بيتش التذكارى " .

قالت : " أريد أن أتحدث إلى المشرحة " .

" قالت : " أنا آسفة . إن المسئول عن المشرحة فى مكتب محقق المقاطعة . هل تريدين هذا الرقم ؟ " .

" لقد توفى شخص ما فى أسرتى فى مستشفاكم . أين يمكن أن يكون جسمانه الآن ؟ " .

" دقيقة واحدة من فضلك سوف أوصلك بقسم الباثولوجى " .

بعد أربعة أيام ، اتصلت أمها بها : " ماذا تظنين أنك فاعلة بحق السماء ؟ " .

" ماذا تقصدين ؟ " .

" أقصد ، الذهاب للمستشفى وطلب عينة دم من أبيك " .

" إنه ليس أبى " .

" ليزا . ألا تملين أبداً من هذه اللعبة ؟ " .

" لا ، وهو ليس أبى ، لأن الاختبارات الوراثية جاءت سالبة . إنها أمامي هنا " ـ بحثت عن الورقة المطبوعة وتقول " إن هناك احتمالاً أقل من الواحد فى ٢,٩ فى المليون أن يكون جون جيه . ويللر هو أبى " .

" أى اختبارات وراثية ؟ " .

" لقد أجريت اختبارات وراثية " .

" أنت مليئة بالقذارة " .

" لا يا أمى ، أنا لست كذلك . جون ويللرٍ ليس أبى ، ولقد أثبتت الاختبارات ذلك . لقد كنت دائماً أعرف ذلك " .

قالت أمها : " سنرى ذلك " ، ووضعت سماعة الهاتف .

بعد حوالى نصف ساعة من ذلك ، اتصل أخوها توم : " أهلاً ، ليزا " .

" لقد تلقيت لتوى مكالمة من أمى " .

" نعم ؟ " .

" لقد ذكرت شيئاً عن اختبارٍ ما ؟ " .

" أجل . لقد أجريت اختباراً يا توم . وخمن ماذا ؟ ".

" لقد علمت . من أجرى هذا الاختبار يا ليزا ؟ " .

" معمل هنا فى لونج بيتش " .

" ما اسمه ؟ " .

" بيو راد للاختبارات " .

قال أخوها : " آه ، أنت تعرفين ، هذه المعامل التى تقوم بالإعلان عن نفسها على شبكة الإنترنت ليست ذات موثوقية عالية . أنت تعرفين ذلك ، أليس كذلك ؟ " .

" لقد أكدوا لى صحة الأمر " .

" إن أمى مستاءة تماماً " .

قالت : " هذا سيئ جداً " .

" تعرفين أنها ستجرى الاختبار الخاص بها الآن ؟ وسوف تكون هناك قضايا ؟ لأنك تتهمينها بالخيانة الزوجية " .

" توم ، أنا حقاً لا أهتم بذلك ، وأنت تعرف هذا جيدًا ؟ " .

" ليزا ، أعتقد أن ذلك يسبب الكثير من المتاعب غير الضرورية حول وفاة أبينا " .

قالت : " إنه أبوك ؛ *ليس أبى* " .

الفصل ٩

نظر " **كيفين مككورميك** " ، المدير العام بمستشفى لونج بيتش التذكارى إلى الشخص المترهل الجالس أمامه وقال : " كيف حدث ذلك بحق السماء ؟ " ودفع حزمة من الأوراق عبر مكتبه .

نظر مارتى روبرتس رئيس قسم الباثولوجى بسرعة خلال المستند وقال : " ليس لدى فكرة " .

" زوجة المتوفى / السيد جون جيه . ويللر ، تقاضينا بسبب تقديم الأنسجة دون تصريح للابنة " .

قال مارتى روبرتس : " وما الموقف القانونى ؟ " .

قال مككورميك : " غير واضح ، القانون يقول إن الابنة هى فرد من أفراد الأسرة ولها حق واضح فى أن تأخذ الأنسجة لاختبارها من أجل الأمراض التى قد تؤثر عليها . المشكلة هى ، أنها أجرت اختبار أبوة ، وقد جاءت النتيجة سلبية . إذن فهى ليست ابنته . وهذا الأمر يجعل إفراجنا عن الأنسجة غير رسمى " .

" لم نكن نعرف ذلك فى هذا الوقت ـــــ " .

" بالطبع لا . ولكننا نتحدث عن القانون . والسؤال الوحيد المهم هو ، هل تستطيع الأسرة أن تقاضينا ؟ والإجابة هى نعم ، إن لديهم الأسس لبدء قضية ، وهم يفعلون ذلك " .

قال مارتى : " وأين الجثمان الآن ؟ " .

" دفن . منذ ثمانية أيام مضت " .

قلب مارتى خلال الصفحات وقال : " أجل ، وهم الآن يطلبون . . " .

قال مككورميك : " إنهم يطلبون ، علاوة على التعويضات على الأضرار غير المحددة التى وقعت عليهم ، عينات دم وأنسجة لإجراء اختبارات أخرى ، هل لدينا عينات دم وأنسجة من المتوفى ؟ " .

قال مارتى : " يجب أن أتأكد من ذلك ، ولكن يفترض أن لدينا ، نعم " .

" لدينا ؟ " .

" بالتأكيد . نحن نحتفظ بالكثير من الأنسجة هذه الأيام ، كيفين . أقصد كل من يأتى إلى المستشفى ، نجمع أكبر قدر من الأنسجة بشكل قانونى . . " .

قال ماككورميك محدقاً : " تلك هى الإجابة الخاطئة " .

" حسناً ، وما الإجابة الصحيحة ؟ " .

" إنه ليس لدينا أى أنسجة من هذا الرجل " .

" لكنهم سيعرفون أننا لدينا عينات منه ، فإننا على الأقل ، قد أجرينا اختبار السموم بسبب الحادث ، وهذا يشير إلى أن لدينا عينات من دمه ـــــ " .

" هذه العينة قد فقدت " .

" حسناً . لقد فقدت . ولكن ما جدوى ذلك فهم يستطيعون دائماً إخراج الجثمان والحصول على الأنسجة التى يريدونها " .

" صحيح " .

" وماذا إذن ؟ " .

" دعهم يقوموا بذلك ؛ فهذا ما نصحنى به المستشار القانونى للشركة ، فإن استخراج الجثمان أمر يتطلب الكثير من

الوقت والتصاريح ، والأموال . ونحن نعتقد أنه ليس لديهم الوقت أو الأموال لذلك ـ وربما ينتهى الأمر " .

قال مارتي : " حسناً لماذا إذن قمت باستدعائي إلى هنا ؟ " .

" لأنني أريد منك أن ترجع إلى قسم الباثولوجي وتؤكد لى أنه ، لسوء الحظ ، ليس لدينا عينات أخرى من المتوفى ، وأن كل شيء لم يعط للابنة قد فقد أو وضع فى غير موضعه " .

" فهمت قصدك " .

قال ماككورميك : " اتصل بى خلال الساعة " ، والتفت بعيداً .

دخل مارتي روبرتس معمل الباثولوجي بالدور الأسفل . وكان مساعده يدعي رازا رشاد ، شاب وسيم ذو عيون داكنة يبلغ من العمر ٢٧ عاماً ، ينظف المناضد الستانليس للمهمة التالية . وإذا أردنا الحقيقة ، فإن رازا فى الواقع هو من كان يدير معمل الباثولوجي ؛ فقد شعر مارتي بأنه محمل بعبء إدارى ثقيل ، وإدارة الأمور العليا لقسم الباثولوجي ، ومتابعة أداء العاملين ، والزيارات التي يقوم بها طلبة الطب ، وكل الأعمال الباقية ، لذلك فإنه يعتمد على رازا ، الذى كان ذكياً وطموحاً جداً .

" مرحبًا ، رازا . هل تذكر الرجل الأبيض البالغ من العمر ٤٦ عاماً ، الذى كان به إصابات بسبب التصادم ، من أسبوع مضى ؟ ذلك الذى اصطدم بسيارته بممر علوى ؟ " .

" أجل . أذكر . اسمه هيللر ، أو ويللر " .

" لقد طلبت الابنة دماً له ؟ " .

" أجل . لقد أعطيناها الدم " .

" حسناً ، لقد أجرت اختبار أبوة ، وجاءت النتيجة سلبية . لم يكن الرجل أباها " .

حملق رازا على نحو خالٍ من التعبير : " هل هذا صحيح ؟ " .

" أجل . الآن الأم مستاءة تماماً . وتريد مزيداً من الأنسجة . ماذا لدينا ؟ " .

" يجب أن أتأكد . ربما المعتاد . عينات وأنسجة كل الأعضاء الرئيسية " .

قال مارتى : " هل هناك أى احتمال أن هذه المواد قد وضعت فى غير موضعها ؟ بحيث لا نستطيع العثور عليها ؟ " .

أومأ رازا ببطء ، محدقاً إلى مارتى وقد فهم ما كان يرمى إليه : " ربما كذلك . فمن الممكن دائماً أن توضع فى غير موضعها ، وبالتالى يكون من الصعب إيجادها " .

" وهل من الممكن أن يستغرق العثور عليها شهوراً ؟ " .

" أو سنوات ، وربما لا يتم العثور عليها أبداً " .

قال مارتى : " إن ذلك هو ما أريده تمامًا ، والآن ماذا عن الدم من عينة اختبار التسمم ؟ " .

تجهم رازا وقال : " إن المعمل يحتفظ بذلك . وليس لدينا إمكانية الوصول لوحدة تخزينها " .

" إذن ما زالت لديهم هذه العينة من الدم ؟ " .

" أجل . لديهم " .

" وليس لدينا إمكانية للوصول إليها ؟ " .

ابتسم رازا وقال : " قد يستغرق ذلك منى يومين " .

" حسناً . افعل ذلك " .

ذهب مارتى روبرتس إلى الهاتف وطلب مكتب المدير العام . وعندما جاء ماككورميك على الخط ، قال : " لدى بعض الأخبار السيئة يا كيفين : للأسف كل الأنسجة قد فقدت أو وضعت فى غير موضعها " .

قــال مكورميــك : " يؤســفنى أن أسمــع ذلــك " ، ووضــع السماعة .

قال رازا وهو يدخل للمكتـب : " مـارتى هـل هنـاك مـشكلة بالنسبة لهذا الرجل الذى يدعى ويللر ؟ " .

قال مارتى : " لـيس بعـد الآن . ولقـد أخبرتـك مـن قبـل لا تنادنى مارتى ؛ فاسمى دكتور روبرتس " .

الفصل ١٠

فى معمل راديال جينوميكس فى لاجولا ، حرك تشارلى هيجنز شاشته المسطحة لكى يُرى هنرى كيندال العنوان الرئيسي : *القرد المتكلم ادعاء زائف* . قال تشارلى : " أليس هذا ما قلته لك ؟ منذ أسبوع مضى ونحن نعلم أن القصة مزيفة " .

قال هنرى : " حسناً ، حسناً . لقد كنت مخطئاً ، أعترف بذلك ، لقد كنت قلقاً دون سبب " .

" قلقاً جداً . . " .

" لقد كان ذلك فى الماضى . هل يمكن أن نتحدث عن شيء مهم ؟ " .

" ما ذلك الشيء ؟ " .

" جين البحث عن المغامرة . إن طلب المنحة الذى تقدمنا به قد تم رفضه " . وبدأ ينقر على لوحة مفاتيح الحاسب . " لقد تم رفض طلبنا مرة أخرى بسبب ذلك الشخص المفضل لديك ، راعى مادة الدوبامين ، دكتور روبرت إيه . بيلارمينو بالمعهد القومى للصحة " .

ركزت دراسات المخ فى غضون السنوات العشر الأخيرة بشكل متزايد على مادة عصبية كيميائية تدعى دوبامين ؛ فقد ظهر أن

مستويات الدوبامين مهمة للمحافظة على الصحة خاصة فيما يتعلق بأمراض مثل الشلل الرعاش والشيزوفرينيا . ومن خلال الأبحاث التي أجريت في معمل تشارلي هيجنز ، اتضح أن التحكم في موصلات الدوبامين في المخ هو جين " دى . ٤ . دى . آر " ضمن آخرين . وبقي معمل تشارلي في طليعة هذا البحث ، حتى جاء عالم منافس يدعي روبرت بيلارمينو من المعهد القومي للصحة ليشير إلى جين " دى . ٤ . دى . آر " بجين المغامرة الجين الذى يفترض أن يتحكم في الحث على المخاطرة ، والبحث عن شركاء في الحياة الحميمة ، أو الاشتراك في سلوك البحث عن الإثارة .

وقد فسر بيلارمينو الأمر بأن حقيقة زيادة مستويات الدوبامين في الرجال عن النساء كانت السبب وراء التهور الكبير للرجال ، وانجذابهم إلى كل شيء بدءًا بتسلق الجبال حتى نزعتهم إلى الخيانة أكثر من النساء .

كان بيلارمينو ناشطاً دينياً ، وباحثاً رائداً في المعهد القومي للصحة . وكان ماهراً في المجال السياسي ، ونموذجاً للعالم الحديث ، الذى يمزج ببراعة موهبة علمية متواضعة بذكاء إعلامي حقيقي . لقد كان معمله أول من يؤسس شركته الإعلانية الخاصة ، ونتيجة لذلك ، فإن أفكاره ، وبشكل ثابت ، تلقى الكثير من التغطية الصحفية بسبب الشركة الإعلانية تلك . (والتي بدورها جذبت أذكى وأكثر الأطباء طموحاً ، الذين قاموا بعمل جيد له ، وبذلك أضافوا إلى شهرته) .

وفي حالة جين " دى . ٤ . دى . آر " ، كان بيلارمينو قادراً على تكييف تعليقاته وفقًا لمعتقدات مستمعيه ، سواء بالحديث بتفاؤل عن الجين الجديد أمام الجماعات التقدمية ، أو بالانتقاص من قدر الجين عند الحديث أمام جماعة من المتحفظين . لقد كان متلوناً ، ذا توجه مستقبلي ، وغير مقيد في

تنبؤاته ؛ فقد ذهب بعيداً ليقترح أنه قد يكون هناك في يوم ما لقاح ليمنع الخيانة .

ولقد ضايقت سخافة هذه التعليقات كلاً من تشارلى وهنرى جداً لدرجة أنهما تقدما منذ ستة شهور مضت بطلب للحصول على منحة لاختبار مدى انتشار " جين المغامرة " .

لقد كان بحثهما في منتهى البساطة ؛ حيث إنهم كانوا سيرسلون فريقاً بحثياً لتنزهات الملاهى لسحب عينات دم من أفراد يركبون عربات السكك الحديدية المرتفعة في الملاهى وسحبها مرة أخرى أثناء اليوم . ونظرياً فإنه من الأرجح أن هؤلاء الذين " يكررون ركوب عربات الملاهى " هم من يحملون الجين .

المشكلة الوحيدة للتقدم بهذه النتيجة إلى المؤسسة القومية للعلوم هو أن مقترحهم لابد أن يقرأ بواسطة مراجعين غير معروفين . وأحد المراجعين المحتملين كان روبرت بيلارمينو . وكان لدى بيلارمينو سمعة لما يسمى بصيغة مهذبة " الاستيلاء " .

قال هنرى : " على أى حال ، لقد رفضت المؤسسة القومية للعلوم طلبنا ، المراجعون لا يعتقدون أن فكرتنا ذات قيمة . قال أحدهم إنها هزلية جدا " .

قال تشارلى : " آه ، ولكن ما علاقة ذلك بروب بيلارمينو ؟ " .

" هل تتذكر أين اقترحنا إجراء دراستنا ؟ " .

قال تشارلى : " بالطبع ، فى اثنين من أكبر متنزهات الملاهى في العالم ، في بلدين مختلفين . ساندسكى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبلاك بوول فى إنجلترا " .

قال هنرى : " حسنا ، خمن من خارج المدينة الآن ؟ " .

وضغط على زر البريد الإلكترونى .

> من : روب بيلارمينو . المعهد القومى للصحة
> الموضوع : الرد الأوتوماتيكى خارج المكتب : السفر
> سوف أكون خارج المكتب لمدة أسبوعين . إذا أردت مساعدة فورية من فضلك اتصل بهاتف مكتبى ....

" لقد اتصلت بمكتبه ، وخمن ماذا اكتشفت ؟ عرفت أن بيلارمينو متوجه إلى ساندسكى ، أوهايو ـ ثم إلى بلاك بوول ، بإنجلترا " .

قال تشارلى : " ذلك الزائف المخادع ، فإذا كنت تعتزم سرقة مقترح بحث شخص آخرٍ ، فيجب على الأقل أن يكون لديك الكياسة أن تغير فيه قليلاً " .

قال هنرى : " من الواضح أن بيلارمينو لا يهتم إذا عرفنا أنه قد سرقه ، ألا يجعلك ذلك تشعر بالاشمئزاز ؟ " ما رأيك فى أن نشرع في اتخاذ إجراء بشأن ذلك ؟ ونضعه للمساءلة لمخالفات أخلاقية ؟ " .

قال تشارلى : " أنا لا أريد شيئاً أفضل من ذلك ، ولكن ، لا . إذا اتهمناه بسوء السلوك رسمياً ، فإن ذلك يعنى الكثير من الوقت والكثير من الإجراءات الورقية . ويمكن أن تنتهى المنح الخاصة بنا . وفى النهاية ، لن تذهب الشكوى إلى أى مكان ، فروب بيلارمينو هو لاعب رئيسى فى المعهد القومى للصحة . ولديه إمكانات بحثية ضخمة وينفق الملايين فى المنح . وله علاقات وطيدة برجال الكونجرس ويذهبون إلى دور العبادة معاً . وهو يظهر بمظهر الرجل المتدين . إنهم يحبونه فى الإدارة الأمريكية . ولن يُوجَّه إليه اتهام أبداً بسوء السلوك . حتى لو ضبطناه يغتصب فتاة ؛ فهو لن يحاكم على ذلك " .

" إذن هل سنتركه يسرق فكرةٍ بحثنا ؟ " .

قال تشارلى : " إنه ليس عالماً مثالياً ، لدينا الكثير لنفعله . دعنا نبتعد عن ذلك " .

الفصل ١١

كان بارى سيندلر يشعر بالملل ؛ فالمرأة التى أمامه كانت ثرثارة . لقد كانت نموذجاً واضحاً للمرأة الغنية المتحررة من شرق أمريكا التى ترتدى بنطالاً مثل ، " كاثرين هيبورن " ويبدو أن لها نفس توجه ونفس لهجة أهل نيوبورت الذين يبدون وكأنهم يتحدثون من أنوفهم ، لكن رغم مظهرها الارستقراطى ، فإن أفضل ما يمكنها عمله هو الاستحواذ على محترف التنس ، مثل كل مزيفة ، خائنة ، غبية فى بلدة لوس أنجلوس .

ولكنها كانت مناسبة تماماً للمحامى الغبى الذى بجانبها ـ العضو الجامعى عديم الخبرة بوب ويلسون ، الذى يرتدى حُلة ذات أقلام رفيعة وقميصاً ذا أزرار لأسفل مع رابطة عنق من النسيج المضلع وحذاء غبى يربط لأعلى مع وجود ثقوب قليلة عند أصابع القدم . ولا عجب أن الجميع أطلقوا عليه وايتى ويلسون . ولم يكن يمل من أن يذكر الجميع أنه محام تدرب فى هارفارد ـ كما لو كان أحد يهتم بذلك . وبالتأكيد فإن بارى سيندلر لم يكن مهتماً ، فإنه كان يعرف أن ويلسون رجل مهذب ؛ مما يعنى حقاً أنه لا يساوى شيئاً ؛ فإن وايتى لا يلجأ لاستخدام حنجرته .

وكان سيندلر دائماً ما يستخدم حنجرته وصوته الجهورى أثناء المرافعات .

كانت المرأة كارين دايهل ، مازالت تتحدث ، يا الله ، كيف تجرؤ تلك السيدات ، الثريات ، الخائنات على التحدث . ورغم هذه الثرثرة لم يقاطعها سيندلر لأنه لم يرغب أن يذكر وايتى فى سجله أنه كان يضايق المرأة . هذا إلى جانب أن ويلسون قد ذكر نفس الشيء . نفس الشيء أربع مرات من قبل . إذن ، حسناً دع المرأة تتحدث . دعها تقص بالكامل تفاصيل مملة ومرهقة ، وغير ضرورية بشكل لا يصدق ، وكيف أن زوجها كان أباً سيئاً وحقيرا بالكامل ؛ لأن الحقيقة كانت ، أنها هى التى كانت على علاقة برجل آخر .

لم تكن خيانتها هى السلاح الذى سيستغله سيندلر بشكل مباشر ؛ فقضايا الخيانة لا تنتهى من المحاكم . وإن ولاية كاليفورنيا لم يكن لديها طلاق تقصير ، مما يعنى أنه لا توجد أسباب محددة للطلاق ، مجرد " اختلافات متناقضة " . ولكن خيانة المرأة كانت دائماً تلون الدعوى القضائية ؛ لأنه فى أيد ماهرة ـ مثل أيدى بارى ـ يمكن بسهولة تحويلها إلى إيحاء أن المرأة لديها أولويات أكثر أهمية من أطفالها الأحباء . لقد كانت والدة مهملة ، ووصياً غير جدير بالثقة ، امرأة أنانية تبحث عن متعتها الخاصة وتترك الأطفال طول اليوم مع المربية التى تتحدث الأسبانية ؛ مما يعنى أنه كان يستطيع الحصول على حضانة الأطفال لموكله بسهولة .

وكانت ذات مظهر جيد فى سن الثامنة والعشرين على حد اعتقاده ، ولم يكن ذلك أيضًا فى صالحها . حقاً ، لقد استطاع بارى سيندلر أن يرى موضوعه الأساسى يتشكل بطريقة متأنقة جداً ، وقد بدا على وايتى ويلسون القليل من الاضطراب والقلق ، فربما يكون قد عرف إلى أين سيأخذ سيندلر ذلك الأمر .

أو ربما كان وايتى قلقاً لحقيقة أن سيندلر قد حضر أمر الإفادة على الإطلاق بنفسه . لأنه عادة لا يجرى الإفادات الزوجية ، وكان يتركها لموظف صغير من مكتبه ، بينما يقضى أياماً فى وسط البلد ، بين ساحات المحاكم التى تدر عليه دخلا كبيرًا .

أخيراً ، توقفت المرأة لتلتقط أنفاسها . وتحرك سيندلر . وقال : " يا سيدة دايهل ، أود أن أوقف هذا الخط من الاستجواب وأن أنتقل لموضوع آخر . نحن نطلب بشكل رسمى أن تجرى قائمة اختبارات جينية كاملة فى مؤسسة ذات سمعة طيبة مثل جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، و ــــ " .

جلست المرأة منتصبة كالمسمار ، وتغير لون وجهها بسرعة . وقالت : " لا ! " .

قال وايتى : " دعينا لا نتعجل " . ووضع يده على ذراع موكلته ، التى دفعته بغضب بعيداً .

" لا ! لا على الإطلاق ! أنا أرفض ! " .

فكر سيندلر فى نفسه كم هو رائع . كم هو غير متوقع ورائع .

استمر سيندلر : " وتوقعاً لرفضك المحتمل ، لقد أعددنا طلباً حتى تأمر المحكمة بإجراء هذه الاختبارات بشكل رسمى " . ـ ومر مستنداً إلى وايتى ـ " ونتوقع موافقة القاضى بالكامل " .

قال وايتى : " أنا لم أسمع أبداً عن مثل ذلك الشىء " وهو يقلب فى الأوراق . " اختبارات جينية فى قضية حضانة . . . " .

وحتى الآن كانت السيدة دايهل تتبرم بشكل هيستيرى .

" لا ! لا ! . لن أفعل ! إنها فكرته ، أليس كذلك ؟ هذا الوغد . كيف يجرؤ ؟ هذا المخادع اللعين ! " .

كان وايتى ينظر إلى موكلته مرتبكًا . وقال : " سيدة دايهل ، أعتقد أنه من الأفضل أن نناقش ذلك على انفراد ــــ " .

" لا ! لا مناقشات ! لا اختبار . هذا هو كل شىء ! لا ! " .

قال سيندلر بقليل من الاستهجان : " في هذه الحالة ليس لدينا خيار سوى أن نلجأ للقاضي . . . " .

" اللعنة عليك ! وعليه ! وعليكم جميعاً ! . لا اختبارات لعينة ! " .

ووقفت ، وخطفت حقيبتها ، وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب بعنف خلفها .

سادت لحظة من السكون ، وقال سيندلر : " أرجو أن تبين في سجلك الرسمى أنه فى الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة مساءً ، غادرت الشاهدة الغرفة ، وبذلك تُنهى الإفادة " .

وبدأ يضع أوراقه فى حقيبة أوراقه .

قال وايتى ويلسون : " أنا لم أسمع إطلاقاً عن ذلك ، يا بارى . ما علاقة الاختبارات الجينية بحضانة طفل ؟ " .

قال سيندلر : " هذا هو المقصود أن تظهره الاختبارات ، هذا إجراء جديد ، ولكنى أعتقد أنك ستجد أنه الشىء القادم فى المستقبل " ، وأغلق حقيبة أوراقة بحركة مفاجئة ، وصافح يد وايتى المترهلة ، وغادر المكتب .

الفصل ١٢

أغلق جوش وينكلر باب مكتبه وتوجه نحو الكافيتريا عندما رن هاتفه الخلوى . لقد كانت أمه . لقد كانت مسرورة ، وكانت هذه دائماً علامة خطر . " جوش ، يا عزيزى ، أريدك أن تخبرنى ، ماذا فعلت لأخيك ؟ " .

" ماذا تقصدين ، بفعلت له ؟ أنا لم أفعل له أى شىء . أنا لم أره منذ أسبوعين ، منذ أن أوصلته بسيارتى من السجن " .

قالت : " لقد كان استدعاء آدم للمحكمة اليوم وكان تشارلى هناك ؛ لتمثيله " .

" آه .. " . منتظراً الحذاء الآخر أن يسقط " ثم ؟ " .

" لقد ذهب آدم للمحكمة فى الموعد المحدد ، مرتدياً قميصاً نظيفاً ورابطة عنق وحُلة نظيفة ، وبشعر محلوق وحذاء ممسوح . لقد اعترف بأنه مذنب ، وطلب أن يوضع تحت برنامج للإقلاع عن المخدرات ، وقال إنه لم يتعاطها منذ أسبوعين ، وقال إنه قد حصل على عمل ـــ " .

" *ماذا ؟* " .

" نعم ، لقد حصل على عمل كسائق ليموزين لدى شركته القديمة ، وهو يعمل هناك بانتظام خلال الأسبوعين الماضيين . ويقول تشارلى إن وزنه قد ازداد ــــ " .

قال جوش : " أنا لا أصدق ذلك " .

قالت : " أعرف ، وتشارلى لا يصدق أيضاً ، لكنه يقسم أن هذا كله حقيقى . أصبح آدم وكأنه شخص جديد ، لقد أصبح أكثر نضجًا . كما لو كان قد كبر فجأة . إنها معجزة ، ألا تعتقد ذلك يا جوشو ؟ هل أنت معى على الهاتف ؟ " .

قال : " أنا هنا " ، بعد توقف قصير .

" أليست هذه معجزة ؟ " .

" نعم يا أمى ، معجزة " .

" لقد اتصلت بآدم . إن لديه هاتفاً خلوياً الآن ، وقد أجابنى فوراً . وإنه يقول إنك فعلت شيئاً لمساعدته . ماذا فعلت ؟ " .

" لا شىء يا أمى . لقد تحدثنا فقط " .

" لقد قال إنك أعطيته شيئاً جينيًّا مستنشقاً " .

لقد فكر ، *يا الله . هناك قواعد ضد هذه الأنواع من الأشياء ، وإنها قواعد صارمة* . إن إجراء التجارب على الإنسان دون تصريح رسمى ، وبدون تصديق من الهيئة المسئولة ، ودون اتباع الإرشادات الفيدرالية ، كل ذلك يمكن أن يعنى أن جوش يمكن أن يفصل فوراً . " لا يا أمى ، أعتقد أنه أساء الفهم . لقد كان منهكاً فى ذلك الوقت " .

" لقد قال إنه كان هناك رشاش " .

" لا ، يا أمى " .

" لقد استنشق بعض رذاذ الفأر " .

" لا ، يا أمى " .

" لقد قال إنه فعل " .

" لا يا أمى " .

قالت : " حسناً ، لا تتخذ هذا الموقف الدفاعى ، لقد اعتقدت أنك ستكون مسروراً . أقصد أنك دائماً تبحث عن أدوية جديدة ، يا جوشو . فرص تجارية كبيرة . أقصد ماذا لو كان هذا الرشاش

يجعل الناس يقلعون عن الإدمان ؟ ماذا لو كان يوقف إدمانهم ؟ " .

كان جوشو يهز رأسه : " أمى ، فى الواقع ، لم يحدث شيء " .

" حسناً ، أنت لا تريد أن تخبرنى بالحقيقة ، أنا أفهم ذلك . هل كان شيئاً تجريبياً ؟ أهذا هو الرشاش الخاص بك ؟ " .

" أمى ـــــ " .

" ولكنى يا جوش قد ، لقد أخبرت لوى جراهام عن ذلك الرشاش ؛ لأن ابنها إريك تخلف عن الدراسة فى جامعة جنوب كاليفورنيا ، وهو يتعاطى مخدرات أو ـ " .

" أمى " .

" وهى تريد أن تجرب الرشاش عليه " .

" *يا إلهى* " . أمى لا يمكنك التحدث عن ذلك مع أى شخص " .

تعيش ابنة " هيلين ستيرن " على الأقراص المنومة ، وقد حطمت سيارتها . وإنهم يفكرون فى وضعها تحت رعاية خاصة . وتريد هيلين ـــــ " .

" أمى ، لا يمكنك التحدث عن ذلك بعد *الآن* ! " .

قالت : " هل أنت مجنون ؟ يجب أن أتحدث عن ذلك " . لقد أعدت لى ابنى . إنها معجزة . ألا تدرك ذلك يا جوشو ؟ لقد صنعت معجزة . إن العالم بأكمله سيتحدث عما فعلته ـ سواء أردت أم لا " .

لقد بدأ يعرق ، ويشعر بدوار ، ولكن فجأة أصبحت رؤيته صافية وهادئة . *العالم بأسره سيتحدث عنه* .

بالطبع ، كان هذا حقيقياً . إذا استطعت أن تجعل الناس تقلع عن الإدمان ؟ فإن ذلك الدواء سيكون أكثر الأدوية فى العقد الأخير فائدة ، وسيرغب كل شخص فى الحصول عليه ، وماذا لو

فعل أكثر من ذلك ؟ هل يمكن أن يشفى اضطرابات السلوكيات القهرية ؟ هل يمكن أن يشفي اضطرابات نقص الانتباه ؟ فجين النضج له تأثيرات سلوكية . لقد عرفوا بالفعل ذلك . إن استنشاق آدم لهذا الايروسول كان منحة من الله .

وفكرته الثانية كانت : ما الموقف إذا طلب الحصول على براءة اختراع بالنسبة لجين " آكاميد ٣ . إن ٧ " ؟ " .

لقد قرر ألا يذهب لتناول الغداء وتوجه عائداً إلى المكتب .

" أمى ؟ " .

" نعم ، يا جوشو " .

" أنا أحتاج لمساعدتك " .

" بالطبع ، يا عزيزى ، أى شيء " .

" أريدك أن تفعلى شيئاً من أجلى ولا تتحدثى عن ذلك لأى شخص ، أبداً " .

" حسناً ، ولكنّ ذلك صعب ـ " .

" نعم أم لا يا أمى ؟ " .

" حسناً ، لا بأس يا عزيزى " .

" هل قلت إن ابن لوى جراهام يتعاطى مخدرات ، وانقطع عن الكلية ؟ " .

" نعم " .

" أين هو الآن ؟ " .

قالت : " من الواضح أنه فى وسط المدينة فى فندق رخيص خارج الحرم الجامعى ـــــ " .

" أتعرفين أين ؟ " .

" لا ، ولكن لوى ذهبت لرؤيته . لقد أخبرتنى بأنه كان مكانًا قذراً . إنه فى شارع ٣٨ الشرق . بيت قديم ذو شباك أزرق فاتح . يوجد هناك ثمانية أو تسعة مدمنين ينامون على الأرض ، ولكن يمكن أن أتصل بلوى وأسألها ـــــ " .

قال بسرعة : " لا ، لا تفعلى أى شىء ، يا أمى " .

" ولكنك قلت إنك تحتاج إلى مساعدتى - " .

" هذا لاحقاً يا أمى ، أما بالنسبة للآن فكل شىء على ما يرام . سوف أتصل بك خلال يوم أو نحو ذلك " .

وكتب في مذكرة :

اريك جراهام
شارع ٣٨ شرق
بيت قديم له شباك ازرق

بحث عن مفاتيح سيارته .

قالت راشيل آلن ، التى تعمل فى المستوصف : " أنت لم تعد بعد علبة الأكسجين التى أخذتها منذ أسبوعين يا جوش ، ولم تحضر كذلك قنينة الفيروس التى معها ، لقد علمت بالأمر عندما ، كانت الشركة تقيس الفيروس المتبقى فى القنينات ، كطريقة للمتابعة التقريبية لجرعات الفئران " .

قال : " نعم ، أنا أعرف ، أنا أنسى إحضاره باستمرار " .

" أين هى ؟ " .

" فى سيارتى " .

" فى سيارتك ؟ يا جوش ، إنه فيروس معدٍ " .

" نعم ، بالنسبة لفأر " .

" حتى لو كان كذلك . فإنه يجب أن يبقى فى بيئة معملية تحت ضغط سلبى طول الوقت " ، لقد كانت راشيل شديدة التمسك بالقواعد ، ولكن لم ينتبه أحد حقاً لها .

قال : " أنا أعرف يا راشيل ولكن كان هناك ظرف عائلى طارئ . كان يجب أن أقل أخى — وخفض صوته - خارج السجن " .

" حقاً ! " .

" نعم " .
" من أجل ماذا ؟ " .
تردد وقال : " سطو مسلح " .
" *حقاً* " .

" قام بالسطو على أحد المتاجر . لقد حطم ذلك . على أى حال ، سأحضر لك العلبة . ولكن ، هل يمكن أن أحصل على علبة أخرى ؟ " .

" نحن نسمح بخروج علبة واحدة فقط فى كل مرة " .

" أنا أحتاج إلى واحدة أخرى الآن . من فضلك ؟ فأنا تحت ضغوط كثيرة " .

كانت هناك أمطار خفيفة تتساقط . وكانت الشوارع زلقة وتضيء بألوان قوس قزح ، وكانت السحب منذرة بسقوط أمطار غزيرة . لقد قاد سيارته إلى الشرق ، شارع ٣٨ . لقد كان ذلك قسماً قديماً من المدينة ؛ فالمنازل هنا فى ذلك القسم والتى تم بناؤها بين عامى ١٩٢٠ و١٩٣٠ مازالت قائمة . قاد جوش متجاوزاً منازل ذات إطار خشبى ، فى حالة سيئة ، وكان لأحدها باب أزرق ، ولم يكن بأى منها شباك أزرق .

وانتهى به الأمر فى منطقة المخازن ؛ حيث إن الشارع مواز لأحد المدافئ . استدار بسيارته عائداً ، وقاد السيارة بأبطأ ما يمكن ، وأخيراً رأى المنزل . لم يكن فى الواقع فى شارع ٣٨ ولكن زاوية بين شارع ٣٨ وبين شارع آلميدا ، وكان المنزل مختبئاً خلف أعشاب عالية وشجيرات مزرية أمام المنزل ، وكانت هناك مرتبة قديمة عليها صدأ مستقرة على المشى الجانبى أمام المنزل ، وكانت هناك عجلة شاحنة أمام الخضرة الأمامية ، وكان هناك أوتوبيس فولكس واجن واقفاً أمام حاجز الطريق .

أوقف جوش سيارته عبر الشارع ، ونظر إلى المنزل ، وانتظر .

الفصل ١٣

صعد التابوت فى ضوء الشمس ، وبدا كما كان عندما تم دفنه منذ أسبوع مضى ، فيما عدا كتل التراب التى تساقطت من الجانب السفلى .

قالت إيميلى ويللر : " هذا كله ليس فيه تبجيل للفقيد " ، وقد وقفت متصلبة بجانب القبر ، يصحبها ابنها ، توم ، وابنتها راشيل .

بالطبع ، ليزا لم تكن هناك ؛ فلقد كانت السبب فى كل ذلك ، ولكنها لم تكترث أن ترى ما فعلته لأبيها المسكين .

تأرجح التابوت ببطء فى الهواء بينما تم توجيهه بواسطة عاملى المقبرة إلى الجانب البعيد من الحفرة تحت توجيهات أخصائى الباثولوجى بالمستشفى ، رجل ضئيل عصبى يدعى مارتى روبرتس . فكرت إيميلى أنه يجب أن يكون عصبياً ، إذا كان هو الشخص الذى أعطى ليزا الدم دون تصريح من أى شخص .

قالت إيميلى : " ماذا سيحدث الآن ؟ " ملتفتة نحو ابنها . كان توم يبلغ من العمر ٢٦ عاماً ، يرتدى حُلة أنيقة ورباط عنق . وقد حصل على درجة الماجيستير فى علم الأحياء المجهرية وعمل لدى شركة كبيرة للتكنولوجيا الحيوية فى لوس

أنجلوس . وقد أبلى توم بلاءً حسناً فى حياته تماماً مثلما فعلت ابنتها راشيل . كانت راشيل طالبة فى صف التخرج بجامعة جنوب كاليفورنيا ، تدرس إدارة الأعمال . " هل سيأخذون دم جاك هنا ؟ " .

قال توم : " آه ، إنهم سيأخذون أكثر من الدم " .

قالت إيميلى : " ماذا تقصد ؟ " .

قال توم : " بالنسبة لاختبار جينى مثل هذا ؛ حيث هناك جدال ، هم عادة يأخذون أنسجة من أنظمة أعضاء عديدة " .

قالت إيميلى عابسة : " أنا لم أعلم ذلك " . وشعرت بأن قلبها يدق بقوة ، ويحدث صوتاً مكتوماً فى صدرها . لقد كرهت هذا الشعور ، وسريعاً ما شعرت بشعور عاصر فى حنجرتها . لقد كان شعوراً مؤلماً ، وعضت على شفتها .

" هل أنت بخير يا أمى ؟ " .

" كان يجب أن آخذ أقراص القلق " .

قالت راشيل : " هل سيستغرق ذلك وقتاً طويلا ؟ " .

قال توم : " لا إنها مسألة ستستغرق دقائق قليلة فقط . سيفتح إخصائى الباثولوجى التابوت ليتأكد من هوية الجثة ، ثم سيأخذها إلى المستشفى لأخذ الأنسجة للتحليل الجينى ، وسوف يعيد الجثة لإعادة دفنها غداً أو اليوم التالى " .

قالت إيميلى : " غداً أو اليوم التالى ؟ " مسحت أنفها ، ومسحت عينيها وقالت : " هل تقصد أننا يجب أن نعود إلى هنا مرة أخرى ؟ هل يجب أن ندفن جاك مرة أخرى ؟ إن هذا كله . . . . " .

ربت توم على ذراعها : " أعرف يا أمى ، آسف ، ولكن ليس هناك طريقة أخرى . هل تعرفين ، يجب أن يتأكدوا من شىء يسمى الكمير ـ " .

" آه ، لا تخبرنى ، مُلوحة بيدها . لن أعرف أو أفهم ما تتحدث عنه " .

" حسناً ، يا أمى . " ووضع ذراعه حول كتفها .

فى الأساطير القديمة كانت الكمير وحوشاً تتكون من أجزاء مختلفة من الحيوانات ، والكمير الأصلى له رأس أسد وجسم ماعز ، وذيل أفعى . وقد كانت بعض الكمير بها جزء بشرى مثل أبى الهول ، له جسد أسد ، وأجنحة طائر ورأس إنسان .

ولكن الكمير البشرية الحقيقية ـ ويقصد بها أشخاص لديهم مجموعتان من الحمض النووى ـ تم اكتشافها مؤخراً فقط ؛ فقد كانت هناك سيدة فى حاجة إلى نقل كلية واختبرت أولادها للحصول على متبرع لها ؛ لتكتشف من خلال الاختبارات أنهم لا يشاركونها فى الحمض النووى . قيلٍ لها إنهم ليسوا أولادها ، وطلب منها أن تثبت أنها ولدتهم فعلاً . ونشأت قضية جنائية بسبب ذلك ، وبعد دراسة مستفيضة ، أدرك الأطباء أن جسمها يحتوى على نوعين قياسيين من الحمض النووى ؛ فقد وجدوا فى مبيضها بويضات لها نوعان مختلفان من الحمض النووى . ووجدوا أن خلايا جلد بطنها لها نفس الحمض النووى الخاص بأطفالها ، ولكن جلد كتفها لا يحتوى عليه . لقد كانت هذه المرأة مركبة من عناصر مختلفة ، فى كل جزء من جسمها .

لقد اتضح أن المرأة كانت واحدة من زوج من التوائم ولكن فى مرحلة نموهما المبكر وهما لا يزالان فى رحم أمهما ، فإن جنين أختها قد انصهر معها ؛ لذلك فهى الآن حرفياً نفسها وأختها التوءم مندمجتين معًا .

وقد ذُكرت أكثر من ٥٠ حالة من الكمير . ويرى العلماء الآن أن الكميرية أو اختلاط الزمرة الدموية ، ليست نادرة كما اعتقدوا من قبل ، وبالتأكيد ، كلما كان هناك مشكلة فى أمر إثبات أبوة ، يجب أن تأخذ الكميرية فى الاعتبار . ويحتمل أن يكون أبو ليزا كميراً ، ولكن للتأكد من ذلك ، سوف يحتاجون إلى

أنسجة من كل عضو فى جسمه ، ويفضل أن تكون هذه الأنسجة من أماكن مختلفة من كلٍ عضو .

لذلك فقد كان مطلوباً من دكتور روبرتس أن يأخذ عينات أنسجة كثيرة ، ولهذا السبب أيضاً يجب أن يتم الأمر فى المستشفى ، وليس فى موقع القبر .

رفع دكتور روبرتس الغطاء والتفت إلى الأسرة فى الجانب الآخر من القبر : " أرجو أن يقوم أحدكم بالتعرف على الجثة ، من فضلكم ؟ " .

قال توم : " أنا سأقوم بذلك ، " ومشى حول القبر ونظر داخل التابوت . ظهر أبوه لم يتغير بشكل مدهش ، فيما عدا الجلد كان لونه رمادياً أكثر لقد أصبح لون جلده رمادياً غامقاً الآن ، وقد ظهر أن الأطراف قد انكمشت ؛ بحيث فقدت الكتلة العضلية ، وخصوصاً الأرجل داخل البنطال .

وبصوت رسمى قال إخصائى الباثولوجى : " هل هذا والدك ، جون جيه . ويللر ؟ " .

" نعم . إنه هو ، نعم " .

" حسناً . شكراً " .

قال توم : " دكتور روبرتس ، أنا أعرف أن لديك إجراءاتك ولكن . . . إذا كانت هناك طريقة تستطيع أن تأخذ بها الأنسجة هنا . . .حتى لا تضطر أمى أن تمر بيوم آخر عصيب ، ودفن آخر . . . " .

قال مارتى روبرتس : " آسف ، إن إجراءاتى يحكمها قانون الولاية . يجب أن نأخذ الجثة للمستشفى لعمل الاختبارات " .

" إذا استطعت . . . فقط هذه المرة ... تجاوز عن تلك الإجراءات ... " .

" أنا آسف . ليتنى كنت أستطيع ذلك " .

أومأ توم وعاد إلى أمه وأخته .

قالت أمه : " فيم كان كل ذلك ؟ " .

" كنت أسأل سؤالاً فقط " .

نظر توم إلى دكتور روبرتس ورأى أنه كان قد انحنى ونصف جسمه داخل التابوت ، وفجأة نهض إخصائي الباثولوجي ، ومشى ليتحدث في أذن توم حتى لا يسمع شخص آخر .

" يا سيد ويللر ، ربما يمكننا أن نجنب أسرتك المشاعر القاسية ، إذا استطعنا أن نبقي ذلك بيننا ... " .

" بالطبع ، إذن سوف ... ؟ " .

" أجل سنقوم بكل شيء هنا ، إن الأمر لن يستغرق سوى دقائق قليلة . دعني أحضر أدواتي " ، وأسرع نحو سيارة خاصة قريبة .

عضت إيميلي على شفتها : " ماذا يفعل ؟ " .

" لقد طلبت منه أن يقوم بكل الاختبارات هنا ، يا أمي " .

قالت : " وهل قبل ؟ شكراً يا عزيزي " . وقبلت ابنها .

" هل سيقوم بكل الاختبارات التي كان سيجريها في المستشفى ؟ " .

" لا ، ولكنها ستكون كافية للإجابة عن أسئلتك " .

بعد عشرين دقيقة ، كانت عينات الأنسجة قد أخذت ووضعت في مجموعة من الأنابيب الزجاجية ، ووضعت الأنابيب في أماكن داخل ثلاجة معدنية محمولة ، وعاد التابوت للقبر ، مختفياً في الظل .

قالت إيميلي ويللر : " هيّا تعالوا ، دعونا نخرج من هنا أنا في حاجة إلى مشروب " .

وبينما تحركوا بالسيارة بعيداً ، قالت لتوم : " أنا آسفة أنه كان عليك القيام بذلك . هل كان جسد جاك المسكين متحللاً جداً ، يا عزيزي ؟ " .

قال توم " لا ، ليس كثيراً ، لا " .

قالت إيميلي : " آه ، هذا جيد ، هذا جيد جداً " .

الفصل ١٤

كان مارتى روبرتس يتصبب عرقاً فى الوقت الذى عاد فيه إلى مستشفى لونج بيتش التذكارى ، بسبب ما قام به فى المقبرة ، فكان من الممكن أن يفقد ترخيصه بكل سهولة ؛ فقد كان من الممكن أن يلتقط أحد هؤلاء - حافرى القبر - الهاتف ويتصل بالمقاطعة . وقد تتعجب المقاطعة لماذا قام مارتى بمخالفة النظام ، خصوصاً أن هناك قضية معلقة . عندما تأخذ عينة أنسجة في الميدان ، فإنها تكون عرضة للتلوث . كل شخص يعرف ذلك . ولذلك فإن المقاطعة قد تبدأ فى التساؤل لماذا يخاطر مارتى روبرتس بذلك ، وقبل وقت غير بعيد قد يتساءلون . . .

اللعنة . اللعنة . اللعنة . *اللعنة* !

وأوقف السيارة فى موقف الطوارئ ، بجانب سيارات الإسعاف ، وأسرع إلى الدور السفلى إلى قسم الباثولوجى . كان ذلك وقت الغداء ، وتقريباً لم يكن هناك أحد بالقسم ، وكانت صفوف المناضد الستانليس واقفة فارغة .

وكان رازا يغتسل .

قال مارتى : " أيها الغبى ، هل تحاول أن تتسبب فى دخولنا إلى السجن " .

التفت رازا ببطء وقال فى هدوء : " ما المشكلة ؟ " .

قال مارتى : " المشكلة هى أننى أخبرتك بأن تأخذ العظام فقط عند *حرق الجثة* . ليس عند دفنها . *الحرق* . فإذا ما قاموا بدفن الجثة وليس حرقها لا يجب أن تأخذ منها أى عظام هل هذا صعب الفهم ؟ " .

قال رازا : " نعم ، حسنًا . هذا ما أفعله " .

" لا ، *ليس* هذا ما تفعله ؛ لأننى حضرت لتوى من استخراج الجثة ، وهل تعرف ماذا رأيت عندما حفرت لاستخراج تابوت الرجل ؟ أرجلاً قصيرة جدًّا وأذرعاً قصيرة جداً . *فى الدفن*" .

قال رازا : " لا ، ليس هذا ما أفعله " .

" حسناً ، أحدهم قد أخذ العظام " .

توجه رازا إلى المكتب وقال : " ما اسم هذا الرجل ؟ " .

" ويللر " .

" ماذا ، هذا الرجل مرة أخرى ؟ أليس هذا هو الرجل الذى تظاهرنا بفقد الأنسجة لأجله ، صحيح ؟ " .

" صحيح . لذلك فإن أسرته قد استخرجت الجثة ؛ لأنه كان مدفوناً " .

انحنى رازا على مكتبه ، وأدخل اسم المريض على جهاز الكمبيوتر . وحملق فى الشاشة ، وقال : " آه نعم . أنت محق لقد كان دفناً . ولكننى لم أفعل ذلك هذه المرة " .

قال مارتى : " أنت لم تفعل ذلك هذه المرة ؟ إذن من فعل ذلك ؟ " .

هزّ رازا كتفيه : " لقد جاء أخى نيابة عنى إلى المشرحة ، هذا هو كل شىء ؛ فقد كان لدى موعد فى هذه الليلة " .

" أخوك . أى أخ ؟ لا يفترض أن يكون أى شخص — " .

قال رازا : " لا تقلق ، يا مارتى إن أخى يحضر من وقت لآخر ، وهو يعرف ما يجب أن يفعله . إنه يعمل فى مشرحة هيلدال " .

مسح مارتى العرق من على جبهته : " يا إلهى . منذ متى وهو يفعل ذلك ؟ " .

" ربما عام " .

" عام ! " .

" فقط فى الليل ، يا مارتى . فقط متأخراً فى الليل . إنه يلبس معطفى ، ويبدو مثلى . . .إننا نبدو متشابهين " .

قال مارتى : " انتظر لحظة ، من أعطى الفتاة عينة الدم ؟ " .

قال رازا : " حسناً ، إنه أحيانًا يرتكب أخطاءً " .

" وأحيانا يعمل فى فترة الظهيرة ؟ " .

" فقط أيام الأحد ، يا مارتى . إذا كان لدى مواعيد ، هذا هو كل شىء " .

أمسك مارتى بطرف المكتب حتى يتماسك ولا يفقد أعصابه . وانحنى وتنفس بعمق : " هل تقول إن وغداً ما ، لا يعمل حتى فى المستشفى أعطى دماً بدون تصريح للمرأة لأنها طلبته ؟ أهذا ما تريد أن تقوله لى ؟ " .

" ليس وغداً ما . إنه أخى " .

" يا إلهى ! " .

" لقد قال إنها كانت جذابة " .

" هذا يفسر كل شىء " .

قال رازا محاولاً تهدئته : " بربك ، يا مارتى أنا آسف بشأن هذا الرجل ويللر . أنا آسف حقاً ، ولكن أى شخص يمكن أن يكون قد قام بذلك . وفى المقبرة اللعينة يمكن أن يكونوا قد حفروا وأخذوا العظام الطويلة ، فحافرو القبور الذين يعملون كمقاولين مستقلين يمكن أن يفعلوا ذلك . أنت تعرف أن ذلك يحدث فى كل مكان ؛ لقد أمسكوا بهؤلاء الرجال فى فونيكس وفى مينيسوتا . والآن فى بروكلين " .

" وكلهم فى السجن الآن ، يا رازا " .

" حسناً ، هذا صحيح . والحقيقة أنني طلبت من أخي أن يقوم بذلك " .

" هل فعلت ... " .

" نعم ، في هذه الليلة ذاتها التي حضرت فيها جثة الرجل ويللر ، كان لدينا طلب عظام . وكانت من نمط ذلك الرجل تماماً ؛ فهل نورد الطلب أم لا ؟ لأنك تعرف أن هؤلاء الأشخاص يمكن أن يأخذوا عملهم لمكان آخر وينهوا تعاقدهم معنا . بالنسبة لهم ، كلمة الآن تعني الآن . قم بالتوريد أو اذهب إلى الجحيم " .

تنهد مارتي وقال : " نعم عندما يتصلون ، يجب أن تورد طلبهم " .

" حسناً ، إذن " .

انزلق مارتي في الكرسي وبدأ يكتب على لوحة المفاتيح بنفسه وقال : " على أي حال إذا كنت قد استخرجت هذه العظام الطويلة منذ ثمانية أيام مضت ، لماذا لا أرى أي تحويل مالي لي ؟ " .

" لا تقلق . إنه قادم " .

" هل الشيك في البريد ؟ " .

" لا تقلق يا صاح ، سوف تحصل على حصتك " .

قال مارتي : " تأكد من ذلك " . والتفت ليذهب وقال : " أبعد أخاك اللعين خارج المستشفى من الآن فصاعداً . هل تفهمني ؟ " .

قال رازا : " بالتأكيد ، بالتأكيد " .

ذهب مارتي روبرتس للخارج ليحرك سيارته من المساحة المخصصة للطوارئ ، وقاد سيارته للقسم المخصص للأطباء فقط في موقف السيارات ، وجلس في سيارته لفترة طويلة ، يفكر بشأن رازا .

سوف تحصل على حصتك .

يبدو أن رازا بدأ يعتقد أن هذا هو برنامجه وأن مارتى روبرتس يعمل لديه ؛ فرازا هو الذى يتولى أمور السداد ، وهو الذى يقرر من يجب أن يأتى للمساعدة ، إنه لا يتصرف مثل موظفٍ ؛ فقد بدأ يتصرف كما لو كان هو المسئول ، وكان ذلك خطيراً بكل شكل من الأشكال .

يجب أن يفعل مارتى شيئاً حيال ذلك .

ويجب أن يفعل ذلك فوراً .

وإلا سيكون فقد ترخيصه الطبى أقل مشكلة يواجهها .

الفصل ١٥

عند الغروب ، كان المكعب التايتانيوم الذى يشتمل على شركة بيوجين للبحوث مضيئاً بوهج أحمر مبهر ويغمر موقف السيارات المجاور بلون برتقالى غامق . خرج رئيس الشركة ريك دايهل من المبنى ، وتوقف ليضع نظارة الشمس الخاصة به ، ثم مشى تجاه سيارته الجديدة البورش كاريرا إس سى الفضية . لقد أحب هذه السيارة ، التى اشتراها الأسبوع قبل الماضى احتفالاً بطلاقه الوشيك .

" اللعنة ! " .

لم يصدق عينيه .

" اللعنة ! اللعنة ! *اللعنة* ! " .

لقد كان المكان المخصص لوقوف سيارته فارغاً . لقد اختفت السيارة .

هذه المرأة الخبيثة !

لم يكن يعرف كيف فعلتها ، ولكنه كان متأكداً أنها قد أخذت سيارته . ربما استعانت بصديقها للترتيب لذلك ، على أى حال ، لقد كان صديقها الجديد يعمل فى مجال السيارات . بعد أن تركت محترف التنس . تلك الخبيثة !

مشى عائداً للداخل . وكان برادلى جوردون ، رئيس الأمن فى شركته واقفاً فى منطقة الانتظار فى الردهة ، منحنيًا على المنضدة ، يتحدث إلى ليزا موظفة الاستقبال ، لقد كانت ليزا جذابة وهذا هو السبب فى أن ريك قد عينها .

قال ريك دايهل : " اللعنة ، يا براد يجب أن نراجع شرائط كاميرات الأمن الخاصة بموقف انتظار السيارات " .

التفت براد وقال : " لماذا ؟ ماذا حدث ؟ " .

" لقد سرق شخص ما سيارتى البورش " .

قال براد : " لا ، اللعنة ! متى حدث ذلك ؟ " .

فكر ريك ، *إن برادلى ليس الشخص المناسب لهذا العمل* . ولم تكن هذه المرة الأولى التى فكر فيها فى ذلك .

" دعنا نفحص شرائط الأمن ، يا براد " .

قال براد : " أجل ، بالتأكيد " وغمز بعينه لليزا ، ثم توجه عائداً خلال الباب الذى يعمل بالبطاقة ، إلى المنطقة المؤمنة بالشركة ؛ حيث يوجد مكتب الأمن . وتبعه ريك ، وهو غاضب .

وفى مكتب من المكتبين فى غرفة الأمن ذات الحوائط الزجاجية ، جلس فتى يتفحص راحة يده اليسرى بدقة ، وقد تجاهل صف الشاشات التى أمامه .

قال براد فى نبرة تحذيرية : " السيد دايهل هنا " .

" آه ! اللعنة " انتفض الفتى منتصباً فى الكرسى وقال : " آسف . لدى طفح جلدى . لم أعرف إذا ـ " .

" يريد السيد دايهل مراجعة كاميرات الأمن . أى كاميرات تريدها بالضبط ، يا سيد دايهل ؟ " .

قال ريك : " كاميرات موقف انتظار السيارات " .

" موقف انتظار السيارات ، صحيح يا جيسون ، دعنا نبدأ بالثمانى والأربعين ساعة الماضية و ـ " .

قال دايهل : " لقد قدت السيارة للعمل فى الصباح " .

" حقاً ، فى أى وقت كان ذلك ؟ " .
" لقد وصلت هنا فى الساعة السابعة " .
" حسناً ، يا جيسون ، دعنا نعد للساعة السابعة هذا الصباح " .
تحرك الفتى فى كرسيه وقال : " آه ، يا سيد جوردون إن كاميرات موقف الانتظار معطلة " .
التفت براد إلى ريك وقال : " آه هذا صحيح ، إن كاميرات موقف الانتظار معطلة " .
" لماذا ؟ " .
" لست متأكداً . نعتقد أن هناك مشكلة فى الكابل الخاص بها " .
" منذ متى وهى معطلة ؟ " .
" حسناً ـ " .
قال الفتى : " شهرين " .
" شهرين ! " .
قال براد : " علينا أن نطلب قطع غيار " .
" لأى أجزاء ؟ " .
" من ألمانيا " .
" لأى أجزاء ؟ " .
" يجب أن أتأكد منها " .
قال الفتى " يمكن أن نستخدم كاميرات سطح المبنى " .
قال دايهل : " حسناً ، إذن أر كاميرات سطح المبنى " .
" حسناً يا جيسون أحضر كاميرات سطح المبنى " .
لقد استغرق ترجيع الشريط الرقمى والبدء فى تشغيله خمس عشرة دقيقة . رأى ريك سيارته البورش وهى تقف فى موقف الانتظار ، ورأى نفسه يخرج من السيارة ويدخل المبنى . إن ما حدث بعد ذلك أدهشه . فى خلال دقيقتين ، توقفت سيارة

أخرىٍ ، وقفز منها رجلان ، واقتحما سيارته بسرعة ، وقاداها بعيداً .

قال براد : " لقد كانا فى انتظارك " .

قال ريك : " يبدو ذلك . اتصل بالشرطة وأبلغ عن السرقة . وأخبر ليزا بأننى أريدها أن تقلنى إلى المنزل بسيارتها " .

ومضت عين براد عند سماعه ذلك .

المشكلة ، فكر ريك بينما تقله ليزا إلى المنزل ، أن براد جوردون غبى ، لكن ريك لا يستطيع أن يفصله . فبراد جوردون الأحمق فى ركوب الأمواج ، وفى التزلج والسفر ، والذى فى طريقه للتعافى من الإدمان ، والمتسرب من الجامعة ، هو ابن عم جاك واطسونٍ ، مستثمر رئيسى فى شركة بيوجين . وكان جاك واطسون دائماً يعتنى ببراد ، وكان دائمًا يرى أن له وظيفة . وكان براد بشكل ثابت يقع فى المشاكل . وكانت هناك شائعة أن براد على علاقة غير شرعية مع زوجة نائب رئيس شركة جين سيستيمز فى بالو ألتو ـ والتى نتج عنها فصله فى حينه ـ لكن ليس بدون احتجاج كبير من عمه ، الذى رأى أنه لا يوجد سبب لفصله ، وكان قول واطسون المشهور : " إنها غلطة نائب الرئيس " .

ولكن الآن : لا توجد كاميرات أمن فى موقف الانتظار . ولمدة شهرين . ذلك جعل ريك يتساءل ما المشاكل فيما يتعلق بالأمن فى شركة بيوجين .

ونظر إلى ليزا التى كانت تقود السيارة فى هدوء . لقد عينها ريك لتكون موظفة استقبال فور اكتشافه العلاقة التى أقامتها زوجته ؛ فليزا تتمتع بمنظر جانبى جميل ، تصلح أن تكون فتاة إعلانات ، فالذى صقل أنفها وذقنها من أطباء التجميل عبقرى حقاً . كما أنها تتمتع بجسد فاتن ، وخصر نحيل ، وأنوثة واضحة ؛ إن ليزا فى العشرين من عمرها وهى من ولاية كريست

فيو ، وكانت تشع بالصحة ، وكل الجاذبية والأنوثة الأمريكية ، وكان كل شخص فى الشركة يشعر بالإثارة نحوها .

ولكن المثير للدهشة أن رغم هذه الأنوثة الظاهرية إلا أنه عرف أنها فتاة باردة ، وقد فكر دايهل فى أن ذلك ربما كان متعلقاً بالجينات من الناحية العلمية .

لقد أجرى ريك بحوثًا قليلة واكتشف متلازمة تدعى انهيدونيا ، وتعنى عدم القدرة على الشعور بالمتعة . والأشخاص الذين يعانون من هذه المتلازمة لا يتأثرون بالأشياء المتعة حولهم ، وهو بالتأكيد ما يصف حالة ليزا . ومن المثير أنه قد ظهر أن الانهيدونيا لديها مكون جينى ، ويبدو أنه يتضمن النظام الطرفى للمخ ؛ لذلك فقد يكون هناك جين لهذه الحالة . لقد اعتزم ريك فى أحد هذه الأيام أن يرسم صورة كاملة لحالة ليزا ، ليتأكد فقط من صحة اعتقاده .

وفى نفس الوقت ، كان يشعر أن جريتا الطبيبة النمساوية فى معمل الأحياء المجهرية ، التى كانت قصيرة ومكتنزة وترتدى نظارة ، ولها شعر رجالى ـ أفضل من ليزا .

توقفت السيارة فى منزله الجديد ، وبحث ريك عن مفاتيحه فى جيبه وقالت ليزا : " هل تريدنى أن أصعد ؟ " .

كان لليزا عينان زرقاوان ، ورموش طويلة ، وشفتان مزدهرتان .

لقد فكر وقال : " بالتأكيد ، اصعدى " .

لقد اتصل بمحاميه ، بارى سيندلر ؛ ليبلغه أن زوجته قد سرقت سيارته .

قال سيندلر وكان صوته متشككاً : " هل تعتقد ذلك ؟ " .

" نعم ، لقد استأجرت بعض الرجال . لدى شريط تسجيل الأمن " .

" هل صورتها على الشريط ؟ " .

" لا ، الرجال فقط . ولكنها وراء ذلك " .

قال سيندلر : " أنا لست متأكداً من ذلك ، عادة ما تجعل النساء عربة الزوج خردة ، ولكن لا تسرقها " .

" أنا أقول لك ـ " .

" حسناً . سأتأكد من ذلك ، ولكن الآن هناك بعض الأمور القليلة التى أريد أن أناقشها معك بشأن الدعوى القضائية " .

قال ريك : " سأعاود الاتصال بك لاحقاً " .

الشقر ينقرضون

أجناس مهددة بخطر الانقراض " تنقرض فى ظرف ٢٠٠ عام "

طبقاً لما ذكرته وكالة ال بى بى سى ، " أعلنت إحدى الدراسات التى أجريت على يد مجموعة من الخبراء فى ألمانيا أن الأشخاص الشُقر هم أجناس معرضون لخطر الانقراض مع عام ٢٢٠٢ . وقد تنبأ الباحثون بأن آخر أشقر طبيعى سيولد فى فنلندا ، وهو البلد الذى يحتوى على أعلى نسبة من الشُقر ، والذي يتفاخر بأن به أكبر نسبة من الشقر ، ولكن العلماء يقولون أيضاً إن قليلاً من الناس يحملون جين الشقر لدرجة تجعله لن يستمر طويلاً . وقد أشار الباحثون إلى أن ما يسمون بـ " الشقر الصناعيين " هم الملومون على انهيار منافسيهم الطبيعيين من الشقر " .

لا يوافق كل العلماء على نبوءة الانقراض الوشيك ، ولكن هناك دراسة لمنظمة الصحة العالمية تقول إن الشُقر الطبيعيين من المحتمل أن ينقرضوا خلال القرنين التاليين .

ومؤخراً ، تمت مراجعة احتمالية الانقراض بواسطة جريدة التايمز فى لندن ، فى ضوء بيانات جديدة عن تطور الجين إم . سى . آى . آر MCIR بالنسبة للشقر .

الفصل ١٦

لقد كانت الغابة ساكنة تماماً . لا طنين لحشرة الزيز ، أو صرخة طائر أبو قرن ، أو لغو قرد عن بعد . سكون تام وفكر هاجار أنه لا عجب فى ذلك . هزّ رأسه فى أسف بينما نظر للطاقم المكون من عشرة أفراد يحملون عشر كاميرات من جميع أنحاء العالم ، وقد تجمعوا فى مجموعات صغيرة على أرضية الغابة ، يحمون عدساتهم من الرطوبة المتساقطة بينما كانوا يحدقون لأعلى فى الأشجار العالية . لقد أخبرهم بأن يلتزموا الهدوء ، وفى واقع الأمر لم يكن هناك أحد يتحدث بالفعل . كان الطاقم الفرنسى يدخن سيجارًا ، وعلى الرغم من أن الطاقم الألمانى بقى ساكنا ، فإن المصور ظل يطقطق أصابعه بتعجرف وهو يشير لمساعده أن يفعل هذا وذاك . كان الطاقم اليابانى من وكالة إن . إتش . كيه هادئاً ، ولكن كان بجانبهم طاقم سى إن إن القادم من سنغافورة يهمسون ويهمهمون ويغيرون العدسات ، ويحركون صناديق معدنية . وحضر فريق تلفاز بريتش سكاى البريطانى من هونج كونج وهم يرتدون ملابس غير ملائمة . لقد خلعوا الآن أحذية العدو وكانوا يبعدون الطفيليات من بين أصابعهم ، ويسبون ويلعنون وهم يفعلون ذلك .

لا أمل !

لقد حذر هاجار الشركات بخصوص الظروف فى سوماطرة وصعوبة التصوير هناك ، وقد أوصى بأن يرسلوا فرق التصوير الخاصة بالحياة البرية ذات الخبرة فى العمل الميدانى . لم يستمع أحد له . وبدلاً من ذلك ، دفعوا بأقرب الأطقم المتاحة إلى بيراستاجى ، ونتيجة لذلك فإن نصف الفرق التى حضرت كانت لديها موهبة الاستعداد فقط ، ممسكين بالميكروفونات مستعدين ، كما لو كانوا منتظرين لعمل كمين لرئيس دولة .

لقد كانوا منتظرين منذ ثلاث ساعات .

وحتى الآن ، لم يظهر الأورانجتون المتكلم ، وكان هاجار مستعداً أن يراهن أنه لن يفعل . شاهد هاجار أحد أفراد الفريق الفرنسيٍ وأشار له لكى يطفئ السيجار . هزّ الرجل كتفيه استهجاناً وأعطى ظهره لهاجار ، واستمر فى التدخين .

تسلل أحد أفراد الفريق اليابانى خلال المجموعة ووقف بجانب هاجار ، وهمس : " متى سيأتى الحيوان ؟ " .

" عندما يكون هناك سكون " .

" إذن ، هل تعنى أنه لن يأتى اليوم ؟ " .

قام هاجار بإيماءة يائسةٍ ، ورفع راحتيه لأعلى .

" هل لأننا كثيرون جداً ؟ " .

أومأ هاجار .

" ربما نحضر غدًا بمفردنا " .

قال هاجار : " حسناً " .

بعدئذٍ جرت موجة من الإثارة خلال الفرق ، لقد قفزوا إلى كاميراتهم ، وضبطوا قواعدها وبدأوا يصورون . سمع هاجار همهمة خفيضة فى لغات مختلفة ، وبالقرب كان رجل تلفاز سكاى يمسك الميكروفون قرب شفتيه وتحدث فى همس مسرحى : " نحن نقف هنا فى أعماق الغابات البعيدة فى سوماطرة ، وهناك ـ عبر الطريق ـ نرى المخلوق الذى أثار العالم

كله ـ الشامبانزى الذى قيل إنه يتكلم ، أجل ، حتى إنـه يـسب من يقتربون منه " .

فكر هاجار ، يا إلهى ، والتفت ليرى ما يقومون بتـصويره . ولمح فروًا بنيًا ورأسًا داكنًا . لقد كان الحيـوان بوضـوح لا يتعـدى القدمين طولاً ، وأصدر ذلك الحيوان مباشرة الأنين المنخفض لقرد المكاك ذى الذيل الطويل .

تحرك الفريق بسرعة فى لمح البصر ، وتوجهت الميكروفونات مثل المدافع نحو الحيوان الذى يتحـرك بـسرعة ، وسمعـوا أنينًـا أكثر عبر أوراق النبات البعيدة ، مـن الواضـح أن جماعـة كـبيرة كانت هناك .

أدرك الألمان الأمر أولاً ، خرج المصور الألمانى منزعجـاً بعيـداً عن الكاميرا وقال : " لا ، لا ، لا إنه حيوان المكـاك " . وسـريعاً كان الجزء المتغصن من الغابة يتقلب ؛ حيث تأرجحـت عـشرات من حيوان المكاك خلال المنطقة وتوجهت شمالاً .

التفـــت أحـــد البريطـــانيين إلى هاجـــار وقـــال : " أيـــن الشمبانزى ، إذن ؟ " .

قال هاجار : " اسمه أورانجتون " .

" أيًا كان ، أين هو ؟ " وكان صوته غير صبور .

قال هاجار : " إنه لا يحتفظ بتقويم مواعيد " .

" هل هذا هو المكان الذى عـادة يتواجـد فيـه ؟ هـل يمكـن أن نـضع بعـض الطعـام لـه ، أو شـيئاً يجذبـه ؟ أو نـصنع بعـض النداءات ؟ " .

قال هاجار : " لا " .

" ليس هناك طريقة لجذبه ، أهذا هو الأمر ؟ " .

" هذا هو الأمر " .

" هل تطلب منا أن نكتفى بالجلوس هنا فقط آملين أن يحدث ما هو أفـضل ؟ " ، نظـر الـصحفى إلى ساعته ثـم قـال : " إنهـم يريدون الشريط فى الظهيرة " .

قال هاجار : " لسوء الحظ نحن في الغابة ، وإن الأورانجتون يظهر عندما يرغب في ذلك وليس في وقت محدد . إنه العالم الطبيعي " .

قال المصور : " ليس إذا كان يتكلم ؛ فهذا ليس طبيعياً ، ولا يمكن أن أنتظر طوال اليوم هكذا " .

قال هاجار : " لا أعرف ماذا أقول لكم " .

صاح الرجل فيه : " اعثر لى على ذلك القرد اللعين " . كانت صيحة الرجل صادرة بالدرجة التى أثارت حيوان المكاك على الشجر وجعلهم يفرون فزعين مصدرين أصواتاً .

نظر هاجار للآخرين . قال المصور الفرنسى : " ربما يجب الالتزام بالهدوء بالنسبة للجميع " .

قال البريطانى : " أيها التافه التعس ليس هذا من شأنك " .

" تمهل يا رفيق " . تقدم رجل ضخم من الطاقم الأسترالى للأمام ووضع يده على البريطانى ، الذى وجه قبضة نحو فكه . أمسك الأسترالى بيده ، ولواها ودفعه نحو قاعدة الكاميرا الخاصة به . وسقطت القاعدة وتمدد المصور . قفز باقى الطاقم البريطانى على الأسترالى الذين اندفع رفقاء فريقه للدفاع عنه . وكذلك فعل الألمان ، وسريعاً كانت هناك ثلاثة أطقم تتقاتل بوحشية ، وعندما سقطت قاعدة الكاميرا الفرنسية ، وسقطت الكاميرا الخاصة بهم وتلوثت بالطمى ، بدأت الأطقم الأخرى فى القتال أيضاً .

حدق هاجار فقط .

وفكر ، لا أورانجتون اليوم .

الفصل ١٧

كان ريك دايهل يغير ملابسه فى غرفة لتغيير الملابس بالنادى الريفى بيل إير . لقد ذهب هناك ليلعب مع بعض المستثمرين المهتمين بشركة بيوجين . رجل من ميريل لينش ، وصديقه ، ورجل من سيتى بنك . أراد ريك أن يبدو طبيعيًا وعاديًا وهو يتحدث إلى هؤلاء المستثمرين ، ولكنه كان يشعر ببعض الانزعاج وبأن هناك ضرورة ملحة ؛ لأنه منذ رأى زوجته تمشى خلال الردهة مع ذلك المغفل الذى يرتدى ملابس التنس ، شعر بذعر . فبدون مساعدة كارن المادية لكان ريك تحت رحمة المستثمر الرئيسى الآخر القاسى ، جاك واطسون . ولم يكن ذلك أمراً مريحاً لأنه كان فى حاجة إلى أموال .

وفى الخارج هناك فى ملعب الجولف ، مع الشمس المشرقة والنسيم الرقيق يهب ، ألقى عليهم خطبة قصيرة عن العجائب التى تبزغ فى مجال التكنولوجيا الحيوية ، وقوة السيتوكينز المصنع بواسطة خط خلايا بيرنت الذى حصلت عليه شركة بيوجين . لقد كانت فرصة حقيقية للدخول فى شركة على وشك أن تنمو بسرعة .

لكنهم لم يروا الأمر بهذه الطريقة . قال رجل ميريل لينش : " أليست مادة الليمفوكينز هى نفس الشيء مثل

مادة السيتوكينز ؟ ألم تكن هناك حالات وفاة غير مفسرة من السيتوكينز ؟ " .

فسر ريك الأمر له بأن حالات الوفاة كانت قليلة ، وأنها كانت منذ سنوات مضت ؛ لأن عددًا قليلاً من الأطباء قد تسرعوا في العلاج .

قال رجل ميريل لينش : " لقد قمت باستثمار أموالى منذ خمس سنوات في مادة الليمفوكينز ولم أتحصل على أى سنتات من استثمارى فيه " .

وقال رجل الستى بنك : " ماذا عن *عواصف السيتوكين* ؟ " .

فكر ريك : *عواصف السيتوكين* . يا إلهى . ضرب الكرة نحو الحفرة . وقال : " حسناً إن عواصف السيتوكين هى فى الواقع مجرد مفهوم تأملي . مجرد فكرة بأنه في حالات نادرة معينة قد يتفاعل النظام المناعى بشكل زائد مع مادة السيتوكين ويهاجم الجسم ، ويسبب فشل العديد من أنظمة الأعضاء ـــــ " .

" أليس هذا ما حدث مع الأنفلونزا الوبائية التى ظهرت عام ١٩١٨ ؟ " .

" أكد قليل من الأكاديميين ذلك ، ولكنهم جميعاً يعملون لصالح شركات أدوية تسوق منتجات منافسة " .

" ما تقوله قد لا يكون حقيقياً ؟ " .

قال ريك : " يجب أن تكون حريصاً جداً بشأن ما تقوله الجامعات ، في هذه الأيام " .

" حتى بشأن ما حدث عام ١٩١٨ ؟ " .

قال ريك : " المعلومات الخاطئة تأخذ أشكالاً كثيرة " ، والتقط كرته . " والحقيقة أن مادة السيتوكين هى موجة المستقبل ، وقد أصبحت هذه المادة سريعًا ، المادة المستخدمة فى الاختبارات الطبية وتطوير الإنتاج ، وإنها تقدم أسرع عائد للاستثمار فى كل خطوط الإنتاج اليوم ، وهذا هو السبب الذى

جعلني أجعل السيتوكين أول نصر تحققه شركة بيوجين ؛ فقد فازت شركتنا بالقضية التي ــ " .

" ألن يقوموا بالاستئناف ؟ لقد سمعت أنهم سيفعلون " .

" إن حكم القاضي قد أخرجهم من المعركة " .

" ولكن ألم يمت أشخاص نتيجة لنقل الجين الذي يحفز عاصفة السيتوكين ؟ ألم يمت الكثير من الناس ؟ " .

تنهد دايهل وقال : " ليس بهذه الكثرة .. " .

" ماذا ؟ هل مات خمسون شخصًا ، مائة شخص ، أم شيء من هذا القبيل ؟ " .

قال ريك : " أنا لا أعرف العدد تحديدًا " ، وقد أدرك أنه لن يكون يوماً جيداً بالنسبة له ، وأن هؤلاء المستثمرين غير مقتنعين بالاستثمار في هذه المادة مطلقاً ، وأنه لن تمر ساعة قبل أن يقول أحدهم أخيراً إن في رأيه أن الغبي فقط هو الذي يستثمر أمواله في السيتوكينز .

حسنا .

ولذلك فقد شعر بأنه مجهد ومهزوم ، وجلس في غرفة تبديل الملابس مسترخياً بعد ذلك ، عندما جاء جاك واطسون ، ببشرته التي تميل للسمرة من التعرض للشمس ، متألقاً في ملابس التنس البيضاء ، وقف على طاولة بجانبه وقال : " إذن . هل كان لقاءً مفيدًا ؟ " .

لقد كان واطسون آخر شخص أراد دايهل أن يراه ، قال : " لا بأس " .

سأل واطسون : " هل سينضم أي من هؤلاء الفتيان إلى الشركة ؟ " .

" ربما . سننتظر ونرى " .

قال واطسون : " فتيان ميريل لينش ليس لديهم الشجاعة الكافية للاستثمار في شيء جديد ، إنهم في غاية الجبن

ولا يحبون خوض أية مغامرة ، وليس لديهم خبرة فى ذلك ، ما رأيك فى شركة راديال جينوميكس ؟ " .

قال دايهل : " ما شركة راديال جينوميكس ؟ " .

" أرى أن الكلام لم ينتشر بعيداً . لقد اعتقدت أنك قد تكون على علم بما حدث لها ، وانحنى وبدأ يفك رباط حذائه . وقال : " اعتقدت أنك قد تكون مهتماً ، ألم تتعرض للسرقة مؤخراً ؟ " .

قال دايهل : " نعم سيارتى سُرقت من ساحة انتظار السيارات ، ولكنى الآن مشغول فى إجراءات طلاق ، والأمور بينى وبين زوجتى أخذت منعطفًا قاسيًا " .

" إذن أنت تفترض أن زوجتك هى من أخذ السيارة ؟ " .

" حسناً ، نعم . . " .

" هل أنت متأكد من ذلك حقاً ؟ " .

قال دايهل ، بوجه عابس : " أنا فقط افترضت . . " .

" إن هذا ما حدث تمامًا فى شركة راديال جينوميكس . بدأ الأمر بسرقات صغيرة من الممتلكات المادية ؛ سيارة مساعد المعمل من ساحة انتظار السيارات ، حقيبة من غرفة الطعام بالشركة ، بطاقة تعريف من الحمام . سرقات لم يفكر أحد فيها ، ورغم أنه باستعادة الأحداث الماضية والتأمل فيها ، لأدرك المرء أن هناك شخصًا ما يختبر النظام الأمنى بالشركة ليعرف نقاط الضعف به ، إلا أنهم قد فهموا ذلك متأخرًا بعد السرقة الضخمة لبنك المعلومات " .

قال دايهل عابساً : " سرقة بنك المعلومات ؟ " فكر دايهل بأن ذلك أمر خطير للغاية ، وكان دايهل يعرف أن تشارلى هيجنيز يعمل فى شركة جينوميكس فقرر أن يتصل به ليحصل على القصة كاملة .

قال واطسون : " بالطبع ، هيجنيز لا يعترف بأن شيئاً قد حدث ؛ حيث إن الشركة لديها عرض أولى عام فى يونيو ، وهو

يعرف شيئاً كهذا يمكن أن يقضي على العرض ، ولكن ما حدث هو أنه في الشهر الماضي تم سرقة أربعة خطوط خلايا من معاملهم ، وتم نقل ٥٠ تيرابايت من بيانات الشبكة ، بما فيها احتياطي تلك البيانات من خارج موقع التخزين . إنه عمل احترافي جداً . حقاً لقد تسبب ذلك في انتكاستهم " .

" أنا آسف أن أسمع ذلك " .

" طبعاً إنه أمر مؤسف . لقد وصلت تشارلي بمؤسسة " بي . دي . جي " بيولوجيكال داتا جروب ، وهي مؤسسة للتجهيزات الأمنية . أنا متأكد أنك تعرفهم " .

قال دايهل : " بي . دي . جي ، ولكنه لم يستطع أن يتذكر الاسم ، لكن بدا أنه يجب أن يتظاهر بمعرفتها حتى لا يظهر بمظهر المغفل " ، هم قائلاً : " بالطبع أنا أعرف " بي . دي . جي " " .

" أجل . لقد قاموا بأعمال أمنية لشركات جينتيك ، وويث ، وبيو سين وعشرات الأماكن الأخرى . ولا يكمن تميز هذه الشركة في ضمان السرية التامة بشأن عملائها من الشركات التي لجأت إليها فحسب ، ولكن إن شركة " بي . دي . جي " هي الأفضل دون شك عندما تكون لديك مشاكل في نظامك الأمني ؛ فإنهم يأتون إلى شركتك ، ويحللون نظامك الأمني ويتعرفون على نقاط الضعف فيها ، ويغلقون ثغرات الشبكة الداخلية ، وكل ذلك في هدوء وسرعة وسرية " .

كان دايهل يفكر في أن المشكلة الأمنية الوحيدة لديه هي ابن عم جاك واطسون ، ولكن ما قاله : " ربما يجب أن أتحدث إليهم " .

وجد ريك دايهل نفسه جالساً في مطعم وأمامه سيدة شقراء ترتدي حُلة عمل داكنة . قدمت نفسها إنها " جاكلين مورير " ، كان شعرها قصيراً وسلوكها نشيطاً . صافحته وأعطته

بطاقة العمل الخاصة بها . وهي لا تتجاوز الثلاثين بأى حال ولديها جسم أنيق رياضي . لقد كانت تنظر إلى عينيه وهي تتحدث ، وكانت مباشرة جداً في حديثها .

نظر ريك إلى البطاقة . مكتوب عليها شركة " بى . دى . جى " بالأزرق ، وفى أسفل بحروف صغيرة اسمها ورقم هاتفها ، ولا شيء آخر . قال : " أين توجد مكاتب شركة " بى . دى . جى " ؟ " .

" في مدن كثيرة في جميع أنحاء العالم " .

" وأنت ؟ " .

" إن مقر عملي في الوقت الحالى في سان فرانسيسكو ، وقبل ذلك كان في زيوريخ " .

لقد كان يستمع إلى لكنتها ، واعتقد أنها كانت فرنسية ، ولكن يحتمل أن تكون ألمانية ، سألها : " هل أنت من زيوريخ ؟ " .

" لا . لقد ولدت في طوكيو . كان أبى في بعثة دبلوماسية . وقد سافرت كثيراً وأنا صغيرة . ولقد درست في فرنسا وكامبريدج . وعملت أولاً في بنك " كريدى ليونيز " في هونج كونج ؛ لأنى أتحدث لغتي ماندريان وكانتونيز الصينيتين ، ثم انتقلت للعمل في بنك " لومبارد أوديه " في جنيف ، وهو بنك خاص " حضر النادل ، وطلبت مياهاً معدنية من نوع لم يعرفه .

قال : " ما هذا ؟ " .

" إنه نوع نيرويجى . إنه جيد جداً " .

وطلب نفس الشيء .

سأل : " وكيف انتقلت إلى العمل في " بى . دى . جى " ؟ " .

قالت : " كان ذلك منذ عامين مضيا في زيوريخ " .

قال ريك : " وماذا كانت الظروف ؟ " .

" أنا آسفة ، لا أستطيع أن أفصح بذلك . لقد كانت هناك إحدى الشركات التى تعانى من مشكلة ، وقد استدعوا شركة

" بى . دى . جى " لحلها ، وطلبت منى شركة " بى . دى . جى " أن أساعدها فى بعض المسائل التقنية ، وبالتالى انضممت إليهم " .

" شركة فى زيويخ لديها مشكلة ؟ " .

ابتسمت وقالت : " أنا آسفة " .

" ما الشركات التى عملت معها ، منذ أن التحقت بشركة " بى . دى . جى " ؟ " .

" لا يحق لى الإفصاح عن ذلك " .

عبس وجه ريك ؛ فإنه يعتقد أن هذه ستكون مقابلة غريبة حقاً ، إذا لم تستطع إخباره بأى شىء أو الإجابة عن أى شىء .

قالت : " هل تعلم أن سرقة المعلومات هى مسألة عالمية ، إنها تؤثر على الشركات فى جميع أنحاء العالم . وقدرت الخسائر بترليون يورو سنوياً . وبالطبع ، لا ترغب أى شركة أن تكون مشاكلها علنية ؛ لذلك فنحن نحترم سرية عملائنا " .

قال ريك : " ما هو بالضبط الشىء الذى تستطيعين أن تفصحى لى عنه ؟ " .

" فكر فى أى بنك كبير أو شركة علمية أو أى شركة أدوية ، وأؤكد لك أننا قمنا بعمل لهم " .

" إنه منتهى التحفظ " .

" وكذلك سنكون متحفظين عندما نعمل معك . سنرسل ثلاثة أشخاص إلى شركتك ، وأنا من ضمنهم ، وسنعرف أنفسنا على أننا محاسبون قانونيون لشركة " فى . سى " التى تفكر فى الاستثمار لديكم ، وسنقضى أسبوعاً فى مراجعة موقفكم ، ثم نقدم تقريراً لك " .

كلام مباشر جداً وصريح . لقد حاول أن يركز فيما تقوله ، ولكنه وجد جمالها مُلهيا ، وعلى الرغم من أنها لم تُبْدِ أى اهتمام به ـ ولا نظرة اهتمام واحدة ـ إلا أنها كانت جذابة بشكل هائل . وكذلك فإنها تتمتع بأنوثة طاغية .

قالت : " يا سيد دايهل هل أنت معى ؟ " ، لقد كانت تُحدق إليه . لابد أنه كان شارد الفكر .

هزّ رأسه وقال : " أنا آسف ، لقد كان وقتاً صعباً . . " .

قالت : " نحن مدركون لضغوطك الشخصية وأيضا لقضاياك الأمنية ، أعنى الجوانب السياسية لنظامك الأمنى " .

قال : " أجل ، إن لدينا رئيس الأمن ، رجلاً يدعى برادلى - " .

قالت : " يجب استبداله فوراً " .

قال : " أعرف ، ولكن عمه - " .

قالت : " اترك ذلك لنا " . جاء النادل مرة أخرى ، وطلبت الغداء .

ومع استمرار المناقشة ، شعر بانجذاب لها أكثر فأكثر ؛ فلقد كانت جاكلين مورير نوعية غريبة من النساء ، وتتمتع شخصيتها بتحفظ وجده مثيرًا للتحدى . لم يكن من الصعب أن يقرر الاستعانة بها لتأمين شركته . لقد أراد أن يراها مرة أخرى .

وفى نهاية الوجبة ، مشت للخارج ، وصافحته بشدة .

قال : " متى ستبدئين ؟ " .

" فوراً . اليوم ، إذا أردت " .

قال : " أجل ، هذا جيد " .

" حسناً سنزور مقر شركتك فى خلال أربعة أيام " .

" ليس اليوم ؟ " .

" آه لا . سنبدأ اليوم ، ولكن يجب أن نواجه مشاكلك السياسية أولاً ، ثم نأتى إلى مقر الشركة بعد ذلك " .

توقفت سيارة سوداء أمامها وخرج السائق منها وفتح باب السيارة لها .

قالت : " آه ، وبالمناسبة لقد عُثر على سيارتك البورش في هيوستن . نحن متأكدون تماماً أن زوجتك لم تأخذها " ، ودخلت إلى السيارة . أشارت لريك ، بينما أغلق السائق الباب .

وبعد أن تحركت الليموزين بعيداً . أدرك ريك أنه كان منجذبًا لها .

الفصل ١٨

لقد كانت طريقته فى الاسترخاء ، عرف براد جوردون ذلك ، ولكنه عرف أيضًا أن أحدًا لن يفهمه إذا حاول شرح الأمر له . الرجل العازب يجب أن يكون حريصاً فى هذه الأيام . وهذا السبب فى أنه قد أحضر معه مفكرته الرقمية وهاتفه الخلوى كلما جلس فى مدرجات المدرسة المكشوفة . وهو يتظاهر بإرسال رسائل نصية والتحدث فى الهاتف الخلوى ، وكأنه والد مشغول . أو ربما عم . ولم يكن يحضر طول الوقت ، ولكن مرة أو مرتين فى الأسبوع أثناء موسم لعبة كرة القدم . عندما لا يكون لديه شىء آخر يفعله .

وفى شمس الظهيرة كانت الفتيات يجرين مرتديات الملابس الرياضية . طالبات الصف السابع ـ بدت معالم الأنوثة تظهر عليهن ، ولكن معظمهن احتفظن بملامحهن الطفولية ؛ فهن لم يصبحن سيدات بعد ، ولم يعدن فتيات بعد . ولديهن براءة على الأقل لفترة ما .

جلس براد فى كرسيه المعتاد ، فى المنتصف الأعلى للمدرجات عند أحد الجوانب ، كما لو كان يحتفظ بمسافة لإجراء مكالمات العمل الخاصة . لقد أومأ للحاضرين المنتظمين ، من الأجداد والمربيات بينما أخذ جهاز المفكرة الرقمية ووضع

الهـاتف الخلـوى علـى ركبتـه وأخـذ قلمـه لينقـر علـى المفكـرة الرقمية ، يتصرف كما لو كان مشغولاً جداً عن النظر للفتيـات ، ولكنه فى واقع الأمر كان يـذهب إلى ذلـك المكـان لرؤيـة الفتيـات المراهقات وهن يجرين ويلعبن .

" معذرة " .

نظر ، فوجد هناك فتاة آسيوية تجلس بجانبه . لم يرها مـن قبل ، ولكنها كانت فاتنة . ربما كان عمرها ثمانية عشر عامًا أو ما يقرب من ذلك .

قالت : " أنا آسفة حقاً آسـفة ولكـن يجـب أن أتـصل بوالـدى إيميلى " ـ أشـارت نحـو واحـدة مـن الفتيـات فـى الملعـب ـ " إن بطارية هاتفى غير مشحونة . هل يمكن أن أستعمل هاتفك ؟ لـدة دقيقة فقط ؟ " .

قال : " آه ، بالتأكيد " معطياً لها الهاتف .

" إنها مكالمة محلية فقط " .

" لا مشكلة " .

لقد اتصلت بسرعة ، وقالت شيئاً عن كونها فى الحى الثالث وأنهم يستطيعون أن يحضروا ويأخذوها فورا . لقد تظاهر بأنه لم يستمع ، وأعادت الهاتف له ، وقالت : " شكراً لك " .

" عفواً " .

قالت : " أنا لم أرك فى أى من المباريات من قبل ، هل تحضر كثيراً ؟ " .

" ليس كثيراً كما أود ، إنه العمل ، كما تعرفين " ، وأشـار برادلى إلى الملعب وقال : " أيهن تكون إيميلى ؟ " .

" لاعبة الهجوم الأوسط " وأشارت إلى فتاة سوداء فى جانـب الملعب .

" أنا صديقتها كيللى " . مدت يدها وصافحته .

قال : " وأنا براد " .

" سعدت بمقابلتك ، يا براد ، وأنت هنا مع . . . ؟ " .

قال : " آه ، بنت أخي هي عند طبيب الأسنان اليوم ، لم أكن أعرف ذلك إلا بعد أن حضرت بالفعل إلى هنا " . هزّ كتفيه .

" يا لك من عم لطيفٍ . لابد أنها تكون ممتنةً لحضورك . ولكنك لا تبدو كبيراً بما يكفي لتكون عماً لواحدة من تلك الفتيات " .

ابتسم ، ولسبب ما شعر بالتوتر ؛ فلقد كانت كيللي تجلس بالقرب جداً منه . ولقد جعله هذا يشعر بالارتباك . لم يستطع أن يستخدم المفكرة الرقمية أو هاتفه الخلوى . فلم يجلس أحد بالقرب منه مثل ذلك .

قالت كيللي : " والداى كبيران جداً ، كان والدى يبلغ من العمر ٥٠ عامًا عندما ولدت " ، وحدقت إلى الملعب ، " أعتقد أن هذا هو السبب أنى أحب الفتيان الأكبر سناً " .

لقد فكر ، *كم تبلغ من العمر؟* ولكنه لم يفكر في طريقة ليسألها عن ذلك دون أن يكون سؤاله مباشرًا .

لقد رفعت يديها عالياً ، وتفحصتها ، ومدت أصابعها ثم قالت : " لقد دهنت أظافرى الآن ، هل تحب هذا اللون ؟ " .

" نعم ، إنه لون جميل جداً " .

" والدى لا يحب أن أدهن أظافرى بطلاء الأظافر ؛ فهو يظن أن ذلك يجعلنى أبدو أكبر من عمرى الحقيقى ، ولكنى أعتقد أنه لون جميل . الحب الساخن . هذا هو اسم اللون " .

" أجل . . . " .

" على أى حال ، كل الفتيات يطلين أظافرهن . أقصد ، دعنا من ذلك كنت أقوم بطلاء أظافرى منذ الصف السابع . بجانب أننى قد تخرجت " .

" آه ، تخرجت ؟ " .

" نعم ، العام الماضى " ، فتحت حقيبتها وكانت تبحث بداخلها ، بجانب أحمر الشفاه ، مفاتيح سيارة ، مسجل

ومساحيق تجميل ، وقد لاحظ زوجًا من المفاصل ملفوفة في بلاستيك وأشياء أخرى خاصة بالفتيات .

نظر بعيداً وقال : " إذن أنت في الجامعة الآن ؟ " .

ابتسمت له وقالت : " لا ، لقد حصلت على عام إجازة لم تكن درجاتي جيدة جداً . لأنني كنت ألهو كثيرًا " ، وجذبت زجاجة بلاستيك صغيرة بها عصير برتقال : " هل لديك أى شراب غير عصير البرتقال الذى يتناسب مع الصغار فقط ؟ " .

قال مندهشاً : " لا ليس معى " .

" إننى أريد شرابًا من ذلك الذى يشربه الكبار ... " .

" آه ليس معى ... " .

ابتسمت له وقالت : " لكنك تستطيع أن تحصل على بعض منه " .

قال : " من المفترض أننى أستطيع " .

قالت وهى مازالت تبتسم : " أعد أن أدفع لك " .

هكذا بدأت معه .

لقد غادرا الملعب كل بمفرده تفصلهما عدة دقائق . ذهب برادلى أولاً وانتظر فى سيارته فى موقف السيارات ، ينظر إليها تمشى نحوه ، ثم قفزت داخل سيارتها . لقد كانت تقود سيارة موستانج سوداء ، وأشارت له .

لقد شغل المحرك ، وتحرك ، وتبعته .

لقد فكر ، *لا تذهب بآمالك بعيدًا* ، ولكن الحقيقة كانت ، لقد فعل ذلك بالفعل .

الفصل ١٩

كانت ماريلى هنتر ، المديرة المتحذلقة لمعمل علم الوراثة بمستشفى لونج بيتش التذكارى تحب أن تسمع نفسها تتحدث . وقد بذل مارتى روبرتس كل جهده ليبدو مهتماً . وكانت ماريلى صعبة الإرضاء ، ذات سلوك مؤلم ، مثل أمينة مكتبة فى فيلم قديم فى الأربعينات . كانت تسر لاصطياد الأخطاء بين العاملين فى المستشفى . لقد اتصلت بمارتى لتقول إنها يجب أن تراه ، فوراً .

قالت ماريلى هنتر : " صحح لى معلوماتى إذا كنت مخطئة فى شىء . لقد أجرت ابنة السيد ويللر اختباراً بنوة بعد وفاة أبيها وقد أظهر أنها وأباها لا يشتركان فى الحمض النووى . وعلى الرغم من ذلك تصر الأرملة أن ويللر هو الأب ، وتطلب إجراء تحاليل أخرى . لقد قدمتم لى عينات من الدم ، والطحال والكبد والخصية ، على الرغم من أن كلها لم يتم أخذها فى المستشفى ، وتم أخذ هذه العينات من مكان الدفن . وأنتم تبحثون عن كمير ، بوضوح " .

قال مارتى : " أجل ، أو نبحث عن خطأ فى الاختبار الأصلى ، نحن لا نعرف المعمل الذى قامت الابنة بإجراء اختبار الدم فيه ! " .

قالت ماريلى : " إن نسبة الخطأ فى اختبارات الأبوة ليست بسيطة خاصة فى المعامل التى تعلن عن نفسها على الإنترنت . أما معملى فلا يرتكب أخطاء . سوف نختبر كل هذه الأنسجة ، يا مارتى . بمجرد أن تحصل على خلايا من الوجنة من الابنة " .

" حسناً ، حسناً " لقد نسى هذا الأمر تمامًا ؛ فقد كانوا فى حاجة لخلايا من وجنة الابنة لمقارنة الحمض النووى . قال لها : " ولكنها قد لا تتعاون معنا " .

قالت ماريلى : " فى هذه الحالة سنجرى الاختبار للابن والابنة الأخرى . ولكنك تعلم أن اختبارات الأنسجة تستغرق وقتاً . ربما تستغرق أسابيع " .

" بالطبع ، أجل " .

فتحت ماريلى ملف المريض ويللر ، الذى تم ختمه بختم يقول *توفى* . وقلبت خلال الصفحات ، ثم قالت : " وفى نفس الوقت ، لا يسعنى إلا أن أتعجب بشأن تشريحكم الأصلى للجثة " .

هز مارتى رأسه وقال : " ماذا عنه ؟ " .

" إنه يظهر أنكم قد أجريتم اختبار تسمم وجاءت نتيجته سلبية " .

" نحن نجرى اختبار تسمم فى كل حالة وفاة نتيجة لحادث سيارة . إنه إجراء روتينى " .

قالت هنتر : " أم م " وهى تعض على شفتيها : " الحقيقة أننا قد أعدنا اختبار التسمم فى معملنا . ولم تكن النتيجة سلبية " .

قال : " حقًا ؟ " متحكماً فى صوته . مفكراً : *ما هذا* بحق السماء ؟

" من الصعب إجراء اختبار تسمم بعد أن تمت إجراءات الحفظ للدفن ، ولكننا لدينا خبرة فى التعامل مع ذلك ، وقررنا

أن المتوفى السيد ويللر كانت لديه مستويات مرتفعة بروتوبلازمية من الكالسيوم والماغنسيوم . . . " .

فكر مارتي ، *يا إلهي . . .*

" ... مع ارتفاع كبدي واضح لإيثانول ديهادروجينيس ، متضمناً نسبة عالية من الكحول في الدم في وقت الحادث " .

تأوه مارتي في أعماقه ، وفكر في نفسه من أجرى اختبار التسمم الأصلي ؟ هل أرسلها رازا الملعون للخارج ؟ *أو أنه قد تظاهر فقط بإجراء الاختبار ؟*

قالت ماريلي : " وأخيراً وجدنا أثرًا لمستويات من حمض الايثاكرينك " .

هزّ مارتي رأسه وقال : " حمض الايثاكرينك ؟ هذا ليس له معنى على الإطلاق . إن هذا الحمض مدر للبول يؤخذ عن طريق الفم " .

" صحيح " .

قال مارتي : " لقد كان الرجل يبلغ ٤٦ عاماً من العمر . وكانت إصاباته شديدة ، ولكن حتى لو كان الأمر كذلك ، يمكنني القول إنه كان لديه جسد رائع ـ كما لو كان يمارس بناء الأجسام أو شيئاً من هذا القبيل . الذين يمارسون بناء الأجسام يأخذون هذه العقاقير . إذا كان يتناول عقاقير مدرة للبول عن طريق الفم ، ربما يكون ذلك السبب في وجود أثر هذا الحمض في دمه " .

قالت هنتر : " أنت تفترض أنه كان يعرف أنه يتناولها ، من المحتمل أنه لم يكن يعرف ذلك " .

قال مارتي : " هل تعتقدين أن أحداً قام بتسميمه ؟ " .

هزت كتفيها وقالت : " تشتمل ردود فعل التسمم على الصدمة ، هبوط في ضغط الدم ، والغيبوبة . ربما تكون إصابته بهذه الأعراض قد أسهمت في وفاته ، فربما أصيب بهذه الأعراض أثناء قيادته ؛ مما انتهى به إلى تلك الحادثة " .

" أنا لا أعرف كيف تحسمين ذلك " .

ذكرته وهى تقلب خلال الرسم البيانى : " لقد قمت بفحص الجثة بعد الوفاة يا مارتى " .

" أجل فعلت . لقد كانت إصابات ويللر شديدة ، وظهرت رضوض التصادم فى الوجه والصدر ، وكان هناك تمزق بشغاف القلب ، وكسر فى الحوض وعظمة الفخذ . إن وسادته الهوائية لم تنفتح " .

" لقد تم فحص السيارة ، بالطبع " .

تنهد مارتى وقال : " اسألى الشرطة . هذه ليست وظيفتى " .

" يجب أن تكون قد فُحصت " .

قال مارتى : " انظرى ، لقد كانت تلك حالة وفاة نتيجة حادث سيارة . وكان هناك شهود . الرجل لم يكن مخموراً أو فى غيبوبة ؛ فهو يقود السيارة فى معبر علوى على الطريق بسرعة ٩٠ ميلاً فى الساعة ، وتقريبًا كل حالات الوفاة الفردية الناتجة عن حوادث السيارات تكون انتحارًا . لا عجب إذن أن الضحية قد أغلق وسادته الهوائية قبل الحادث لأنه رغب فى ذلك " .

" ولكنك لم تتأكد من ذلك ؛ فربما تكون هناك شبهة جنائية فى الأمر ، ربما أغلقها أحدهم عن عمد ، يا مارتى " .

" لا ؛ لأنه لم يكن لدينا سبب للشك فى ذلك ؛ فاختبار السموم للرجل جاء سلبياً ، وكان التحليل الكهربائى طبيعياً بشكل أساسى ، مع الأخذ فى الاعتبار إصاباته وقت الوفاة " .

" إلا أن الاختبارات كانت غير طبيعية ، يا مارتى " .

" إن اختباراتنا جاءت طبيعية " .

قالت " أم م ، هل أنت متأكد من أن الاختبارات قد تمت بالفعل ؟ " .

عندئذٍ بدأ روبرتس يفكر بجدية بشأن رازا . لقد قال رازا إن بنك العظام كان متعجلاً فى الطلبية التى أرادها ، وأراد رازا أن يوفى الطلب . لذلك لم يرغب رازا فى أن يبقى جسد ويللر فى

الخزانـة لمدة أربعـة أو سـتة أيـام أثنـاء تحليـل نتـائج اختبـار التسمم .

قال مارتى : " يجب أن أتحقق من ذلـك حتـى أتأكـد مـن أن الاختبارات قد تمت بالفعل " .

قالت ماريلى : " أعتقد أننا يجب أن نفعل ذلك ؛ لأنـه وفقـاً لتقريـر المسـتشفى ، فـإن ابـن المتـوفى يعمـل لحـساب شـركة تكنولوجيا حيوية ، والزوجة تعمـل فـى عيـادة طبيـب أطفـال ، وكلاهما لديه إمكانية الوصول للمعلومات البيولوجية . عند هـذه النقطة ، لا يمكن أن نكون متأكـدين مـن أن الـسيد ويللـر لم يـتم تسميمه " .

قال مارتى : " مـن المحتمـل ، ذلـك ، علـى الـرغم مـن أنـه مستبعد " .

نظرت إليه نظرة متحفظة .

قال مارتى روبرتس : " سوف أتحرى ذلك " .

وأثنـاء سيره عائـدًا للمعمل ، حـاول أن يقـرر مـا يفعلـه بـشأن رازا ، لقد كان هذا الرجل يشكل خطراً ، وكان مارتى متأكداً الآن أن رازا لم يطلب أبداً إجراء تحليل تسمم ؛ مما يعنى أن التقريـر تم تزويره . إما أن رازا قد زوره بنفـسه ، بتـصوير تقريـر آخـر وتغيير الاسم ، أو أن هناك شخصًا آخر قام بتزوير التقرير له .

وإن الاحتمال الأخير هو الأرجح ، يا إلهى ، هنـاك شـخص آخر مشترك فى كل هذا .

والآن الآنسة ماريلى تطارد فاعلى الخطـأ بـسبب وجـود أثـر لحمض ايثاكرينك الذى اكتشفته عند قيامها بتحليل التسمم على الجثة . حمض ايثاكرينـك ، فلـو كـان جـون ويللـر قـد تـسمم ، بالفعل ، فإن من قام بتسميمه بهذا الحمض قام باختيـار بـارع . لقد كان الرجـل بـشكل واضـح مزهـوًا بجـسده . فإنـه وفـى هـذه السن ، كان يقضى ساعتين فى صالة الألعـاب الرياضـية ، وربمـا

أخذ طناً من المكملات الغذائية وغيرها من العقاقير . لذلك سيكون من الصعب إثبات أنه لم يأخذ دواء مدرًا للبول بنفسه .

إنه أمر صعب ، ولكن ليس مستحيلاً ؛ فحمض ايثاكرينك هو دواء يصرف عن طريق روشتة ، وستكون هناك أوراق يمكن تعقبها لاكتشاف الأمر ، وحتى لو كان أخذ ذلك الحمض من شخص ما ، يمارس بناء الأجسام ، أو من موقع إليكتروني في أستراليا سيستغرق الأمر أيامًا لاكتشافه ، ولن يمضى وقت طويل قبل أن يقرر شخص آخر أن يلقى نظرة على الجثمان ، وسوف يكتشف حينها أن الجثة ليس بها عظام أذرع ولا أرجل .

اللعنة !

رازا الحقير !

بدأ مارتي يفكر في ذلك الشخص الذى يمارس بناء الأجسام في السادسة والأربعين من العمر . رجل في هذه السن ـ أسس أسرة ـ يبذل كل هذا المجهود ليجعل جسمه يبدو رياضيًا وجذابًا على هذا النحو ، فإن هناك فقط سببين لذلك ، إما أنه شخص متصابٍ أو لديه فتاة صديقة . وفي الحالتين فإنه لا يرضى زوجته ولا يهتم بها . إذن كيف تشعر زوجته حيال ذلك ؟ هل تشعر بالاستياء ؟

ربما ، نعم ، ولكن هل هذا يكفى لكى تقوم بتسميم الرجل ؟ ربما لم تستطع أن تتحكم في نفسها ؛ فالأزواج يقتلون أزواجهم وزوجاتهم لأسباب أقل من ذلك . تذكر ويللر كل شيء حدث وقت استخراج الجثة . رآه في عقله . الأرملة التى تذرف الدموع ، تنحنى على ابنها الطويل ، وابنتها المطيعة تقف بجانبها ، وتمسك المناديل لأمها . كل ذلك كان مؤثراً .

فيما عدا . . .

في اللحظة التى خرج فيها التابوت من الأرض أصبحت إميلى ويللر عصبية ، وفجأة أرادت الأرملة الحزينة أن يتم كل شيء بسرعة . لا تأخذوا الجثمان مرة أخرى للمستشفى . لا تأخذوا

عينات كثيرة . المرأة التى طلبت إجراء تحاليل حمض نووى مستفيضة ، فجأة تغير رأيها .

وقد تعجب في نفسه لماذا فعلت ذلك ؟

استطاع أن يفكر فقط فى إجابة واحدة ممكنة : كانت السيدة ويللر ترغب فى إجراء اختبار أبوة ، لكنها لم تتخيل أن الجثة سوف تأخذ للمستشفى للاختبار ، وهى لم تفكر أبداً أنهم سيأخذون أنسجة من أعضاء متعددة . كانت تعتقد أنهم فقط سيأخذون عينة من الدم ويضعون الجثة مرة أخرى فى داخل المقبرة ، وتعود للمنزل .

أى شيء يحدث ، يجعل السيدة ويللر عصبية .

ربما كان هناك أمل ، على أى حال .

دخل مكتبه وأغلق الباب . لقد أراد أن يتصل بالسيدة ويللر . لقد كانت مكالمة حرجة . سيكون هناك سجل بالمستشفى لتاريخ ووقت المكالمة . إذن ، بماذا يبرر اتصاله بها ؟ عبس وجهه مفكرًا .

آه ، نعم : لأنه يجب أن يأخذ عينة الحمض النووى الخاصة بها ، وبأولادها .

لا بأس ، حسناً . ولماذا لم يأخذ العينة من الأسرة فى موقع المقبرة ؟ إنها فقط مسألة مسحات من الوجنة ، وكانت لن تستغرق أكثر من دقيقة فقط .

الإجابة : لأنه كان يعتقد أن الحمض النووى موجود بالفعل وتم أخذه بمعرفة معمل ماريلى .

تأمل مارتى ذلك ، وأداره فى عقله .

ولم يجد ما يسوء فى ذلك . فإن لديه سببًا وجيهًا للاتصال بها .

التقط الهاتف وطلب الرقم .

" **سيدة ويللر** ، أنا دكتور روبرتس من المستشفى التذكارى . مارتى روبرتس " .

" أجل ، دكتور روبرتس " لحظة سكون . " هل كل شىء على ما يرام ؟ " .

" نعم ، سيدة ويللر . أردت فقط أن أحدد موعدًا لك ولأولادك لتحضروا لإعطائنا دمًا وخلايا من الوجنة من أجل اختبار الحمض النووى " .

" لقد فعلنا ذلك بالفعل . لقد أخذته منا المرأة التى فى المعمل " .

" آه ، فهمت . تقصدين دكتورة هنتر ؟ أنا آسف ، لم أكن أعرف ذلك " .

كانت هناك فترة صمت . قالت إيميلى : " هل تقوم بالاختبارات على جاك الآن ؟ " .

" نعم . نحن نقوم ببعض الاختبارات هنا ، والمعمل يقوم ببعض الاختبارات كذلك " .

" هل وجدت أى شىء بعد ؟ أقصد ، هل وجدت ما توقعته ؟ " .

ابتسم مارتى وهو يستمع . لم تكن تتحدث عن اختبارٍ الأبوة . لقد كانت قلقة بشأن شىء آخر قد يجدونه . " حسناً حقاً ، يا سيدة ويللر . . . " .

" نعم ؟ " .

" يبدو أن هناك تعقيداً بسيطاً . لا شىء مهمًا " .

" ما نوع التعقيد ؟ " .

" لقد وجد معمل الوراثة آثار مادة كيميائية غير عادية فى أنسجة السيد ويللر . ربما يكون خطأ من المعمل ، أو تلوثاً " .

" ما نوع المادة الكيميائية ؟ " .

" أنا أذكر ذلك فقط لأنى أعرف أنك أردت أن يستقر زوجك فى مقره النهائى فى أسرع وقت ممكن " .

قالت : " هذا صحيح . أريده أن يُترك دون إزعاج " .

قال مارتى : " بالطبع فإننى أكره أن ينقل من مكانه لأيام ؛ أو حتى لأسابيع ، بينما تثار الأسئلة عن هذه المادة الكيميائية وكيف دخلت إلى جسمه . لأنه حتى لو كان ذلك مجرد خطأ معملى ، فإن كل شيء عن هذه النقطة مطلوب بموجب القانون ، يا سيدة ويللر . ما كان ينبغى أن أجرى هذا الاتصال بك . ولكن أنا . . . أنا أعتقد أننى أشعر بالمسئولية . وكما أقول ، فإنى أكره أن تنقل الجثة بسبب شيء مثل التحقيق فى أسباب الوفاة " .

قالت : " أفهم ذلك " .

" وبالطبع . أنا لا أنصحك أن تفعلى أى شيء غير اتباع القانون ، يا سيدة ميللر . ولكننى شعرت بأن عدم دفن زوجك كان تجربة قاسية عاطفياً بالنسبة لك . . . " .

" نعم . . .نعم . . . " .

" وإذا كنت لا تريدين المزيد من الإجهاد العاطفى لإعادة الدفن ـ ناهيك عن المصاريف ـ فإنك قد تختارين حلاً أقل ألماً من الناحية العاطفية ، وأقل كذلك فى التكاليف إذا لم تكن لديك أموال كافية ... فإن لك الحق أن تطلبى حرق الجثمان " .

قالت : " أنا لم أعلم ذلك " .

" أنا متأكد أنك لم تتخيلى أبداً أن إخراج جثة زوجك من الأرض سيكون مؤلماً لهذا الحد " .

" لا . لم أكن أتخيل " .

" وقد تقررين ألا تضعى نفسك فى ذلك الموقف مرة أخرى " .

قالت : " هذا بالضبط ما أشعر به " .

فكر مارتى ، *اراهن انك تفعلين* ، ثم قال : " بالطبع ، لو انتظرت حتى تم إعلامك بأنه سيكون هناك تحقيق ، فلن يسمح لك بحرق الجثمان . ولكنى بالتأكيد لن أقترح عليك أن تأمرى بحرق الجثمان الآن ؛ فهذا ليس من شأنى ولكنك قد تقررين

حرق الجثمان بنفسك ، لأسبابك الخاصة . وإذا حدث ذلك سريعاً ـ في نهاية اليوم ، أو صباح الغد ـ فإن ذلك سيكون من الأفضل ، وحينها سيكون الجثمان قد تم حرقه لسوء الحظ قبل أن يطلب استخراجه من أجل التحقيق " .

" أنا متفهمة " .

قال : " يجب أن أذهب " .

" أنا مقدرة استقطاعك من وقتك لتتصل بى ، هل كان هناك شيء آخر ؟ " .

قال : " لا ، هذا هو كل شيء ، أشكرك يا سيدة ويللر " .

" عفواً ، يا دكتور روبرتس " .

أغلق الهاتف .

اتكأ مارتى روبرتس للخلف في كرسيه . لقد كان مسروراً من الطريقة التى سارت عليها المكالمة . كان مسروراً جدًا في الواقع .

تبقى شيء آخر ، في الوقت الحالى ، يجب أن يفعله .

" **معمل الدور الخامس** . معك جينى " .

" جينى ، أنا دكتور روبرتس في معمل الباثولوجى أسفل . أريدك أن تتحققى من نتيجة معمل لى " .

" هل هي بيان ، يا دكتور روبرتس ؟ " .

" لا ، إنه اختبار قديم . اختبار تسمم طُلب منذ ثمانية أيام مضت . اسم المريض ويللر " ، وقرأ الرقم المسلسل .

كانت هناك لحظة من الصمت . سمع صوت الكتابة على لوحة المفاتيح . " جون ج . ويللر ، ذكر ، أبيض ، العمر ٤٦ عاماً " .

قال : " نعم " .

" قمنا بتحليل تسمم الساعة الثالثة وسبع وثلاثين دقيقة صباح يوم الأحد ٨ مايو . اختبار تسمم وتسعة اختبارات أخرى " .

" وهل احتفظتم بعينة الدم ؟ " .

" نعم ، أنا متأكدة أننا فعلنا . نحن نحتفظ بكل الأنسجة هذه الأيام " .

" هل يمكن أن تتحققى لى ؟ " .

" دكتور روبرتس ، هذه الأيام نحن نحتفظ بكل شيء . نحن حتى نحتفظ بالبطاقات التى تلصق على الكعب عندما يولد طفل . إنه اختبار بموجب القانون ، لكننا نحتفظ بالبطاقات على أى حال ، ونحتفظ بدم الحبل السرى ، ونحتفظ بأنسجة المشيمة ، ونحتفظ بالأجزاء التى تستأصل جراحياً . نحتفظ بكل شيء - " .

" أنا أفهم ذلك ، ولكن هل يمكن أن تتحققى من ذلك ؟ " .

قالت : " يمكننى أنا أراها مسجلة أمامى هنا على الشاشة ، لدينا العينة المجمدة مخزنة فى مبرد رقم بى ٧ ، وسوف تأخذ لموقع التخزين فى نهاية الشهر " .

قال مارتى : " أنا آسف ، ولكن ذلك متعلق بقضية قانونية محتملة . هل يمكن أن تتحققى على الطبيعة لتتأكدى من أن العينة فى المكان المفترض أن تكون به ؟ " .

" بالطبع سأرسل شخصاً ما هناك وسأعاود الاتصال بك " .

" شكرا ، جينى " .

وضع السماعة واتكأ فى كرسيه مرة أخرى ، ومن خلال الحائط الزجاجى ، شاهد رازا ينظف منضدة ، استعداداً لتشريح تال . قام رازا بعمل شامل ، ولكنه كان ينتبه للتفاصيل بشكل مبالغ فيه .

مما يعنى أنه لم يكن فوق تغيير قواعد بيانات المستشفى ليوضح أنه تم تخزين عينة غير موجودة فى الواقع . سواء فعلها أو طلب من أحد أن يفعل ذلك من أجله .

رن الهاتف " دكتور روبرتس ؟ أنا جينى " .

" نعم ، يا جينى " .

" أخشى أنى قد تحدثت سريعاً . عينة ويللر هى cc من الدم الوريدى ، ولكنها ليست فى خزانة بى ٧ يبدو أنها قد وضعت فى غير موضعها . لقد وضعت علامة عليها الآن . سوف أخبرك بمجرد أن أجدها . هل هناك شيء آخر ؟ " .

قال مارتى : " شكراً جزيلا ، جينى " .

الفصل ٢٠

أخيراً وجد إليس ليفين أمه في الدور الثاني من محل بولو رالف لورين في تقاطع شارع ماديسون وشارع ٧٢ ، وهي تخرج من غرفة قياس الملابس . كانت ترتدي بنطالاً من الكتان الأبيض وإزارًا علويًا ملونًا . خطت أمام المرآة والتفتت في هذا الاتجاه وذاك ، ثم رأته .

قالت : " أهلاً يا عزيزي ، ما رأيك ؟ " .

قال : " يا أمي ، ماذا تفعلين هنا ؟ " .

" أشتري ملابس الرحلة البحرية التي سنقوم بها ، يا عزيزي " .

قال إليس : " ولكنك لست ذاهبة في رحلة بحرية " .

قالت أمه : " آه ، نعم سأذهب ، نحن نذهب في رحلة بحرية كل عام " .

" أمي . . . " .

أصبح وجهها عابساً وحركت شعرها الأبيض بيدها في شرود ، وقالت : " وأنا لست متأكدة من هذا القميص العلوي ، هل يجعلني أبدو مثل سلطة الفواكه ؟ " .

قال إليس : " يجب أن نتحدث يا أمي ؟ " .

" حسناً . هل لديك وقت لنتناول الغداء معاً ؟ " .

" لا يا أمي . يجب أن أعود للمكتب " كان إليس محاسباً فى وكالة إعلان . لقد ترك المكتب وأسرع إلى أعلى المدينة لأنه تلقى مكالمة مفزعة من أخيه .

لقد مشى نحو أمه وقال بصوت هادئ : " يا أمى لا يمكنك التسوق الآن " .

" لا تكن سخيفاً ، يا عزيزى " .

" أمى ، لقد عقدنا اجتماعًا عائليًا . . . " تقابل إليس وأخواه مع والديه فى عطلة نهاية الأسبوع الماضى . كان اجتماعًا صعبًا ، ومؤلمًا فى المنزل فى سكارسدال . كان والده يبلغ من العمر ٦٣ عاماً ، وأمه ٥٩ عاماً . لقد راجع الأخوان المسائل المالية معهم .

قالت له الآن : " لا يمكن أن تكون جاداً " .

قال : " أنا جاد " وضغط على ذراعها .

قالت : " أليس جاكوب ليفين ، أنت لا تتصرف بشكل ملائم " .

" يا أمى ، لقد فقد والدى وظيفته " .

" أنا أعرف ، ولكن لدينا الكثير ـــ " .

" ومعاشه توقف " .

" هذا شىء مؤقت فقط " .

" لا يا أمي ، إنه *ليس مؤقتًا* " .

" لكن دائماً كان لدينا كثير من ـــ " .

" ليس بعد . ليس لدينا شىء . ليس بعد " .

حملقت فيه . " لقد تحدثنا أنا وأبوك عن ذلك ، بعد أن رحلتم ، وقال لى إننا سنكون بخير . كل تلك الأعمال بخصوص بيع البيت والسيارة الجاجوار . هذا كله سخيف " .

" هل قال أبى ذلك ؟ " .

" بالتأكيد فعل " .

تنهد إليس وقال : " لقد كان يحاول فقط أن يبعدك عن القلق " .

" أنا لست قلقة ، وهو يحب هذا النوع من سيارات الجاجوار . والدكِ يحصل في كل عام على واحدة جديدة ، منذ أن كنتم أطفالاً صغاراً " .

كان رجال المبيعات في المتجر ينظرون إليهم . قاد إليس أمه إلى أحد الجوانب . " أمي لقد تغيرت الأشياء " .

" آه ، *من فضلك* " .

نظر إليس بعيداً عن وجه أمه . لم يستطع أن يقابل عينيها . وطول حياته كان ينظر بفخر لوالديه . لقد كانوا ناجحين ، وراسخين ، هو وإخوته كانت لهم فترات ارتفاع وهبوط . كانوا يمرون بتقلبات في حياتهم ؛ فقد كان أخوه الأكبر مطلقاً بالفعل ، ولكنّ والديه كانا من جيل سابق ، كان ثابتاً ، كان في إمكانك أن تعتمد عليهما .

وحتى عندما فقد والده وظيفته ، لم يقلق أحد . صحيح أن رجلاً في مثل سنه لم تكن لديه فرصة للحصول على عمل آخر ، إلا أنهم كانت لديهم استثمارات ، وأسهم في البورصة وأرض في مونتانا الكاريبي ، ومعاش ضخم . لم يكن هناك داعٍ للقلق . ولم يغير والداه أسلوب حياتهما ، واستمرا في التمتع والسفر والإنفاق .

ولكنه الآن هو وإخوته كانوا يدفعون الرهن العقارى في سكارسدال ، ويحاولون بيع أملاكهم في شارلوت أميلي ، ومنزلهم في فيل .

قال : " أمي ، إن لدى طفلين في مرحلة ما قبل المدرسة . وجيف لديه طفل في الصف الأول . هل تعرفين ما تتكلفه المدرسة الخاصة في المدينة ؟ وآرون لديه نفقة زوجته . إن لدينا حياتنا الخاصة ، ولا نستطيع أن نستمر في سداد مصاريفكما " .

قاطعته في حدة : " *انت لا تدفع لي او لأبيك* " .

" نعم يا أمي نفعل . وأنا أقول لك إنك لا تستطيعين شراء هذه الملابس . من فضلك اذهبي واخلعيها " .

وفجأة ؛ مما أثار رعبه ، اندفعت في البكاء ، وألقت يديها على وجهها وقالت : " *أنا خائفة ، ماذا سيحدث لنا ؟* " وكان جسدها يهتز . وضع ذراعه حولها .

قال برفق : " سيكون كل شيء على ما يرام ، اذهبي وارتدي ملابسك . سوف آخذك للغداء " .

" **ولكن ليس لديك وقت الآن** " كانت تتنهد بأنفاس سريعة " لقد قلت ذلك بنفسك " .

" حسناً ، سنذهب للغداء ، يا أمي . سنذهب إلى " كارليل " ، وسوف أكون بخير " .

مسحت أنفها ومسحت عينيها ، وذهبت إلى غرفة تغيير الملابس ، مرفوعة الرأس .

فتح أليس هاتفه ، واتصل بالمكتب ليخبرهم بأنه سيتأخر .

الفصل ٢١

فى إفطار اجتماع التكنولوجيا الحيوية بالكونجرس فى واشنطن ، انتظر دكتور روبرت بيلارمينو بفروغ الصبر انتهاء عضو الكونجرس من تقديمه لجمع الحضور . كان عضو الكونجرس " هنرى واترز " ، الشهير بطول النفس يتحدث بنبرة رتيبة . قال : " دكتور بيلارمينو معروف لكل منا ؛ فهو طبيب ذو ضمير ، ورجل علم ، ورجل دين ، ورجل مبادئ فى عصر النفعية ، رجل استقامة فى عصر المتعة ، ودكتور بيلارمينو ليس فقط مديراً للمعهد القومى للصحة ، ولكنه أيضاً رجل دين نشط عمل على خدمة الآخرين ، ويشهد له الجميع بذلك ، وهو مؤلف كتاب " نقاط التحول لليقظة الروحية " . وأنا أعرف جيداً ، أنه ينظر إلىّ حتى أسرع بتقديمه ؛ لأنه يجب أن يكون فى غرفة استماع الكونجرس فى خلال ساعة ؛ لذلك دعونى أقدم رجل الدين والعلم دكتور روبرت إيه . بيلارمينو " .

صعد بيلارمينو الوسيم الواثق من نفسه إلى المنصة . وكان الموضوع الذى سيتناوله ، وفقاً للجدول المطبوع هو : " إرادة الله للبشرية فى علم الوراثة " .

" شكراً جزيلا لعضو الكونجرس واترز ، ولكم جميعاً لحضوركم اليوم ، وقد يتعجب بعضكم كيف أن عالماً ـ خاصة فى

علم الوراثة - يمكن أن يوفق عمله مع حياته الدينية . ولكن كما هو واضح فإن الخالق لا يكون منفصلاً عن خلقه فحسب ، ولكنه أيضاً يمده فعلياً بأسباب الحياة لحظة بلحظة . لذلك ، فإن الله هو خالق الحمض النووى الذى يضمن الاختلاف البيولوجى لكوكبنا ، وقد يكون هذا هو السبب أن بعض نقاد الهندسة الوراثية يقولون إننا لا يجب أن نفعل ذلك ، لا يجب أن نقوم بأى تعديلات جينية أو التدخل فيما يخص الحمض النووى ؛ لأن ذلك يخالف الأوامر الدينية ، ولكنى أختلف معهم فالبحث العلمى مهما بلغ مداه لا يخالف الدين ، بل إن كليهما يعمل على إكمال بعضهما البعض ؛ فهم يرون أن الطبيعة وحدة مقدسة منيعة لا يجب التطرق لها ، ولكنى أرى أن أفكارهم تلك متطرفة " .

توقف بيلارمينو ، ليدع جمهوره يتذوق كلماته . لقد فكر فى قول الكثير عن الأفكار المتطرفة ، ولكنه فكر ألا يتناول ذلك الموضوع اليوم .

" إن الله قد كلف البشر بالمهمة ، وهى مسئولية العناية بالأرض وكل الكائنات التى عليها . ونحن مسئولون أمام الله ، مسئولون عما أعطاه الله لنا بكل عظمته وتنوعه البيولوجى . هذه هى المهمة التى كلفنا بها الله ؛ فنحن مشرفون على هذا الكوكب .

وتستخدم الهندسة الوراثية الأدوات التى أعطاها لنا الله لننفذ أعمالاً جيدة على الكوكب ؛ فالمحاصيل غير المحمية تأكلها الحشرات ، أو تموت من التجمد أو الجفاف . والتعديلات الجينية يمكن أن تحمى ذلك ، وتستخدم مساحة محاصيل أقل ، وتترك البرية دون أن تمس ، ومع ذلك تطعم الجوعى ، والهندسة الوراثية تسمح لنا بأن نوزع سخاء الله لكل مخلوقاته كما يريد ؛ فالكائنات المعدلة جينيا تصنع الأنسولين النقى لمرضى السكرى ، وتصنع عوامل تجلط تقى الأشخاص ذوى النزعة للنزف الدموى . فيما سبق كان هؤلاء المرضى غالباً ما يموتون من

التلوث ، وبالتأكيد بالنسبة لنا أن نصنع هذا النقاء هو عمل الله . من سيقول إنه ليس كذلك ؟

يتهم النقاد الهندسة الوراثية بأنها غير طبيعية ؛ لأنها تغير جوهر كائن ، وطبيعته العميقة . هذه الفكرة إغريقية ووثنية ، ولكن الحقيقة البسيطة هى أن إعادة تأهيل النباتات والحيوانات ، كما تمت ممارسته لآلاف السنين ، يغير الطبيعة العميقة للكائن ؛ فالكلب الأليف لم يعد ذئباً ، والذرة لم تعد حشائش غير قادرة على النمو وغير صالحة للأكل . والهندسة الوراثية هى ببساطة خطوة أخرى فى العرف المقبول لفترة طويلة ، وهى لا تمثل انحرافًا أصليًا عن الماضى .

أحيانا نسمع أننا لا يجب أن نغير الحمض النووى فقط ، فإنهم يرون أنه لا يجب المساس به ولكن ، لم لا ؟ الحمض النووى ليس ثابتاً ، وهو يتغير مع مرور الوقت . وهو يتفاعل باستمرار مع وجودنا اليومى . هل نخبر الرياضيين بألا يرفعوا أثقالاً لأنها ستغير حجم عضلاتهم ؟ هل نخبر طلابنا بألا يقرأوا كتباً ؛ لأن ذلك سيغير هيكل عقولهم النامية ؟ بالطبع لا . إن أجسامنا تتغير بشكل مستمر ، وتتغير ويتغير الحمض النووى معها .

لكن بشكل مباشر أكثر - إن هناك ٥٠٠ مرض وراثى توجد إمكانية لشفائها عن طريق علاج الجين . تسبب كثير من هذه الأمراض معاناة شديدة فى الأطفال ، ووفاة مبكرة مع عذاب شديد . وهناك أمراض أخرى تظل معلقة بطول حياة الشخص وكأنها حكم بالسجن يطارده ؛ حيث يتوقع المرء إصابته بالمرض نتيجة لعامل وراثى قوى ؛ فيجب أن ينتظر الشخص المرض ليأتى ويضربه . ألا يجب أن نعالج هذه الأمراض إذا استطعنا ؟ ألا يجب أن نرفع المعاناة كلما استطعنا ؟ إذا كان الأمر كذلك ، يجب أن نغير الحمض النووى . الأمر بهذه البساطة .

إذن هل نعدل الحمض النووى أم لا ؟ هل الأمر مخالف للدين أم لا ؟ هذه ليست قرارات تُتخذ ببساطة ، وكذلك الأمر مع أكثر الموضوعات حساسية ، وهو استخدام الخلايا الأصلية والأجنة . وهناك الكثير من رجال الدين يعارضون بشكل مطلق استخدام الأجنة ، ولكن هذه الآراء سوف تتعارض فى النهاية مع هدف شفاء المرضى ورفع المعاناة . ليس هذا العام ، أو العام المقبل ، ولكن سيأتى الوقت لرفع هذه المعاناة . وإننا بحاجة إلى تفكير دقيق وعميق وأن ندعو الله للوصول إلى إجابتنا . لقد كان هناك الكثير من معجزات الشفاء على يد الأنبياء . هل هذا يعنى أننا لا يجب أن نفعل مثل ذلك فى العصر الحديث مستخدمين العلم ، إذا استطعنا ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال صعبة ؛ لأننا نعلم أن محاولات الإنسان تأخذ أشكالاً كثيرة ـ وهناك مؤيدوها ، وهناك معارضوها لأن بعضها حقًا قد يتجاوز الحدود ؛ وإننا قد وُضعنا هنا لكى نتأمل مجد الله فى كل أعماله ، وليس من أجل التمسك بالغرور العنيد للإنسان . وأنا ، شخصياً ليس لدى إجابة بينما أقف أمامكم اليوم ، وأعترف بأننى لدى ضيق فى صدرى .

لكنْ لدى إيمان بأن الله سيقودنا ، فى النهاية ، للعالم الذى يريده لنا . ولدى إيمان بأنه سوف يرشدنا للحكمة ، وأننا سنكون حذرين وأننا لن نكون متصلبين فى العناية بالمرضى الذين يعانون ، وكل الكائنات فى خلقه . ومن أجل ذلك ، أدعو الله بكل تواضع حتى يهدينا للصواب ، آمين " .

لقد نجحت الخطبة ، بالطبع ـ فقد كانت تنجح دائماً . وكان بيلارمينو يقدم نفس الخطبة ولكن بأشكال متنوعة منذ وقت طويل ، وفى كل مرة كان يضغط للأمام بقوة أكثر قليلاً ، ويتحدث بشدة أكثر قليلاً . منذ خمس سنوات مضت ، لم يستخدم كلمة *جنين* . لكنه الآن قد فعل ، بحرص وإيجاز . كان يمهد الأساس . لقد جعلهم يفكرون . إن التفكير فى المعاناة

تجعلهم مضطربين . كذلك فعلت فكرة تمكين المُقعدين من المشى مرة أخرى .

وبالطبع ، لم يعرف أحد إن كان ذلك سيحدث أبداً . وبشكل شخصى ، فإن بيلارمينو كان يشك أن ذلك سيحدث أبداً . ولكن دعهم يعتقدوا أنه قادم . دعهم يقلقوا ويأملوا . فإنهم يجب أن يفعلوا ذلك : فالرهانات عالية ، والخطوات تتقدم بسرعة الصاروخ . فأى بحث تعيقه واشنطن سيتم إجراؤه فى شنغهاى ، أو سيول ، أو ساو باولو . ومهارة بيلارمينو وتظاهره بالتقوى ، كان المقصود به التأكد من أن ذلك لا يحدث أبداً . التأكد ، باختصار ، من أنه لا شيء سيتعارض مع معمله ، وأبحاثه ، وسمعته . لقد كان جيداً جداً فى *حماية الثلاثة* جميعاً .

بعد ساعة ، فى غرفة الاستماع المجلدة بالخشب ، أعطى بيلارمينو شهادته أمام مجلس اللجنة المختارة لعلم الوراثة والصحة . لقد تم استدعاء المجلس ليدرس إذا ما كان من الملائم لمكتب البراءات أن يمنح براءات اختراع لاكتشاف الجينات البشرية . لقد تم إصدار الآلاف من هذه البراءات بالفعل . هل كانت هذه فكرة جيدة ؟

قال دكتور بيلارمينو وهو لا ينظر إلى أوراقه : " ليس هناك مجال للشك أن لدينا مشكلة " . لقد حفظ شهادته حتى يستطيع إلقاءها بينما يواجه كاميرات التلفاز ؛ حتى يتمكن من تحقيق تأثير أكبر . قال : " إن براءات الاختراع التى تمنح لرجال *الصناعة* تضع مشكلة بارزة أمام بحوث المستقبل ، وعلى الجانب الآخر ، إذا منحت براءات الاختراع للباحثين الأكاديميين فلن يكون هناك كثير من القلق ؛ حيث إن العمل سيتم مشاركته بحرية " .

بالطبع كان ذلك هراءً ؛ فلم يذكر دكتور بيلارمينو أن الاختلاف بين الباحثين الأكاديميين وبين الصناعيين قد صار منذ

مدة طويلة غير واضح ؛ فعشرون بالمائة من الباحثين الأكاديميين يُدفع لهم عن طريق الصناعة . وعشرة بالمائة من الباحثين يقومون بتطوير أدوية من أجل الصناعة . وأكثر من عشرة بالمائة لديهم منتج بالفعل فى السوق . وأكثر من أربعين بالمائة قد تقدموا للحصول على براءات اختراع خلال حياتهم المهنية .

ولم يذكر بيلارمينو أنه هو ، أيضاً ، قد سعى للحصول على براءات اختراع لجينات كثيرة على نحو مكثف ؛ ففى السنوات الأربع الأخيرة ، قدم معمله ٥٧٢ طلبًا للحصول على براءات تغطى مجالاً متسعاً من الحالات ، من ألزهايمر إلى الشيزوفرينيا للاكتئاب الجنونى ، والقلق ، واضطراب عجز الانتباه . لقد حصل على براءات لعشرات من الجينات متعلقة باضطرابات أيضية معينة ، تتراوح ما بين نقص ١ ثيروكسى ـ هيدروكامبرين (المرتبط باضطراب القدم عند النوم) إلى زيادة بارا ـ امينو ـ ٢ ، ٤ ـ ديهايدروكسيبينثامين (الذى يسبب سلس البول أثناء النوم) .

قال دكتور بيلارمينو : " على أى حال ، أستطيع أن أؤكد لهذه اللجنة أن الحصول على براءات الاختراع لاكتشاف الجينات بشكل عام هى نظام يخدم الصالح العام ، وإجراءاتنا لحماية الملكية الفكرية تعمل بشكل جيد ؛ فمن خلالها تتم حماية البحث المهم ، والمستهلك ، أى المريض الأمريكى ، هو المنتفع من مجهوداتنا " .

إن بيلارمينو لم يخبرهم بأن أكثر من أربعة آلاف براءة تعتمد على الحمض النووى تُمنح كل عام ـ اثنتان فى كل ساعة فى كل يوم عمل ؛ وحيث إن هناك فقط خمسة وثلاثين ألف جين فى الجينوم البشرى ، فإن معظم الخبراء قد قدروا أن أكثر من ٢٠٪ من الجينوم قد أصبح ملكية خاصة بالفعل .

ولم يوضح بيلارمينو كذلك أن أكبر مالك للبراءات ليس مؤسسة صناعية عملاقة ولكن جامعة كاليفورنيا ؛ فهى تمتلك

براءات أكثر من شركات " فيزر " ، " وميرك " ، " ويللى " ، و" ويث " مجتمعة ، وهى تمتلك براءات أكثر من التى تمتلكها الحكومة الأمريكية .

قال بيلارمينو : " إن فكرة أن البعض يمتلك جزءًا من الجينوم البشرى تصدم بعض الناس كشىء غريب غير معتاد ، ولكن هذا ما يجعل أمريكا عظيمة ويبقى اختراعاتنا قوية . وحقيقى أنه يسبب خللاً عرضياً ، لكن مع الوقت ، سوف يحل كل ذلك ؛ فبراءات الاختراع التى تمنح على اكتشاف الجينات هى السبيل للتقدم " .

وفى نهاية شهادته ، ترك دكتور بيلارمينو الحضور وتوجه لمطار ريجان ؛ حيث سيطير عائداً إلى أوهايو ؛ ليستأنف بحثه عن " جين الحداثة " بحثًا يُجرى فى أحد الملاهى هناك . ولدى بيلارمينو طاقم يتبعه يصنع له فيلمًا تسجيليًا من ٦٠ دقيقة ، ويجمع هذا الفريق معًا أجزاء من أبحاثه الجينية المتنوعة والمهمة ، وكذلك يشير إلى قصة حياته الشخصية والوقت الذى يقضيه فى أوهايو كان جزءاً مهماً من الفيلم النهائى ؛ لأنه هناك يتفاعل مع أناس عاديين ، وكما قال صانعو الفيلم ، إن اللمسة الإنسانية هى المهمة حقاً ، خصوصاً مع رجل العلم ، وخصوصاً فى التلفاز .

مكتب ماساتشوستس لجامعة تكنولوجى ترانسفير
المركز الحكومى ـ بوسطون

للنشر الفورى

العلماء يطورون أذناً مُصغرة فى المعمل

أول "نموذج جزئى للحياة" فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا تطبيقات محتملة فى تكنولوجيا السمع

قام علماء معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بتطوير أذن بشرية فى مزرعة أنسجة لأول مرة فى التاريخ .

تعاون الفنان التشكيلى الأسترالى "ستلارك" مع المعامل فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا لتطوير أذن إضافية لنفسه . بلغ حجم الأذن الجديدة نسبة الربع من الحجم الطبيعى للأذن العادية ، أى إن حجمها أكبر بقليل من غطاء الزجاجة . تم زراعة النسيج الذى أخذ من ستلارك فى مفاعل بيولوجى دوار مصغر للجاذبية أثناء النمو .

وقد أصدر معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بياناً أن الأذن الإضافية يمكن أن تعتبر "نموذجاً جزئياً للحياة ؛ حيث تم تطويرها بشكل جزئى وتنميتها بشكل جزئى" . والأذن يمكن أن توضع بشكل مريح فى راحة اليد .

وفى العام الماضى قام نفس المعهد بتطوير شرائح من أنسجة ضفدع تم تنميتها على شبكة بوليمر الحيوية ، كما قاموا بتنمية شرائح من خلايا خروف لم يولد ، وقد صنعوا ما أشاروا إليه "بالجلد بدون ضحية" وهو جلد تمت تنميته صناعياً فى المعمل وكان مناسباً للأحذية وأكياس النقود والأحزمة وغيرها من المصنوعات الجلدية ـ ومن المفترض أنه تم تطويره لتلبية

احتياجات السوق .

ولقد فتحت الكثير من شركات المساعدات السمعية الحوار مع معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بشأن ترخيص تكنولوجيا الأذن الخاصة بهم ، ووفقاً لـ " زاك رابى " الأستاذ فى علم الوراثة ، ومع تقدم السكان الأمريكيين فى العمر ، فإن كثيرًا من المواطنين الكبار قد يفضلون زراعة أذن مكبرة قليلاً ، أذن معدلة جينياً ، بدلاً من الاعتماد على تكنولوجيا المساعدات السمعية ، وقال المتحدث الرسمى باسم شركة أوديون ، شركة المساعدات السمعية : " إننا لا نتحدث عن الآذان الصماء ، ولكن زيادة بسيطة بمقدار ٢٠٪ من حجم الصوان الخارجى يمكن أن تضاعف الكفاءة السمعية ، ونحن نعتقد أن السوق بالنسبة للآذان المكبرة سيكون ضخماً ، وعندما يمتلكها الكثير من الناس ، لن يلاحظ أحد بعد ذلك اختلافها عن الأذن الطبيعية وسيتقبلونها ، ونعتقد أن الأذن الكبيرة ستكون الشكل القياسى الجديد ، مثل حقن الصدر بالسليكون " .

الفصل ٢٢

لقد كان يوماً سيئاً لمارتى روبرتس ، وأصبح أكثر سوءاً بعد المكالمة الهاتفية التى تلقاها من إيميلى ويللر :

" دكتور روبرتس ، أنا أتحدث من المشرحة . يبدو أن هناك مشكلة فيما يتعلق بحرق جثمان زوجي " .

قال مارتى روبرتس وهو جالس فى مكتبه فى معمل الباثولوجى : " ما نوع المشكلة ؟ " .

" يقولون إنهم لا يستطيعون حرق جثمان زوجى جاك لأنه يحتوى على معدن " .

" معدن ؟ ماذا تقصدين ، أى معدن ؟ فزوجك لم يستبدل مفصل الحوض وليس لديه إصابات حرب ، هل كانت لديه .... ؟ " .

" لا ، لا . إنهم يقولون إن ذراعيه ورجليه بها مواسير معدنية ، وقد تم إزالة العظام " .

" حقاً ! وقف مارتى فى كرسيه رافعًا أصابعه فى الهواء ، ليلفت انتباه رازا فى غرفة التشريح فى الخارج . " إننى متعجب حقاً كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ " .

" لقد كنت أتصل لسؤالك عن نفس الشيء " .

" أنا لا أعرف ماذا أقول . إن ذلك خارج إرادتى تماماً ، سيدة ويللر . يجب أن أقول إننى قد صُدمت " .

فى هذا الوقت كان رازا قد حضر إلى الغرفة .

" سوف أضعك على مكبر صوت الهاتف ، يا سيدة ويللر حتى أستطيع أن آخذ بعض الملاحظات بينما نتحدث . هل أنت مع زوجك فى المحرقة الآن ؟ " .

قالت : " نعم ، وهم يقولون إن هناك مواسير من الرصاص بذراعيه وقدميه ؛ لذلك فهم لا يستطيعون حرق الجثمان " .

قال مارتى وهو ينظر لرازا : " أرى ذلك " .

هزّ رازا رأسه . وكتب على نوتة ، *لقد أخذنا فقط رجلاً واحدة ووضعنا وتداً خشبياً .*

قال مارتى : " سيدة ويللر ، أنا لا أستطيع أن أتخيل كيف يمكن أن يحدث ذلك . ربما يجب أن يكون هناك تحقيق . إنى متخوف من أن من رتبوا للجنازة بالمنزل أو ربما عمال المقبرة قد فعلوا شيئاً غير مناسب " .

" حسناً لقد قالوا إنه يجب أن يُعاد دفنه ، ولكنهم قالوا أيضاً ربما يجب أن أتصل بالشرطة ؛ لأنه يبدو أن عظامه قد سرقت . ولكننى لا أريد أن أمر خلال محنة الشرطة وكل هذه الأمور " .

قالت بعد صمت طويل : " ما رأيك يا دكتور روبرتس ؟ " .

قال : " يا سيدة ويللر دعينى أعاود الاتصال بك " .

وضع مارتى روبرتس الهاتف . " أيها الغبى الملعون ! لقد أخبرتك أن تضع خشبًا ، دائماً خشبًا ! " .

قال رازا : " أنا أعرف ذلك ، نحن لم نقم بوضع الرصاص . أقسم بأننا لم نفعل . نحن نستخدم الخشب دائما " .

قال مارتى : " مواسير رصاص " وهزّ رأسه " هذا جنون " .

" لم نكن نحن ، يا مارتى . أقسم لك لم نكن نحن . يجب أن يكون هؤلاء الأوغاد فى المقبرة . تعرف كم هو من السهل عليهم فعل ذلك ؛ فهم يؤجلون المراسم ، وتلقى الأسرة جواريف قليلة من التراب ، ويذهب الجميع إلى المنزل ، ولا يدفن التابوت فى حينها ، ولا يقومون بالدفن الفعلى لمدة يوم أو ما

يقرب . وفى هذه الليلة ، ربما حضروا وأخذوا العظام ، وأنت تعرف كيف يحدث ذلك " .

قال مارتى محدقاً إليه : " كيف تعرف ذلك ؟ " .

" لأنه حدث فى العام الماضى ، أن اتصلت سيدة ، دفن زوجها بخاتم الزواج ، وكانت تريد الخاتم . وأرادت أن تعرف إن كنا قد خلعناه من إصبعه أثناء التشريح ، ولقد أخبرناها بأنه ليس لدينا أى متعلقات ، وقد اتصلت بالمقبرة وكانوا لم يدفنوه بعد ، وقد استعادت الخاتم " .

جلس مارتى روبرتس وقال : " انظر ، إذا كان هناك تحقيق ، وإذا بدأوا ينظرون للحسابات البنكية . . . " .

" لا ، لا . ثق بى " .

" هذه مزحة " .

" مارتى ، أنا أقول لك . نحن *لم نفعل ذلك* . لم نضع ماسورة معدنية . *لا* " .

" حسناً . لقد سمعتك . لكنى فقط لا أصدقك " .

نقر رازا على المنضدة : " من الأفضل أن تستخدم الروشتة الطبية معها كنوع من التهديد " .

" سأفعل ، اخرج من الغرفة بينما أعاود الاتصال بها " .

عبر رازا غرفة التشريح ودخل غرفة تغيير الملابس لم يكن أحد هناك . لقد طلب رقماً من هاتفه الخلوى وقال : " جيسو ، ماذا فعلت يا رجل ؟ وضعت مواسير من الرصاص فى الرجل المصابة فى حادث السيارة . اللعنة ! إن مارتى قد فقد صوابه . إنهم يحاولون حرق الجثمان ولكن الرجل لديه مواسير رصاص ... يا رجل كم مرة يجب أن أقول لك استعمل خشباً ؟! " .

قال مارتى : " *سيدة ويللر* ، أعتقد أنه من الأفضل إعادة دفن زوجك . يبدو أن ذلك هو خيارك الوحيد " .

" تعنى ، إذا لم أذهب إلى الشرطة بشأن العظام المسروقة ؟ " .

" أنا لا أستطيع أن أخبرك بما تفعلينه ، يجب أن تقررى أفضل إجراء تتبعينه ، ولكننى متأكد أن التحقيق المطول للشرطة سوف يظهر روشتة طبية صدرت باسمك لحمض الاثاكرينك من صيدلية لونج وود ، بطريق موتور درايف " .

" لقد كان ذلك لاستخدامى الشخصى " .

" آه ، أعرف ذلك . ولكن مجرد سؤال كيف وصل حمض الأثاكرينك إلى جسم زوجك قد يكون شيئًا غير ملائم " .

" هل وجدت مستشفاك آثاراً لذلك الحمض ؟ " .

" نعم ، ولكنى متأكد أن المستشفى سيوقف العمل المعملى بمجرد أن تُسقطى القضية ضدهم . دعينى أعرف ماذا تعتزمين فعله ، يا سيدة ويللر . وداعاً الآن " .

وضع السماعة ونظر إلى الترمومتر فى غرفة التشريح وكانت درجة الحرارة ٥٩ فهرنهايت ، ولكن مارتى كان يتصبب عرقاً .

قالت ماريلى هنتر فى معمل الوراثة : " لقد كنت أتعجب متى ستظهر " ولم تكن تبدو سعيدة . " أريد أن أعرف بالضبط ما الدور الذى لعبته فى كل هذا ؟ " .

قال : " فى كل ماذا ؟ " .

" لقد اتصل بى كيفين ماككورميك اليوم . هناك قضية أخرى من عائلة ويللر . هذه المرة ابن المتوفى ، توم ويللر . الذى يعمل بشركة بيوتك هو من رفع القضية " .

" بم تتعلق قضيته ؟ " .

قالت ماريلى : " لقد كنت فقط أتبع البروتوكول والنظام المتبعين هنا " .

" آه . . . بأى شأن تتعلق القضية ؟ " .

" من الواضح أن تأمينه الصحى قد تم إلغاؤه " .

" بسبب ؟ " .

" أن والده كان يعانى من جين بى . إن . بى ٧١ لمرض القلب " .

" هل كان لديه ذلك الجين ؟ إن ذلك ليس له معنى ؛ فقد كان الرجل مولعاً بالصحة " .

" لقد كان لديه الجين ، إن ذلك لا يعنى أنه كان ظاهراً . لقد وجدناه في الأنسجة . ولقد تم ذكر هذه الحقيقة . ولقد التقطتها شركة التأمين وألغت تأمين الابن لأنه معرض للمرض " .

" كيف حصلوا على المعلومات ؟ " .

قالت : " إنها على الإنترنت " .

" إنها *على الإنترنت* ؟ " .

قالت : " إنه تحقيق قانونى ، وبموجب قانون الولاية يكون كل ذلك مكشوفاً وعلى الملأ ، ويطلب منا أن نضع كل نتائج المعمل فى ملف " إف . تى . بى " . وهو محمى نظرياً بكلمة سر لا يمكن لأحد تغيير بياناته ، ولكن أى شخص يمكن أن يصل إليه ويطلع على ما فيه " .

" أنت تضعين بيانات وراثية *على الإنترنت* ؟ " .

" ليس بيانات كل شخص . فقط القضايا القانونية . على أى حال فإن الابن يقول إنه لم يصرح بنشر المعلومات الوراثية الخاصة به ، وهذا حقيقى ، ولكننا إذا نشرنا معلومات عن الأب ، كما نحن مطالبون أن نفعل بموجب قانون الولاية ، فإننا أيضًا نصرح بمعلومات الابن والتى نحن مطالبون بموجب القانون *ألا* نصرح بها ؛ لأن أولاده يشاركون الأب نصف جيناته . وبطريقة أو بأخرى ، نحن نخالف القانون " ، تنهدت ثم قالت : " توم ويللر يرغب فى عودة تأمينه ، ولكنه لن يحصل عليه " .

انحنى مارتى روبرتس على المنضدة وقال : " إذن ما موقفنا ؟ " .

" لقد قاضانى السيد ويللر مع المستشفى ، وهو يصر قانوناً أن هذا المعمل لا يجب أن يمس أى مواد من عائلة ويللر " ، وقالت بازدراء : " نحن خارج القضية " .

" خارج القضية ! لا مزيد من التحقيقات ، أو حفر لاستخراج جثمان ! لم يشعر مارتى سوى بالراحة ، لقد حاول جاهداً أن يظهر أنه قلق . وقال : إن ذلك غير عادل حقاً ، أعنى الطريقة التى يدير بها المحامون مجتمعنا " .

قالت : " لا يهم . لقد انقضى الأمر ، يا مارتى ، لقد انتهى " .

عاد مارتى إلى معمل الباثولوجى متأخراً فى ذلك اليوم وقال : " رازا ، يجب أن يغادر أحدنا هذا المعمل " .

قال رازا : " أعرف ، سوف أفتقدك ، يا مارتى " .

" ماذا تقصد ؟ " .

قال مبتسماً : " لقد حصلت على عمل جديد فى مستشفى هاملتون فى سان فرانسيسكو . لقد أصيب إخصائى التشريح بأزمة قلبية . سوف أبدأ العمل اعتباراً من بعد غد ، وسأجمع أشيائى ، فإن هذا هو يومى الأخير فى العمل " .

حملق مارتى روبرتس وقال : " حسناً " . لم يعرف ماذا يقول غير ذلك .

قال رازا : " أعرف أنه كان مازال علىّ العمل لمدة أسبوعين آخرين معك ، ولكنى أخبرت المستشفى بأن هذه حالة خاصة وأنك ستتفهم . بالمناسبة ، لدى شخص يمكن أن يكون بديلاً جيداً . إنه صديق لى يدعى " جيسو " . إنه فتى جيد جداً ، يعمل فى بيت للدفن الآن ، وبذلك لن يكون هناك تغير كبير عندما أترك المستشفى " .

قال مارتى : " سأقابله ، ولكنى أعتقد أننى سأختار الفتى الخاص بى " .

قال رازاٍ : " أجل ، بالتأكيد ، لا مشكلة " ، وصافح مارتى .

" شكراً على كل شيء يا دكتور مارتى " .

ابتسم مارتى وقال : " تذكرت أخيرًا كل ما فعلت من أجلك ! " .

ابتسم رازا وغادر المعمل .

الفصل ٢٣

كان جوش وينكلر يحدق خارج نافذة مكتبه التى تطل على منطقة الاستقبال فى شركة بيوجين . كانت الأمور فى حالة من الاضطراب ؛ فمساعد جوش ، توم ويللر ، قد أخذ إجازة لمدة أسبوع لأن أباه قد لقى حتفه فى حادث تصادم سيارة فى لونج بيتش ، والآن هناك مشكلة بشأن تأمينه الصحى ، أيضاً . وهذا يعنى أن جوش يجب أن يعمل مع مساعد آخر ، لا يعرف الأنظمة . فى الخارج ، أطقم الصيانة كانت تصلح كاميرات المراقبة فى منطقة انتظار السيارات ، وعند مكتب الاستقبال بأسفل كان براد جوردون مرة أخرى يتبادل أطراف الحديث مع الجميلة ليزا . لقد تنهد جوش ، وتساءل ما نوع العصير الذى يتناوله براد ؛ بحيث يستطيع أن يفعل أى شىء يريده ، بما فى ذلك مطاردة فتاة المدير الأنيقة ؟ لأنه كان من الواضح أن براد لن يُفصل أبداً من عمله .

إن ليزا جميلة حقاً .

" جوش ، هل تسمعنى ؟ " .

" نعم ، يا أمى " .

" هل هناك شىء يشغل ذهنك ؟ " .

" لا ، يا أمى " .

قالت أمه : " إذن ماذا عنهم ؟ " .

" ماذا ؟ آسف يا أمي . ماذا كنت تقولين ؟ " .

" بخصوص عائلة " ليفاين " ، أولاد وبنات عمى " .

" أنا لا أعرف . أين يعيشون مرة أخرى ؟ " .

" في سكارسدال ، يا عزيزى " .

لقد تذكر الآن . عائلة ليفاين التى بها والدان ينفقان كثيراً . قال لها : " أمى ، هذا غير قانونى لن أستطيع القيام بذلك ".

" ولكنك قد ذهبت وفعلت ذلك لابن صديقتي لوى . لقد فعلت ذلك بنفسك " .

هذا صحيح ، ولكن جوش قد فعل ذلك فقط لأنه اعتقد أن لا أحد سيمسكه أبداً .

" والآن هذا الفتى قد أقلع عن المخدرات ويعمل في *بنك يا جوش . في بنك* " .

" ماذا يعمل ؟ " .

" لا أعرف ، أمين صندوق أو شيء من هذا القبيل " .

" هذا عظيم يا أمي " .

قالت أمه : " إنه أكثر من عظيم ، هذا الرشاش الخاص بك يمكن أن يكون صانعًا حقيقيًا للمال ، يا جوش . إنه الدواء الذى يريده كل شخص . أخيراً يمكنك أن تصنع شيئاً من نفسك " .

" حسناً ، يا أمي " .

" أنت تعرف ماذا أقصد . هذا الرشاش يمكن أن يكون عظيماً " ، توقفت ثم قالت : " ولكن يجب عليك أن تعرف كيف يؤثر هذا الرشاش على الأشخاص الأكبر سناً ، أليس كذلك ؟ " .

تنهد . لقد كانت محقة في ذلك . " نعم . . . " .

" لذلك فإن عائلة ليفاين قد يكونون مناسبين بالنسبة لك حتى تجرب كيف يؤثر ذلك الرشاش على كبار السن " .

قال : " حسناً ، سأحاول أن أحصل على قنينة أخرى من أجلهم " .

" لكلا الوالدين ؟ " .

" نعم ، يا أمى لكلا الوالدين " .

أغلق الهاتف . لقد كان يفكر ماذا يجب أن يفعله بالضبط بشأن ذلك وقرر أن يفعل شيئًا آخر ـ عندما سمع صوت سارينة لسيارة الشرطة ، وبعد لحظة توقفت سيارتان للشرطة باللون الأبيض والأسود أمام المبنى ، وتجمع أربعة رجال شرطة خارج السيارات ، ودخلوا المبنى ، ومشوا نحو براد ، الذى كان مازال منحنياً على منضدة الاستقبال يتحدث إلى ليزا .

" هل أنت برادلى . إيه جوردون ؟ " .

بعد لحظة ، أداره أحد رجال الشرطة ، وجذب ذراعيه للخلف ، ووضع بها القيود .

فكر جوش ، *إنه الانتقام الإلهى* .

كان براد يصرخ بصوت مرتفع : " ما هذا بحق *السماء* ! ما هذا بحق السماء ! " .

" يا سيد جوردون أنت مقبوض عليك بتهمة الاعتداء الشديد واغتصاب قاصر " .

" *ماذا ؟* " .

" لك الحق فى أن تبقى صامتا ـ " .

كان يصيح : " ماذا ؟ أى قاصر ؟ اللعنة ! أنا لا أعرف أى قاصر لعينة " .

حملق فيه الشرطى .

قال حسنًا : " أعلم أنى لا يجب أن أسب أحدًا ولكنى لا أعرف أى قاصر " .

" أعتقد أنك تعرف يا سيدى " .

قال براد : " أنتم ترتكبـون خطـأ كـبيراً ! " ، بينمـا بـدأوا يقودونه بعيداً .

" تعال معنا فقط يا سيدى " .

" سوف أقاضيكم من أجل ذلك " .

قالوا : " هذا الاتجاه يا سيدى " .

وذهب خلال الأبواب إلى الشمس الساطعة فى الخارج .

عندما ذهب براد ، نظر جوش إلى الأشخاص الآخرين الواقفين عند الحاجز . نصف المكتب كان ينظر لأسفل ، يتحدث ويهمس وفى الركن البعيد للشرفة ، رأى ريك دايهـل ، رئـيس الـشركة واقفاً فقط هناك ، يـضع يديـه فـى جيوبـه ، ويـشاهد كـل شـىء يحدث .

لو كان دايهل منزعجاً ؛ فهو بالتأكيد لم يظهر ذلك .

الفصل ٢٤

عبس وجه براد جوردون حزيناً وهو فى مرحاض زنزانته . شريط من ورق الحمام الرطب معلق إلى جانب السلطانية المعدنية ، وكان هناك بركة من سائل بنى أمام قاعدة الحمام . وبها نقط من الأشياء تطفو . لقد أراد براد أن يتبول ، ولكنه لن يقف فى ذلك السائل ، مهما كان ؛ فهو حتى لم يفكر فى ذلك .

تحرك مفتاح فى قفل الزنزانة خلفه . وقف . وانفتح الباب .

" جوردون ؟ دعنا نذهب " .

" ماذا هنالك ؟ " .

" المحامى هنا " .

دفع رجل الشرطة براد خلال ممر وداخل غرفة صغيرة . كان هناك رجل أكبر يرتدى حُلة ذات أقلام وفتى أصغر يرتدى جاكت دودجرز ، يجلس على منضدة ومعه كمبيوتر محمول . وكان يرتدى نظارة سميكة ذات إطار هلالى ؛ مما جعله يبدو مثل بومة ، أو هارى بوتر أو شىء من هذا القبيل . وقف كلاهما وصافحاه . لم يلتقط أسماءهم ولكنه عرف أنهم من الشركة القانونية لعمه .

قال : " ماذا يحدث هنا ؟ " .

فتح المحامى الأكبر ملفاً وقال : " اسمها كيللى تشين قابلتها فى مباراة كرة قدم ، وسعيت إليها " .

" أنا سعيت إليها ؟ " .

ثم أخذتها إلى فندق ويست فيو بلازا ، غرفة رقم ٤١٣ . . . " .

" ليست لديك القصة بشكل صحيح . . . " .

" وبمجرد أن دخلتم الغرفة قمت بالاعتداء عليها ، وهى تبلغ من العمر ١٦ عاماً " .

" يا إلهى ! هذا لم يحدث أبداً " .

حملق المحامى الأكبر فيه وقال : " أنت فى موقف سيئ جداً ، يا صديقى " .

" أقول لك إن *هذا لم يحدث أبداً* " .

" أرى ذلك . تم تصويركما معًا عن طريق كاميرا أمن الفندق فى الردهة ومرة أخرى فى المصعد ، وكاميرا الممر فى الدور الرابع سجلتك أنت والآنسة تشين وأنتما تدخلان الغرفة ٤١٣ . وبقيتما هناك ساعة وسبع دقائق ، ثم غادرت بمفردها " .

" أجل ، مؤكد ، ولكن ــــ " .

" كانت تبكى فى المصعد " .

" ماذا ؟ " .

" لقد توجهت بالسيارة إلى مستشفى المجتمع وست فيو وأبلغت أنه قد تم الاعتداء عليها واغتصابها ، وتم فحصها فى هذا الوقت ، وأخذت صور فوتوغرافية لها . لقد كان لديها تمزقات مهبلية وكدمات ، وإنها تخضع الآن للتحاليل والفحص الطبى ، وإنها تقول إنك من فعل بها ذلك " .

قال براد فى هدوء : " آه ، اللعنة ! " .

قال المحامى : " من الأفضل أن نبدأ من البداية : أخبرنى بالضبط بما حدث " .

" هذه الحقيرة الصغيرة ! " .

" دعنا نبدأ بمباريات الكرة حيث قابلتها . يقول الشهود إنهم شاهدوك في مباريات الفتيات من قبل . ماذا تفعل في هذه المباريات يا سيد جوردون ؟ " .

قال : " آه ، يا إلهى ! " .

قص براد القصة ، ولكن الرجل الأكبر قاطعه كثيراً . لقد مضى من الوقت حوالى نصف ساعة لكى يشرح ما حدث بالضبط . وكيف وصلا إلى غرفة الفندق .

قال المحامى : " أنت تقول إن الفتاة هى من بدأ الأمر معك " .

" نعم لقد كانت كذلك بالتأكيد " .

" لم تكن هناك قبلات أو علامات لعواطف فى المصعد ، أثناء الصعود " .

" لا ، لقد كانت تريد أن تبدو بمظهر المتحفظة ، شأنها شأن الآسيويات كما تعلمون " .

" أجل . الشيء الآسيوى . ولكن للأسف لم يظهر فى الكاميرا أنها كانت مشاركة راغبة فى الأمر بالكامل " .

قال : " أعتقد أنها كانت تشعر بالعصبية والتوتر " .

" متى كان ذلك ؟ " .

" حسنًا ، لقد كنا فى غرفة النوم معًا ، لقد كانت مثيرة نوعًا ما ولكن أيضاً غريبة . كما تعرف ، كانت تتراجع . كما لو كانت تريد أن تفعل وقد أبدت رغبتها ولكنها فجأة بدأت تقول لا ، أنا لا أريد أن أفعل ذلك . وبدأت تتصرف بغرابة ، ثم نهضت من جوارى قائلة إنها آسفة ولكنها تعتقد أنها يجب أن تذهب للمنزل الآن .

لقد كنت أشبه بالـ .... أوه لا عليك لأننى حينها أدركت أن هناك شيئاً خطأ ما يتعلق بهذه الفتاة . ربما تكون غريبة الأطوار أو شيئًا من هذا القبيل ، وقد تكون مُعذبة بالرغبة فى جذب

الرجال إليها ثم تركهم بعد ذلك ، لقد رأيت ذلك من قبل ــ أو ربما تكون مضطربة عقلياً ، وفى هذه الحالة أردتها أن تخرج من غرفتي ، لذلك قلت : بالتأكيد ، اذهبى ، آسف أن الأمر لم يكن مريحاً بالنسبة لك . وأخبرتنى بأنه ربما يجب أن أنتظر قليلاً فى الغرفة قبل أنا أغادر . وقلت لها : " بالتأكيد ، حسناً . وغادرت الفتاة . وانتظرت أنا ، ثم غادرت بعد ذلك أيضاً . وقال : وأقسم أن هذا هو كل ما حدث " .

" وهى لم تخبرك أبداً بعمرها ؟ " .

" لا " .

" وأنت لم تسألها أبداً ؟ " .

" لا ، لقد قالت إنها تركت المدرسة الثانوية ولن تكمل تعليمها " .

" هى ليست كذلك . هى طالبة بالصف الثانى من الكلية " .

" آه ، اللعنة " .

فترة سكون . قلب المحامى خلال صفحات الملف الذى أمامه وقال : " إذن قصتك هى ، أن هذه الفتاة قد أغرتك فى المباراة ، وأخذتها لغرفة الفندق ، وأحدثت بنفسها إصابات تناسلية ، وقادت السيارة للمستشفى ، وسجلت حادث اغتصاب . هل هذا ما حدث ؟ " .

قال براد : " يجب أن يكون كذلك " .

" هذه قصة صعبة التصديق ، يا سيد جوردون " .

" ولكن يجب أن تكون كذلك " .

" هل لديك أى دليل على الإطلاق أن قصتك صحيحة ؟ " .

صمت براد مفكراً .

قال أخيرًا : " لا ليس لدى أى شىء " .

قال المحامى : " ستكون هذه مشكلة ! " .

وبعد أن أخذ براد إلى زنزانتـه ، التفت المحـامي إلى الرجـل الصغير الذى يرتدى الجاكت والنظارة الهلاليـة وقـال : " هـل لديك أى شيء تضيفه هنا ؟ " .

" نعم " أدار الشاشة حتى يستطيع المحامي الكبير أن يـرى سلسلة من الخطوط الـسوداء المتقطعـة . " لقـد بقـى عـداد التـوتر الصوتى فى المدى الطبيعى ، وأنماط التردد التـى تعكـس تـداخلا بـين مقدمـة الجبهـة مـع النقـاط الخاصـة بـالإدراك كانـت غـير موجودة طوال الوقت . هذا الفتـى لا يكـذب . أو علـى الأقـل هـو مقتنع بأن ذلك قد حدث بهذه الطريقة " .

قال المحامى : " إن هذا شيق ، ولكن لا يهم ؛ فليست هناك أى فرصة لنخرج هذا الرجل من السجن " .

الفصل ٢٥

أوقف هنرى كيندال سيارته فى موقف انتظار السيارات بمستشفى لونج بيتش التذكارى ، ومشى نحو الباب الجانبى للمستشفى ، حاملاً وعاءً للأنسجة . لقد نزل إلى الدور السفلى إلى معمل الباثولوجى وطلب رؤية مارتى روبرتس . لقد كانا زميلين فى المدرسة العليا فى مقاطعة مارين ، وقد حضر مارتى فى الحال .

قال روبرتس : " يا إلهى ، لقد سمعت اسمك ولم أصدق أنك هنا ، لقد ظننت أنك مت يا رجل ! ".

قال هنرى مصافحا إياه : " ليس بعد ، إنك تبدو بحالة جيدة " .

" إننى أبدو سميناً . أما أنت فتبدو فى حال أفضل . كيف حال لين ؟ ".

" بخير . والأطفال بخير . كيف حال جانيس ؟ ".

" لقد انفصلنا ورحلت مع جراح قلب منذ عامين مضيا ".

" أنا آسف لم أكن أعرف " .

قال مارتى : " لقد تخطيت ذلك ، الحياة جيدة الآن . لقد كنت قلقاً حينها ، ولكن الأمور تسير على ما يرام الآن " ، ابتسم

ثم أردف : " على أى حال ألست تسكن فى طريق لا جولا ؟ أليس هذا هو مكان إقامتك الآن ؟ " .

" صحيح ، صحيح . راديال جينوميكس " .

أومأ مارتى وقال : " إذن . ما الجديد ؟ " .

قال هنرى كيندال : " أريدك أن تلقى نظرة على شىء ، بعض الدم " .

" حسناً ، لا مشكلة . هل يمكن أن أسأل دم من يكون ؟ " .

قال هنرى : " يمكن أن تسأل ، لكنى لا أعرف . أقصد لست متأكداً " .

سلم لمارتى وعاء الأنسجة . غلافاً صغيراً مبطناً بعازل ، وفى الوسط أنبوبة دم . أخرج مارتى الأنبوب .

بطاقة التعبئة تقول : " من معمل روبرت إيه . بيلارمينو آه ، إنه وقت طويل مضى منذ أن التقينا آخر مرة يا هنرى " ، ونظر بدقة للبطاقة القديمة أسفل . " وما هذا ؟ رقم يبدو مثل إف ، ١٠٢ لا أستطيع التأكد .. " .

" أعتقد أن هذا صحيح " .

حدق مارتى إلى صديقه القديم وقال : " حسناً ، تكلم بصراحة معى . ما هذا ؟ " .

قال هنرى : " أريدك أن تخبرنى أنت عن ذلك " .

قال مارتى : " حسناً ، دعنى أكن صريحاً معك ، أنا لا أفعل أى شىء غير قانونى . إننا فقط لا نفعل أشياء مثل هذه هنا " .

" إنها ليست غير قانونية . . . " .

" آه . إنك فقط لا تريد أن تحللها فى معملك " .

" هذا صحيح " .

" لذلك فأنت تقود سيارتك لمدة ساعتين لترانى " .

قال : " مارتى ، من فضلك قم بذلك " .

حدق مارتى روبرتس خلال الميكروسكوب ، ثم ضبط شاشة فيديو حتى يمكن أن ينظرا معاً . قال : " حسناً ، بنية خلايا حمراء ، هيموجلوبين ، أجزاء بروتينية ، كل شيء طبيعى تماماً . إنه مجرد دم . دم من هذا ؟ ".

سأل كيندال : " هل هو دم إنسانى ؟ " .

قال مارتى : " نعم ، ماذا هل تعتقد أنه دم حيوان ؟ " .

" أنا أسأل فقط " .

قال : " حسناً ، إذا كان دم أنواع معينة من القردة يمكن أن نميزه أما الشمبانزى والناس ، فلا نستطيع تفرقته ؛ فالدم متماثل . أتذكر أن الشرطة قد اعتقلت رجلا يعمل فى حديقة حيوان سان دييجو ، مغطى بالدم . وقد اعتقدوا أنه قاتل . واتضح أنه دم حيضى من أنثى شمبانزى . لقد حدث ذلك عندما كنت طبيبا مقيما " .

" ألا يمكنك أن تعرف تحديدًا ؟ ماذا عن حمض السياليك ؟ ".

" حمض السياليك المميز لدم الشمبانزى . . . إذن *أنت* تعتقد أنه دم شمبانزى يا كيندال " .

" أنا لا أعرف يا مارتى " .

" لا نستطيع أن نختبر حمض السياليك في معملنا . لا طلب عليه . أعتقد أن راديال جينوميكس فى سان دييجو يمكن أن يقوموا به ، مع ذلك " .

" يا له من أمر مضحك جداً " .

" هل تريد أن تخبرنى ما هذا ، يا هنرى ؟ " .

قال : " لا ، ولكنى أريدك أن تجرى اختبار الحمض النووى عليه . وعلىَّ " .

جلس مارتى روبرتس للخلف : " وقال إنك تجعلنى متوتراً ، هل تحاول أن تخوض فى أى شيء غريب ؟ " .

" *لا* ، لا شيء من ذلك . لقد كان مشروع بحث . منذ سنوات مضت " .

" إذن أنت تعتقد أن هذا الدم هو دم شمبانزى ، أو دمك ؟ " .

" أجل " .

" أو كلاهما ؟ ".

" هل ستقوم باختبار الحمض النووى لى ؟ ".

" بالتأكيد . سوف آخذ مسحة من الوجنة ، وسوف أعاود الاتصال بك خلال أسابيع قليلة " .

" شكراً ، هل يمكن أن نحتفظ بهذا بيننا ؟ " .

قال مارتى روبرتس : " يا إلهى ، أنت تخيفنى مرة أخرى . بالتأكيد . يمكن أن نحتفظ به بيننا " ، وابتسم ثم قال : " سأتصل بك عندما أنتهى من ذلك " .

الفصل ٢٦

قال محامى براءات الاختراع لجوش وينكلر : " نحن نتحدث عن براءات اختراع مبهمة " ، قال جوش مبتسماً : " استمر " . لقد كانوا فى مطعم ماكدونالدز خارج المدينة . وكان كل المتواجدين في المكان أقل من ١٧ عاماً ، لذا فلم يكن هناك فرصة أن تنتقل كلمة من اجتماعهم هذا للشركة .

قال المحامى : " لقد جعلتنى أبحث عن براءات أو طلبات براءات تتعلق بالجين الخاص بك المسمى " جين النضج " . ووجدت خمس براءات ترجع لعام ١٩٩٠ " .

" آه " .

" اثنتان من براءات الاختراع تلك كانتا مبهمتين ، وهذا ما نسميه بالبراءات الغامضة ؛ حيث يتقدم الشخص بالحصول على براءة على شيء دون أن يوضح التفاصيل الخاصة به ويترك الأمر بعد ذلك ، وحينما يأتى شخص آخر ويقوم بالعمل على ذلك الشيء - المكتشف تحدث المشكلة ؛ حيث يقوم الشخص المتقدم ببراءة الاختراع المبهم باتهامه بالسرقة . ومثال نموذجى على ذلك الجدل الذى حدث حول جين كوكس - ٢ .

إن الجدال الذى دار على براءة اختراع مثبط " جين الكوكس - ٢ " كان مشهوراً ؛ ففى عام ٢٠٠٠ منحت جامعة

روشيستر براءة اختراع عن جين يسمى " كوكس ـ ٢ " ، الذى ينتج إنزيماً يسبب الألم ، ولقد قاضت الجامعة شركة الأدوية العملاقة سيرال ، التى سوقت دواء لالتهاب المفاصل ، سليبركس ، الذى عزل إنزيم " كوكس ـ ٢ " . قالت جامعة روشيستر إن عقار سليبركس قد انتهك براءة الجين الخاص بها ، على الرغم من أن براءتهم ادعت فقط استخدامات عامة للجين لمقاومة الألم . ولم تَدَّعِ الجامعة براءة لأى دواء محدد .

وهذا ما أوضحه القاضى ، بعد أربع سنوات ، عندما خسرت جامعة روشيستر القضية التى رفعتها . حكمت المحكمة بأن براءة الاختراع التى حصلت عليها روشيستر لم تكن أكثر من خطة بحث عام فقط ليس له علاقة بدواء محدد ، وحكمت بأن ادعاءها ضد شركة سيرال كان لا أساس له من الصحة .

لكن هذه الأحكام لم تغير السلوك المستمر لمكتب البراءات ؛ فقد استمرت المكاتب فى منح براءات اختراع مبهمة ومطاطة لاكتشاف جينات متعلقة بشتى الأشياء مثل التحكم فى أمراض القلب أو الألم أو مقاومة العدوى ، وعلى الرغم من أن المحاكم قد حكمت أن هذه البراءات المطاطة المبهمة غير ذات معنى ، إلا أن مكاتب البراءات ظلت تمنحها على أى حال . حقاً ، لقد زادت عمليات التسجيل تلك ، وزادت معها الأموال التى أُنفِقت على تلك المكاتب " .

قال جوش : " ارجع للموضوع " .

" لقد راجع المحامى مذكرة كانت فى يده . " إن أفضل فرصة أمامنا هى براءة الاختراع التى صدرت عام ١٩٩٨ الخاصة بتطبيقات أمينوكاربوكسيميوكونيت ميثالديهيد ديهدروجينس ، أو ACMMD وتدعى تلك البراءة تأثير تلك الناقلات العصبية على تلافيف المخ " .

قال جوش : " هذا هو أسلوب العمل لجين النضج الخاص بنا " .

" بالضبط ، فإذا امتلكت " إيه سي . إم إم دى " يمكن أن تتحكم بفعالية فيٍ جين النضج ؛ لأنه سيكون بمقدوره التحكم فى تعبيره . حسناً " .

قال جوش : " من يملك براءة الـ " إيه سى . إم إم دى " ؟ ".

قلب المحامى صفحات وقال : " مُلئت البراءة بواسطة شركة جين كوكم ، ومقرها نيوتن ، ماساتشوستس . المنشور بفصل ١١ فى عام ١٩٩٥ . كجزء من التسوية ، كل طلبات البراءات ذهبت للمستثمر الرئيسى ، كارل ويجاند ، الذى توفى فى عام ٢٠٠٠ . وقد ذهبت البراءات لأرملته ، وهى مريضة بسرطان طرفى وتعتزم إعطاء حقوق البراءة لمستشفى بوسطون التذكارى " .

" هل يمكن أن تقوم بشيء حيال ذلك ؟ " .

قال : " فقط قل كلمتك " .

قال جوش : " افعل ذلك " ، مربتاً على يديه .

الفصل ٢٧

كم كان أمر ليزا يشغل بال ريك دايهل حقًا ، لم تتعامل معه بكل هذا البرود ، وقد تعامل مع الأمر وكأنه مشروع بحثي ؛ فقام بقراءة كتابين عن الطبيعة الأنثوية والمشاعر والتغيرات الأنثوية ، وكم أفاده ذلك في اكتساب خبرة كبيرة في التعامل معها .

تحديدًا في المرة الثانية التي التقاها فيها ، فأخيرًا وبعد طول غياب ، بدأت ليزا في الاستجابة له ومبادلته نفس المشاعر .

هكذا ما أحس به وهو ينظر إلى عينيها وإلى التعبيرات التي ارتسمت على محياها .

قالت ليزا وهي هائمة : " إنني أحبك ... أحبك حقًا يا براد " .

وقف ريك على قدميه كما لو كان قد تم ضربه عندما سمع اسم براد . ألقت ليزا يدها على فمها والتفتت بعيداً عنه . ارتعدت قليلاً ، ثم جلست ، دفعت الشعر خارج عينيها ونظرت إليه بلا مبالاة . كانت وجنتها متوردة ، وعيونها سوداء بالإثارة . قالت : " أنا آسفة حقاً " .

في هذه اللحظة غير الملائمة رن هاتف ريك . أخذته ليزا وأعطته له بسرعة .

قال ريك وكان غاضباً : " نعم ، ما الأمر ؟ " .

" سيد دايهل ، أنا بارى سيندلر " .

" آه ، كيف حالك يا بارى ؟ " .

" هل هناك شيء خطأ ؟ " .

" لا ، لا " ، ابتعدت ليزا ، ووقفت مولية ظهرها له .

" حسناً ، لدى أخبار جيدة من أجلك " .

" ما هذه الأخبار ؟ " .

" كما تعرف ، في الأسبوع الماضي رفضت زوجتك إجراء الاختبارات الجينية ، وقد حصلنا على أمر من المحكمة . جاء بالأمس " .

" نعم . . . ".

وعندما واجهناها بأمر المحكمة ، هربت زوجتك بدلاً من أن تخضع للاختبار " .

قال ريك : "ماذا تقصد ؟ " .

" لقد رحلت وتركت البلدة . لا أحد يعرف أين " .

" ماذا عن الأطفال ؟ " .

" لقد تخلت عنهم " .

" حسناً ، ومن يعتني بهم ؟ " .

" مدبرة المنزل . هل تتصل بأولادك كل يومٍ ؟ " .

" نعم ، عادة أفعل ، ولكنى كنت مشغولاً في العمل ـــ " .

" متى اتصلت بهم آخر مرة ؟ " .

" لا أعرف ، ربما ثلاثة أيام مضت " .

قال : " من الأفضل أن تذهب لمنزلك الآن ، لقد أرادت حضانة أولادك ، وقد حصلت عليها . من الأفضل أن تُظهر للمحكمة بعض المسئولية الأبوية " .

لقد وضع السماعة ، وبدا على صوته الضيق .

اتكأ ريك على ركبتيه ونظر إلى ليزا وقال : " يجب أن أذهب " .

قالت : " حسناً ، أنا آسفة . أراك لاحقاً " .

الفصل ٢٨

تحددت الكفالة بنصف مليون دولار. دفعها محامي براد جوردون . لقد عرف براد أنها نقود عمه ، ولكنه على الأقل أصبح حراً ، وبينما كان يغادر قاعة المحكمة ، مشى الفتى ذو المظهر الغريب الذي يرتدي الجاكيت الدودجرز بجانبه وقال :

" يجب أن نتحدث " .

" عن ماذا ؟ " .

" لقد نُصب لك شرك ، وأنا أعرف بالضبط ماذا حدث " .

" آه حقاً ؟ " .

" نعم . يجب أن نتحدث " .

لقد حجز الفتى غرفة لإجراء المقابلات في جزء آخر من المحكمة . لقد كان هو وبراد فقط في الغرفة . أغلق الفتى الباب ، وفتح شاشة جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به وأشار لبراد ليجلس على كرسي ، ولف الكمبيوتر الشخصي حتى يستطيع براد رؤيته .

" لقد وصل أحدهم لسجلات هاتفك " .

" وكيف تعرف ذلك ؟ " .

" لدينا اتصالات مع الشركة الناقلة " .

" وماذا ؟ " .

" لقد وصلوا إلى سجلات هاتفك الخلوى عندما كنت فى إجازة عن العمل " .

" لماذا ؟ " .

" كما تعلم فربما أن هاتفك يحتوى على تكنولوجيا " جى . بى . إس " أو نظام تحديد الموقع GPS . وهذا يعنى أن موقعك يسجل كلما أجريت مكالمة " . وضغط على مفتاح ثم قال : " لقد حددوا مواقعك خلال مدة ثلاثين يوماً ، وقد وجدنا ذلك " . لقد أظهرت الخريطة نقاطاً حمراء فى جميع أنحاء المدينة ، ولكن كانت هناك سلسلة من النقاط فى جزء واحد من ويست فيو . اقترب الفتى وقال : " هذا هو ملعب الكرة الذى كنت تتردد عليه " .

" تعنى أنهم عرفوا أنى ذهبت إلى هناك ؟ " .

" نعم . أيام الثلاثاء والخميس . لقد عرف شخص ما ذلك منذ أسبوعين مضيا " .

قال براد : " إذن كان هذا شَركاً " .

" هذا ما كنت أقوله لك ، نعم " .

" ماذا عن الفتاة ؟ " .

" نحن نراقبها . إنها ليست مراهقة عادية . نحن نعتقد أنها مواطنة فلبينية . لقد ظهرت على موقع الشبكة ، إنها فتاة رخيصة تفعل أى شىء من أجل المال . على أى حال ، هناك عدم اتساق فى قصتها . إذا نظرت إلى كاميرا الأمن فى الفندق ". ضغط على مفتاح آخر ، " أنت ترى هنا أنها تدير جسمها بعيداً عن الكاميرا أثناء الانتظار فى المصعد ، وتفتح حقيبتها ، وتلمس وجهها . نعتقد أنها كانت تضع قطرة أو مادة مهيجة للعين فى عينيها ، وعندما تخرج من المصعد بعد لحظة يمكن رؤيتها تبكى ، ولكن لاحظ : كضحية مفترض أنه تم اغتصابها ، وتبكى فى المصعد ، وتبدو منزعجة جداً ، كان المتوقع أن تذهب مباشرة

إلى استقبال الفندق وتخبرهم بأنها قد اغتصبت . يجب أن تتعجب لماذا لم تفعل ذلك " .

قال براد وتضيق عيناه : " آه " .

" فبدلاً من ذلك ذهبت مباشرة خلال الرواق إلى سيارتها ؛ فقد أظهرت الكاميرا في موقف السيارات أنها غادرت الساعة ٥:١٧ مساءً ، ووفقا لحالة المرور ، فإن القيادة من الفندق إلى المستشفى تستغرق ما بين ١١ و ١٧ دقيقة ، ولكنها لم تظهر حتى الساعة ٦:٠٥ مساءً أى بعد ٤٥ دقيقة . ماذا كانت تفعل أثناء هذا الوقت ؟ " .

" تجرح نفسها ؟ " .

" لا ، لقد جعلنا خبراء عديدين ينظرون إلى الصور من المستشفى ، والممرضة التى فحصتها كانت ممرضة خبيرة في الرضوض . لقد كانت الصور واضحة جداً . نحن نعتقد أنها قابلت شريكاً أحدث بها هذه الإصابات " .

" تعنى فتى ما . . . " .

" نعم " .

" إذن لكان قد ترك الحمض النووى الخاص به ، صحيح ؟ " .

" لقد كان يرتدى واقياً " .

" إذن على الأقل اشترك شخصان في ذلك " .

" في الواقع ، إننا نعتقد أن فريقاً كاملاً قد اشترك في ذلك الشرك الذى نصب لك . لقد تم نصب هذا الشرك بشكل احترافي . من قد يرغب في فعل ذلك بك ؟ " .

لقد كان براد يفكر في ذلك بينما جلس في زنزانته في السجن ، وقد عرف أن هناك إجابة واحدة "ريك ، إنه الرئيس . لقد أراد التخلص مني منذ بدأت العمل " .

" هذا علاوة على أنك كنت تحاول أن تكون على علاقة بفتاته . . . " .

" آه . أنا لم أكن أحاول . لقد كنت فعلاً على علاقة بها " .

" والآن تم إيقافك عن العمل ، وحصلت على تسعة أشهر ، كحد أدنى ، قبل أن تذهب للمحاكمة ، وتنتظر من عشرة إلى عشرين عاماً إذا خسرت القضية . حسناً " . أغلق الفتى الكمبيوتر الخاص به ، ووقف .

" إذن ماذا يجرى الآن ؟ " .

" نحن نتتبع الفتاة . وإذا استطعنا أن نحصل على تاريخها السابق ، ربما بعض أفلام الفيديو لها على الإنترنت ، يمكن أن نضغط على النائب العام ليسقط التهم ، ولكن إذا ذهبت القضية للمحاكمة ، فإن ذلك لا يكون أمراً جيداً " . " ريك اللعين " .

" نعم . أنت مدين له يا رفيقى " وتوجه نحو الباب . " اصنع فى نفسك معروفاً ، حسنا ؟ ابق بعيدا عن ملعب الكرة للفتيات " .

من مجلة ساينس للعلوم " اخبار الأسبوع " :

الإنسان النياندرتالى : هل الحذر المبالغ فيه يهدد الحياة ؟

العلماء يجدون " جين موت الأجناس "

استخرج عالم من علماء الإنثروبولوجى أى علم الإنسان جيناً من الهيكل العظمى للإنسان النياندرتالى ، وقد أشار العالم إلى أن هذا الجين يفسر اختفاء هذا الجنس البشرى . " إن الناس لا يدركون أن الإنسان النياندرتالى كان مخه فى الواقع أكبر من الإنسان الكرومانيونى الحديث . لقد كان أقوى وأصلب من الإنسان الكرومانيونى ، وقد صنع أدوات ممتازة ، وعاش العديد من العصور الجليدية قبل أن يظهر الإنسان الكرومانيونى فى الساحة . لماذا إذن اختفى الإنسان النياندرتالى ؟ " .

الإجابة وفقاً للبروفيسير " شيلدون هارمون " بجامعة ويسكونسين ، كانت أن الإنسان النياندرتالى حمل جيناً أدى إلى مقاومته التغيير ؛ فلقد كان الإنسان النياندرتالى أول كائن يتكيف مع البيئة من حوله ، فقد طور لنفسه أسلوب حياة منسجمة مع الطبيعة ، ولقد حد من الصيد بغرض اللهو فقد كان يحب أن يكون لكل شيء هدف ، وتحكم الإنسان النياندرتالى فى استخدام الأدوات ، ولكن نفس هذه الروح قد جعلته محافظاً بشدة ومقاوماً للتغيير . ورفض الوافد الجديد ، وهو الإنسان الكرومانيونى ، الذى نقش كهوفه ، وصنع أدوات مزينة بشكل متقن ، والذى طارد قطعانًا كاملة من الحيوانات فوق المنحدرات الشاهقة ، مسبباً انقراض أجناس منها . اليوم نحن نعتبر نقش الكهوف تطوراً مدهشاً ، ولكن رجل الإنسان النياندرتالى اعتبرها رسوماً كثيرة جداً ، غير مشروعة ، وكان يرى الأدوات المتقنة للإنسان الكرومانيونى مخربة ومدمرة للبيئة ؛ فلقد رفض هذه الابتكارات ، وتمسك بالطرق القديمة . وأخيراً انقرض كجنس بشرى لأنه قاوم أى تغيير .

على أى حال ، فإن هارمون يصر على أن الإنسان النياندرتالى قد تناسل مع الإنسان الكرومانيونى الحديث . " لقد فعل ذلك دون شك ، لأننا قد تعرفنا على نفس الجين فى الإنسان الحديث . والجين يعتبر بوضوح باقياً من الإنسان النياندرتالى ، وهذا الجين يعزز السلوك الحذر أو الرجعى ؛ فكثير من الناس الذين يرغبون اليوم فى العودة لأمجاد الماضى ، أو على الأقل يحافظون على الأشياء كما هى دون تطوير أو تغيير ، هم مدفوعون بواسطة هذا الجين من إنسان نياندرتال " . ولقد وصف هارمون الجين بأنه يعمل على تعديل مستقبلات الدوبامين فى الجانب الخلفى المطوق لتلافيف المخ وفى الفص الأيمن الأمامى ، وقال : " ليس هناك شك فيما يتعلق بأسلوب عمل هذا الجين " .

لقد أثار ادعاء هارمون عاصفة نارية من النقد من زملاء أكاديميين . فمنذ أن نشر " أى . أو ويلسون " نظريته فى علم الاجتماع منذ حقبتين لم يبرز مثل هذا الجدل الصاخب . لجامعة كولومبيا قال عالم الوراثة " فارتان جورفالد " : " إن هارمون كان يقحم السياسة فيما يجب أن يكون بحثاً علميًا خالصاً " .

قال هارمون : " هذا ليس صحيحاً على الإطلاق ، إن الجين موجود فى كل من الإنسان النياندرتالى والإنسان الحديث ، وقد تم التأكيد على عمله من فحوصات لنشاط المخ ، والارتباط بين هذا الجين والسلوك الرجعى لا يقبل الجدل . إنها ليست مسألة سياسة ، لليسار أو اليمين . إنها مسألة سلوك وتوجه إنسانى متأصل وأنه يحدد ما إذا كنت منفتحاً على المستقبل ، أو خائفاً منه ، وما إذا كنت ترى العالم نامياً ، أو متدهوراً . لقد عرفنا طويلاً أن بعض الناس يفضلون الابتكار وينظرون بايجابية نحو المستقبل ، بينما البعض الآخر خائفون من التغيير ويريدون أن يوقفوا أى تحديث ، والخط الفاصل بين هذا وذاك هو خط جينى ، ويمثل وجود أو غياب جين الإنسان النياندرتالى " .

القصة أخذت فى جريدة نيويورك تايمز فى اليوم التالى .

جين الإنسان النياندرتالى يثبت طبيعة البرنامج البيئى

الخوف من "التكنولوجيا المفرطة" مُبرر

شتوتجارت ، ألمانيا ـ إن اكتشاف عالم الإنثروبولجى شيلدون هارمون لجين الإنسان النياندرتالى ذلك الجين الذى يعزز حفظ البيئة والإبقاء عليها كما هى "يثبت الحاجة إلى سياسة بيئية سليمة" . هذا ما قاله المتحدث باسم السلام الأخضر " مارشا مادسيدن " ، ثم أردف قائلاً : " حقيقة أن الإنسان النياندرتالى خسر معركة البيئة يجب أن يصبح تحذيراً لنا جميعًا . ونحن مثل الإنسان النياندرتالى لن نبقى على قيد الحياة ما لم نتخذ إجراءً عالمياً جذرياً الآن " .

في جريدة وال ستريت

الحذر قتل الإنسان النياندرتالي

هل "المبدأ الوقائى" مهلك ؟

احذر من المخاطرة فى أسواق المال وانضم لنادى الرابحين

إعداد ستيف وينبرج

استنتج عالم إنثروبولوجى أمريكى أن الإنسان النياندرتالى قد مات بسبب مقاومة جيناته للتغير ، بمعنى آخر " إن الإنسان النياندرتالى طبق المبدأ الوقائى الذى يتمسك به غير المثقفين ، والبيئيون الرجعيون ممن يتمسكون بهذا المبدأ " . لقد كان ذلك رأى " جاك سميث " رجل الصناعة التقدمى بواشنطن ؛ فقد قال سميث إن انقراض الإنسان النياندرتالى يعتبر تحذيراً لهؤلاء الذين يعيقون التقدم ويأخذوننا للخلف لحياة كريهة ، ووحشية ، وقصيرة " .

الفصل ٢٩

عرض التلفاز الموجود فى ركن المكتب ، أن البروفيسيور شيلدون هارمون ، أستاذ الإنثروبولوجى أو علم الإنسان ومكتشف "جين نياندرتالى " ، قد تعرض لهجوم أثناء محاضرة بجردل ماء تم صبه فوق رأسه .

عُرض الحدث على الشاشة بشكل متكرر بالتصوير البطىء ، الماء المتدفق على رجل نحيف ، أصلع كان يبدو بشكل غريب لاهياً . قال ريك دايهل : " انظر إنه يبتسم ، إن كل ذلك دعاية مثيرة لتعزيز الجين " .

قال جوش وينكلر : " ربما ، لقد وضعوا الكاميرات هناك لتلحق به " .

قال دايهل : " بالضبط ، وبعيداً عن الدعاية فإن هذا الرجل يتقدم بجين نياندرتالى اللعين الخاص به ، إنه يدعى أن هذا الجين يرتبط وجوده بسلوكيات وتصرفات معينة ، وأن هذه السلوكيات ترتبط بشكل وثيق بجين النضج الخاص بنا . تنشيط التلافيف المطوقة للدماغ . . إلخ . . قد يسرق الدوى الخاص بنا والأضواء التى ستسلط علينا " .

قال جوش : " أشك فى ذلك ، هناك العشرات من الجينات تعمل على التلافيف المطوقة للدماغ " .

قال ريك : " حتى لو كان الأمر كذلك ، أعتقد أننا يجب أن نعلن عن الجين قريباً . أريد أن يخرج جين النضج إلى النور " .

قال جوش : " مع كل احترامى ، يا ريك ، ولكنّ الإعلان عنه الآن أمر سابق للأوان " .

" ولكنك قد اختبرت الجين على الفئران ، وقد سارت الأمور بشكل جيد " .

" نعم ، ولكنه لا يستحق الإعلان عنه الآن ؛ فإن إظهار صغار الفئران تدفع الروث فى القفص لن يكون خبرًا مهمًا من أخبار المساء " .

أومأ دايهل ببطء وقال : " نعم . حقيقى . نحن نريد شيئاً أفضل " .

قال جوش : " ما سبب التعجل ؟ ".

إنه مجلس إدارة الشركة ، فإن عم براد أصابه الغضب ، منذ أن تم القبض عليه . يبدو أنه يعتقد أن مشاكل براد هى خطأنا ، *وإنه على أية حال يضغط علينا حتى نخطط للدخول بالشركة فى إعلان كبير*" .

" حسناً ، ولكننا لم نصل لذلك بعد " .

" أنا أعرف . ولكن ماذا إذا قلنا فقط إننا مستعدون لبدء الاختبارات البشرية للجين ؟ ".

ارتعد جوش وقال : " لن أفعل ، أقصد نحن حتى لم نتقدم للمؤسسة الفيدرالية للأدوية " إف . دى . إيه " من أجل —— " .

" أنا أعرف ؛ فهذه هى المرحلة الأولى . إذن دعنا نقدم الطلب " .

قال جوش : "ريك ، هل تعرف ما تقتضيه المرحلة الأولى لتقديم الطلب . مقدار كبير من بيانات الأبحاث والنماذج بارتفاع عشر أقدام . هذه فقط بداية العملية ، ويجب أن نحدد جدولا زمنيًا للمراحل —— " .

هزّ ريك يده فى غير صبر : " أعرف . إن ما أقوله إننا سنعلن عنه فقط " .

" تعنى ، نعلن عنه بينما لم نعمل عليه بعد ؟ " .

" لا ، نعلن أننا سنبدأ فى العمل عليه " .

قال جوش : " لكن هذه وجهة نظرى ، ستمر شهور قبل أن نتمكن حتى من التسجيل " .

" الصحفيون لا يهتمون بذلك . سنقول فقط شركة بيوجين للبحوث في قرية ويست فيو مستعدة لبدء المرحلة الأولى من الاختبار على الجين ، وفى طريقها للتقدم بطلب لمؤسسة الأدوية " إف . دى . إيه " " .

" لجين النضج . . . " .

" نعم ، وسنصنعه مع ناقل الفيروس الارتجاعى " .

قال جوش : " وماذا سنقول بشأن ما يفعله جين النضج ؟ " .

" لا أعرف . يمكن أن نقول إن . . . إنه يعالج إدمان المخدرات " .

شعر جوش برعشة : " لماذا نقول شيئاً مثل هذا ؟ " .

قال ريك : " حسناً ، إنه منطقى ، ألا تعتقد ذلك ؟ فجين النضج يعزز السلوك المتزن والناضج والذى هو تعريف سلوك التخلص من الإدمان ؟ " .

" أعتقد . . . " .

" *تعتقد ؟* " والتفت لمواجهته وقال : " دعنا نظهر بعض الحماس هنا ، يا جوش . أنا أقول لك إنها فكرة عظيمة . ما هو معدل الانتكاس فى برامج معالجة الإدمان اليوم ؟ ٨٠٪ ؟ ٩٠٪ ؟ ١٠٠٪ ؟ معظم برامجٍ إعادة التأهيل لا تناسب معظم الناس . هذه حقيقة . كم مدمناً هناك فى البلد ؟ يا إلهى لدينا أكثر من مليونٍ فى السجون . إذن كم عدد من فى الشوارع ؟ عشرون مليوناً ؟ ثلاثون مليوناً ؟ " .

لقد بدأ جوش يعرق وقال : " ذلك تقريباً ثمانية أو عشرة بالمائة من عدد السكان " .

" ذلك صحيح تقريباً . أراهن أن عشرة بالمائة من الشعب الأمريكي يدمن المخدرات ، وعندما نضيف المشروبات الكحولية ، سنضيف إليهم عشرة بالمائة ؛ مما يجعل جين النضج منتجاً رائعاً ! " .

صمت جوش .

" ما رأيك يا جوش ؟ " .

" آه ، أعتقد أنها فكرة جيدة . . . " .

" وأنت لن تعبث معي يا جوش ، أليس كذلك ؟ " .

قال جوش : " لا ، بالطبع لا " .

" إذن فأنت لن تقوم بتعطيلي . وتقوم بضربتك الخاصة ؟ " .

قال : " لا ، لماذا تقول ذلك ؟ " .

قال دايهل : " لقد اتصلت أمك اليوم " .

" آه ، اللعنة ".

" لقد كانت فخورة جداً بما فعلت ، ولا تفهم لماذا لم أعطك ترقية " .

غاص جوش في كرسيه ، وشعر بأنه منقوع في عرق بارد ، وقال : " إذن ماذا تنوي أن تفعل ؟ " .

ابتسم ريك وقال : " أعطيك ترقية ، بالطبع ، هل تحتفظ بسجلات للجرعات التي أعطيتها ؟ " .

الفصل ٣٠

فى غرفة مؤتمرات ذات حوائط زجاجية فـى حـى ماديـسون ، كانت شركة تسويق واطسون ونايمى مـشغولة فـى تـسمية منـتج جديد . كانت الغرفة ممتلئة بأشـخاص صـغار فـى سـن المراهقـة والعشرينات ، كلهم يرتدون ملابس غير رسمية ، كما لـو كـانوا يحضرون حفل موسيقى روك ، وليس الاستماع إلى محاضرة جافة من محاضر يقف على المنصة يرتدى رباط عنق ويتحدث عن جين يسمى " إيه ٥٨٧٩٩٦ . بى " . لقد كان البروفيـسير الآن يعـرض رسوماً لعمـل الإنـزيم ، خطوطـاً سـوداء غـير متقنـة علـى اللـوح الأبيض . كان الفتيان مسترخين بحكمة فـى مقاعـدهم ، يـأكلون ثمر العليق . فقط القليل منهم حاول أن يركز على المادة .

كان العالم النفسى الذى يدعى " بول جودى " ، قائد الفريـق يجلس فى نهاية الغرفة ، وقـد قـام بلـف إصـبعه فـى الهـواء ؛ ليعطى إشارة للبروفيسيور لكى ينتهى . بـدا البروفيـسير الـذى يرتدى رباط العنق مندهشاً ، لكنه اختتم بسلاسة .

قال : " وفى إيجاز ، لقد فصل فريقنا فـى جامعـة كولومبيـا جيناً يعزز الانسجام الاجتماعى والتماسـك والترابـط الجمـاعى . وهو يقوم بذلك بتنشيط اللحاء الأمـامى للمـخ ، منطقـة معروفـة بأهميتها فى العمل على المعتقدات . لقد أظهرنا تأثير هذا الجين

بتعريض عينة تجريبية من الأشخاص لأفكار تقليدية وجدلية . الأفكار الجدلية تنتج إشارةً أمامية في المخ ، بينما الأفكار التقليدية تخلق نشاطاً منتشراً في المخ ـ وهو ما يمكن أن تسميه توهجاً دافئاً ، وهكذا فقد أظهرت العينة التجريبية عند حقنها بالجين تفضيلاً واضحاً للتفكير التقليدى والأفكار المألوفة . وقد أظهر الأشخاص ممن كانوا في العينة تفضيلاً للتفكير الجماعى بكل أنواعه ؛ فإن هذا الجين قد جعلهم يحبون التلفاز ، ويحبون لعبة كرة القدم ، ويحبون حفلات الكوكتيل ، ويحبون الحديث القصير ، ويحبون أن يكونوا فى اتفاق مع الناس حولهم . إن الجين الخاص بنا هو قوة مهمة للثبات الاجتماعى والحضارة ؛ حيث إنه الجين الذى يعزز الحكمة التقليدية ، فإننا نسميه الجين التقليدى " .

صمت الحاضرون . مذهولين ، وأخيراً قال واحد منهم " *تسميه ماذا ؟* " .

قال : " الجين التقليدى " .

" يا إلهى ، هذا اسم فظيع ! " .

" عليك بالانتحار " .

" أنس ذلك " .

قال البروفيسير بسرعة : " أو نسميه جين التحضر " .

امتلأت الغرفة بأصوات تأوهات . " جين التحضر ؟ إن هذا أسوأ ! " .

" اسم رهيب " .

" اقفز من على كوبرىٍ ! " .

بدا البروفيسير مرتبكاً وقال : " ما العيب فى هذا الاسم ؟ الحضارة شىء جيد ، أليس كذلك ؟ " .

تقدم قائد الفريق بول جودى من الخلف وصعد على المنصة وقال : " بالطبع ، المشكلة أن لا أحد فى هذا البلد يريد أن يفكر فى نفسه كشخص متعاون أو متحضر ؛ بل إن النقيض هو السائد

ـ إننا جميعًا أفراد مستقلون متجهمون . كلنا متمردون ضد المؤسسات . نحن نقف ، ونعترض ، ونفعل أشياءنا الخاصة ، ونسير فى طريقنا الخاص . قطيع العقول المستقلة ، كما أسماه البعض . لا أحد يريد أن يشعر بأنه ليس متمرداً . لا أحد يريد أن يعترف برغبته فى التوافق مع المجتمع " .

قال البروفيسير : " ولكن فى الحقيقة ، كل شخص يريد أن يتوافق مع المجتمع ، على الأقل ، تقريباً كل شخص . فإن حوالى ٩٢٪ من الأشخاص لديهم جين الحكمة التقليدية . المتمردون الحقيقيون ينقصهم ذلك . وهم يكونون ــــ " .

قال قائد الفريق : " توقف هنا تماماً " ممسكاً يده ، ثم أردف : " توقف فقط . هل تريد أن تجعل الجين الخاص بك قيماً ؛ هذا يعنى أنه يخلق شيئاً يريد الناس امتلاكه ـ شيئاً مثيراً ومرغوباً . الحكمة التقليدية ليست مثيرة أو مرغوبة . هذا ما تحاول المجموعة أن تخبرك به ، وأشار نحو مقعد قائلاً : " قد ترغب فى الجلوس يا بروفيسور " .

عاد جودى إلى جماعة الحضور ، التى كانت تبدو الآن منتبهة قليلاً .

" حسناً . يا جماعة ، دعكم من هذا . دعونا نسمع الأسماء المقترحة " .

قال شخص ما : " ما رأيكم فى جين الذكاء ؟ " .

" اسم جيد ولكن غير دقيق " .

" جين البساطة " .

" اتجاه جيد ... "

" الجين الاجتماعى " .

" مفرط فى البيع " .

" جين الاجتماعية " .

" اسم علاجى " .

" جين الحكمة . الجين الحكيم " .

" الجين الحكيم . جيد ، جيد جداً " .

" جين التفكير السليم " .

" ماوى أو بوذى جداً . هيا ، استيقظوا هنا ! ".

" جين الحفلة " .

" جين اللهو " .

" جين المرح " .

" الجين السعيد " .

" جين عش الحياة " .

عبس وجه جودى ، وأمسك بيده مرة أخرى . قال : " هيا أعيدوا التفكير ، ابتكروا أفكاراً اعصفوا أذهانكم . ما مشكلتنا ؟ الجين فى الحقيقة هو جين من أجل الحكمة التقليدية ـ جين الحكمة التقليدية ـ ولكننا لا نريد أن نقول ذلك . إذن ما الشىء الجيد فى الحكمة التقليدية ؟ ماذا يفعل اعتناق الحكمة التقليدية للشخص ؟ بسرعة ، الآن " .

" يجعلك تنتمى للآخرين " .

" لا تختلف عنهم " .

" تفكر مثلما يفكر كل شخص آخر " .

" يقلل الاحتكاك بين الأفراد " .

" يجعل الناس يتناغمون مع المجتمع " .

" يعنى أنك تقرأ جريدة التايمز " .

" لا ينظر إليك أحد بشكل هزلى " .

" يجعل حياتك أبسط " .

" لا يجعل هناك جدالاً " .

" تشعر بأمان فى التعبير عن رأى ما " .

" يتفق الجميع معك " .

" أنت شخص صالح " .

" تشعر براحة " .

" يجعلك مرتاحاً ".

فرقع جودى أصابعه وأشار : " *حسناً* . التفكير التقليدى يجعلنا مرتاحين . . . نعم ! لا مفاجآت ، لا ضيق . فى هذا العالم المجنون ، كل شىء يتغير باستمرار ، كل دقيقة . إنه ليس مكاناً مريحاً . وكل شخص يريد أن يشعر بالراحة ، صحيح ؟ زوج قديم مريح من الأحذية ، سترة مريحة ، كرسى محبب . . . " .

" جين الراحة " .

" الجين المريح " .

" جين رفاهية . جين الرفاهية " .

" الجين السعيد " .

" جين الصداقة ؟ جين اليسر " .

" الجين المهدئ . جين الهدوء " .

" جين السكون . جين البلسم " .

استمر ذلك لبعض الوقت ؛ حتى أخيراً كان هناك تسعة مرشحين يكتبون الأسماء التى اقترحوها على السبورة البيضاء . وحدث جدال صاخب بينما كانت الأسماء غير المرغوبة تحذف ، على الرغم من أن كل الأسماء كانت تختبر من حيث المفهوم بواسطة الجماعة الحاضرة ، وفى النهاية وافق الجميع على أن الفائز يكون " جين الراحة " .

قال جودى : " دعنا نختبره فى الميدان ، يا بروفيسير ، أخبرنا أين سيذهب هذا الجين ، تجارياً ؟ " .

لقد أوضح البروفيسير . إن هذا السؤال مبكر جداً للإجابة عنه . لقد فصلوا الجين ، ولكنهم لم يعرفوا بعد المدى الكامل للأمراض المرتبطة به ، على أى حال ؛ حيث إن كل شخص تقريبًا فى العالم يحمل جين الراحة ، فإنهم يعتقدون أن كثيراً من الناس ربما عانوا من شذوذ جينى فيما يتعلق بهذا الجين . على سبيل المثال : الأشخاص الذين لديهم رغبة شديدة فى

الانضمام للأغلبية ـ قد يعود ذلك إلى خلل جيني . والأشخاص الذين شعروا باكتئاب عندما كانوا وحيدين بمفردهم ـ يمكن أن يكون ذلك خللاً آخر . الأشخاص الذين انضموا لمسيرات الاحتجاج ، أو ذهبوا لمباريات رياضية ـ الذين يبحثون عن مواقف يكونون محاطين فيها بالكثير من الناس متشابهي العقول ـ هذا أيضًا خلل جيني محتمل ، ثم هناك أشخاص كذلك يشعرون بأنهم مضطرون للموافقة على آراء من هم معهم ، مهما كان ما يقولونه ـ وهذا خلل آخر ، وماذا عن الأشخاص الذين يخشون أن يفكروا لأنفسهم ؟ يخافون من الاستقلال عن الجماعة المحيطة ؟

قال البروفيسير : " دعنا نواجه ذلك ، هناك الكثير من الناس ينطبق عليهم ذلك ؛ فهناك الكثيرون ممن لا يفكرون لأنفسهم ويعتمدون على الآخرين في توجيه حياتهم " .

سأل شخص ما : " تعني أن كل هذه السلوكيات ستعتبر مرضية ؟ " .

أجاب البروفيسير : " كل سلوك قهري هو مرضي " .

" ولكن ماذا عن السلوكيات الإيجابية ؟ ومسيرات الاحتجاج ؟ ".

قال البروفيسير : " إن دورنا هو الإشراف على عملية التعرف على مجموعة الأمراض المرتبطة بعمل هذا الجين ، وهي الاضطرابات المرتبطة بالمخالطة الاجتماعية ، ولم يتم تحديد هذا الاضطراب أو الشذوذ الجيني بشكل دقيق ، ولكن جامعة كولومبيا قد تقدمت ببراءة اختراع لهذا الجين ، بمعنى أن هذا الجين ستكون له قيمة متزايدة إذا تم التعرف على الاضطرابات المتعلقة به بشكل مؤكد .

سعل جودي وقال : " لقد ارتكبنا خطأ ؛ فهذا كله خلل متعلق بالمخالطة الاجتماعية . يجب أن يسمى هذا الجين بجين المخالطة الاجتماعية .

وقد كان كذلك .

من *بيزنس أون لاين* :

العلماء يكتشفون جيناً للمخالطة الاجتماعية

هل الميل للمخالطة الاجتماعية سمة وراثية ؟ يعتقد العلماء بمعامل موركومب ، بجامعة كولومبيا أن الأمر كذلك ، ولقد ذكروا أنهم قد وجدوا جيناً ينظم هذه المسألة ، وأنهم قد تقدموا بطلب براءة لاكتشاف هذا الجين ...

تعليق المحرر من جريدة *نيويورك تايمز* :

جين المخالطة الاجتماعية ؟ متى يتوقف هذا الهراء ؟

يدعى الباحثون فى جامعة كولومبيا أنهم قد اكتشفوا جين المخالطة الاجتماعية . ماذا بعد ذلك ؟ هل سيكتشفون جين الخجل ؟ جين العزلة ؟ جين التدين ؟ ماذا عن جين " ابتعد عن ظهرى " ؟

إن الباحثين فى واقع الأمر ، يستغلون نقص معرفة الجمهور بالكيفية التى تعمل بها الجينات . لا يوجد جين بمفرده يتحكم فى سمة سلوكية . لسوء الحظ أن الجمهور لا يعرف ذلك ؛ فهم يعتقدون أن هناك جيناً للون العين ، وللطول وتجعد الشعر ، وهو ما يجعلهم يصدقون أمر وجود جين للمخالطة الاجتماعية ، ولن يتحدث علماء الوراثة عن هذه الادعاءات الزائفة ؛ فهم يجلسون جميعاً فى مجالس إدارة شركاتهم الخاصة ، وهم فى سباق للتعرف على الجينات التى يمكن أن يحصلوا على براءاتها لمصلحتهم الخاصة .

هل سيتوقف ذلك الهراء ؟ من الواضح أنه لن يتوقف .

من جريست أون لاين :

هل تشعر بأنك شخص اجتماعى ؟ هذا أمر له براءة اختراع

تقدم مكتب البحوث بجامعة كولومبيا بطلب براءة اختراع لاكتشاف يقال إنه يتحكم فى المخالطة الاجتماعية . هل هذا يعنى أنه فى يوم من الأيام يجب أن تصبح الأدوية المضادة للاكتئاب ، وأدوية الإدمان والقلق ملكية خاصة لكولومبيا ؟ وقد ذكر أن شركات الأدوية العملاقة فى سويسرا تتزايد بجنون لترخيص هذا الجين !

الفصل ٣١

كانت لجنة استماع تقصى الحقائق التابعة للهيئة الاستشارية للمراقبة على الأخلاقيات البيولوجية بالمعاهد القومية للصحة فى بثيسدا قد تشكلت بعناية حتى يكون هناك شعور بالتآلف دون أى تهديد . جلس الجميع على نفس الطاولة بغرفة الاجتماعات بالدور الثالث من المبنى الرئيسى ، كان المكان مألوفاً بالنسبة للجميع ، بنفس الإشعارات المثبتة على جدران الغرفة للتنويه عن المنتديات القادمة ، وصانع القهوة العجوز يحدث بقبقة فى الركن . لقد كانت القهوة التى يصنعها معروفة برداءتها ؛ ولم يكن يشربها أحد .

كان العلماء الستة بالهيئة الاستشارية للرقابة على الأخلاقيات يرتدون ملابس أكثر رسمية من أجل هذا الاجتماع . معظمهم ارتدى جاكتاً ، حتى إن أحدهم قام بارتداء رباط عنق . ولكنهم جلسوا مترهلين ومسترخين ، بينما كانوا يتحدثون للشخص الذى يتم التحقيق معه ، وهو الدكتور رونالد مارش البالغ من العمر ٤١ عامًا ، الذى جلس على نفس الطاولة معهم .

" وكيف ماتت تحديداً تلك الفتاة التى تبلغ من العمر ١٢ عامًا ؟ " .

كان دكتور مارش أستاذ الطب بجامعة تكساس فى أوستين .
" لقد كانت تعانى من قصور خلقى فى عامل النقل الجينى أو ما يسمى بمرض " سى . تى . إف . دى " ، وهو نقص جينى قاتل . وقد تم علاج الفتاة بالحمية ، والغسيل الكلوى منذ أن كان عمرها تسعة شهور . لقد أظهرت بعض النمو القزمى ولكن دون تخلف عقلى ، وقد أرادت هى وأسرتها القيام بهذا الإجراء على أمل أنها قد تحيا حياة طبيعية ، وألا تظل مقيدة وأسيرة لكرسى متحرك طوال عمرها ، وكما تعرف فإنها ليست حياة خصوصًا بالنسبة لطفلة صغيرة " .

استمع الجالسون حول الطاولة بمشاعر جامدة .

وأكمل مارش : " ومن خلال رؤيتنا المستقبلية ، أدركنا جميعًا أنه لن يمكن الحفاظ على حياتها خلال فترة المراهقة ؛ فلقد كانت التغيرات الهرمونية قد بدأت بالفعل تؤثر على الأيض أى التغيرات الكيميائية فى الخلايا الحية ، وكانت ستموت بالتأكيد خلال ثلاث أو أربع سنوات . وعلى هذا الأساس شرعنا فى هذا الإجراء ، وهو إدخال الجين فى جسمها " ، توقف وقال : " لقد كانت المخاطر معروفة " .

قال أحد العلماء " هل تمت مناقشة هذه المخاطر مع الأسرة ؟ " .

" بالطبع . بالتفصيل " .

" ومع المريضة ؟ " .

" نعم . لقد كانت فتاة ذكية . لقد كانت أول من اقترح هذا الإجراء . لقد قرأت عنه فى الإنترنت ، وفهمت أن المخاطر كانت ضخمة " .

" هل أعطيت الأسرة تقديرًا لهذه المخاطر ؟ " .

" لقد فعلنا . وقد أخبرناهم بأن فرص النجاح ، بمعدل ٣٪ " .

" واستمروا فى الإجراء رغم ذلك ؟ " .

" نعم . لقد دفعتهم ابنتهم لذلك . لقد شعرت أنها إذا كانت ستموت على أى حال ، ففي إمكانها أن تأخذ المخاطرة " .

" لقد كانت قاصرًا ... " .

قال مارش : " أجل ، ولكنها هى أيضًا من كان يعانى من المرض " .

" هل لديك إقرارات موقعة ؟ " .

" نعم " .

" لقد قرأنا هذه الإقرارات ، وشعر بعضنا بأن تلك الإقرارات قد كتبت بلهجة إيجابية غير واقعية ، مقللة من المخاطر الحقيقية ، للأمر " .

قال مارش : " هذه الإقرارات قد تم إعدادها بواسطة الإدارة القانونية بالمستشفى ، وسوف تلاحظون أن الأسرة قد وقعت على بيان يفيد بأنهم قد أُخبروا بالمخاطر كاملة ، وما قيل لهم أيضًا مذكور فى الجدول البيانى للمريض ؛ فنحن ما كنا لنستمر دون الموافقة الكاملة على كل شيء ؟ " .

أثناء هذا الحديث ، مر رئيس الهيئة الدكتور روبرت بيلارمينو خلسة داخل الغرفة وجلس فى كرسى فى نهاية الطاولة .

تم سؤال الدكتور مارش : " إذن قمت بالعملية على أية حال ؟ " .

" فعلنا " .

" ما نوع الناقل الذى استخدم ؟ " .

" سائل وريدى معدل للحمى الغدية ، مع أنظمة بارلو القياسية لكبت المناعة " .

" والنتيجة ؟ " .

" بلغت ذروة الحمى فوراً . وصلت درجة حرارتها ١٠٧ فهرنهايت ، وظهرت عليها علامات فشل وظائف أعضاء متعددة

فى اليوم الثانى ، ولم تستعد وظائف الكبد أو الكلى ، وفارقت الحياة فى اليوم الثالث " .

فترة صمت قصيرة .

قال مارش : " إذا سمحتم لى أن أضيف تعليقًا شخصيًا على هذا ، لقد كانت هذه التجربة تجربة قاسية ومحطمة لنا جميعًا فى المستشفى ، ومحطمة لى أنا شخصيًا . لقد اعتنينا بهذه الطفلة منذ طفولتها . لقد كانت ... محببة لدى كل شخص من العاملين . لقد كانت بمثابة شعاع صغير من شروق الشمس يبزغ كلما جاءت للعيادة . لقد حاولنا القيام بهذا الإجراء الخطير لأنها أرادته ، وقبل أن أنام أسأل نفسى ، هل كان ما فعلته هو الشىء الصحيح ؟ فإنى دائمًا أشعر أن لدى التزاماً بخوض المخاطرة مع المريض ، إذا كانت تلك هى رغبته لقد أرادت الحياة ، فكيف لى أن أحرمها من هذه الفرصة ؟ " .

" ولكن فريقك ليس لديه الخبرة فى زرع الجينات ! " .

" لا ، لقد فكرنا فى إرسالها لفريق آخر " .

" ولماذا لم تفعل ؟ " .

" لم يرد أحد القيام بالإجراء " .

" وبماذا يشير إليك ذلك " .

تنهد مارش وقال : " هل رأى أحدكم مريضًا يموت نتيجة لمرض " سى . تى . إف دى " ؟ إن كليته تتكرز ، والكبد يتوقف عن العمل والجسم يتورم ويتحول للون الأرجوانى القاتم . ولا يستطيع التنفس ، فيصبح فى حالة من الألم ويموت بعد يومين . هل كان يجب أن أنتظر أن يحدث ذلك لهذه الطفلة المحببة إلى النفس . لا أعتقد ذلك " .

سادت لحظة أخرى من السكون على الحاضرين " لقد كانت هناك حالة عامة من عدم الاستحسان ولماذا تقوم أسرتها برفع قضية الآن ؟ " .

هز مارش رأسه : " لم أتمكن من التحدث إليهم " .

" لقد ذكروا فى مستندات المحكمة أنه لم يتم إخبارهم " .

قال مارش : " لقد تم إخبارهم ، انظروا لقد كنا نأمل جميعًا أن تنجح هذه المحاولة . لقد كان كل شخص متفائلاً . ولم يستطع الوالدان حقًا قبول حقيقة أن معدل ٣٪ للنجاح يعنى أن ٩٧٪ من المرضى يموتون . ٩٧٪ . إنه تقريبًا موت مؤكد . لقد عرفوا ذلك ، ولكن عندما تحطمت آمالهم ، بوفاة ابنتهم ، شعروا بأننا قمنا بخداعهم ، المحاولة ، ولكننا لم نخدعهم " .

بعد أن غادر مارش الغرفة ، اجتمعت الهيئة الاستشارية فى جلسة مغلقة . كان ستة من الأعضاء السبعة غاضبين . لقد جادلوا أن مارش لم يكن يقول الحقيقة الآن ، ولم يقل الحقيقة من قبل . وقالوا إنه شخص متهور . وقالوا إنه بفعلته تلك قد أساء لسمعة علم الوراثة ، الأمر الذى على علم الوراثة أن يتجاوزه الآن ويعيد تصحيحه ، وتحدثوا عن الغرب الطائش الجامح ، وكيف أنه تسرع بطيش للقيام بشىء لم يتم الاستعداد له بعد ، ولم تكن نتائجه مضمونة .

لقد كانوا يتحركون بوضوح نحو تعنيف مارش والتوصية بأن يفقد ترخيصه ، وقدرته على التقدم لمنح حكومية .

لم يقل رئيس الهيئة شيئًا لوقت طويل . أخيرًا تنحنح وقال : " لا يسعنى إلا التفكير فى أن هذه المجادلات هى تمامًا مثل التى واجهها كريستيان بارنارد حينما قام بأول عملية زرع قلب " .

قال أحد أعضاء الهيئة معارضاً : "ولكن هذا ليس بداية أى شىء ــــ " .

" القيام بشىء لم يتم الاستعداد الكامل له بعد ، وعدم السعى للحصول على موافقة مناسبة . ومثوله أمام القضاء ، جميعها أمور عادية فى بداية الطريق . دعونى أذكركم ماذا كانت إحصائيات بارنارد الأولية فى بداية تجربته . فارق أول سبعين

مريضاً الحياة فورًا . ولقد تم تسميته بالقاتل والدجال ، ولكن الآن ، تجرى أكثر من ألفى عملية زراعة قلب فى العام فى هذا البلد . معظمهم يعيش من خمس إلى خمسة عشر عامًا . زرع الكلى أصبح شيئًا نمطيًا . زراعة الرئة والكبد التى كانت تعتبر منذ سنوات قليلة عملية عنيفة ، أصبحت مقبولة الآن . كل علاج جديد يمر خلال مرحلة خطيرة ورائدة فى بدايته . وسوف نعتمد دائمًا على الأفراد الشجعان ، مثل الدكتور مارش ، للخوض فى المخاطر ! " .

" ولكن ، لقد تم مخالفة الكثير من القواعد ـــــ " .

قال بيلارمينو : " ماذا ستفعلون للدكتور مارش ؟ الرجل لا يستطيع النوم فى الليل . وأنتم ترون ذلك فى وجهه . إن مريضته المحببة ماتت تحت رعايته . ما العقاب الأكبر من ذلك الذى يمكن أن تنزلوه به ؟ ومن أنتم لتخبروه بأنه فعل الشىء الخطأ ؟ " .

" ولكن القواعد الأخلاقية ـــــ " .

" لم ينظر أحدنا لعيون تلك الفتاة الصغيرة . لا يعرف أحد منا حياتها ، ومعاناتها ، وآلامها ، وآمالها ولكن مارش فعل . لقد عرفها لمدة سنوات ، فهل نقف الآن للحكم عليه ؟ ".

ساد الغرفة الصمت التام .

فى النهاية ، صوتوا على توجيه اللوم للعاملين بالإدارة القانونية لمستشفى تكساس ، ولا عقوبة بالنسبة للدكتور مارش . لقد جعلهم بيلارمينو يتخذون قراراً مخالفاً لما عزموا عليه ، وقال أحد أعضاء الهيئة لاحقا : " لقد كان بيلارمينو الكلاسيكى يتحدث مثل واعظ ، يتضرع إلى الله بمهارة ، وبطريقة ما يقنع الأشخاص من حوله بما يريد تماماً ويدير الأمور إلى دفته ، مهما كان من أصابه الأذى أو مهما حدث . إن روب يستطيع أن يبرر أى شىء . إنه نابغ فى ذلك " .

لكن في الحقيقة ، قبل أن تقوم الهيئة بالتصويت النهائي للبت في هذا الأمر ، كان بيلارمينو قد غادر الغرفة ؛ لأنه كان قد تأخر على اجتماعه التالى .

عاد بيلارمينو من اجتماع هيئة الرقابة على الأخلاقيات البيولوجية متوجهاً إلى معمله ؛ حيث كان سيعقد اجتماعًا مع أحد الأطباء الحاصلين على درجة الدكتوراه . لقد حضر ذلك الطبيب الشاب من مركز كورنيل الطبى ؛ حيث قام بعمل رائع في مجال التقنيات التى تتحكم فى تشكيل مادة الكروماتين الصبغية فى نواة الخلية .

عادة ، ما يوجد الحمض النووى الخاص بالخلية داخل النواة ، وقد تخيل معظم الناس الحمض النووى في شكل حلزون مزدوج ، السلم الملتوى الشهير الذى اكتشفته شركة واطسون وكريك ، ولكن ما هذا السلم إلا شكل واحد فقط من ثلاثة أشكال أخرى قد تكون داخل الخلية ؛ فيمكن للحمض النووى أيضاً أن يأخذ شكل جديلة واحدة ، أو هيكل أكثر تعقيدًا يسمى قسيمة مركزية ، والشكل المحدد يعتمد على البروتين المرتبط بالحمض النووى .

لقد كان ذلك مهمًا ؛ لأنه عندما يُضغط الحمض النووى ، فإن جيناته تكون غير متاحة للخلية . وأحد الطرق للتحكم فى الجينات هو تغيير الكروماتين للأقسام المختلفة للحمض النووى .

على سبيل المثال ، عندما تُحقن الجينات فى خلايا جديدة ، يجب أن يتم اتخاذ خطوات إضافية لجعل الكروماتين فى شكل محدد متاح ، عن طريق استخدام مواد كيميائية مضافة .

لقد أجرى طبيب بيلارمينو الجديد بحثًا متقدمًا على المعالجة باستخدام الميثيل من خلال بروتينات معينة ، وتأثيرها على هيكل الكروماتين . لقد كان موضوع بحث ذلك الطبيب الشاب

" التحكم في الوصول إلى بروتين الجينوم وتحفيز انتقال ادنين الميثيل " لقد كان عنوانا مثالاً للوضوح والمباشرة ، وقد دل دون شك على أهمية موضوع البحث ، والسمعة التى سيكسبها ذلك الطبيب الشاب من بحثه .

كان بيلارمينو جالسًا فى مكتبه مع الطبيب ، الذى كان ينظر بشغف بينما يقلب بيلارمينو الأوراق التى أمامه . " ممتاز ، إنه عمل ممتاز ، أعتقد أن هذا البحث قدم فائدة كبيرة للمعمل . وبالطبع لك أنت أيضاً " .

قال الفتى " شكرًا ، ياروب " .

قال بيلارمينو : " وقد ذكرت المؤلفين السبعة المشاركين فى العمل فى مكانهم ، وقد وضعت اسمى بشكل مناسب فى بداية القائمة ؟ ".

قال : " لقد جعلت ترتيب اسمك الثالث فى القائمة " .

" فى الواقع ، أنا أتذكر المحادثة التى دارت بيننا منذ شهور قليلة ، والتى ناقشنا فيها تقنيات المعالجة بالميثيل ، وقد اقترحت عليك ـ " .

" نعم ، أنا أتذكر . . . " .

" وإننى أرى أن ما اقترحته عليك هو نفس التقنيات التى تناولتها فى بحثك . لذا ، فأنا أشعر بقوة بأننى يجب أن أكون على قمة المؤلفين " .

ومضت عين الفتى وقال : " أم م . . . . " وازدرد ريقه .

قال بيلارمينو : " ذلك يضمن أن البحث سيستشهد به كثيرًا ، وهو الشيء المهم لعمل بهذا الحجم . وبالطبع هو مسألة شكليات . وعندما تأتى كمؤلف ثان فى القائمة سيفهم أنك قمت بالأعمال البحثية التى تتطلب الانتقال من مكان إلى آخر ، وأنك قمت بالاختبارات المعملية الفرعية . وبالنسبة لموقفك ، فإننى أرى أنك ستخرج من الأمر فائزا ، فبذلك ستفوز جميع الأطراف ، سوف تحصل على إشادات عظيمة ، وسترى الكثير

من المنح تأتى إليك " . ابتسم بيلارمينو وأردف قائلاً : " يمكن أن أؤكد لك ذلك . وسيكون عملك التالى مستقلاً بالكامل . وفى خلال عام أو اثنين ، سأدعمك لتحصل على معملك الخاص " .

قال الطبيب الشاب : " إنى ، أف . . . إنى أفهم ".

" حسنًا ، حسنًا . قم بالتغييرات اللازمة ، وأعده لى مرة أخرى . وسوف أقدمه لمجلة " ناتير " أو الطبيعة . أعتقد أن هذا البحث يستحق أن ينشر فى مكان أفضل من مجلة العلوم " ساينس " ، والتى أصبحت فى الحضيض هذه الأيام . سوف أتصل بمجلة الطبيعة وأتأكد من أن المحرر يفهم أهمية هذا البحث ، وأتأكد من أنه سيطبع فورًا " .

قال الطبيب : " شكرًا ، يا روب " .

قال روب بيلارمينو : " على الرحب " .

" فن حى " للعرض

كائنات محورة جينيًا فى معرض
مخلوقات حية للبيع

فى لندن ، عرضت الفنانة " لورا سينتى " من جنوب إفريقيا صبارًا محورًا جينيًا يحتوى على مواد جينية بشرية . ونما له شعر بشرى . قالت سينتى : " إن الصبار بكل شعره الخارج منه يوضح كل الرغبات فى الانطلاق والتحرر ؛ فإنها لا تريد أن تحبس ولكنها تريد أن تتحرر " .

وعندما تم سؤالها عن رد فعل الجمهور ، قالت سينتى : " الرجال الصلع كانوا مهتمين بشكل خاص " .

وقد قدمت الفنانة " مارتا دى مينزيس " فراشات مُعدلة ؛ حيث كان هناك جناح مختلف عن الآخر وقالت : " إن الناس كانوا مصدومين فى البداية ، ولم يعتقدوا أنها كانت فكرة جيدة " وقالت إن الخطوة التالية ، أنها ستجعل خطوط سمك الحمار الوحشى رأسية

بدلاً من أفقية حتى يبدو السمك فى شكله مثل الحمار الوحشى . وهذه التغييرات ستكون وراثية ؛ حيث ستخرج الأجيال التالية من السمك بنفس التغييرات .

وقد نمى الفنان الفنلندى " أورون كاتس " جناحات لحصان فى مزرعة من الخلايا الجذعية للب عظم الحصان . وقال إن الفريق كان يشغل الموسيقى لخلايا الخنزير لجعلها تكبر . " وقد قمنا بتنزيل العديد من الأغانى الخاصة بالأحصنة من على شبكة الإنترنت . . . وشغلناها للخلايا " وقال يبدو أن الخلايا كانت تنمو بشكل أفضل مع الموسيقى .

وقد صنع الفنان المقيم فى شيكاجو " إدواردو كاك " ، أرنبًا محورًا جينيًا يدعى " ألبا " يتوهج باللون الأخضر . لقد تم حقن البويضة المخصبة لأرنب أمهق بمحلول جين " الجى . بى . إف " ، وهو جين البروتين الفلوريسنتى الأخضر من قنديل بالباسيفيك نورثوست . وقد أصبح ذلك الحيوان الذى نما من بيضة يتوهج الآن . ونما له فرو . لاحظ كاك أن " بعض الناس لا يشعرون بالراحة لشكل الأرنب ألبا . ولكنه ذكر أن جين " جى . بى . إف " هو أداة بحث وقد تم حقنه فى خميرة ، وفطر ، ونباتات ، وفواكه ، وفئران وأجنة بقر ، وقال كاك إنه يتطلع لعمل كلب فلوريسنتى .

ولقد مات ألبا مبكرًا لسبب غير معروف ، وكذلك الصبار المحور جينيًا .

وفى عام ٢٠٠٣ عرض أول حيوان أليف محور جينيًا للبيع للجمهور وهو سمكة حمار الوحشى الفلوريسنية ، صنعها دكتور " زيوان جونج " فى سنغافورة ، وتم ترخيصها لشركة فى أوستن ، تكساس ، وتم تسويقها تحت اسم جلوفيش ، وبعد سنتين من الملاحظة بواسطة منظمات فيدرالية ومنظمات تابعة للولاية ، تم التأكد من أن السمكة آمنة ، طالما لا يتم أكلها .

الفصل ٣٢

قالت معلمة الصف الأول : " سيدة بوند إن ابنك ولد لطيف ، لكنه يعانى من مشكلة فى الرياضيات ؛ فإنه يستوعب عمليات الجمع ببطء ؛ ويعانى من صعوبة أكبر مع الطرح . على أى حال فإن لغته الفرنسية قد تحسنت كثيرًا " .

قالت جيل بوند : " أنا مسرورة أن أعرف ذلك ، إن الانتقال إلى هنا من لندن كان أمراً صعبًا بالنسبة له . ولكن يجب أن أعترف ، أنا مندهشة بشأن الصعوبة التى يعانى منها فى مادة الرياضيات " .

" " هل تقصدين لأنك عالمة ؟ " .

قالت : " نعم ، من المفترض ذلك . أنا أعمل بالمعهد القومى هنا فى باريس ووالد إيفان يعمل موظفاً ببنك استثمارى ؛ إنه يتعامل كل يوم بلغة الأرقام " .

أجابت المعلمة " حسنًا " ؛ حيث إنك عالمة وراثة ، أنا متأكدة من معرفتك أن الجينات ليست السبب فى كل شىء ؛ فأحياناً لا يستطيع طفل رسام عظيم الرسم . ولكن يجب أن أخبرك أنه لن يفيد ابنك إذا قمت بحل فروضه المنزلية بدلاً منه " .

قالت جيل بوند : " آسفة ؟ هل تقولين حل فروضه المنزلية بدلاً منه ؟ ".

قالت المعلمة " حسناً ، لابد أن هذا ما يحدث ، أنت أو أحد آخر في المنزل " .

" أنا لا أفهم " .

" إن فروض إيفان المدرسية تأتى دائماً فى صورة مثالية . ولكن عندما يكون هناك اختبار فى الفصل ، فإنه يحله بشكل سيئ . من الواضح أن شخصاً ما يحل له فروضه المنزلية ".

هزت جيل بوند رأسها نافية وقالت : " ولكنى لا أعرف من يكون هذا الشخص ، ابنى يحضر إلى المنزل من المدرسة ولا يكون هناك سوى مديرة المنزل عندما يقوم بعمل فروضه المنزلية . وهى لا تتحدث الفرنسية ، وإننى أعود فى الساعة الخامسة ويكون قد انتهى من أداء فروضه ، أو هكذا يخبرنى " .

" ألا تراجعين فروضه ؟ ".

" لا ، أبدًا . إنه يقول ليس هناك داعٍ " .

قالت المعلمة : " إنه يتلقى مساعدة من مكان آخر ". وأخرجت أوراق الفروض المنزلية الخاصة به ونشرتها على المكتب . " هل ترين ؟ كل مسألة ، فى كل ورقة تم الإجابة عنها بشكل مثالى " .

قالت جيل محدقة إلى الأوراق : " أنا أرى ، وهذه البقع . . . " كانت هناك بقع خضراء وبيضاء صغيرة على الورق ، كانت بقعاً فى شكل قطرات .

" غالبًا ما تكون هذه العلامات موجودةٍ . عادة فى الجزء السفلى من الورقة ، كما لو كان شيئاً قد سكب عليها " .

قالت جيل بوند : " أعتقد أنى أعرف من يساعده " .

" من ؟ ".

" إنه شخص ما من المعمل " .

فتحت باب الشقة وسمعت جيرارد ينادى ، " أهلا يا حبيبتى " ، تماماً كما يفعل زوجها .

قالت : " أهلاً جيرارد، ما أخبارك ؟ ".

" أنا فى حاجة إلى حمام ".

قالت : " سوف أتأكد من حاجتك إلى حمام " ومشت داخل الممر ؛ حيث كان جيرارد يقف علىٍ ساريته المعلقة . لقد كان جيرارد ببغاء إفريقيًّا رمادياً محوراً جينيًا ، عمره الآن سنتان . وعندما كان طائرًا صغيرًا تلقى جينات بشرية متنوعة ، حتى الآن دون تأثير ملحوظ .

قال جيرارد ، مقلدًا صوت زوجها مرة أخرى : " أنت تبدين فى حالة جيدة ، يا فتاتى ، لقد اشتقت إليك " .

قالت : " أشكرك ، لدى سؤال لك ، يا جيرارد " .

" حسنًا ، إذا كنت تصرين ".

" أخبرنى . ما نتيجة ثلاثين ناقص سبعة ؟ " .

" أنا لا أعرف " .

ترددت ثم قالت : " ما نتيجة ثلاثين نأخذ منها سبعة ؟ ". فهذه هى الطريقة التى يمكن أن يصيغ بها إيفان العبارة " .

قال الطائر بسرعة : " ستة " .

" أحد عشر نأخذ منها أربعة ؟ ".

" سبعة " .

" اثنا عشر نأخذ منها اثنين ؟ ".

" عشرة " .

عبس وجهها وقالت : " أربعة وعشرون نأخذ منها إحدى عشر ؟ ".

قال الببغاء " آه ، آه ، آه " متحركًا على السارية " أنت تحاولين خداعى " .

" ما نتيجة مائة وواحد تأخذ منها سبعين ؟ ".

" واحد وثلاثون ، ولكننا لا نأخذ أبداً أرقاماً كثيرة مثل هذه . في الغالب رقمين فقط ".

" نحن ؟ ".

لم يقل جيرارد شيئًا . وحنى رأسه بشكل إيقاعى . وبدأ يغنى " أحب الاستعراض . . . ".

قالت جيل : " جيرارد ، هل يطلب منك إيفان المساعدة ؟ ".

" آه بالتأكيد " ثم قال وهو يقلد إيفان تمامًا : " أهلا ، جيرى ، تعال وساعدنى . إنه صعب جدًا بالنسبة لى " . وبدأ الببغاء ينتحب وهو يقول مقلداً إيفان " إنه صعب جدًا . . . " .

قالت جيل : " يجب أن أحضر كاميرا الفيديو ".

" هل أنا نجم ؟ هل أنا نجم ؟ ".

قالت : " نعم ، أنت نجم " .

قال بلهجة أمريكية : " نحن آسفون لقد تأخرنا ولكن كان يجب أن نحضر ابننا هانك".

قالت : " أى فيلم يكون هذا يا جيرارد ؟ ".

أكمل جيرارد ما يقول بنفس اللهجة : " الآن يا جو ، خذ الأمر ببساطة فقط " .

قالت : " أنت لن تخبرنى ، من أى فيلم هذا يا جيرارد أليس كذلك ؟ ".

قال جيرارد : " أنا فى حاجة إلى حمام ، قبل أى تصوير . لقد وعدتنى بحمام ".

أسرعت جيل بوند لتحضر الكاميرا .

خلال السنة الأولى من حياته عندما كان طائراً صغيراً ، أظهر جيرارد تأثيرًا بسيطاً من التحور الجينى البشرى الذى تم حقنه به بواسطة يوشى توميزو وجيل بوند فى معمل موريس جورليه بالمعهد القومى بباريس ، ولم يكن ذلك أمراً مدهشًا ؛ فلقد كان الحقن الناجح لجينات محورة عملاً صعباً ، ويقتضى عشرات

وحتى المئات من المحاولات قبل أن ينجح بشكل صحيح ؛ وذلك لأنه يجب أن تتوفر شروط متعددة للجين لكى يعمل فى بيئة جديدة .

أولاً ، يجب أن يدمج الجين بشكل صحيح فى المادة الجينية الحالية للحيوان ، وأحياناً قد يندمج الجين بشكل عكسى ؛ مما يكون له تأثير سلبى ، أو لا يكون له تأثير على الإطلاق . وأحياناً يتم إدخاله فى منطقة غير مناسبة فى الجينوم ؛ مما يسبب سرطانًا مميتًا فى الحيوان ، وكان هذا بالأحرى شائعًا .

علاوة على ذلك لم تكن عملية النقل الجينى أبداً مسألة نقل جين واحد منفرد ؛ فقد كان على الباحثين أيضاً حقن الجينات الأخرى المرتبطة بالجين الأولى ، واللازمة لعمل هذا الجين . على سبيل المثال ، فإن معظم الجينات لها عوازل ومعززات . المعززات قد تصنع البروتين الذى يبطل الجينات الخاصة بالحيوان ؛ للسماح للجينات الجديدة لتحل محلها . أو قد يعزز عمل الجينات المحقونة نفسها ؛ والعوازل تجعل الجين الجديد منفصلاً عن الجينات التى حوله ، كما أنها تتأكد أيضاً أن المادة الجينية الجديدة متاحة داخل الخلية .

وعلى الرغم من تعقيدات هذه الاعتبارات والإجراءات ، إلا أنه لم يؤخذ فى الاعتبار التعقيدات الأخرى التى ربما تتسبب فيها رسائل الحمض النووى الديبى داخل الخلية . أو تلك التعقيدات التى قد تنشأ عن الجينات التى تتحكم فى عملية التحول .

فى الواقع ، إن مهمة حقن الجين داخل حيوان وجعله يعمل ، عملية أشبه بتصحيح خطأ فى برنامج كمبيوتر أكثر من كونه عملية بيولوجية ؛ حيث يكون عليك الاستمرار فى تصحيح الأخطاء ، والقيام بتعديلات ، والتخلص من التأثيرات غير المرغوبة ، حتى تحصل على النتيجة المطلوبة ، ثم يجب أن تنتظر التأثيرات الداخلية لتظهر أحياناً بعد سنوات .

وهذا هو السبب الذى جعل المعمل يشعر بأن جيل بوند يجب أن تأخذ جيرارد للمنزل وتحتفظ به كحيوان أليف لفترة . لترى إذا كانت هناك أى تأثيرات إيجابية أو غير مواتية قد ظهرت عليه بعد حقنه بالجينات البشرية ، وكذلك فإن التربية المنزلية تكون مهمة بشكل خاص لأن الببغاوات الإفريقية الرمادية عالية الذكاء ـ بشكل عام تعتبر الببغاوات فى مثل ذكاء الشمبانزى ـ ولديها قدرة أكبر بكثير على استخدام اللغة . إن استخدام لغة الإشارة أو لوحة مفاتيح الكمبيوتر أمر شائع بين بعض الحيوانات ؛ فبعض الثدييات غير البشرية تمكنت فى إتقان حوالى ١٥٠ كلمة ، ولكن ذلك كان مجرد معدل متوسط بالنسبة للببغاء الرمادى ؛ فهناك ببغاوات رمادية تحفظ حوالى ألف كلمة . لذلك فإنها تحتاج إلى نوع من التفاعل والمحاكاة والتنبيه فى بيئة الإنسان . فلا يمكن الاحتفاظ بها فى مرفق للاحتفاظ بالحيوانات ، حول الفئران وحيوان الهمستر وغيره ؛ فهذه الببغاوات يمكن أن تصاب بالجنون من نقص المحاكاة .

فى الواقع ، يعتقد النشطاء فى مجال الحيوانات أن كثيراً من الحيوانات الأليفة من الببغاوات الرمادية تصاب باضطراب عقلى نتيجة لنقص التفاعل ، كما لو كانت محبوسة حبساً انفرادياً ، عاماً بعد عام . والببغاء الرمادى يحتاج على الأقل إلى نفس القدر الإنسان من التفاعل البشرى . وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه يحتاج إلى تفاعل أكثر من ذلك .

لقد كان جيرارد طائرًا صغيرًا يتدرب من خلال إشارات الإصبع ، وبدأ يتحدث مبكرًا . لقد كان لديه بالفعل حصيلة جيدة من الكلمات ، وذلك عندما أحضرته جيل ، التى تبلغ من العمر ٣١ عاماً ، والمتزوجة بموظف فى بنك استثمارى ، إلى شقتها . وعندما دخل جيرارد لغرفة المعيشة قال : " هاى ، مكان حلو ، يا جيل . أحسنت يا سكر " (لقد التقط لسوء الحظ بعض الكلمات العامية من مشاهدة التلفاز فى المعمل) .

قالت : " أنا مسرورة أن المكان أعجبك يا جيرارد " .

قال الببغاء : " لقد كنت أقول ذلك فقط ".

" تعنى أنه لا يعجبك ؟ ".

" أعنى أنا كنت أقول ذلك فقط " .

" حسنًا " .

" إنها مجرد ملاحظة " .

" صحيح . رائع " .

دونت جيل ملاحظاتها فى الحال ، فقد يتضح أن حديث جيرارد أمر عالى المغزى . إن أحد أهداف تجربة التحور الجينى كان معرفة إلى أى مدى يستطيع العلماء تعديل السلوك الذكى للحيوانات غير البشرية . لقد كان هناك الكثير من القواعد والتعليمات التى تفرض علىَّ إجراء التجارب على الكثير من الثدييات ، ولكن الناس لم يكونوا حساسين بشأن الببغاوات . فلم تكن هناك لجان أخلاقية للإشراف على التجارب التى تجرى على الببغاوات ، لذلك فإن معمل موريس جروليه عمل مع الببغاوات الإفريقية الرمادية .

وضمن الأشياء التى كانوا يبحثون عنها دليل عن وجود الوعى الذاتى فى حديث الببغاء ؛ فالببغاوات لديها وعى ذاتى ، فهى تتعرف على نفسها فى المرآة ، لكن وعيها الذاتى عند التحدث كان أمراً مختلفاً ؛ فالببغاوات لا تستخدم بثقة الضمير أنا عند الإشارة لنفسها ، وبشكل عام ، عندما تستخدم الضمير الشخصى تستشهد بشخص آخر .

والسؤال الذى كانوا يبحثون عن إجابته هو هل بمقدور الببغاء المحور استخدام الضمير أنا بشكل واضح وغير غامض ؟ وقد بدا لجيل بوند أن جيرالد قد فعل ذلك تمامًا .

لقد كانت بداية جيدة .

أظهر زوجها ريتشارد اهتمامًا قليلاً بالضيف الجديد . وكان رد فعله الوحيد أن يستهزئ ويقول : " لا تبحثي عني لأنظف هذا القفص " ، وقالت جيل إنها لن تفعل ، وكان ابنها أكثر حماسًا لوجود الببغاء ، لقد بدأ إيفان فورًا في اللعب مع جيرارد ، ووضعه على إصبعه ، وبعد ذلك على كتفه ، ومع مرور الأسابيع ، لقد كان إيفان هو الذى يقضى الوقت مع الطائر ، والذى يبقى معه ، والذى يحتفظ به على كتفه معظم الوقت .

ويبدو أنه هو الذى كان يحصل على مساعدة من الطائر .

ثبتت جيل الكاميرا على الحامل ، وضبطت إطارها ، وشغلت الكاميرا . لقد كانت بعض الببغاوات قادرة على العد ، وكانت هناك ادعاءات أن لدى بعضها فهماً أوليًّا لمفهوم الصفر ، ولكن لما يكن أحدها قادرًا على الحساب .

فيما عدا جيرارد .

يجب على جيل أن تعمل بجد للغاية لتخفى إثارتها . قالت : " جيرارد ـ بصوت هادئ ـ سأريك صورة وأريدك أن تخبرنى ماذا تقول " . عرضت عليه ورقة من الفروض المنزلية لابنها ، مطبقة إياها لتكشف مسألة واحدة ، وغطت الإجابة بإصبعها .

" لقد أجبت عن هذه المسألة من قبل " .

سألت جيل مشيرة إلى المسألة " ولكن ماذا تقول ؟ ". لقد كانت المسألة التى على الورقة ١٥ ناقص ٧ .

قال الببغاء : " يجب أن تقوليها ".

قالت : " هل يمكن أن تنظر إلى هذه الورقة وتخبرنى بالإجابة ؟ ".

كرر جيرارد : " يجب أن تقوليها " كان يثب من رجل لأخرى على ساريته ، وقد أصبح غاضبًا . واستمر ينظر للكاميرا ؛ فلقد كان جيرارد لا يحب أن يُحرج .

قالت جيل : " إنها تقول خمسة عشر نأخذ منها سبعة " .

أجاب الببغاء في الحال : " ثمانية " .

قاومت جيل إغراء النظر إلى الكاميرا وأن تصرخ من فرط السرور . وبدلاً من ذلك ، قلبت الصفحة لتكشف مسألة أخرى . الآن . ما نتيجة ثلاثة وعشرين نأخذ منها تسعة ؟ ".

" أربعة عشر".

" جيد جدًا . والآن . . . ".

قال جيرارد : " لقد وعدتنى " .

" أنا وعدتك ؟ ".

قال : " نعم وعدتنى ، أنت تعرفين ....".

كان يقصد الحمام .

قالت : " سوف أفعل ذلك لاحقًا ، أما الآن . . . " .

قال بلهجة غاضبة : " لقد وعدتنى أريد حمامى " .

" جيرارد : سأريك المسألة التالية ، وأسألك :

ما نتيجة تسعة وعشرين نأخذ منها ثمانية ؟ ".

قال بصوت غريب : " أرجو أن يكونوا يشاهدون . سيرون . سيرون وسيعرفون وسيقولون لماذا لم تؤذ هذه المرأة حتى ذبابة " .

" جيرارد ، من فضلك انتبه . ما نتيجة تسعة وعشرين نأخذ منها ثمانية ؟ ".

فتح جيرارد فمه . ورن جرس الباب . لقد كانت جيل قريبة بما يكفى من الطائر لتعرف أن جيرارد نفسه هو الذى قلد الصوت . لقد كان يستطيع تقليد كل أنواع الأصوات بدقة ـ

أجـراس البـاب ، أجـراس الهـاتف ، صـوت تـدفق الميـاه فـى الحمام .

" جيرارد ، من فضلك . . . " .

صوت خطوات أقدام . طقطقة وصرير فتح الباب الأمامى .

قال جيرارد : " إنك تبدين بحالة جيدة ، يا حبيبتى ، لقـد اشتقت إليك " ، مقلدا صوت زوجها .

قالت جيل : " جيرارد " .

قال جيرارد مقلداً صوت امرأة : " آه يا ريتشارد ، لقد مضى وقت طويل . . . " .

صمت ، ثم صوت تقبيل .

تجمدت جيل ، وهى تشاهد جيرارد وهو يقلد ذلك المشهد . استمر الببغاء ، وكان منقاره يتحرك بـصعوبة . لقـد كـان أشـبه بالمسجل .

صوت المرأة : " هل نحن وحدنا ؟ ".

قال زوجها : " نعم ، الولد لا يعود حتى الساعة الثالثة".

" وماذا عن ، آه . . . "

" جيل فى مؤتمر فى جنيف " .

" آه ، إذن لدينا اليوم كله ، آه ، يا إلهى . . . ".

المزيد من القبل .

خطوتان من خطوات الأقدام . عبور الغرفة .

زوجها : " هل تريدين مشروبًا ؟ ".

" ربما لاحقاً ، يا حبيبى ، الآن ، كل ما أريده هو أنت ".

التفتت جيل وأغلقت الفيديو .

قال جيرارد : " الآن ستعطينى حمامى ؟ ".

حدقت جيل إليه .

صوت إغلاق باب غرفة النوم .

وأخذ يقلد صوت زوجها والمرأة التـى كانـت معـه فـى غرفـة النوم .

قالت : " توقف ، يا جيرارد " .
قال : " لقد عرفت أنك تريدين أن تعرفي ما حدث " .

قال زوجها لاحقاً في هذه الليلة وهما في غرفة نومهما : " أنا أكره هذا الطائر الملعون " .

قالت : " ليست هذه هي المشكلة يا ريتشارد كيف تجرؤ على خيانتي وفي منزلنا وعلى فراشنا إن ذلك شيء مقزز حقاً " .

كانت قد غيرت غطاء الفراش بالفعل ، ولكنها رغم ذلك ، لم ترد أن تجلس على الفراش ، أو أن تقترب منه . كانت واقفة في الجانب الآخر من الغرفة ، بجانب النافذة تشاهد حركة مرور باريس في الخارج .

قال : " إني آسف ، لقد كانت تلك المرة فقط " .

كانت تكره أن يكذب عليها ، قالت : " لقد خنتني عندما كنت في جنيف ، هل تريدني أن أسأل جيرارد إذا ما كانت هناك مرات أخرى ؟ ".

" لا . دعي الطائر بعيدًا عن ذلك " .

قالت : " كانت هناك مرات أخرى " .

" ماذا تريدين أن أقول ، ياجيل ، أنا آسف . حسنًا ؟ أنا آسف " .

قالت : " أنا لا أريد منك أن تقول أى شيء ، أريدك ألا تفعل ذلك مرة أخرى . أريدك أن تبعد هذه المرأة الملعونة عن هذا المنزل".

" صواب . حسنًا . سأفعل ذلك . هل يمكن أن نترك هذا الأمر الآن ؟ ".

قالت " نعم : يمكن أن نترك هذا الأمر الآن".

" أنا أكره هذا الطائر الملعون " .

مشت خارج الغرفة : " إذا لمسته سأقتلك " .

" أين تذهبين ؟ " .

" للخارج " .

قابلت جيل يوشي توميزو في شقته . كانت قد بدأت بينهما علاقة منذ عام سبق واستأنفاها مرة أخرى في جنيف . ويوشي لديه زوجة وطفل في طوكيو ، وسوف يعود إلى هناك في الخريف . إذن لم يكن ما بينهما مجرد صداقة ، بل ما هو أبعد من ذلك .

قال وهو يضع يده على كتفها : " تبدين قلقة، هل تشاجرت مع ريتشارد ؟ " .

" ليس في الواقع ، إنها مشادة بسيطة "، نظرت إلى القمر وهو يأتي من خلال النافذة مضيئاً بشكل مدهش .

سأل يوشي : " إذن ماذا في الأمر ؟ ".

" أنا قلقة بشأن جيرارد".

" لماذا ؟ ".

" إن ريتشارد يكرهه . يكرهه حقاً " .

" آه ، إنه لن يفعل أي شيء يؤذيه . إنه حيوان ذو قيمة عالية ".

قالت : " ربما قد يفعل معه شيئاً ، أعتقد أن عليّ أن أعود " .

استهجن يوشي قائلاً . " إذا كنت تعتقدين . . . " .

قالت : " أنا آسفة " .

" افعلي ما ترينه أفضل " .

تنهدت جيل وقالت : " أنت محق " .

الفصل ٣٣

أغلق براد جوردون التلفاز وصاح : " الباب مفتوح . ادخل " .

لقد كان ذلك في وقت الظهيرة . يتجول فى شقته بالدور الثالث فى شيرمان أوكس ، يشاهد مباراة كرة ، بينما ينتظر فتى توصيل البيتزا . ولكن لدهشته ، انفتح الباب ودخلت أجمل امرأة رآها فى حياته . لقد كانت تتمتع بأناقة مكتوبة على مظهرها ـ فى الثلاثين من العمر ، طويلة ونحيلة وترتدى ملابس أوربية ، وكانت ترتدى حذاء ذا كعب متوسط الارتفاع . لقد كانت تلك المرأة تتمتع بجاذبية شديدة حقاً . جلس براد إلى الأمام على الأريكة وأجرى يديه على ذقنه ، وشعر بلحيته التى لم تحلق منذ أيام .

قال : " أنا آسف ، لم أكن أتوقع أى زوار ــ ".

قالت المرأة : " لقد أرسلنى عمك ، السيد واطسون " ، ومشت مباشرة نحوه . أسرع براد فى الوقوف حينما قالت له : " اسمى " ماريا جونزاليس " . كان لديها لكنة ، لكنها لا تبدو إسبانية . بل كانت أقرب للألمانية . قالت : " أنا عضوة فى الشركة التى تقوم بأعمال الاستثمار لعمك " .

أومأ براد ولم يكن مندهشًا لسماعه أنها تعمل لدى عمه جاك : فالرجل العجوز قد أحاط نفسه بسيدات أعمال حسناوات

المظهر وذوات كفاءة فائقة . قال : " ماذا أستطيع أن أقدم لك ، يا آنسة جونزاليس ؟ ".

أجابت بنعومة : " لا شيء من أجلي " ، أخذت تنظر حولها في الشقة عن مكان تجلس فيه . وقررت أن تبقى واقفة " . ولكن يمكن أن تفعل شيئًا من أجل عمك".

" حسنًا ، بالتأكيد . أي شيء ".

" لست في حاجة أن أذكرك أن عمك قد دفع كفالتك ، وسوف يتحمل تكلفة دفاعك القانوني ؛ حيث إن التهمة الموجهة إليك هي التعدي على قاصر ، وأنت تعلم أن الدفاع في هذه الحالة سيكون صعبًا ".

" ولكني وقعت في الشرك ـ ".

رفعت يدها وقالت : " ليس هذا من شأني . المسألة هي أن عمك قدم لك المساعدة مرات عديدة خلال السنوات الماضية . الآن هو يحتاج إلى مساعدتك ـ ولكن في سرية تامة " .

" عمي جاك يحتاج إلى مساعدتي ؟ " .

" هو كذلك " .

" حسنًا . بالتأكيد " .

" هل أنت واثق من ذلك " .

" نعم ".

" لن تناقش هذا مع أحد أبدًا ؟ ! " .

" صحيح . فهمت ".

" يجب ألا تتسرب كلمة من هذا أبدًا . وإذا حدث ، ستخسر تمويل دفاعك القانوني ، وستقضي ٢٠ عامًا بالسجن بتهمة التحرش بالأطفال . وأنت تعرف ماذا يعني ذلك ".

" نعم "، ومسح يديه في بنطاله وقال : " أفهم ذلك ".

" لن تفسد الأمر هذه المرة ، يا براد " .

" حسنًا . حسنًا . أخبريني فقط ماذا تريدين أن أفعل " .

" شركتك المفضلة ، بيوجين ، على وشك أن تعلن اكتشافًا جديدًا مهمًا ـ جين يشفى إدمان المخدرات . إنها الخطوة الأولى نحو منتج تجارى ضخم ، وسوف يجتذب هذا الأمر الكثير من التمويل . إن عمك يتمتع بوضع كبير فى الشركة ، ولا يريد لهذا الوضع أن يضعف بواسطة مستثمرين إضافيين . ويريد أن يخيفهم بعيدًا " .

" نعم . . وكيف ذلك ؟ ".

" عن طريق بعض الأخبار السيئة التى ستخرج من شركة بيوجين ".

" وما نوع هذه الأخبار السيئة ؟ " .

قالت ماريا جونزاليس : " فى الوقت الحالى يتكون أهم منتج تجارى لدى شركة بيوجين من خط خلايا ، خط خلايا بيرنت ، الذى اشترته الشركة من جامعة كاليفورنيا ، وينتج خط الإنتاج هذا مادة السيتوكينز المهمة لعلاج السرطان ".

" نعم . . . ".

" إن تلوث خطوط الخلايا هذه سيكون كارثة حقيقية " .

مدت يدها فى حقيبتها وأخرجت زجاجة بلاستيكية صغيرة من ماركة معروفة لقطرة العين . كانت الزجاجة تحتوى على سائل نقى . فتحت الغطاء ووضعت نقطة واحدة على كل إصبع من يدها الأخرى وقالت: " هل فهمت ما أعنى ؟ ".

قال : " نعم " .

" نقطة واحدة على كل إصبع . دعه يجف " .

" حسنًا " .

" اذهب لشركة بيوجين . إن بطاقة الدخول الخاصة بك مازالت تعمل . تأكد من قواعد البيانات عن مواقع التخزين وأماكن الأبحاث التى تحتوى على خط بيرنت . إن رقم التخزين موجود على البطاقة " ، وأعطته بطاقة صغيرة عليها رقم BGOX٦١٧٨٩٩٠QD . " هناك عينات مجمدة وهناك عينات حية

فى أجهزة حاضنة أخرى . اذهب لكل منها و... المسها فقط بهذا السائل " .

نظر براد إلى الزجاجة وقال : " ألمسها فقط ؟ ما هذه المادة ؟ ".

" لا شىء يؤذيك . ولكن الخلايا لن تحبها " .

" ستسجلنى كاميرات الأمن . فبطاقات الدخول تسجل ، سيعرفون من فعلها " .

" ليس إذا ذهبت بين الواحدة والثانية صباحًا . سيكون النظام معطلاً لأعمال الصيانة " .

" لا ، إنه لن يكون كذلك " .

" نعم سيكون . هذا الأسبوع فقط ".

أخذ براد الزجاجة البلاستيكية منها ووضعها فى يده .

قال : " هل تعرفين أن لديهم خطاً للخلايا خارج الموقع أيضًا ؟ " .

قالت : " افعل فقط ما يطلبه منك عمك واترك الباقى له " .

وأغلقت حقيبة يدها . " وهناك شىء أخير : لا تتصل هاتفياً بعمك أو تقابله بشأن ذلك أو أى شىء آخر ؛ فهو لا يريد أى سجل لأى اتصال معك . هل الأمر واضح ؟ " .

قال : " نعم ، واضح " .

" حظاً موفقاً ، وبالنيابة عن عمك ، شكرًا " . صافحته وغادرت .

لا انقراض للشقر ، بأية حال

ذكرت وكالة أنباء الـ . بى . بى . سى . قصة زائفة غير مؤكدة الصحة
لا توجد دراسة لمنظمة الصحة العالمية ، ولا دراسة ألمانية
إنها مجرد نكتة سخيفة استمرت لمدة ١٥٠ عامًا

نفت منظمة الصحة العالمية اليوم أنها قد أجرت أو نشرت أى دراسة تتنبأ بانقراض جين الشعر الأشقر . قال المتحدث باسم جماعة الأمم المتحدة ، إن منظمة الصحة العالمية ليس لديها معرفة عن كيفية انتشار هذه الأخبار والتقارير ولكنها تريد أن تؤكد أنه ليس لدينا أى رأى فيما يتعلق بالبقاء المستقبلى للشقر .

وطبقًا لجريدة واشنطن بوست ، فإن قصة وكالة أنباء الـ بى بى . سى قد بدأت فى ألمانيا وتم إرسالها للوكالة عن طريق رسالة برقية ، وأن القصة بدورها قامت على مقالة نشرت منذ عامين فى مجلة المرأة الألمانية " اليجرا " ونقلت عن أحد علماء الإنثروبولوجى بمنظمة الصحة العالمية ، ولكن اتضح بعد ذلك أنه ليس هناك سجل يثبت أن هذا العالم هو مصدر تلك القصة .

قال البروفيسور " لين ايولر " أستاذ الإعلام بجامعة جورج تاون ، إن القصة ما كان ينبغى أن تنشر أبدًا ، لو اتخذوا الحد الأدنى من الإجراءات اللازمة للتأكد من صحة الأخبار التى سيقومون بنشرها ، وقد ذكر بعض مراقبى وسائل الإعلام أن وكالات الأنباء لم تعد تتأكد من أى شىء ، وقد علق أحد المحررين بالوكالة قائلاً : " إننا فقط ننشر التحقيق الصحفى وننتقل إلى عمل آخر دون أن نتوقف عنده " وقد تحدث محرر آخر وقد طلب ألا ننشر اسمه قائلاً : " دعنا نواجه الأمر ، إنها قصة جيدة وتحرى الدقة سيؤدى إلى قتلها " . وفى بحث آخر فى موقع الأسطورة الحضرية The urban legend siteSnopes .com، كشف عن روايات متعددة لقصة انقراض الشقر ، تلك القصص التى تعود إلى مائة وخمسين عاماً مضت لوقت إبراهام لينكولن ، وفى كل مرة ، كان يطلب من الجهات العلمية تدعيم القصة والتأكيد على صحتها . وأحد الأمثلة النموذجية على ذلك يرجع إلى عام ١٩٠٦.

• الشقر مقدر عليهم أن يختفوا من الأرض •

ميجور وودرف يدق ناقوس موتهم . إنه العلم .

الفتاة ذات الضفائر الصفراء هالكة ، وخلال ٦٠٠ عام سينقرض الشقر . إن مصير الشقر تنبأ به اليوم ميجور سى . إى . وودرف فى محاضرة بمؤسسة تقدم العلوم بجامعة كولومبيا . . .

قال بروفيسير " ايولر " من الواضح أن الشقر لن ينقرضوا ، ولن تنتهى كذلك القصص التى تنبأت بزوالهم ؛ حيث إن هذه القصص مازالت تتردد منذ قرن ونصف من الزمن دون أى أساس على الإطلاق .

الفصل ٣٤

كانت لين زوجة هنرى كيندال تعمل فى مجال تصميم المواقع على شبكة الإنترنت ، لذلك كانت عادة ما تتواجد بالمنزل أثناء النهار ، وقد تلقت فى حوالى الثالثة بعد الظهر ، مكالمة هاتفية غريبة ، قال الصوت : " أنا دكتور مارتى روبرتس من مستشفى لونج بيتش التذكارى ، هل هنرى موجود ؟ ".

قالت : " إنه فى مباراة لكرة القدم ، هل تود أن تترك له رسالة ؟ ".

" لقد اتصلت بمكتبه ، واتصلت بهاتفه الخلوى ، لكنه لا يجيب ". أوضحت النبرة التى يحملها صوت دكتور روبرتس أن الأمر عاجل .

قالت لين : " سوف أرى هنرى فى ظرف نصف ساعة ، هل هو بخير ، يا دكتور روبرتس ؟ ".

" آه بالتأكيد ، إنه بخير تمامًا . فقط اطلبى منه أن يتصل بى ، هل ستفعلين ؟ ".

قالت لين إنها ستفعل .

لاحقًا ، عندما عاد هنرى إلى المنزل ، دخلت زوجته إلى المطبخ ؛ حيث كانت تجهز كعكاً محلياً وكوباً من اللبن لابنهما

جيمي الذي يبلغ من العمر ثماني سنوات . قالت لين : " هل تعرف أحداً في مستشفى لونج بيتش التذكاري ؟ ".

ومضت عينا هنري وقال : " هل اتصل ؟ ".

" نعم اتصل هذه الظهيرة . من يكون ؟ " .

" إنه صديق قديم من وقت المدرسة ، ويعمل إخصائي باثولوجي . ماذا قال ؟ ".

" لم يقل شيئًا . أرادك أن تعاود الاتصال به " . وبطريقة ما استطاعت ألا تسأل زوجها بماذا يتعلق الأمر .

قال : " حسنًا ، شكرًا " .

لقد رأت هنري ينظر إلى الهاتف في المطبخ ، ثم يلتفت ليمشي داخل حجرة مكتب صغيرة يشتركان فيها معًا . أغلق الباب ، وسمعته يتحدث بصوت منخفض في الهاتف ، ولم تستطع أن تستوضح الكلمات .

كان جيمي يأكل وجبة خفيفة . وابنتهما تريسي ، التي تبلغ من العمر ١٣ عامًا كانت تعزف موسيقى بصوت مرتفع بالدور العلوي . صاحت لين لأعلى : " اخفضي الصوت وكفي عن الضوضاء ، من فضلك ! " ، لم تسمعها تريسي . ولم يكن هناك حل تفعله سوى الصعود للأعلى لتخبرها بذلك .

وعندما عادت . كان هنري يذرع غرفة المعيشة جيئة وذهابا . " يجب أن أسافر في رحلة " .

" حسنًا . إلى أين ؟ " .

" يجب أن أذهب إلى بيثيسدا " .

" هل هناك شيء في المركز القومي للصحة ؟ " ، كان المركز القومي للصحة في بيثيسدا ، وكان هنري يذهب إلى هناك مرتين في العام ، لحضور مؤتمرات .

" نعم " .

شاهدته يخطو خطوات جيئة وذهاباً فقالت : " هنري ، هل ستخبرني ما الأمر ؟ " .

" لدى فقط بعض الأبحـاث ـ يجـب أن أتحقـق مـن شـىء مـا ـ أنى فقط ـ أنا لست متأكداً " .

" يجب أن تذهب إلى بيثيسدا ولكنك غير متأكد لماذا ؟ " .

" حـسنًا ، بـالطبع أنـا متأكـد . إنـه . . . إنـه أمـر يتعلـق ببيلارمينو " .

لقد كان روبرت بيلارمينو رئيس قسم الوراثة بالمعهد القومى للـصحة ولكنـه لم يكـن صـديقا لزوجهـا ، سـألته : " مـاذا بشأنه ؟ " .

" آه " يجب أن أتعامل مع شىء قد فعله " .

جلست على أحد الكراسى وقالـت : " هنـرى ، أنـا أحبـك ولكنى فى الواقع مرتبكة حقاً . لماذا لا تخبرني ــــ " .

قال : " انظرى ، لا أريـد التحـدث بـشأن ذلـك . يجـب أن أذهب إلى هناك ، هذا هو كل شىء . لمجرد يوم واحد " .

" هل أنت فى مشكلة ؟ " .

" لقد قلت إنى لا أريد أن أتحدث عن ذلك . كل ما أعرفه هو أن علىّ الذهاب إلى هناك " .

" حسنًا . . .متى ؟ " .

" غدًا " .

أومأت ببطء وقالت : " حسنًا . هل تريدنى أن أحجز ــــ " .

" لقد فعلـت ذلـك بالفعـل . لقـد توليـت الأمـر " . " توقـف كينـدال عـن المـشى جيئـة وذهابًـا وذهـب باتجاههـا وقـال : " انظرى ، أنا لا أريدك أن تقلقى " .

" إن ذلك صعب ، فى ظل هذه الظروف " .

قال : " إن كل شىء على ما يرام ، إنه مجرد شىء يجـب أن أعتنى بـه ، وسيكون كل شىء على ما يرام " .

هذا هو كل ما قاله .

لقد كانت لين متزوجة مـن هنـرى منـذ خمـسة عـشر عامًـا . ولديهما طفلان . لقد كانت تعرف أفضل مـن أى شـخص آخـر أن هنـرى كـان عرضـة للتقلـصات العـصبية والـشطحات الخياليـة . فنفس الوثبات الخيالية التى جعلته باحثًا جيدًا قد جعلته أيـضًا هيستيريا إلى حد ما . لقد كان ميالاً وبـشكل متكـرر أن يـشخص لنفسه إصابته بأمراض مفزعة ، وكان يزور طبيبه كل أسبوعين ، ويتصل به هاتفياً أكثر من ذلك . وكـان دائمـاً مـا تنتابـه الآلام ، والحكة ، وطفح جلدى وخوف مفاجئ يوقظه فى منتصف الليل . كل ذلك بسبب ما يعانيه من حالـة هيـستيريا . وكـان دائمـاً مـا يبالغ فى تضخيم الأمور الصغيرة . وإذا ما وقعت له ولـو حادثـة صغيرة كان دائماً ما يقول إنه كان قاب قوسين أو أدنى من الموت .

لذلك فعلى الرغم مـن أن تـصرفه بـشأن الرحلـة إلى يبثيـسدا كان غريبًا ، فلقد كانت زوجته ميالة إلى اعتبارها أمـراً بـسيطاً . نظرت إلى ساعتها وقـررت أن الوقـت قـد حـان لإخـراج صلـصة الإسباجتى من المبرد حتى تعد الغداء . فإنها لم ترغـب أن يأكـل جيمى الكثير جدًا من الكعك المحلى وإلا سيفسد شهيته ، وفـى هذه اللحظة عادت تريسى لموسيقاها بصوت عال مرة أخرى .

وباختصار ، فإن الأحداث اليومية سـادت ، ودفعـت هنـرى ورحلته بعيداً عن ذهنها ، وكان لديها أشياء أخرى لتفعلها .

الفصل ٣٥

غادر هنرى كيندال مطار دولليس واتجه بالسيارة شمالاً فى طريق ٢٦٧ ، متوجهاً نحو وحدة الثدييات فى لامبرتفيل . لقد مرت حوالى ساعة قبل أن يرى السور الذى على شكل سلاسل متصلة وبيت الحرس خلف البوابات المزدوجة ، وشاهد خلف البوابات أشجار القيقب الضخمة التى تحجب مجموعة المبانى البعيدة فى الخلف . لقد كانت لامبرتفيل إحدى أضخم وحدات بحث الثدييات فى العالم ، ولكن المعاهد القومية لم تعلن هذه الحقيقة ، أو مكانها . جزئيًا لأن بحوث الثدييات كانت مهاجمة سياسيًا ، وجزئيًا بسبب القلق من التخريب بواسطة النشطاء . أوقف هنرى سيارته عند البوابة الخارجية ، وضغط على زر وقال " هنرى كيندال " وأعطى الرقم الكودى له . فهو لم يحضر هنا منذ أربع سنوات ، ولكن الكود كان مازال ساريًا . وانحنى خارج السيارة حتى تستطيع الكاميرا أن ترى وجهه بوضوح .

" شكرًا ، يا دكتور كيندال " فتحت البوابة واتجه بالسيارة للبوابة الثانية ، فأُغلقت البوابة الأولى خلفه . خرج حارس وفحص بطاقة تعريفه ، وقد تذكر كيندال بالكاد الفتى الواقف

أمامه، قال : " لم نتوقع حضورك اليوم ، يا دكتور كيندال " وأعطاه بطاقة مرور مؤقتة .

" هم يريدونني أن أوضح بعض أشياء في خزانتي " .

" نعم ، أراهن على ذلك . لقد أصبحت الأشياء أكثر إحكاماً هنا ، منذ ـ أنت تعرف ما أعني ".

" نعم ، أعرف " ، لقد قصد بيلارمينو .

فتحت البوابة الداخلية ، وقاد هنرى السيارة للداخل . مر بالمبنى الإدارى وتوجه مباشرة نحو مرافق الاحتفاظ بالحيوانات . لقد كانت الشمبانزى سابقاً في مبنى ب . وافترض أنها مازالت هناك .

لقد فتح الباب الخارجي ومرر بطاقته على الباب الداخلى . ومشى في ممر إلى غرفة المراقبة ب . كانت غرفة مملوءة بشاشات العرض ، تظهر الشمبانزى في دورين من الوحدة . لقد كان هناك حوالى ٨٠ حيواناً من أعمار وأجناس مختلفة .

لقد كان البيطرى المساعد أثناء الخدمة هناك ، يرتدى زيًا كاكيًا . ولكن كان هناك أيضًا روفاك ، رئيس الوحدة . ولابد أنه قد أخبر بواسطة البوابة الأمامية . كان روفاك يبلغ من العمر ٥٠ عاماً ، ذا شعر رمادى فولاذى ومشية عسكرية ، ولكنه كان عالماً جيدًا .

قال روفاك : " لقد تساءلت متى ستظهر"، وصافحه . وكان يبدو ودوداً ثم قال : " صديقى هل حصلت على الدم ؟ ".

أومأ هنرى . " نعم " .

قال روفاك : " إن بيلارمينو اللعين لديه بقرة ، وهو لم يحضر هنا بعد ، ونعتقد أننا نعرف السبب ".

قال هنرى " ماذا تقصد " .

قال روفاك " دعنا نتمش ".

نظر هنرى في أوراقه وقال : " أنا أبحث عن الأنثى رقم ـ إف ٤٠٢ " .

قال روفاك : " لا ، أنت تبحث عن نتاج الأنثى إف ٤٠٢ إنه في هذا الاتجاه " .

ومشيا لأسفل في ممر جانبي يؤدي إلى وحدة تدريب صغيرة كانت تستخدم في تجارب التدريس القصيرة مع الحيوانات .

" تحتفظون به هنا ؟ " .

" يجب أن نفعل ذلك . سترى " .

ودخلوا في وحدة التدريب . ومن النظرة الأولى ، هي تشبه غرفة لعب في حضانة ، لعب ملونة بألوان مبهجة مبعثرة في أنحاء الغرفة ، سجاد أزرق على الأرض . وقد لا يلاحظ الزائر العادي أن اللعب كلها مصنوعة من بلاستيك مُعمر قوى التحمل ، وكانت هناك حوائط زجاجية في أحد الجوانب للملاحظة ، وكانت موسيقى موزارت تُعزف في السماعات .

قال روفاك مستهزئًا : " إنه يحب موزارت " ودخلا في غرفة أصغر ، بعيدًا نحو الجانب وجاء بصيص من ضوء الشمس من السقف . كان هناك قفص مساحته ٥x٥ متر في المنتصف . وفي الداخل جلس شمبانزي صغير بحجم طفل عمره ٤ سنوات . وكان وجه الشمبانزي مسطحًا عن المعتاد ، وكان جلده شاحبًا ، ولكنه كان بوضوح شمبانزي .

قال روفاك : " مرحبا ، يا ديف " .

قال الشمبانزي : " مرحبا " ، لقد كان صوته خشنًا . والتفت إلى هنري وقال: " هل أنت أمي ؟ ".

لم يستطع هنري كيندال التحدث . لقد تحرك فكه ولكن لم تخرج كلمات . قال روفاك : " نعم ، إنه ديف "، والتفت لكيندال وقال : " اسمه ديف ".

لقد كان الشمبانزي يحدق إلى هنري . يحدق في صمت ، وهو جالس في القفص . يمسك أصابع قدمه في يديه .

قال روفاك : " أنا أعرف أنها صدمة ، فكر كيف شعر الناس هنا ، عندما اكتشفوا . لقد كاد طبيب بيطرى أن يموت . لم يكن أحد يعرف أنه كان مختلفاً حتى كانت المفاجأة ، لقد جاء تحليل حمض السيالك سلبياً . لقد أعادوا التحليل لأنهم افترضوا أن هناك خطأ ، ولكنه لم يكن خطأ ، ثم بدأ يتحدث منذ حوالى ثلاثة شهور مضت" .

تنهد هنرى .

قال روفاك : " إنه يتحدث جيدًا ، لديه مشكلة بسيطة مع أزمان الأفعال ، ولكن لم يكن هناك أحد يعلمه . فى الواقع لقد تم احتجازه بعيدًا عن أى شخص هنا . هل تريد أن تدعه يخرج ؟ " .

تردد كيندال " هل هو . . . " ؛ فالشمبانزى يمكن أن تكون مؤذية وعدوانية ، حتى الشامبانزى الصغيرة قد تكون خطيرة ".

" آه بالتأكيد إنه طيع " . " إنه ليس شامبانزى ، حقاً " وفتح القفص . " اخرج ، يا ديف " .

خرج ديف مترددًا ، كرجل أطلق سراحه من سجن . وبدا خائفاً لوجوده خارج القفص . ونظر إلى هنرى وقال : " هل سأعيش معك ؟ ".

قال هنرى " لا أعرف " .

قال : " أنا لا أحب القفص " .

ومد يده وأخذ يد هنرى وقال : " هل يمكن أن نذهب لنلعب " .

وخرجا لغرفة اللعب . قاده ديف .

قال هنرى : " هل هذا هو النظام ؟ " .

" صحيح . إنه يحصل على ساعة للعب فى اليوم . غالبًا مع البيطرى ، وأحياناً معى ".

ذهب ديف إلى اللعب وبدأ يرتبها فى شكل دائرة ، ثم مربع .

قال روفاك : " أنا سعيد أنك جئت لتراه " .

قال هنرى : " ماذا تعتقد ؟ هذا غير قانونى مثل الوحل . إنه نقل نوعى لثدييات عالية . هل تعرف أن هتلر قد حاول تهجين بشر وشمبانزى ، وقد حاول ستالين . يمكن أن تقول إنهم تحدوا الميدان . دعنا نر ، هتلر ، وستالين ، والآن الباحث بالمعهد القومى للصحة ؟ ليس هناك سبيل ، يا صديقى ".

" إذن ماذا ستفعل . . . ".

إن ذلك يمثل تجربة غير شرعية . يجب إنهاؤها ".

" هل تمزح ؟ ".

قال روفاك : " أنت في واشنطن وإن ما تنظر إليه الآن يقدر ديناميتًا سياسياً للمعهد القومى للصحة محدود بالفعل وسيقل للعشر إذا خرج كلمة من هذا للخارج ".

قال هنرى : " لكن هذا الحيوان غير عادى ".

هزّ روفاك رأسه وقال : " لكنه غير شرعى . هذا ما يهتم به كل شخص ، لا تكن عاطفياً . إن لديك تجربة تحور جينى لم يتم التصريح بها أبدًا والقواعد تذكر بوضوح أن أى تجربة لم يتم الموافقة عليها بواسطة المجلس يتم إنهاؤها وليس هناك استثناءات ".

" ماذا ستفعل ، آه . . . " .

قال روفاك : " قطرات مورفين بالوريد . لن يشعر بشيء " . لا يجب أن تقلق . سوف نعتنى به جيدًا ، وبعد الحرق لن يكون هناك أثر على الإطلاق لما حدث " . وأومأ لديف : " لماذا لا تذهب وتلعب معه للحظة ؟ إنه سيحب الصحبة . إنه يشعر بالملل معنا جميعًا " .

لقد لعبا كل أنواع اللعب الارتجالية من رسومات ذات مربعات ، واستخدام بلوكات اللعب ، والقفز فوق بعضهم البعض بينما جلسا على الأرضية . لقد لاحظ هنرى التفاصيل . لاحظ أن

يَدَىْ ديفيد تتناسبان مع الأيدى البشرية ؛ وقدميه كانتا معدتين للإمساك مثل الشمبانزى ؛ وأن عينيه كان بهما رقط من الزرقة ، وابتسامته لم تكن بشرية تمامًا ، وليست مثل القرود أيضاً .

قال ديف : " هذا ممتع " .

" هذا لأنك الفائز يا ديف " لم يكن هنرى يفهم القواعد حقًا ولكنه اعتقد أنه يجب أن يترك ديف يفوز . هذا ما كان يفعله مع أولاده .

ثم فكر ، *هذا هو طفلى* .

لم يكن يفكر بوضوح ، لقد عرف أنه يتصرف بالغريزة . لقد كان واعيًا بالنظر عن قصد بينما كان ديف يعود للقفص ، والطريقة التى كان ينظر بها إليه عندما تم إغلاق باب القفص عليه ، وطريقة ـــــ " .

قال هنرى دعنى أصافح يده مرة أخرى . افتح الباب " .

قال روفاك : " انظر ، لا تفعل هذا بنفسك أو به " .

" أنا فقط أريد أن أصافح يده . افتح مرة أخرى " .

تنهد روفاك وفتح القفل . لاحظ هنرى الرقم " ٠٤ ـ ٠٥ ـ ٠١ " .

وصافح يد ديف وقال : " وداعًا " .

قال ديف: " هل ستأتى غدًا ؟ " .

قال هنرى " قريبًا " .

التفت ديف بعيدًا ، لا ينظر إليه بينما غادر هنرى الغرفة وأغلق الباب .

قال روفاك : " اسمع يجب أن تكون ممتنًا أنك لم تحاكم أو تلقى فى السجن . الآن لا تكن أحمق بشأن ذلك . سوف نتولى الأمر . استمر فى عملك ".

قال هنرى : " حسناً ، شكرًا " .

طلب هنرى أن يبقى فى الوحدة حتى موعد طائرته ؛ لقد وضعوه فى غرفة متصلة بشبكة فرعية مع الباحثين . قضى

الظهيرة يقرأ عن ديف وكل التعليقات فى ملفه . وطبع الملف بالكامل ، وتجول فى الوحدة ، وذهب إلى دورة المياه عدة مرات حتى يعتاد الحرس على رؤيته على الشاشات .

ذهب روفاك إلى المنزل فى الساعة الرابعة ، وتوقف ليودعه فى طريقه للخروج . كان البيطرى والحراس يغيرون الورديات فى الساعة السادسة ، وفى الساعة الخامسة والنصف مساءً ، عاد هنرى إلى وحدة التدريب وتوجه مباشرة إلى غرفة ديف .

وفتح القفص

قال ديفيد : " مرحبًا ، أمى " .

" أهلاً ديف ، هل تحب أن تذهب فى رحلة " .

قال ديف : " نعم " .

" حسنًا افعل ما أقوله بالضبط " .

كان الباحثون باستمرار يمشون مع الشامبانزى المروض ، أحياناً يمسكون بأيديهم يتحركون معاً خطوة بخطوة ، وهكذا أيضاً مشى هنرى وديف خلال ممر التدريب ، يتحركان بخطوة عادية ، متجاهلين الكاميرات . والتفا نحو اليسار إلى الممر الرئيسى وتوجها نحو الباب الخارجى . وضع هنرى البطاقة بالباب الداخلى وقاد ديف خلاله ، وفتح الباب الخارجى ، وكما توقع ، لم يكن هناك إنذار .

فلقد صممت وحدة لامبرتفيل لمنع الدخلاء من الدخول ولمنع الحيوانات من الهروب ، ولكن ليس لمنع الباحثين من نقل الحيوانات . حقاً ، ولأسباب متنوعة ، كان الباحثون أحياناً يحتاجون إلى نقل الحيوانات دون العبور خلال الشريط الأحمر الشامل . ولذلك فقد وضع هنرى ديف فى أرضية الكرسى الخلفى لسيارته وقاد السيارة لبوابة الخروج .

لقد كان موعد تغيير الوردية، وكان هناك كثير من السيارات قادمة وذاهبة . أعاد هنرى بطاقة المرور والشارة . وقال الحارس

في الوردية : " شكرًا ، يا دكتور كيندال " . قاد هنرى سيارته داخل الهضاب الخضراء لغرب ميريلاند .

قالت لين : " أنت عائد بالسيارة ؟ " .
" إنها قصة طويلة ".
" لماذا يا هنرى ؟ " .
" ليس لدى خيار آخر . يجب أن أعود بالسيارة " .
قالت : " أنت تتصرف بشكل غريب جدًا ، هل تعرف ذلك ؟ " .
" إنها قضية أخلاقية " .
" أى قضية أخلاقية " .
" إن لدى مسئولية " .
قالت : " أى مسئولية ، اللعنة ، يا هنري ــــ " .
قال : " حبيبتى إنها قصة طويلة " .
" لقد قلت ذلك " .
قال : " صدقينى ، أنا أريد أن أخبرك بكل شىء . أنا حقًا أريد ذلك ، ولكن يجب أن تنتظرى حتى أعود للمنزل " .
قال ديف : " هل هذه أمك ؟ " .
قالت لين : " من في السيارة معك ؟ " .
" لا أحد " .
" من الذى كان يتحدث ؟ هذا الصوت الخشن " .
قال : " أنا حقًا لا أستطيع أن أفسر ذلك . يجب أن تنتظرى فقط حتى أعود إلى المنزل ، ثم ستفهمين " .
" هنرى ــــ " .
" يجب أن أذهب يا لين . بلغى حبى للأطفال . " أغلق الهاتف .
كان ديف يشاهده بعينين صابرتين " هل كانت هذه أمك ؟ ".
" لا ، شخص آخر " .

" هل هى غاضبة ؟ " .

" لا ، لا . هل أنت جائع ، يا ديف ؟ " .

" قريبًا " .

" حسنًا ، سوف نجد محلاً نشترى منه من السيارة ، ولكن فى الوقت ذاته ، يجب أن ترتدى حزام مقعدك " .

بدا ديف مندهشًا . توقف هنرى ووضع الحزام حوله . لم يكن مناسبًا تمامًا ؛ فلقد كان أكبر بقليل من حجم الطفل العادى .

" أنا لا أحبه "، وبدأ يشد بقوة .

" يجب أن ترتديه " .

" لا ".

" آسف ".

" أريد أن أعود " .

" لا يمكن أن تعود ، يا ديف " .

توقف ديف عن المقاومة . وبدأ ينظر من النافذة " إنه مظلم " .

مرر هنرى يده على رأس الحيوان ، وشعر بالفروة القصيرة . لقد شعر بأن ديف قد استرخى عندما فعل ذلك ، " حسنًا يا ديفيد . سيكون كل شىء على ما يرام ، الآن " .

عاد هنرى إلى الطريق وتوجه غربًا .

الفصل ٣٦

قالت لين كينـدال : " عـم تتحـدث ؟ " وكانـت محدقـة إلى ديف ، الذى جلس فى هدوء على الأريكة فـى غرفـة المعيـشة ، " هذا القرد هو ابنك ؟ " .

" حسنًا ، ليس تمامًا . . . " .

مشت حول غرفة المعيشة وقالت : " ليس *تمامًا* ؟ ماذا يعنـى ذلك بحق السماء ، يا هنرى ؟ " .

لقد كانت ظهيرة يوم سبت عادى . كانت ابنتهما المراهقـة ، ترايسى ، فى الفناء الخلفى ، تأخذ حمـام شمـس وتتحـدث فـى الهاتف ولا تؤدى فروضها المنزلية ، وكان أخوها جيمى يلهو فى بركة ثابته للمياه معدة للأطفـال وأمـضت لـين اليـوم كلـه داخـل المنزل ؛ حيث كانت تنتهى من عمل كان الموعد النهائى لتسليمه قد اقترب .

كانت لين أيضاً تعمل بجـد علـى ذلـك الـشروع خـلال الأيـام الثلاثـة الماضـية ، لـذلك كانـت مندهـشة عنـدما فتحـت البـاب الأمامى لتجد زوجها يدخل ، يقود شمبانزى من يده .

" هنرى ؟ هل هو ابنك أم لا ؟ " .

" إنه كذلك ، بطريقة ما " .

" بطريقة ما . هذا واضح . أنا مسرورة أنك أوضحت الأمر " ، وأخذت تدور محملقة فيه : " انتظر لحظة . هل تحاول أن تخبرني أنك قد تزوجت من ــ " .

قال زوجها : " لا ، لا " رافعاً يديه في استنكار : " لا يا حبيبتي . لا شيء من ذلك . لقد كانت تجربة فقط " .

" مجرد تجربة . يا إلهي . تجربة ؟ ما نوع التجربة ، يا هنري ؟ " .

جلس القرد ممسكًا أصابع قدميه بيديه ، ينظر إلى كلا الشخصين الناضجين .

قال هنري : " حاولي أن تجعلي صوتك منخفضًا ، إنك تزعجينه " .

" أنا أزعجه ؟ أنا أزعجه ؟ إنه نسناس ملعون ، يا هنري ! " .

" إنه قرد " .

" قرد ، نسناس . . .ماذا يفعل هنا ؟ لماذا هو في منزلنا ؟ " .

" حسنًا . . . أنا لست . . . في الواقع لقد جاء ليعيش معنا " .

" لقد جاء ليعيش معنا . هكذا أتى من السماء . لديك ابن قرد وأنت لم تعرف عن ذلك شيئًا وفجأة يصل معك ابنك القرد هكذا دون سابق إنذار ، كم هذا عظيم ! هذا منطقي للغاية . إن له معنى تامًا . أي شخص يمكن أن يفهم ذلك . لماذا لم تخبرني ، يا هنري ؟ آه ، لا يهم . لقد أردت أن تجعلها مفاجأة . وسوف أصنع لك مفاجأة أنا الأخرى سوف أقود السيارة للمنزل مع ابني القرد ، ولكني سأخبرك بشأن ذلك عندما أدخل إلى المنزل . هذا عظيم . أنا سعيدة أننا قد حصلنا على كل جلسات العلاج تلك عن المودة والتواصل بين الزوجين " .

" لين ، أنا آسف ــــ " .

" أنت دائماً آسف . ماذا ستفعل معه يا هنرى ؟ " .

" هل ستأخذه إلى حديقة الحيوان ؟ أم ماذا ؟ " .

قال ديف متحدثًا لأول مرة : " أنا لا أحب حديقة الحيوان " .

قالت لين : " أنا لم أسألك ، ابق بعيدًا عن هذا " .

ثم تجمدت .

وحملقت .

" إنه يتحدث ؟ " .

قال ديف : " نعم ، هل أنت أمى ؟ " .

فى الواقع لم تفقد لين كيندال الوعى ، ولكن بدأت ترتعش ، وعندما التوت ركبتها أمسكها هنرى وساعدها فى الجلوس على كرسيها المفضل ، المواجه لمنضدة القهوة . لم يتحرك ديف ولكن ظل محدقاً بعيون واسعة . دخل هنرى إلى المطبخ وأحضر لزوجته بعض الليمونادة وأعطاها لها .

وقال : " خذى ، اشربى هذه " .

" لا أريد عصير ليمون لعيناً أكرهه ، أريد مشروبًا آخر " .

" يا حبيبتى ، إن الليمون هو أنسب مشروب فى هذا الموقف " .

قالت وهى تحدق إلى ديف : " أنا لا أعرف ماذا حل بهذه الأيام . إنه يتحدث . النسناس يتحدث " .

" القرد " .

قال لها ديف : " أنا آسف لقد أزعجتك " .

" شكرًا ، آه . . . " .

قال هنرى : " اسمه ديف ، وهو لا يجيد دائمًا الأزمنة بشكل صحيح " .

قال ديف : " أحيانًا ينزعج الناس منى . ويشعرون شعورًا سيئًا " .

قالت : " ديف ، إن المشكلة ليست بشأنك ، يا عزيزى . يبدو أنك لطيف جدًا . إنها بشأنه هو " ، وأشارت بإصبعها نحو هنرى وقالت : " ذلك الغبى " .

" ما معنى الغبى ؟ " .

قال هنرى : " ربما لم يسمع السباب أبدًا ، يجب أن تراقبى ألفاظك " .

قال ديف : " كيف تراقب ألفاظك . إنها أصوات ولا تستطيع مشاهدة الأصوات " .

قالت لين : " أنا مرتبكة ، وغاصت فى كرسيها " .

قال هنرى : " إنه تعبير ، إنه مجرد تشبيه يا ديف " .

قال ديف : " آه ، أفهم " .

ساد صمت . تنهدت زوجته ، ربت هنرى على ذراعها .

قال ديف : " هل لديكم أى أشجار ؟ أنا أحب أن أتسلق الأشجار " .

دخل جيمى فى هذه اللحظة داخل المنزل . قال : " أمى ، أنا أحتاج إلى منشفة ـ " وتوقف وحدق إلى الشمبانزى .

قال ديف : " مرحبًا " .

ومضت عينا جيمى ، وأفاق بسرعة وقال : " أهلاً ، أيها الأنيق ، أنا جيمى " .

" اسمى ديف . هل لديك أى أشجار أتسلقها ؟ " .

" بالتأكيد ! شجرة كبيرة ! تعال ! " .

توجه جيمى نحو الباب ، ونظر ديف إلى لين وهنرى نظرة من يطلب التصريح بالذهاب .

قال هنرى : " اذهب " .

قفز ديف من على الأريكة وجرى إلى الباب ، تابعاً جيمى .

قالت لين : " كيف تعرف أنه لن يهرب بعيدًا ؟ " .

" لا أعتقد أنه سيفعل " .

" لأنه ابنك . . . " سمعا الباب ينغلق بصوت عال . في الخارج ، سمعا ابنتهما تصرخ وتصيح : " ما هذا ؟ " .

وسمعا جيمي يقول : " إنه شامبانزي ، ونحن نتسلق الشجر " .

" من أين حصلت عليه ، يا جيمي ؟ " .

" إنه لوالدي " .

" هل يعض ؟ " .

لم يسمعا إجابة جيمي ، ولكن من خلال النافذة شاهدا أفرع الأشجار تتمايل وتتحرك ، وسمعا قهقهة وضحكًا من الخارج .

قالت لين : " ماذا ستفعل معه ؟ " .

قال هنري : " لا أعرف " .

" حسنًا . إنه لا يمكن أن يبقى هنا " .

" أعرف ذلك " .

" أنا لا أسمح بوجود كلب في المنزل ، وبالتأكيد لن أسمح بوجود قرد " .

" أعرف ذلك " .

" إلى جانب أنه لا توجد مساحة له " .

" أعرف " .

قالت إن هذه حقًا مشكلة " .

لم يقل شيئًا ، وأومأ فقط .

قالت : " كيف حدث هذا بحق السماء ، يا هنري " .

قال : " إنها قصة طويلة " .

" وإني مصغية " .

أوضح هنري أنه عند فك شفرة الجينوم ، اكتشف العلماء أن جينوم الشمبانزي كان تقريبًا مماثلاً لجينوم الإنسان ، قال : " كل ما يفصل بيننا هو ٥٠٠ جين " .

وبالطبع فإن هذا العدد كان خداعًا ؛ لأن البشر وقنافذ البحر أيضا تشترك في الكثير من الجينات . في الحقيقة أن كل الكائنات على الأرض تقريباً تشترك في عشرات الآلاف من نفس الجينات ؛ فهناك وحدة أساسية تشترك فيها جميع الكائنات الحية ، من الناحية الوراثية .

لذلك فقد أثار ذلك كثيرًا من الاهتمام بشأن ما قد تسبب في وجود هذه الفروق في الأجناس المختلفة . إن ٥٠٠ جين ليست كثيرة ، ومع ذلك يبدو أن هناك هوة كبيرة تفصل الشمبانزى عن البشر .

قال هنرى : " إن كثيرًا من الأجناس يمكن أن يتم تهجينها لتنتج هجينًا ـ فيمكن تهجين الأسود والنمور ، الفهد الهندى والجاجورا ، الدلافين والحيتان ، الجاموس والماشية ، الحمار الوحشي والحصان ، الجمال واللاما . وإن الحيوان الرمادى والدب القطبى أحيانًا يتزاوجان في البرية ؛ لينتج حيوان الجرولار . إذن كان هناك سؤال يطرح نفسه ، هو هل يمكن أن يهجن الشمبانزى والإنسان لعمل بشرشمبانزى ؛ يبدو أن الإجابة كانت لا " .

" هل حاول شخص ما القيام بذلك ؟ " .

" مرات عديدة ، بدأ من عام ١٩٢٠ " .

أوضح هنرى أنه حتى لو كان التهجين مستحيلاً ، فإنه من الممكن حقن جين بشرى مباشرة في جنين شمبانزى لعمل حيوان محور جينيًا . منذ أربعة سنوات مضت كان هنرى طبيبًا يعمل أيام الراحة في المعهد القومي للصحة ، وكان يدرس مرض التوحد ، وأراد أن يعرف أى جين قد يكون مسئولاً عن الفرق في قدرات الاتصال بين الإنسان والقرود . قال : " لقد كنت مهتمًا بذلك لأن فصيلة الشمبانزى لديها القدرة على الاتصال ، فإن لديها القدرة على القيام بمجموعة من النداءات والإيماءات اليدوية ؛ ويمكن أن تنظم نفسها إلى جماعات صيد فعالة لقتل

الحيوانات الصغيرة ، لذلك فإن لديها قدرة على التواصل والاتصال ، ولكنها لا ترتقى إلى اللغة . مثل المصابين بالتوحد الشديد ، وهذا ما أثار اهتمامى " .

سألت زوجته : " وماذا فعلت ؟ " .

لقد حقن فى المعمل ، تحت ميكروسكوب جينات بشرية فى جنين الشمبانزى ، وكانت الجينات البشرية هى الجينات الخاصة به .

سألت زوجته : " بما فى ذلك جينات الكلام ؟ " .

" فى الواقع ، كلها " .

" لقد وضعت كل جيناتك " .

قال : " انظرى ، أنا لم أتوقع أن تنجح التجربة ، لقد كنت أنتظر الحصول على جنين " .

" جنين وليس حيوانًا ؟ " .

إذا بقى الجنين على قيد الحياة ثمانية أو تسعة أسابيع قبل أن يجهض تلقائيًا ، سيكون قادراً على تشريح هذا الجنين حتى يفهم بصورة أكبر التواصل والحديث عند القرود " .

" هل توقعت أن يموت الجنين ؟ " .

" نعم . لقد كنت آمل فقط أنه سيصمد مدة كافيه حتى ـــ " .

" وكنت ستقطع الجنين ؟ " .

" اشرحه ، نعم " .

" إنها جيناتك الخاصة ، إنه جنينك- لقد فعلت ذلك لكى تحصل على شىء تقوم بتشريحه ؟ " وكانت تنظر إليه كما لو كان وحشًا .

" لقد كانت تجربة ، يا لين إننا نجرى هذه التجارب طول الـــ " ، لقد توقف ؛ فلا فائدة من الخوض فى ذلك ثم قال : " انظرى ، الجينات كانت فى متناول يدى . لم أكن فى حاجة إلى الحصول على موافقة أحد لاستخدامها . لقد كانت مجرد تجربة . لم تكن تتعلق بى " .

قالت : " ولكنها كذلك الآن " .

السؤال الذى حاول هنرى الإجابة عنه كان جوهريًا . لقد انقسم الشامبانزى والإنسان من سلف مشترك منذ ٦ ملايين عام مضت . ولقد لاحظ العلماء منذ مدة طويلة أن الشامبانزى يشبه بشكل كبير البشر خصوصًا فى المرحلة الجنينية ، وقد أشار ذلك إلى أن البشر يختلفون عن الشامبانزى جزئيًا بسبب الفرق فى التطور الرحمى ؛ فقد اعتقدوا أن التطور البشرى وقف فى المرحلة الجنينية عند الشامبانزى ، وقد شعر بعض العلماء أن ذلك يرتبط بالنمو النهائى للمخ البشرى ، الذى يتضاعف نموه فى العام الأول بعد الميلاد ، لكن اهتمام هنرى كان فى القدرة على الكلام ، ولكى يحدث الكلام ، يجب أن تتحرك الأحبال الصوتية أسفل الحنجرة من الفم ، مكونة صندوق الصوت ؛ وذلك يحدث فى البشر ، ولكن ليس فى الشامبانزى . إن تتابع عمليات التطور بالكامل كان أمرًا معقدًا بشكل ضخم .

لقد أمل هنرى أن يحصل على جنين يكون محورًا جينيًا ، ومن ذلك يكتسب بعض المعرفة بشأن ذلك التغيير فى التطور البشرى والذى جعل الكلام ممكنًا بالنسبة للبشر . على الأقل ، كانت هذه خطته الأصلية .

سألته : " لماذا لم تنتزع الجنين من الشمبانزى كما اعتزمت ؟ " .

" لأن فى هذا الصيف ، أصيب العديد من الشامبانزى بالتهاب الدماغ الفيروسى ، ونقلت الشمبانزى السليمة بعيدًا فى عزل صحى . لقد أُخذت لمعامل مختلفة حول الساحل الشرقى . لم أسمع أى شىء عن الجنين الذى زرعته . وكان كل ما أفترضه هو أن الأنثى قد أجهضت تلقائيًا فى العزل الصحى فى مكان ما ، وتم التخلص من الجنين . لم أستطع أن أسأل عن قرب . . . " .

" لأن ما قمت به كان غير قانونى " .

" حسنًا . هذه كلمة قوية . لقد افترضت أن التجربة قد فشلت وقد انتهت " .

" ولم تخمن العكس " .

قال : " لا ، لم أخمن العكس " .

ما حدث أن الأنثى وضعت طفلاً كاملاً ، وأن الاثنين عادا إلى بيثيسدا ، لقد بدا أن الشامبانزى طبيعى فى كل الجوانب . ربما كان جلده شاحبًا إلى حد ما ، خصوصًا حول منطقة الفم ؛ حيث لم يكن هناك شعر . لكن قرود الشمبانزى بطبيعة الحال تختلف فى كمية الصبغات التى تولد بها ، لذلك لم يفكر أحد فى ذلك الأمر .

ومع نمو الطفل الشمبانزى ، بدا مختلفاً قليلاً عن القرود الأخرى . الوجه الذى كان أصلاً مسطحًا ، لم يبرز للخارج مع تقدم العمر ، والخصائص الوجهية بقيت طفولية أكثر . ومع ذلك لم يفكر أحد فى التساؤل عن المظهر الغريب لذلك القرد ــ حتى اكتشفوا عن طريق اختبار روتينى للدم أن اختبار الطفل جاء سلبيًا لإنزيم حمض السياليك ؛ حيث إن كل الشامبانزى تحمل هذا الإنزيم ، فافترضوا أن الاختبار خاطئ وأعادوه . وقد جاء سالبًا مرة أخرى . لم يكن لدى طفل الشامبانزى هذا الإنزيم .

قال هنرى : " إن غياب الإنزيم هو صفة بشرية . إن حمض السياليك هو نوع من السكر . لا يوجد بشر لديهم " الجى . سى " من حمض السياليك ، ولكن كل القرود لديها ذلك " .

" ولكن هذا الطفل لم يكن لديه ؟ " .

" صحيح . لذلك قاموا بعمل اختبار ووجدوا أن الطفل القرد ليس لديه ١,٥ ٪ من نسبة الاختلاف المعتادة فى الجينات عن البشر . لقد وجدوا أن جيناته بها بعض الفروق الطفيفة عن جينات البشر ، وبدأوا حينها فى إدراك الأمر " .

" واختبروا وقارنوا الحمض النووى الخاص بالشمبانزى مع الحمض النووى لكل شخص عمل فى المعمل " .

" نعم " .

" ووجدوا أنها تطابق الحمض النووى الخاص بك " .

" نعم ، مكتب بيلارمينو أرسل لى عينة منذ أسابيع مضت . أعتقد ليعطونى تنبيهًا " .

" ماذا فعلت ؟ " .

" أخذت العينة لصديق ليقوم بتحليلها " .

" صديقك فى لونج بيتش ؟ " .

" نعم " .

" وماذا عن بيلارمينو ؟ " .

" إن كل ما يريده هو أن يكون بعيداً عن مسئولية ما حدث ، فإذا تسربت كلمة عن هذا الأمر للخارج " ، وهزّ رأسه فى أسف ـ ثم أردف قائلاً : " عندما كنت أقود السيارة عائدًا إلى هنا ، عند غرب شيكاغو تلقيت مكالمة من الفتى روفاك فى معمل الحيوانات ، وقد قال لى أنت مسئول وحدك عن هذا الأمر ، يا صديقى . هذا هو موقفهم . إنها مشكلتى وليست مشكلتهم " .

عبس وجه لين وقالت : " أليس هذا اكتشافاً رئيسيًا ؟ ألا يجب أن يجعلك مشهورًا حول العالم ؟ لقد صنعت أول قرد محور جينيا " .

قال هنرى : " المشكلة هى أننى يمكن أن يتم تعنيفى رسمياً بسبب ذلك ، ربما حتى أوضع فى السجن لأننى لم أحصل على تصريح من اللجان التى تشرف على أبحاث الثدييات ؛ فإن المعهد القومى للصحة الآن يمنع العمل على التحور الجينى على أى حيوان بخلاف الفئران . لأن كل أعداء عمليات التحور الجينى ممن عانوا منه ومخبولى فرانكين فود سيتكاتفون معارضين ذلك ؛ لأن المعهد القومى للصحة لا يريد أى اشتراك أو تورط فى هذا وسوف ينفى أى معرفة به " .

" إذن ألن تستطيع أن تخبر أحدًا أبدًا من أين أتى ديف ؟ هذه مشكلة ، يا هنرى لأنك لن تستطيع الاحتفاظ به كسر أبداً " .

قال ببؤس : " أعرف " .

" إن تريسى على الهاتف الآن ، تخبر كل أصدقائها عن القرد الصغير الجميل فى فنائها الخلفى " .

" نعم . . . " .

" صديقاتها سيحضرن هنا في خلال دقائق . كيف ستفسر أمر ديف لهم ؟ وبعد الفتيات سيأتى المراسلون " . نظرت لين لساعتها وقالت : " ربما يأتون في خلال ساعة أو ساعتين كحد أقصى ماذا ستقول لهم ؟ " .

" لا أعرف . ربما . . . أقول إن العمل قد تم فى بلد آخر . في الصين أو في جنوب كوريا ، وقد أرسلوه هنا " .

" وماذا سيقول ديف ، عندما يتحدث المراسلون معه " .

" سأطلب منه ألا يتحدث معهم " .

" إن المراسلين لن يتركوا الأمر دون تدخل ، يا هنرى . سوف يعسكرون خارج المنزل بعدسات طويلة المدى ، وسوف يرسلون طائرات هليوكوبتر من أعلى ، وسيكونون فى أول طائرة إلى الصين أو كوريا ليتحدثوا مع الشخص الذى فعل ذلك ، وعندما لا يجدون هذا الشخص ... ماذا سيحدث حينها ؟ " .

حملقت فيه ، ثم مشت إلى الباب ونظرت إلى الفناء الخلفى ؛ حيث كان ديف يلعب مع جيمي . كان كلاهما يصرخ ويتأرجح خلال الأشجار ، وصمتت لدقيقة ، ثم قالت : " هل تعرف ، إن جلده شاحب جدًا حقاً " .

" أعرف " .

" ووجهه مسطح ، وجه بشرى تقريباً . ترى كيف سيبدو إذا حلق شعره ؟ " .

لقد كان نفس الشيء ينطبق على الذين يولدون وهم مصابون بتناذر جاندلر ـ كروخيم ، وهو تحول جينى نادر يسبب قصر القامة ، ووجود شعر كثيف بالجسم ، وتشوهات بالوجه تؤدى إلى مظهر أشبه بشكل القرد . لقد كان هذا التناذر نادرًا جدًا . لقد تم تسجيله فقط أربع مرات فى القرن الأخير . أول حالة كانت فى أسرة أرستقراطية مجرية فى بودابست فى عام ١٩٢٣ . وولد طفلان مصابان بهذا التناذر وقد تم وصفهما فى الأبحاث الطبية المطبوعة بواسطة دكتور " اميل كروخيم " وهو طبيب نمساوى . والظهور الثانى حدث فى طفل ولد فى شمال ألاسكا فى عام ١٩٤٤ . وطفل ثالث ، وكانت فتاة ، ولدت فى ساو باولو فى عام ١٩٥٧ ، ولكنها ماتت من عدوى بعد أسابيع قليلة بعد الميلاد . وطفل رابع ، فى بروجيس ، بلجيكا ، فى عام ١٩٨٨ ، وقد قامت وسائل الإعلامٍ بملاحقته لفترة وجيزة ولكن تلاشت الأخبار عنه تدريجياً ، ولا أحد يعرف مكان إقامته الآن .

قالت لين : " أنا أحب ذلك " ، ثم أخذت تكتب على الكمبيوتر المحمول " ما اسم هذا التناذر هل هو الاضطراب فى نمو الشعر ؟ هل هو اضطراب الشعر الوراثى الزائد ؟ " .

قال هنرى : " إنه مرض نمو الشعر المفرط " .

" صحيح " استمرت فى الكتابة . إذن جاندلر ـ كروخيم له علاقة بـ . . . بمرض نمو الشعر المفرط . حقًا . . . مرض نمو الشعر المفرط الخِلقى . لقد كانت هناك خمسون حالة تم تسجيلها فى الأربعمائة سنة الماضية " .

" هل تكتبين ذلك ، أم تقرئين ذلك من على الشاشة ؟ " .

" كلاهما " وجلست مرة أخرى وقالت : " حسنًا هذا كل ما أريده الآن . من الأفضل أن تذهب وتخبر ديف بالأمر " .

" أخبره بماذا ؟ " .

" أنه بشر ، وربما يعتقد بأنه كذلك على أية حال " .

" حسنًا " وبينما مشى هنرى نحو الباب ، قال : " هل تعتقدين أن هذا سينجح ؟ " .

قالت لين : " أنا أعرف أنه سينجح ، إن كاليفورنيا لديها قوانين ضد اقتحام خصوصية الأطفال ذوى الحالات الخاصة . الكثير من هؤلاء الأطفال لديهم تشوهات خطيرة ؛ فإن لديهم ما يكفيهم من صعاب وتحديات يواجهونها فى النمو والذهاب إلى المدرسة بدون العبء المضاف لتعرض وسائل الإعلام . فهناك غرامات كبيرة تفرض على وسائل الإعلام التى تفعل ذلك وتتعرض لمثل هؤلاء الأطفال ، إنهم لن يفعلوا ذلك " .

قال : " ربما " .

قالت : " هذا هو أفضل ما يمكننا عمله الآن " ، وأخذت تكتب مرة أخرى .

توقف عند الباب . " إذا كان ديف بشراً ، لا يمكننا إذن أن نرسله إلى السيرك " .

قالت لين : " آه ، لا ، لا إن ديف سيعيش معنا . إنه جزء من أسرتنا الآن ـ والفضل لك . ليس لدينا خيار آخر " .

ذهب هنرى للخارج . كانت تريسى وأصدقاؤها واقفين أسفل الشجرة ، يشيرون إلى الفروع ويقولون : " انظروا إلى القرد ! انظروا إليه ! " .

قال هنرى لهم : " لا ، إنه ليس قرداً . وأرجوكم لا تحرجوه . ديف يعانى من اضطراب جينى نادر . . . " ، وشرح لهم ، وقد استمعوا باندهاش .

لقد كان لدى جيمى سرير مزود بقوائم صغيرة يمكن فردها لتصبح سريراً آخر صغيرًا وكان يستعمله عندما ينام عنده أحد أصدقائه . فردته لين ، ونام ديف عليه بجانب جيمى . لقد كانت آخر كلماته : " إنه ناعم جدًا " ، ونام فى الحال ، بينما

مررت لين يديها بشكل مهدئ خلال شعره . قال جيمي : " إن هذا رائع جدًا يا أمي . الأمر أشبه بأن يكون لك أخ " .

قالت : " إنه ليس كذلك " .

أطفأت النور وأغلقت الباب ، وعندما ألقت نظرة أخرى عليهما بعد ذلك ، وجدت أن ديف قد لوى الملاءات في دائرة حوله ، صانعًا ما يشبه العش في وسط الفراش .

قالت تريسي وهي واقفة في المطبخ تضع يديها على خصرها " لا ، لا يمكن أن يعيش في منزلنا . كيف يمكن أن تفعل هذا بي ، يا أبي ؟ " .

" أفعل ماذا ؟ " .

" تعرف ما سيقوله الأطفال الآخرون . إنه قرد يشبه إنسانًا ، يا أبي . وهو يبدو مثلك بأنف مزكوم " ، وأوشكت على البكاء : " إنه أحد أقاربك ، أليس كذلك ؟ إن لديه جيناتك " .

" الآن ، تريسي . . . " .

" أنا محرجة جدًا " ، وبدأت تبكي . " كانت لدى فرصة لأكون قائدة فريق تشجيع فريشمان " .

قال : " تريسي ، أنا متأكد أنك ستصبحين ـــ " .

" لقد كان هذا العام هو فرصتي ، يا أبي ! " .

" ومازالت الفرصة أمامك " .

" ليس إذا كان لدى قرد في منزلي " .

ذهبت إلى الثلاجة لتحضر مشروباً غازياً ، وعادت مازالت تبكي ، وذلك عندما دخلت أمها ، قالت لين بحزم : " إنه ليس قردًا . إنه طفل صغير سيئ الحظ يعاني من مرض خطير " .

" آه ، بالتأكيد ، يا أمي " .

" اذهبي ، وابحثي بنفسك عن الأمر عن طريق موقع البحث جوجل " .

" سأفعل " كانت مازالت تبكـى ، ومـشت نحـو الكمبيـوتر . نظر هنرى إلى لين ، ثم تحرك لينظر على شاشـة الكمبيـوتر مـن فوق كتف ابنته .

اضطراب مرض نمو الشعر المفرط مسجل عام ١٩٢٣ (المجر)

تناذر جاندلر . كروخيم يوم الاثنين ١ يناير ٢٠٠٦ الساعة ٥:٠٥ مساءً دون شك قسوة مشاكل الشعر أمر ثانوى مقارنة بمن يعانى من هذا الاضطراب . الحالات المرضية المجرية لم تشهد اضطرابًا أكثر قسوة من هذا ، فى عام ١٩٢٣ . . .

Dot. Gks. Org/ ٨٩٧٢٧٦٧/٩٨٧٧٦٧٦/٩٤٩٠٠٥٦ ٢٢K صفحات مشابهة

تناذر جاندلر . كروخيم . قضية اينويت (١٩٤٤)

فى الأيام المحمومة للحرب العالمية الثانية يعانى طفل اينويت من مرض **جاندلر . كروخيم** فى شمال الأسكا مدينة ساندوك وتم علاجه بواسطة . . .

Dot. Gks .org /FAQ- G-S/٧٨٤٤٩٠٨/nuit صفحات مشابهة

سيدة تلد طفلاً قرداً فى بيجينج

جريدة الصين الجديدة ذكرت طفلاً بشعر مثل الشمبانزى ويدين وقدمين كبيرين ، ولد لسيدة منغولية تدعى أنها تزاوجت مع قرد روسى من أجل المال . السؤال هو هل تناذر **جاندلر . كروخيم** هذا حالة نادرة جدًا . . .

Dot. Gks. Org/ ٤٥٧٧٨٧٨/٩٨٧٧٦٧٦/٤٩٠٠٥٦ ٦٦K صفحات مشابهة

" الرجل القرد " فى دلهى . حالة جديدة من جاندلر . كروخيم !

ذكرت هندوستان تايمز رجلا بمظهر وخفة حركة قرد ، قادرًا على القفز من سقف بيت إلى آخر ، يخيف السكان المحليين . تم استدعاء ٣٠٠٠ من رجال الشرطة لكى . . .

Dot. Gks. Org/ ٤٥٧٧٨٧٨/٩٨٧٧٦٧٦/٤٩٠٠٥٦ ٦٦K صفحات مشابهة

تناذر جاندلر . كوخيم . من بلجيكا

كانت صورة الطفل الصغير الذى يبدو مثل قرد قد ظهرت بكثرة فى صحافة بروكسيل بالإضافة إلى مطبوعات فى باريس وبون . بعد عام ١٩٨٩ اختفى الطفل الذى كان اسمه جيلليس عن النظر العام . (ترجمة)

Dot. Gks. Org/ ٤٥٧٧٨٧٨/٩٨٧٧٦٧٦/٤٩٠٠٥٦ ٦٦K صفحات مشابهة

قالت تريسى : " لم يكن لدى فكرة عن ذلك " ، وظلت محدقة إلى الشاشة ، ثم قالت : " لقد كان هناك أربع أو خمس حالات في التاريخ . يا لهذا الفتى المسكين ! " .

قال هنرى : " إنه متميز جدًا . آمل أن تعامليه بشكل أفضل الآن " . وضع يده على كتف تريس ونظر إلى زوجته . " هل قمت بتجميع كل هذا في ساعتين ؟ " .

قالت : " إنك لم تر إمكاناتى الحقيقية بعد " .

الفصل ٣٧

كان هناك خمسون مراسلاً في غرفة المؤتمرات في فندق شنغهاى هوا تينج ، يجلسون في صف بعد صف على مقاعد مغطاة باللباد الأخضر . كانت كاميرات التلفاز جميعًا في نهاية الغرفة ، وكان المصورون يجلسون على الأرض إلى الأمام بعدساتهم الكبيرة المقربة .

ومضت فلاشات الكاميرات عندما صعد البروفيسيور شين زيهونج ، رئيس معهد الكيمياء الحيوية وبيولوجيا الخلايا ، في شنغاهاى ، إلى الميكروفونات وهو يرتدى حُلة سوداء . لقد كان شين رجلاً حسن المظهر وكانت لغته الإنجليزية ممتازة ؛ فهو قبل أن يصبح رئيسًا للمعهد ، قضى عشر سنوات في كمبريدج ، ماساتشوستس كبروفيسيور لتكنولوجيا الخلية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا .

قال : " أنا لا أعرف ما إذا كان ما سأخبركم به يعتبر أخباراً جيدة أم سيئة ، لكنني أشك أنها قد تكون أخباراً مخيبة للآمال ، ومع ذلك أود أن أنهى شائعات محددة ظهرت مؤخراً ".

لقد شرح ، أنه لسبب معين ، بدأت بعض الشائعات في الانتشار عن بحث غير أخلاقي في الصين ، وذلك بعد انتهاء الندوة الثانية عشرة المشتركة لدول شرق آسيا للبحوث الحيوية

الطبيـة فـي مدينـة شاوكـسينج ، والتـي عقـدت فـي مقاطعـة زيجيانج . قال شين : " ليس لدى فكرة لماذا انتشرت شائعة مثل هذه ، لقد كان المؤتمر عاديًا جدًا ، وتقنيًا فى طبيعته " . ولكن ، فى المؤتمر التالى ، الذى عقد فى سيول ، كان المراسلون من تايوان وطوكيو يسألون أسئلة محددة .

لـذلك فقـد نـصحنى بـايونج جـاى لى ، رئـيس البيولوجيـا الجزيئيـة فـى جامعـة سـيول القوميـة ، أن نواجـه هـذا الأمـر مباشرة وبوضـوح ؛ فلقـد مـر بتجربـة جعلتـه مـدركاً لمدى قـوة الشائعات " .

كان هناك أصوات بين الحاضرين تشير إلى أنهـم علـى درايـة بما يتحدث عنه . كان شـين يـشير بـالطبع ، للفـضيحة العالميـة التى انتشرت حول عالم الوراثة الكورى هوانج وو سوك .

قال : " لذلك ، سأدخل فى الموضوع مباشـرة : لعـدة سـنوات كانت هنـاك شـائعات حـول أن العلمـاء الـصينيين حـاولوا خلـق هجين من البشر والشمبانزى وفقًا لتلك القصة ، التى تعـود لعـام ١٩٦٧ ، قـام جـراح يـدعى جـى يونجكـسيانج بتلقـيح أنثـى شامبانزى بسائل منوى بشرى . لقد كانت الشمبانزى فى الـشهر الثالـث مـن الحمـل ، عنـدما هـاجم المواطنـون الغاضـبون معملـه وأنهوا التجربة . وقد مات الشمبانزى لاحقـا ، ولكـن البـاحثين فى الأكاديمية الصينية للعلوم قالوا إنهم سيكملون البحث " .

توقف شين ، ثم قال : " هذه هى القـصة الأولى . وهـى غـير حقيقية بالكامل . لم يكـن هنـاك أبـدًا شمبـانزى حمـل بمعرفـة دكتور يونجكسيانج أو أى شخص آخر فى الصين . ولم يكن هناك شمبانزى تم تلقيحه فى أى مكان فى العالم ، وإذا كان قد حـدث لكنتم قد عرفتم بـه .

ثـم فـى عـام ١٩٨٠ ، انتـشرت قـصة جديـدة بـأن بـاحثين إيطاليين قد رأوا جنينًا بشريًا ـ شمبانزى فى معمل بيجينج . لقد سمعت هذه القصة عندما كنت أسـتاذاً فـى معهـد ماساتـشوستس

للتكنولوجيا ، وطلبت أن أقابل الباحثين الإيطاليين المذكورين . لكنهم لم يكونوا موجودين أبدًا ، ولم يكن هناك من يعرفهم لأنهم كانوا دائمًا صديقا لصديق آخر " .

انتظر شين حتى ومض فلاش الكاميرات مرة أخرى . لقد كان المصورون الزاحفون عند قدميه يضايقونه . بعد دقيقة ، استمر قائلا : " والقصة التالية كانت منذ سنوات قليلة مضت ، كانت قصة السيدة المنغولية التى ولدت طفلاً له ملامح شمبانزى . وقيل إن الرجل الشمبانزى يشبه البشر ، ولكنّ لديه شعرًا كثيفاً ويدين وقدمين كبيرتين . وقالوا إن الشمبانزى يشرب المياه الغازية ويتحدث بعبارات واضحة . ووفقًا للقصة ، فإن الشمبانزى الآن فى مقر وكالة الفضاء الصينية بحى تشاو يانج ، وقالوا إنه يمكن رؤيته أحيانًا عند إحدى النوافذ يقرأ الجرائد ويدخن سيجارًا ، ومن المفترض أن يرسل إلى القمر لأنه من الخطر جدًا إرسال إنسان .

هذه القصة ، أيضًا ، زائفة . كل القصص زائفة . أنا أعرف أن هذه القصص تكون مشوقة ومثيرة ولكنها غير حقيقية . ولماذا يجب أن تكون مثل هذه القصص الزائفة فى الصين ؟! أنا غير متأكد . وخصوصًا أن البلدة التى تفرض أقل القوانين للتجارب الجينية هى الولايات المتحدة . يمكنك أن تفعل أى شىء هناك تقريبًا ؛ فلقد قاموا فى الولايات المتحدة وبنجاح بتزويج قرد الجبون مع حيوان الجبون وهى ثدييات بين جيناتها اختلاف أكبر بكثير من الاختلاف الذى يوجد بين الإنسان والشمبانزى البشر والشمبانزى . وأنتج ذلك حالات ميلاد كثيرة . حدث ذلك فى جامعة ولاية جورجيا . منذ حوالى ثلاثين عامًا مضت " .

ثم فتح الباب لأسئلة الصحفيين وقد كانت الأسئلة :

سؤال : دكتور شين ، هل الولايات المتحدة تعمل على هجين شمبانزى ؟

دكتور شين : ليس لدى أى سبب لأفكر فى ذلك . لقد ذكرت فقط ملاحظة أن الولايات المتحدة تفرض قواعد أقل على مثل هذه الإجراءات .

سؤال : هل يمكن تلقيح شمبانزى بسائل منوى بشرى ؟
دكتور شين : إجابتى هى لا . لقد تمت محاولة ذلك لمدة حوالى قرن مضى وفشل الأمر . نعود لعام ١٩٢٠ عندما أمر ستالين أشهر علماء تهجين الحيوان فى روسيا بفعل ذلك ؛ حيث كان ستالين يرغب فى تطوير جنس جديد من الجنود له . كان اسم العالم إيفانوف ، وقد فشل ، وتم إلقاؤه فى السجن ، بعد سنوات قليلة حاول علماء هتلر وأيضًا فشلوا . واليوم نحن نعرف أن الجينوم البشرى والشمبانزى متشابه جدًا ، ولكن شروط الرحم مختلفة إلى حد بعيد . لذلك ، أقول لا ، لا يمكن ذلك .

سؤال : هل يمكن أن يتم ذلك عن طريق الهندسة الوراثية ؟
دكتور شين: من الصعب قول ذلك ، وسيكون صعبًا جدًا من الناحية التقنية ، ومن الناحية الأخلاقية ، وأقول إن ذلك مستحيل .

سؤال: لقد تقدم بالفعل عالم أمريكى ببراءة هجين بشرى .
دكتور شين : لقد تم رفض براءة دكتور " ستيوارت نيومان " من نيويورك لتهجين بشرى جزئى . ولكنه لم يصنع هجينًا كاملاً . قال دكتور نيومان إنه تقدم بالبراءة ليلفت الانتباه للقضايا الأخلاقية المرتبطة بعملية التهجين ، والقضايا الأخلاقية مازالت لم تحل بعد .

سؤال: دكتور شين ، هل تعتقد أن العلماء فى نهاية الأمر سيتمكنون من صنع هجين ما ؟
دكتور شين: لقد دعوت إلى هذا المؤتمر الصحفى لأنهى التخمينات لا لأزيدها ، لكن إذا سألت عن رأيى الشخصى ، أعتقد ، نعم ـ ربما يحدث ذلك فى النهاية .

الفصل ٣٨

طاردت الذكرى مارك سانجر - داهم ذهنه صورة تلك السلحفاة المسكينة ، مدفوعة إلى الشاطئ فى الليل فى كوستاريكا ، وهى قليلة الحيلة بينما انقض الجغور أو النمر الأمريكى عليها ، يعض رأسها ، واستمر ليأكل اللحم بينما أرجلها مازالت تقاوم فى ضعف ، وكل ذلك مع صوت طحن العظام ، عظام رأسها .

لم يتوقع مارك سانجر أن يرى شيئًا بهذه الفظاعة . لقد أتى إلى الشاطئ عند تورتوجيرو ليشهد السلاحف العملاقة جلدية الظهر تزحف خارج المحيط لتضع بيضها فى الرمل . وكعالم فى علم الأحياء ، قد عرف أن هذه كانت هجرة كبيرة تشهدها الأرض لفترات زمنية لا تعد . إن إناث السلاحف كانت تشترك فى أحد أكبر مشاهد الأمومة ورعايتها ، وتجلت مظاهر هذه الأمومة فى الزحف عالياً على الشاطئ ، ووضع بيضها على عمق فى الأرض ، وتغطيته بالزعانف المستنفذة ، ثم جرف الرمال النظيفة بعناية ، لمحو أى أثر للبيض بأسفل . لقد كان طقسًا بطيئا ، ووديعًا ، موجهًا بواسطة تلك الجينات التى عاشت واستمرت مع تلك الحيوانات الوديعة من آلاف الأعوام الماضية .

ثم جاء إلى هذا المكان وكان بمثابة شعاع ضوئى مظلم فى جنح الليل ، وفجأة فى الصيف الماضى تغير كل شىء بالنسبة لمارك سانجر . وحشية الهجوم وسرعته وقسوته ، صدمته بعمق . فقد أكدت شكوكه أن العالم الطبيعى قد ذهب فى اتجاه خاطئ على نحو خطير . وكل شىء كان الإنسان يفعله فى الأرض قد أفسد التوازن الرقيق للطبيعة . التلوث ، هجوم الصناعة ، وضياع البيئة الطبيعية ـ وعندما انضغطت وُوضعت الحيوانات فى جانب واحد من الأرض التى كانت فسيحة أمامها ، تصرفت بقسوة ، فى محاولة يائسة للبقاء على قيد الحياة .

لقد كان هناك تفسير للهجوم المروع الذى شهده . وهو أن العالم الطبيعى فى انهيار . لقد ذكر ما رآه لعالم الطبيعة الوسيم جدًا " رامون فالديز " ، الذى كان بصحبته . هزّ فالديز رأسه وقال : " لا يا سيد سانجر ، لقد كان هذا هو الحال دائمًا منذ أيام أبى وجدى وأجدادى من قبل . لقد كانوا دائمًا يتحدثون عن الجغور الذى يشن هجوماً فى الليل . إنه جزء من دورة الحياة " .

" ولكن لم يعد هناك مزيد من الهجمات الآن فبسبب كل هذا التلوث . . . " .

" لا يا سيدى . ليس هناك تغيير . كل شهر يلتهم الجغور من اثنتين إلى أربع سلاحف ؛ فلدينا سجلات تعود إلى سنوات كثيرة مضت تؤكد ذلك " .

" إن العنف الذى نراه هنا ليس طبيعيًا " .

على مسافة ليست بعيدة ، كان الجغور ما زال يلتهم السلحفاة الأم ، والعظام مازالت تطحن .

قال رامون فالديز : " ولكنه أمر طبيعى ، إنها الطريقة التى تسير عليها الأشياء " .

لم يكن سانجر يريد أن يتحدث عن هذا الموضوع أكثر من ذلك . لقد كان فالديز بوضوح مدافعاً عن الصناعيين ، تلك

الشركات الأمريكية الكبيرة التى سيطرت على كوستاريكا ودول أمريكا اللاتينية . وليس من المدهش أن تجد هذا الشخص هنا ، منذ أن تحكمت المخابرات الأمريكية المركزية في كوستاريكا لمدة عقود . لم يعد هذا موطناً ريفياً ، بل أصبح تابعًا لمصالح الأعمال الأمريكية ، والأعمال الأمريكية لم تعط أى اهتمام بالبيئة .

قال رامون فالديز : " فلابد للجغور أن يأكل ، وأعتقد أنه من الأفضل أن يأكل سلحفاة بدلاً من أن ينقض على إنسان " .

فكر مارك سانجر فى أن ذلك مسألة رأى .

وعندما عاد سانجر إلى منزله في بيركلي ، جلس فى شرفته وفكر ماذا يفعل ، وعلى الرغم من أن سانجر أخبر الناس من حوله بأنه عالم فى الأحياء ، إلا أنه لم يحصل على تدريب ميدانى رسمى ؛ فالواقع هو أنه قد حضر عامًا فى الكلية قبل أن ينقطع عن الدراسة ويعمل لفترة قصيرة فى شركة " كاثر وهوللى " للعمارة الطبيعية ولم يتعلم مادة الأحياء إلا من خلال منهج دراسى حصل عليه فى المرحلة الثانوية . وكابن رجل مصرفى ، كان لدى سانجر وديعة كبيرة ولم يكن فى حاجة للعمل ليدعم نفسه ، ولكنه كان على أى حال فى حاجة إلى هدف فى الحياة . الثروة فى رأيه ، جعلت سعيه فى تحقيق هويته الشخصية أمراً أكثر صعوبة ، وكلما كبر فى السن ، كان من الصعب عليه التفكير فى العودة لإنهاء كليته .

وأخيرًا بدأ يعرف نفسه كفنان . والفنانون لا يحتاجون إلى تدريب رسمى . فى الواقع لقد تداخل التعليم الرسمى مع قدرة الفنان على شعوره بروح العصر ، وفى قدرته على ركوب أمواج التغيير التى تدور خلال المجتمع ، وقدرته على صياغة استجابة ورد فعل لها . لقد كان سانجر في رأيه الشخصى حسن الاطلاع جدًا . لقد قرأ أبحاث بيركلي ، وأحيانًا مجلات مثل الأم جونز ، والعديد من المجلات البيئية . ليس كل شهر ، ولكن أحيانًا . فى

الحقيقة هو غالبًا ما ينظر للصور ، ويتصفح القصص ، ولكن ذلك كان كل ما هو لازم لمتابعة روح العصر .

الفن يتعلق *بالمشاعر* . إن الفن هو وصف لمشاعرك وأنت تعيش في عالم مادى ، برفاهياته المبهرجة ، والوعود الزائفة ، وخيبة الأمل العميقة . إن الخطأ فى الناس اليوم هو أنهم قد تجاهلوا مشاعرهم .

إن مهمة الفن أن يعيد المشاعر الحقيقية للحياة . أن يصدم الناس فى وعيهم ، لذلك فإن كثيرًا من الفنانين الشبان اليوم يستخدمون أساليب جينية ومواد حية ليصنعوا الفن . لقد أسموه الفن الحى أو فن الأنسجة . والكثير من الفنانين الآن يعملون لدوام كامل فى معامل العلوم ، والفن الذى ينتجونه يعتبر دون ريب فناً علميًا . لقد قام أحد الفنانين بتنمية شرائح لحم فى صحن زجاجى بالمختبر وأكلها أمام الجمهور ، كنوع من العرض (ويفترض أن طعمها بغيض . على أى حال فهى محورة جينيًا . شىء مقزز) . وهناك فنان فى فرنسا صنع أرنبًا متوهجًا بوضع جينات مضيئة أو شىء من هذا القبيل فيه . هناك بعض الفنانين الذين قد غيروا لون شعر الحيوانات ، وأعطوها تدرج لون قوس قزح ونموا ثنيات على رأس جرو جميل .

أثارت هذه الأعمال الفنية مشاعر قوية . وقد شعر الكثير من الناس بالاشمئزاز تجاهها ، ولكن سانجر فكر أنهم يجب أن يشعروا باشمئزاز . يجب أن يشعروا بنفس رد الفعل المفاجئ الذى شعر به بنفسه وهو يشاهد مذبحة السلحفاة الأم بواسطة جغور على الشاطئ فى كوستاريكا . هذا الإفساد البشع للطبيعة ، وهذه الوحشية البغيضة التى لم يستطع أن يخرجها من ذهنه .

وذلك ، بالطبع كان السبب فى صناعة الفن .

لا فن من أجل الفن ، ولكن فن لفائدة العالم ، فن لمساعدة البيئة . لقد كان ذلك هدف مارك سانجر ، وبدأ يحققه .

اعتقال طبيب محلى بتهمة سرقة الأعضاء

تورط أحد أعضاء فى مستشفى لونج بيتش التذكارى فى تهمة سرقة الأعضاء : اللصوص باعوا العظام والدم والأعضاء

تم اعتقال طبيب مشهور بمستشفى لونج بيتش بتهمة بيع الأعضاء بشكل غير قانونى ؛ حيث تم نزع تلك الأعضاء من أجساد الموتى فى مستشفى لونج بيتش التذكارى .

اتهم دكتور مارتن روبرتس مدير معامل الباثولوجى ، والمسئول عن التشريح فى المستشفى فى ١٤٣ حالة غير قانونية ؛ حيث تم نزع تلك الأعضاء وبيعها لبنوك الأنسجة .

تقول النائب العام لحى لونج بيتش ، " باربرا بيتس : " إن هذا الاتهام أشبه بقصة فيلم رعب . وقد وجهت بيتس فى اتهامها للدكتور روبرتس تهم تزييف شهادات الوفاة ، وغش النتائج المعملية والتآمر مع بيوت الجنازات المحلية والمقابر لإخفاء أخطائه الكثيرة " .

وهذه القضية هى أحدث حلقة فى سلسلة سرقة الأعضاء ذلك الوباء المنتشر على المستوى القومى فى العصر الحديث . وهناك قضايا أخرى تورط فيها دكتور . مايك ماسترومارينو ، مليونير بروكلين ، القاطن بنيويورك ، وهو طبيب أسنان ، والذى فى خلال مدة خمس سنوات قام بسرقة أعضاء من الآلاف من الجثث ، تتضمن عظامًا من " اليستر كوك " ، الذى يبلغ من العمر ٩٥ عامًا ، وقد تورطت أيضاً شركة " فورت لى نيوجيرسى " للأدوية البيولوجية والتى باعت أجزاء الأجسام بماستروماريتو لبنوك الأنسجة عبر الولايات المتحدة ؛ وهناك محرقة فى سان دييجو تم اتهامها بسرقة أجزاء بشرية من الجثث المودعة لديها ؛ وأخرى فى بحيرة السينور ، بولاية كاليفورنيا ؛ حيث كانت أجزاء الجسم توضع فى ثلاجات ضخمة قبل البيع ، والمركز الطبى لجامعة كاليفورنيا ؛ حيث تم تقطيع ٥٠٠ جثة وبيعت بمبلغ ٧٠٠٠٠٠ دولار ، بعضها لشركة جونسون وجونسون .

قالت النائب العام بيتس : " إن هذه المشكلة سائدة فى جميع أنحاء العالم " فقد ذكرت سرقة الأنسجة فى إنجلترا ، وكندا ، وأستراليا ، وروسيا ، وألمانيا ، وفرنسا . ونحن نعتقد أن هذه السرقات تحدث الآن فى كل مكان فى العالم ، وأضافت بيتس : " إن المرضى يشعرون بقلق شديد " .

زعم دكتور روبرتس أنه برىء من كل التهم الموجهة إليه وتم إطلاق سراحه بكفالة قدرها مليون دولار . وأيضًا تم اتهام أربعة عاملين آخرين بمستشفى لونج بيتش التذكارى من ضمنهم ماريلى هنتر ، رئيسة معامل الوراثة .

أعرب كيفين ماككروميك المدير العام للمستشفى عن صدمته الشديدة ، وقال : " إن سلوك دكتور روبرتس يتنافى مع كل شىء تمثله مؤسستنا " . وقال إنه طلب مراجعة شاملة لإجراءات المستشفى وسوف يعلن التقرير للجمهور عندما يكتمل .

ويقول المدعون إنهم قد انتبهوا لهذه المخالفات من خلال بلاغ تقدم به شخص يدعى رازا رشاد . والسيد رشاد هو طالب بالسنة الأولى بكلية الطب بجامعة سان فرانسيسكو الذى كان يعمل سابقًا فى معمل الباثولوجى تحت إشراف دكتور روبرتس ، وشهد العديد من الأنشطة غير القانونية والمخالفات هناك . قالت بيتس : " إن شهادة السيد رشاد حيوية لبناء قضية المدعى " .

الفصل ٣٩

أسرع جوش وينكلر إلى داخل وحدة الحيوان ليرى ما كان تـوم ويللر يتحدث عنه ، وقال : " كم فأرًا مات ؟ " .

" تسعة " .

جعلت الأجسام المتيبسة لتسعة فئران نافقة ترقد على جنبها في تسعة أقفاص متتالية جوش وينكلر يبدأ فـي العـرق . قـال : " يجب أن نشرحها ، متى ماتت ؟ " .

قال توم : " يجب أن يكون هذا قد حدث خلال الليل ؛ حيث تم تغـذيتها فـي الـسادسة ؛ ولم تكـن هنـاك ملاحظـات لوجـود مشاكل عندئذٍ " . كان توم ينظر إلى لوح كتابة الملاحظات .

قال جوش : " في أي مجموعة دراسية كانوا " ؟ سأل بينمـا كان خائفاً من أنه يعرف الإجابة مسبقا .

قال توم : " أ ـ ٧ " دراسة جين النضج " .

" يا إلهي ! " .

حاول جوش أن يبقى هادئاً . سأله : " وكم كان عمرها ؟ " .

" أم م م . . . دعنا نر . ٣٨ أسبوعاً وأربعة أيام " .

" آه يا إلهي ! " .

فمتوسط عمر فأر التجارب هو ١٦٠ أسبوعًا ـ أكثر بقليل من ثلاث سنوات . لقد ماتت هذه الفئران فى ربع هذا الوقت . أخذ نفسًا عميقاً ثم قال : " وماذا عن الأخرى فى المجموعة ؟ " .

قال توم : " لقد كانت عشرين فى مجموعة الدراسة الأصلية كلها متماثلة ، وكلها فى نفس العمر . لقد مات اثنان منها منذ أيام قليلة مضت ، من عدوى بالجهاز التنفسي ، ولم أفكر كثيراً بشأنها فى هذا الوقت . أما عن الأخرى . . . حسنًا ، من الأفضل أن ترى ما حدث لها بنفسك " . وقاد جوش إلى صف الأقفاص الذى توجد فيه الفئران الأخرى . لقد كان واضحًا فى الحال ما هى حالتها .

" غطاء طبيعى أشعث اللون ، خمول تام ، نوم زائد ، ومشكلة فى الوقوف على الأرجل الخلفية ، وهزال فى العضلات ، وشلل بالرجل الخلفية فى أربعة منها . . . " .

حملق جوش : " إنها متقدمة فى السن . إنها جميعاً متقدمة فى السن " .

قال توم : " نعم إنه دون شك كبر مبكر للغاية . لقد عدت وفحصت الفئران النافقة منذ يومين مضت . كان لدى أحدها ورم بالغدة النخامية وفأر آخر لديه انحلال فى النخاع الشوكى " .

" علامات الكبر . . . " .

قال توم : " صحيح علامات الكبر . ربما لا يكون جين النضج هذا هو المنتج المدهش الذى يعتمد ريك عليه ، بأية حال ، كان يسبب وفاة مبكرة ، ستكون هذه كارثة حقيقية " .

قال جوش : "كيف تشعر ؟ " ، بينما هما جالسان معًا على الغداء . " أشعر بأننى فى حالة ممتازة ، يا جوش أشكرك . أحياناً أكون متعبًا قليلاً ، وجلدى جاف ، ولدى بعض التجاعيد . لكننى أشعر بأنى بخير . لماذا تسأل ؟ " .

قال جوش : " كنت أتساءل فقط " ، قالها بطريقة عرضية بقدر الإمكان ، وحاول ألا يحدق فى أخيه الأكبر . فى الحقيقة لقد كان مظهر آدم قد تغير بشكل مفاجئ . لقد كانت لديه لمسة من اللون الرمادى فى الشعر الذى ينبت عند الصدغ ، والآن شعر رأسه بالكامل أصبح لون الملح والفلفل . وقد تراجع مكان شعره وكأنه على مشارف الصلع . والجلد حول العينين والشفاة كان متجعدًا بشكل ملحوظ . وكانت جبهته مجعدة . لقد كان يبدو أكبر بكثير من عمره الحقيقى .

لقد كان آدم يبلغ من العمر ٣٢ عامًا .

" *يا إلهى !* " .

سأل جوش : " لا مخدرات ؟ " .

قال آدم : " لا ، لا لقد انتهى ذلك ، أحمد الله " . كان آدم قد طلب هامبورجر ، ولكنه وضعه بعد قضمات قليلة .

" هل طعمه غير جيد ؟ " .

" لدى سنة تؤلمنى . أنا فى حاجة إلى الذهاب لطبيب الأسنان " لمس آدم خده وقال : " أنا أكره الشكوى . فى الواقع ، كنت أفكر أنه من الأفضل أن أمارس بعض التمارين . أنا فى حاجة لتمارين . أحياناً أصاب بإمساك " .

قال جوش ببهجة : " هل تريد أن تلتحق بفريقك القديم للكرة ؟ " ، لقد تعود أخوه أن يلعب كرة السلة مرتين فى الأسبوع مع موظفى البنك الاستثمارى .

قال آدم : " آه ، لا ، لقد كنت أفكر فى لعب التنس أو ربما الجولف " .

قال جوش : " فكرة جيدة " .

خيم السكون على المنضدة . دفع آدم الطبق جانبًا وقال : " أنا أبدو أكبر من عمرى الحقيقى ؛ إنك لست فى حاجة إلى أن تتظاهر بأنك لم تلاحظ ذلك . لقد لاحظ الجميع ذلك . لقد سألت أمى عن هذا ، وقالت إن أبى حدث له نفس الشىء ؛ إنه فجأة

بدا أكبر من عمره . وهو فى الثلاثينات ، تقريبًا فى يوم وليلة . إذن ربما تكون هذه المشكلة وراثية " .

" نعم ، قد تكون كذلك " .

قال آدم : " لماذا ؟ هل تعرف شيئًا ؟ " .

" أنا ؟ لا " .

" لقد أردت فجأة أن تتناول الغذاء معى ، وبشكل عاجل اليوم ؟ لم تستطع الانتظار وهذا كله غريب " .

" أنا لم أرك منذ مدة طويلة ، هذا هو كل شيء " .

قال : " هات ما عندك يا جوش بصدق . لقد كنت دائمًا كاذبًا حقيرًا " .

تنهد جوش ، وقال : " آدم ، أعتقد أنك يجب أن تجرى بعض الاختبارات " .

" من أجل ماذا ؟ " .

" كثافة العظام ، قدرة الرئتين ، ورنين مغناطيسى " .

حملق فى جوش وقال : " من أجل ماذا ؟ ما كل هذه الاختبارات ؟ هل هى من أجل الكبر ؟ " .

" نعم " .

" أنا أشيخ بسرعة جدًا أليس كذلك ؟ هل هو رشاش جين النضج ؟ " .

قال جوش : " يجب أن نعرف ، أريد أن أتصل بإيرين " . لقد كانت إيرين لورانس طبيبة الأسرة .

" حسنًا ، حدد الموعد " .

الفصل ٤٠

قال بروفيسير وليام جارفيلد من جامعة مينسوتا متحدثًا في واشنطن في إفادة وقت الظهيرة للكونجرس : " على الرغم مما تسمعونه ، لم يثبت أحد أن أي جين بمفرده يمكن أن يسبب سمة سلوكية إنسانية محددة . يعتقد بعض زملائنا أن هذا الترابط قد يحدث في آخر الأمر ، والآخرون يعتقدون أن هذا لن يحدث أبداً ، ويرون أن تفاعل الجينات والبيئة أمر معقد جدًا . ولكننا على أي حال ، نشهد كل يوم تقارير تقدم عن جينات جديدة لكذا أو كذا في أبحاث يتم إجراؤها كل يوم . ولم يثبت أن أحدها حقيقي في النهاية " .

قال مساعد سيناتور ويلسون : " عم تتحدث ؟ ماذا عن الجين الشاذ ، الذي يسبب الشذوذ ؟ " .

إنه مجرد " ترابط إحصائي . ليس عرضياً . لا يوجد جين يسبب التوجيه الجنسي " .

" ماذا عن جين العنف ؟ " .

" لم يؤكد على أثره في بحث لاحق " .

" وقد ذكر وجود لجين النوم . . . " .

" إنه جين ثبت فاعليته على الفئران فقط " .

" وماذا عن جين الكحوليات ؟ " .

" لم يصمد " .

" ماذا عن جين الداء السكرى ؟ " .

" حتى الآن تعرفنا على ٩٦ جينًا مرتبطة بالداء السكرى . وسوف نجد المزيد دون شك " .

ساد سكون تام وحالة من الذهول . أخيرًا قال أحد المساعدين : " إذا لم يكن قد ظهر أى جين يسبب أى سلوك ، فلماذا إذن كل هذه الجلبة ؟ " .

قال بروفيسير جارفيلد باستهجان : " يمكنكم تسمية ذلك أسطورة حضارية . أو سموها أسطورة إعلامية . لوموا على التعليم العام فى مادة العلوم ؛ لأن الناس بالتأكيد يعتقدون أن الجينات هى ما يسبب السلوك ، ويبدو أن ذلك منطقى بالنسبة لهم . فى الواقع ، حتى لون الشعر والطول ليست سمات بسيطة حتى تقررها الجينات ، وحالات مثل إدمان الكحوليات لا ترجع بالتأكيد إلى الجينات كذلك " .

" انتظر لحظة . هل تقول إن الطول ليس وراثياً ؟ " .

" على المستوى الفردى ، نعم . إذا كنت أطول من أصدقائك ، فربما يرجع ذلك إلى أن والديك أكثر طولاً . ولكن بالنسبة لمجموع السكان ، فإن الطول خاصية ووظيفة بيئية . وفى الخمسين عاماً الأخيرة ، نمى الأوروبيون بوصة فى كل حقبة . وكذلك حدث نفس الشيء لليابانيين ، وذلك النمو أسرع بكثير من أن نرجعه إلى تغيير جينى .

إنه بالكامل تأثير البيئة ويتحقق هذا التأثير البيئى بسبب الرعاية الأفضل التى يمنحها الأوربيون للأجنة أثناء فترة الحمل ، وبسبب التغذية السليمة ، وبسبب الرعاية الصحية الأفضل التى يتلقونها ، وعلى الجانب الآخر من هذا نجد الأمريكيين ، فإن الأمريكيين ، للعلم ، لم ينموا على الإطلاق فى هذه الفترة ، بل إنهم قد انكمشوا قليلاً ، وربما يرجع ذلك إلى الإهمال الشديد فى فترة الحمل ووجبات الطعام السريعة المشبعة

بالدهون التى يتناولها الأمريكيون بكثرة ، وخلاصة القول هو أن العلاقة الفعلية بين الجينات والبيئة معقدة جدًا ، ومازال العلماء لا يملكون فهمًا جيدًا لكيفية عمل الجينات ، وفى الحقيقة ليس هناك اتفاق عام على ماهية الجين " .

" هل يمكن أن تعيد ذلك مرة أخرى ؟ " .

قال جارفيلد : " ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لماهية الجين . هناك أربعة أو خمسة تعريفات مختلفة " .

قال شخص ما : " لقد اعتقدت أن الجين هو قطاع من الجينوم . يتكون من أربعة أزواج قاعدية وهى (الآدنين ، والجوانين ، والسيتوسين والثايمين) وهى أساس تكوين البروتينات " .

قال جارفيلد : " هذا تعريف واحد للجين ولكنه غير وافٍ ؛ لأن التتابعات المختلفة لتلك القواعد الأربع ينتج عنها أنماط مختلفة من البروتينات " . بعض القطاعات من الكود هى أساسًا مفاتيح تفتح وتغلق قطاعات أخرى . بعض القطاعات تبقى ساكنة ما لم يتم تنشيطها بواسطة مثير بيئى محدد . بعض القطاعات تكون نشطة فقط أثناء فترة النمو ، ثم لا تنشط مرة أخرى أبدًا . وأخرى تفتح وتغلق بثبات خلال حياة الفرد . فكما ذكرت من قبل إنه أمر معقد ".

ارتفعت يد معاون سيناتور موونى ، الذى تلقى إسهامات جوهرية من شركات أدوية ؛ حيث كان لديه تعليق فقال : " يا بروفيسير أعتقد أن رأيك هو رأى الأقلية ؛ فمعظم العلماء لن يتفقوا مع رأيك عن الجين " .

قال جارفيلد : " فى الواقع ، معظم العلماء يتفقون معى ولديهم منطقهم المقبول فى ذلك " .

عندما تم فك شفرة الجينوم ، أصيب العلماء بالذهول عندما اكتشفوا أن الجينوم يحتوى على حوالى ٣٥٠٠٠ جين فقط . لقد

توقعوا أن يحتوى على جينات أكثر من ذلك بكثير . ومع ذلك ، فإن دودة الأرض الوضيعة لديها ٢٠٠٠٠ جين ؛ مما يعنى أن الفرق بين البشر والدودة قد يكون حوالى ١٥٠٠٠ جين . كيف ، إذن ، يفسر الفرق الضخم فى التعقيد بين الاثنين ؟

هذه المشكلة اختفت عندما بدأ العلماء يدرسون التفاعلات فيما بين الجينات . على سبيل المثال ، قد يصنع أحد الجينات بروتيناً ، وجين آخر يمكن أن يصنع إنزيماً يقتطع جزءاً من البروتين ، وبذلك يغيره ويغير من خصائصه ، وبعض الجينات تحتوى على شفرات تتابعية مختلفة مفصولة بأكواد أخرى لم يتم تفسيرها حتى الآن وهذا الجين يمكن أن يستخدم أيًّا من تتابعاته المتعددة لإنتاج البروتين ، وهناك بعض الجينات التى يتم تنشيطها فقط ، إذا ما تم تنشيط جينات أخرى أولاً ، أو عندما يحدث عدد من التغييرات البيئية . وهذا يعنى أن الجينات تكون أكثر استجابة للبيئة ، داخل وخارج البشر معًا ؛ أكثر مما يتوقع أى شخص ، وحقيقة هذا التفاعل الجينى المتعدد تعنى أن هناك بلايين النواتج المحتملة .

قال جارفيلد : " وَلِمَ يبعث الأمر على الدهشة ؟ إن الباحثين قد توجهوا إلى ما يسمى " بدراسات مبحث التولد الذاتى " والذى يهتم بكيفية التفاعل الحقيقى بين الجينات والبيئة لإنتاج الأفراد الذين نراهم ، وهذا المجال مجال نشط للغاية " . وبدأ فى شرح التعقيدات لهم .

انتهى معاونو الكونجرس من تناول الطعام وغادروا المكان ، واحدًا بعد الآخر . وبقى حفنة معدودة ، وكانوا يفحصون رسائل على هواتفهم الخلوية .

إنسان نياندرتالى كان أول الشقر
أقوى ، وأكبر مخًا ، وأذكى منا

تشير التحولات الجينية للون الشعر أن أول الشقر كانوا النياندرتاليين ، ليس الإنسان البيولوجى . لقد ظهر جين الشقر لبعض الوقت فى العصر الجليدى ، وربما كان ظهوره ذلك نوعاً من الاستجابة للنقص النسبى لأشعة الشمس فى العصر الجليدى . ويؤكد العلماء أن الجين قد انتشر بين النياندرتاليين ، الذين كانوا غالبًا شقراً .

لقد كان حجم مخ الإنسان النياندرتالى أكبر من حجم مخنا بنسبة الخمس . وكان الإنسان النياندرتالى كذلك أطول وأقوى منا . وكان دون شك أذكى ، أيضًا ، يقول ماركو سفابو من معهد هلسنكى لعلم الوراثة : " فى الحقيقة ، هناك قليل من الشك أن الإنسان الحديث هو نسخة مستأنسة من إنسان نياندرتالى ، مثلما أن الكلب هو نسخة مستأنسة من الذئب الأقوى والأكثر ذكاء . الإنسان الحديث هو كائن أكثر تدنية من أسلافه لقد كان إنساناً نياندرتالياً أكثر عقلانية ، وأفضل من حيث المظهر حيث كان له شعر أشقر ، وعظام وجنة عالية ، وملامح قوية ، إن جنس إنسان نياندرتالى أشبه بالعارضين ورجال الإعلانات الممتازين الخارقين للعادة .

وكان من الطبيعى أن ينجذب الإنسان البيولوجى للجمال والقوة والذكاء التى يتمتع بها الشقر ؛ فمن الواضح أن القليل من النساء النياندرتاليات قد أشفقن على الإنسان الكرومانيونى الضعيف وتزوجن منه ، وقد كان ذلك فى صالحنا ، فكم نحن محظوظون لأننا نحمل جينات الإنسان النياندرتالى لنحمى أجناسنا من الإصابة بالغباء الشديد ، وذلك على الرغم من أننا نظهر الكثير من الغباء على أية حال .

الفصل ٤١

مرت الأيام القليلة الأولى لديف في منزل كيندال على نحو جيد مثير للدهشة ، فكان يرتدى قبعة بيسبول عندما يخرج خارج المنزل ؛ مما ساعده كثيراً على ألا يبدو غريب الشكل . ومع حلاقة شعره ، وارتدائه الجينز وحذاءً من القماش ونعلا مطاطيًّا وقميصا زئبقيا ، كان يبدو إلى حد بعيد مثل أى طفل آخر طبيعى . وقد تعلم بشكل سريع ، وكان يتمتع بقدرة جيدة على الاستيعاب ، وثبت أن كتابة اسمه كان أمراً سهلاً تحت توجيهات لين ، ولكن القراءة كانت أصعب بالنسبة له .

وقد أبلى ديف بلاءً حسناً فى ممارسة التمرينات الرياضية فى عطلات نهاية الأسبوع على الرغم من أنها أحيانا كانت مربكة . فى إحدى المباريات التى شارك فيها ديف ، تم تسديد ضربة عالية أطاحت بالكرة باتجاه الدور الثانى لمبنى المدرسة ، فجرى ديف مسرعاً وتسلق على الجدار وأمسك بالكرة قبل أن تصطدم بالنافذة بالدور الثانى ، نظر الأطفال إلى هذا الإنجاز بمزيج من الإعجاب والغيظ ؛ فقد رأوا أنه لم يكن ذلك من العدل ، فقد أرادوا أن يروا زجاج النافذة وهو يتحطم ، ولكن من ناحية أخرى ، أراد كل شخص أن ينضم ديف إلى فريقه .

لذلك فقد اندهشت لين عندما عـاد ديـف مبكـرًا للمنـزل فـى ظهيرة أحد أيام السبت ؛ لقد كان يبدو حزينًا .

قالت : " ماذا فى الأمر ؟ " .

" أشعر بأننى لا أستطيع التكيف " .

قالت : " كل شخص يشعر بذلك ، أحياناً " .

هز رأسه وقال : " إنهم ينظرون إلىَّ دائماً " .

توقفت ثم قالت : " أنت لست مثل الأطفال الآخرين " .

" نعم " .

" هل يسخرون منك ؟ " .

أومأ : " أحيانًا " .

" ماذا يفعلون ؟ " .

" يقذفوننى بأشياء . ويسموننى بأسماء " .

" أية أسماء ؟ " .

عض على شفته العريضة وقال : " الولد القـرد " وكـان علـى وشك البكاء .

قالـت : " هـذا يبـدو مؤلمـاً ، أنـا آسـفة " ، وخلعـت قبعـة البيسبول عنه وبدأت تمرر يدها على رأسه وخلف عنقه برفـق .

ثم قالت : " يمكن أن يتصرف الأولاد بشكل سيئ أحياناً " .

قال : " أحياناً تجرح مشاعرى " . كان حزيناً وأعطى ظهـره لها ، ثم خلع قميصه ، فمـررت أصـابعها خـلال شـعره ، وهـى تبحث عن الجروح وعلامـات الإصـابة الأخـرى ، وبينمـا فعلـت ذلك ، شعرت بأنـه قـد اسـترخى . وهـدأت نفـسه ، وتحـسنت حالته المزاجية .

ولم تدرك إلا مؤخراً أنها عندما تمرر يدها خلال شعره تقوم برعايته مثلما تفعل القرود مع بعضها البعض فى البرية ؛ حيث يولى أحدهم ظهره للآخر لينظف له فراءه .

فقررت أن تفعل ذلـك كـل يـوم ؛ فقـط لتجعـل ديـف يـشعر براحـة أكبر .

تغير كل شيء في حياة لين منذ وصول ديف . وعلى الرغم من أن الشمبانزى أبدى اهتمامًا قليلاً بها . لقد كان منجذبًا لها مباشرة ، وكان هناك شيء ما في سلوكه ، أو مظهره - ربما العيون الحانية ؟ أو ربما سلوكه الطفولى ؟ - جذب قلبها إليه . وبدأت تقرأ عن الشمبانزى ، وعرفت أنه بسبب اتخاذ أنثى الشمبانزى أكثر من شريك جنسي ؛ فإنها لا تعرف أى ذكر هو والد طفلها ، ولذلك فإن فصيلة الشمبانزى لا تعرف فكرة أو مفهوم الأبوة ؛ فإن لديها الأمهات فقط . ويبدو أن ديف كان طفلا قد تعرض للإساءة في معاملته نظراً لأن أمه الحقيقية لم تعتن به ؛ فقد كان ديف ينظر إلى لين بحنين واحتياج شديدين ، وقد استجابت لين له . لقد كان الأمر عاطفياً بشكل عميق ، وغير متوقع بالكامل .

صرخت تريسي : " أمي ، إنه ليس طفلك " . لقد كانت تريسي في السن الذى تحتاج فيه لانتباه والديها ، لقد كانت غيورة من أى إلهاء .

قالت لين : " أعرف يا تريسي ، ولكنه في حاجة إليّ " .

" أمي إنه ليس مسئوليتك ! " وأشاحت بيديها في إيماءة مسرحية .

" أعرف " .

" حسنًا ، هل يمكن أن تتركيه وشأنه ؟ " .

" هل ترين يا تريسي إنه يحصل على الكثير من اهتمامي ؟ " .

" نعم يا أمي " .

" أنا آسفة لم ألاحظ ذلك " ، ووضعت ذراعها حول ابنتها واحتضنتها .

تريسي : " لا تعامليني مثل قرد " ، ودفعتها بعيدًا .

إن تجربة لين مع ديف جعلتها تكتسب وعياً - وإن كان غير مريح - بشأن ما يشاركه الإنسان مع القرود : التزاوج ،

واللمس ، والاهتمام الجسدى كمصدر للاسترخاء . نظرة الأعين التى تكون لأسفل عند التهديد ، أو الشعور بالاستياء ، أو كعلامة للخضوع . (نفس النظرة التى تنظر بها تريسى عند الشعور بالاستياء) ، أما الاتصال المباشر بالعين فيعنى تهديداً ، أو علامة للغضب ؛ فالأوز يضرب بأجنحته عند الشعور بالخوف أو الغضب ــ وهى نفس العضلات الجلدية التى تجعل شعر الثدييات يصبح أزغب ؛ ليصبح أكبر مما يبدو في وجود تهديد ، النوم في تجمعات ، ويصنعون أعشاشاً أو بيوتاً يسكنون فيها .
باستمرار
قرود .

وبدا لها ، أكثر فأكثر ، أن أكبر اختلاف بين الإنسان والقرود يكمن في الشعر ؛ لقد كان ديف ذا شعر كثيف ؛ والذين حوله لم يكونوا كذلك ، ووفقاً لما قرأته لين ، فإن الإنسان بدأ يفقد الشعر الذى كان يكسو جسده بعد أن انفصل عن الشمبانزى ، وقد كان التفسير الطبيعى لذلك هو أن الإنسان قد تحول أو أصبح لفترة من المخلوقات المائية ؛ وذلك لأن معظم الثدييات بطبيعتها غزيرة الشعر ـ لأن هذا الشعر كان بمثابة معاطف الفراء اللازمة لمساعدة الثدييات على الحفاظ على درجة حرارة أجسادها الداخلية . ولكن الثدييات المائية مثل الدلافين والحيتان فقدت شعرها حتى تكون أكثر انسيابية ، وكذلك فقد الإنسان شعره .

ولكن أغرب شيء بالنسبة لـ " لين " كان شعورها الملح بأن ديف كان بشريًا وغير بشرى ، ولم تعرف كيف تتعامل مع هذا الشعور جيدًا . وكلما مرت الأيام ، لم يصبح الأمر أسهل بأى حال .

تشريع جين كانافان ينهى النزاع بين ترخيص الجين وبين لجنة الأخلاقيات

مرض كانافان هو اضطراب جينى وراثى مميت للأطفال فى السنوات الأولى من عمرهم . فى عام ١٩٨٧ عرف " دان جرينبيرج " وزوجته أن ابنهما الذى يبلغ من العمر تسعة شهور مصاب بالمرض ؛ وحيث إنه لم تكن هناك اختبارات جينية متاحة ، أنجبت عائلة جرينبيرج طفلاً آخر ، ابنة ، والتى تبين إصابتها بنفس المرض .

أرادت عائلة جرينبيرج أن تتأكد من تجنب العائلات الأخرى هذا الألم ، ولذلك أقنعوا إخصائى فى علم الوراثة "روبن متالون" ، أن يعمل على اختبار قبل الولادة من أجل الاكتشاف المبكر لمرض كانافان ، وقد تبرعت أسرة جرينبيرج بأنسجتهم وأنسجة أطفالهم المتوفين ، وعملوا على الحصول على أنسجة من أسر أخرى مصابة بمرض كانافان حول العالم . وأخيرًا فى عام ١٩٩٣ تم اكتشاف جين مرض الكانافان ، وأصبح هناك أخيراً اختبار مجانى يجرى قبل الولادة متاح للأسر فى جميع أنحاء العالم .

ولم تعرف أسرة جرينبيرج ، أن دكتور متالون قد حصل على براءة الجين ، ثم طلب أتعابًا مرتفعة لاختبارات أخرى . كثير من الأسر التى أسهمت بأنسجتها وأموالها للمساعدة فى اكتشاف الجين لا تقدر على تكاليف الاختبار ، وفى عام ٢٠٠٣ قامت أسرة جرينبرج وبعض الأطراف المعنية بمقاضاة دكتور متالون ومستشفى ميامى للأطفال ، بدعوى خرق الاتفاقات المشتركة ، والتربح غير المشروع ، وإخفاء بيانات بغرض الاحتيال ، وإساءة استخدام أسرار المهنة . تم حسم القضية خارج المحكمة وأصبح الاختبار منتشرًا بشكل أوسع ، على الرغم من أنك يجب أن تدفع لمستشفى ميامى للأطفال ، ومازال الجدال قائمًا وبشكل محتدم بين لجنة الأخلاقيات للرقابة على سلوك الأطباء وبين المؤسسات الأخرى ذات الصلة بالقضية .

أخبار علم النفس

لن يكبر البالغون بعد الآن

الأبحاث تلقى اللوم على التعليم الرسمى
الأساتذة ، والعلماء " غير ناضجين بالمرة " .

إذا كنت تعتقد أن البالغين من حولك يتصرفون مثل الأطفال فربما تكون على حق ؛ فإن هذه الظاهرة معروفة من الناحية التقنية باسم ظاهرة " امتداد الطفولة السيكولوجية " ، وهو يعنى استمرار سلوكيات مرحلة الطفولة فى مرحلة البلوغ .

ووفقاً للدكتور " بروس شارلتون " عالم النفس المتجدد بنيوكاسل إحدى ضواحى تاينى ، فإن الكائنات البشرية الآن تستغرق وقتاً أطول للوصول إلى النضج العقلى . والكثير من البشر لا يصلون إلى هذا النضج مطلقاً .

ويؤمن شارلتون بأن السبب فى ذلك يرجع إلى التعليم الرسمى الذى يستمر حتى دخول المرء فى العشرينات . يقول شارلتون : " إن استيعاب التعليم الرسمى فى جميع مراحله يتطلب تبنى عقلية طفولية الأمر الذى يكون له رد فعل عكسى فى تطور سيكولوجيا النضج لدى الفرد ، التى يصل إليها الفرد طبيعياً فى نهاية مرحلة المراهقة وبداية العشرينات " .

وقد أشار قائلاً : " إن الأكاديميين ، والمعلمين ، والعلماء . وكثيراً من الأشخاص الذين يشغلون مهناً ووظائف أخرى غالباً لا يتمتعون بالنضج بالمرة " وإنه يصف هؤلاء الأشخاص بأنهم " لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم ، وغير متوازنين فيما يتعلق بأولوياتهم ، ويميلون إلى المبالغة فى ردود أفعالهم .

وإن المجتمعات الأولية ؛ حيث كان الإنسان يقوم بالصيد والجمع ، كانت أكثر استقراراً ولذا فقد اكتسب الإنسان النضج فى ظل هذه المجتمعات مبكراً فى مرحلة المراهقة . والآن ، ومع التغيرات الاجتماعية السريعة والاعتماد الأقل على القوة العضلية ، غالباً ما يتأخر الوصول إلى النضج ، وقد أشار شارلتون إلى أن علامات النضوج مثل التخرج فى

الجامعة ، والزواج ، وإنجاب أول طفل كانت فى الماضى تحدث فى مرحلة سنية معينة ، أما الآن فعلامات النضج تلك ربما يستغرق حدوثها حقبة من العقود .

ولذا فهو يقول : ومن وجهة نظر سيكولوجية مهمة ، فإن بعض الناس فى العصر الحديث لا يصلون إلى البلوغ والنضج مطلقاً .

ويعتقد شارلتون أن هذا الأمر ربما يصبح أمراً اعتيادياً . يقول شارلتون : إن السمات الطفولية المتمثلة بالمرونة فى التوجهات والسلوكيات ، والمعرفة ربما تكون مفيدة فى اكتشاف عدم الاستقرار المتزايد فى العالم الحديث ؛ حيث يقوم معظم الناس بتغيير وظائفهم ، وتعلم مهارات جديدة ، والانتقال إلى أماكن جديدة ، ولكن ذلك أدى إلى ضياع قدرة الإنسان على التركيز المتواصل ، والبحث المحموم عن التجدد ، والتغير السريع فى صيحات الموضة ، والسطحية الدائمة فى الجوانب الدينية والأخلاقية " وأضاف أن الناس فى العصر الحديث يفتقرون إلى عمق الشخصية ؛ الأمر الذى كان نادراً ما يحدث فى الماضى .

الفصل ٤٢

قالت السيدة ليفين : " إليس ما هذا الأنبوب ؟ " .

كان ابنها ممسكاً بقنينة فضية اللون عليها غطاء بلاستيكى عند القمة . كانوا فى غرفة معيشة والديه فى سكارسيدل . فى الخارج كان العمال يدقون فى المرآب ؛ حيث كانوا يقومون بإصلاحات من أجل إعداد المنزل للبيع .

قالت مرة أخرى : " ماذا فى هذا الأنبوب ؟ " .

" إنه علاج جينى جديد ، يا أمى " .

" أنا لا أحتاج إليه " .

" إنه يعيد الشباب لجلدك ، ويجعلك تبدين أصغر سناً ".

قالت : " ليس هذا ما قلته لأبيك ، لقد قلت لأبيك إنه سيحسن حياته الجنسية " .

" حسنًا . . . " .

" هل هو من طلب منك ذلك ؟ " .

" لا يا أمى " .

قالت : " استمع إلى ، أنا لا أريد أن أحسن حياتى الجنسية ؛ فأنا لم أكن أبدًا أسعد من الآن " .

" كلاكما ينام فى غرفة منفصلة يا أمى ! " .

" ذلك لأنه يغط فى نومه " .

" أمى ، هذا الرشاش سيساعدك " .

" أنا لا أريد أية مساعدة " .

" إنه سيجعلك أسعد ، أوعدك . . . " .

" إنك لم تكن تستمع إلىّ أبدًا يا إليس ، حتى وأنت طفل " .

" الآن ، يا أمى أنا . . . " .

" ولكنك حتى الآن لم تحسن من نفسك حتى وأنت بالغ " .

" أمى ، من فضلك . . . " بدأ إليس فى الشعور بالغضب ، لم يكن من المفترض أن يتولى إليس مهمة إقناع أمه بذلك بأى حال من الأحوال لقد كانت تلك مسئولية أخيه آرون ؛ حيث كان آرون الأقرب إلى قلب أمه من بين إخوته ، ولكن نظراً لأن آرون كان لديه موعد فى المحكمة ، كان على إليس القيام بذلك .

تحرك نحوها بالقنينة .

" ابتعد عنى ، يا إليس " .

استمر فى الاقتراب .

" *أنا أمك* ، يا إليس " .

داست بقوة على إصبع قدمه ؛ فصاح من الألم ، وفى اللحظة التالية قام بجذبها من خلف رأسها ، ودفع القنينة فوق أنفها ، وضغط عليها . لفت أمه وتلوت .

وقالت : " لن أفعل ! لن أفعل ! " .

ولكن على الرغم من احتجاجها ومقاومتها ، كانت تستنشق الرشاش بالفعل .

" لا ، لا ، لا ! " .

وضع إليس القنينة على فمها وأنفها للحظة ، وبدا كما لو كان يخنقها ؛ فقد بدا ذلك من قبضته وإحكامه عليها ، بينما هى تجاهد وتقاوم بين ذراعيه ، ولقد جعله ذلك غير مرتاح . لقد كانت أصابعه تضغط على وجنتها بينما كانت هى تقاومه وتحاول الإفلات من قبضته .

وأخيرًا ابتعد إليس عنها .

قالت له : " كيف تجرؤ ؟ كيف تجرؤ على ذلك ؟ ! " . وأسرعت من الغرفة ، وهى تسبه وتلعنه .

مال إليس إلى الحائط . كان يشعر بدوار ، لأنه كان عنيفاً هكذا مع أمه ، ولكن ذلك كان لابد أن يتم . قال ؛ لنفسه . *كان لابد أن يتم* .

الفصل ٤٣

فكر ريك دايهل ، لم تكن الأمور تسير بشكل جيد ، وهو يمسح البازلاء الخضراء المهروسة من على وجهه ، وتوقف لينظف نظارته . لقد كانت الساعة الخامسة بعد الظهر . وكانت درجة الحرارة بالمطبخ مرتفعة . وكان أولاده الثلاثة جالسين على منضدة المطبخ يصرخون ويضرب بعضهم بعضاً . كانوا يلقون مُقبلات السجق والمسطردة ، وكانت المسطردة تلطخ كل شيء .

وقد رفضت طفلته الصغيرة الجالسة على الكرسي العالى أن تأكل ، وقذفت طعامها للخارج . كان من المفترض أن تطعمها كونتشيتا ، ولكنها اختفت فى هذه الظهيرة . لقد أصبح لا يمكن الاعتماد عليها بشكل متزايد منذ أن تركت زوجة ريك المنزل . ربما كان تواجد كونتشيتا في المنزل مرتبطاً بتواجد زوجته ، لذا فعليه أن يستبدل بكونتشيتا ، التى يسبب وجودها ألماً له ، شخصاً آخر جديداً ، وبالطبع سوف تقاضيه كونتشيتا على ذلك ، ولكنه يستطيع أن يناقش تسوية معها قبل أن تذهب للمحكمة .

" هل تريدها ؟ خذها ! " كان جيسون ، ابنه الأكبر ، يقوم بهرس السجق فألقى كعكة في وجه أخيه سام . صرخ سام كما لو كان يختنق ، والآن هما يتدحرجان على الأرض .

" أبى ! أبى ! أوقفه ! إنه يخنقنى " .

" جيسون ، لا تخنق أخاك " .

لم يصغ جيسون له . أمسكه ريك من ياقة القميص وجذبه بعيدًا عن سام . " لقد قلت لا تخنقه " .

" لم أكن أفعل . لقد أراد أن يأكل ذلك " .

" هل تريد أن تُحرم من مشاهدة التلفاز الليلة ؟ إذن تناول السجق الخاص بك ودع أخاك يتناول طعامه " .

التقط ريك الملعقة ليطعم الطفلة الصغيرة ، ولكنها أغلقت فمها بعند وهى تحدق إليه بعينيها الصغيرتين العدائيتين الخرزيتين . تنهد : ماذا يجعل الأطفال فى المقاعد العالية يرفضون تناول الطعام ، ويلقون بكل اللعب على الأرض ؟ وفكر ، ربما لم تكن فكرة جيدة أن تذهب زوجته .

أما بالنسبة لعمله ، فكان الموقف أسوأ ؛ فرجل أمنه السابق كان على علاقة بليزا ، والآن وبعد أن خرج من السجن ، فلابد أنه قد عاد لعلاقته بها مرة أخرى . هذه الفتاة ليس لديها أدنى ذوق ، وإذا تمت إدانة براد بالتعدى على الصغار ، فى تلك التهمة الموجهة إليه ، فإن ذلك سيكون سمعة سيئة للشركة ، وحتى لو حدث هذا ، فإن ريك كان يأمل ذلك حتى يتخلص منه . ومن الواضح أن الدواء المعجزة لجوش وينكلر يقتل الناس . لقد تمادى جوش متجاوزاً الحدود ، بإجراء الاختبارات البشرية دون تصريح ، ولكن إذا تم إرساله للسجن ، فإن ذلك سيكون له تأثير سيىء على الشركة ، أيضًا .

كان دايهل يلكز الطعام لابنته بالملعقة عندما رن جرس الهاتف ، وأصبحت الأمور أسوأ ، وأسوأ .

" السافل ! " .

التفت ريك دايهل بعيدًا عن صف الشاشات فى غرفة الأمن وقال : " لا أستطيع أن أصدق ذلك " . على الشاشات كان براد

جوردون الذى يكرهه يفتح أبواب المعامل بإحدى البطاقات ، ويلمس " أطباق بترى " فى كل مكان ، ثم يذهب . لقد تم تسجيل براد بينما ذهب بطريقة منظمة خلال كل المعامل فى المبنى . ضم ريك قبضتيه من الغيظ .

قال رجل الأمن : " لقد جاء إلى المبنى فى الساعة الواحدة صباحاً ، لابد أنه كان لديه بطاقة مرور أخرى لم نعرف عنها شيئاً ؛ لأن بطاقة مروره الخاصة قد تم إلغاؤها . لقد ذهب إلى كل نقاط التخزين ، ولوث كل مزرعة فى خط خلايا بيرنت " .

قال ريك : " إنه شخص أحمق حقير ، لكن ليست هناك مشكلة . لدينا مخازن خارج الموقع فى سان جوز ، فى لندن وفى سنغافورة " .

" فى الواقع لقد تمت إزالتها بالأمس ، لقد أخذ شخص ما كل الخلايا ورحل ، ولقد كان لديه تصريح مناسب لذلك ، عن طريق النقل الإكترونى المؤمن للأكواد "

" من صرح به ؟ " .

" أنت فعلت . لقد كان من حسابك المؤمن " .

" آه يا إلهى " ودار حول نفسه " كيف حدث ذلك ؟ " .

" نحن نحقق فى الأمر " .

قال ريك : " ولكن خط الخلايا ، إننا لدينا مواقع أخرى ـ " .

" لسوء الحظ ، يبدو . . . " .

" حسناً ، إذن لدينا العملاء الذين رخصوا ـ " .

" أخشى أنه لا يكون هناك ذلك " .

قال ريك : " ماذا تقول ؟ " وقد بدأ فى الصراخ : " هل تقول إن كل مزارع خلايا بيرنت قد اختفت ؟ فى كل العالم ؟ اختفت ؟ " .

" على حد علمنا . نعم " .

" هذه كارثة ملعونة " .

" بالتأكيد " .

" قد تكون هذه نهاية شركتى ! لقد كانت هذه الخلايا هى الشبكة التى تؤمن الشركة . لقد دفعنا ثروة ومبالغ طائلة لجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس من أجل الحصول عليها وأنت تقول إنها اختفت ؟ " . عبس وجهٍ ريك من الغضب ؛ حيث صدمته الحقيقة عندما أدرك قائلاً : " هذا هجوم منظم ومنسق ضد شركتى . لديهم أشخاص فى لندن وسنغافورة ؛ لقد رتبوا كل شيء " .

" نعم ، نحن نعتقد ذلك " .

" ليدمروا شركتى " .

" من المحتمل " .

" أريد استعادة خطوط الخلايا مرة أخرى . الآن " .

" لم يعد أحد يملكها غير فرانك بيرنت بالطبع " .

" إذن أحضروا فرانك بيرنت " .

" لسوء الحظ ، يبدو أن السيد بيرنيت قد اختفى ، أيضًا . لا نستطيع أن نجده " .

قال ريك : " عظيم ، عظيم " والتفت وصاح لمساعده " أحضر المحامى اللعين ، ومحامى جامعة كاليفورنيا اللعينة ، وأحضر كل شخص هنا الساعة الثامنة الليلة ! " .

" لا أعرف إذا ما ... " .

" افعل ذلك ! " .

الفصل ٤٤

اعتادت جيل بوند على نظام . كانت تقضى الليل مع يوشي بعد أن انفصلت عن زوجها ، ثم تعود للمنزل الساعة السادسة صباحًا لتوقظ إيفان ، وتعد له الإفطار وتتأكد من ذهابه إلى المدرسة . وفى صباح أحد الأيام ، بمجرد أن فتحت الباب ، رأت أن جيرارد قد اختفى . كان قفصه غير مغطى فى الممر ، والسارية غير مشغولة . تمتمت جيل بعبارات سباب . وذهبت داخل غرفة النوم ؛ حيث كان ريتشارد ما زال نائمًا . هزته لتوقظه .

" ريتشارد . أين جيرارد ؟ " .

تثاءب : " ماذا ؟ " .

" جيرارد . أين جيرارد ؟ " .

" أخشى أنه قد وقع حادث " .

" أى حادث ؟ ماذا فعلت به ؟ " .

" لقد كانت نيدزادا تقوم بتنظيف القفص فى المطبخ ، والنافذة كانت مفتوحة ، فطار للخارج " .

" إنه لم يفعل ؛ فأجنحته كانت مقصوصة " .

قال ريتشارد وهو يتثاءب مرة أخرى : " أعرف ذلك ؛ إنه لم يطر للخارج " .

" كل ما أستطيع أن أقوله لك إننى سمعت " نيدزادا " تصرخ فى المطبخ ، وعندما حضرت للمطبخ ، كانت تشير للنافذة ، وعندما نظرت كان الطائر يرفرف بجناحيه بارتباك على الأرض . وبالطبع جريت أسفل السلالم إلى الشارع فى الحال لأحضره ، لكنه كان قد اختفى " .

كان الوغد يحاول ألا يبتسم .

" ريتشارد ، إن ذلك أمر جاد جدًا . هذا الحيوان محور جينيًا . إذا هرب قد ينقل جيناته للببغاوات الأخرى " .

" أنا أقول لك لقد كان حادثًا " .

" أين بيدزادا ؟ " .

" إنها تأتى فى فترة الظهيرة الآن فقط ؛ لأننى فكرت فى استقطاع جزء من راتبها " .

" هل لديها هاتف محمول ؟ " .

" لا أدرى فأنت من قام بتعيينها ، يا محبوبتى " .

" لا تَدْعُنِى محبوبتك . أنا لا أعرف ماذا فعلت بهذا الببغاء الرمادى ، ولكن ذلك خطير جدًا ، يا ريتشارد " .

قال باستهجان : " لا أعرف ماذا أقول لك " .

لقد أفسد ذلك كل خططها . لقد اعتزموا نشر تجربة جيرارد على الإنترنت هذا الشهر ، ودون شك كانت ستكون هناك صرخات من حول العالم أن ادعاءاتهم غير حقيقية . وكان العلماء سيدعون أن قدرة الببغاء ما هى إلا تأثير ظاهرة " كليفار هانز " أو هانز الذكى ، أو أن البغبغاء كان يقلد الأصوات ليس إلا ، والله أعلم ماذا غير ذلك ؛ فكل شخص سيطلب مشاهدة الطائر حتى يصدق زعمهم ونجاح تجربتهم ، والآن قد اختفى الطائر .

قالت جيل لموريس رئيس المعمل : " يمكن أن أقتل ريتشارد " .

قال دون أن يبتسم : " وسأعين محامياً للدفاع عنك " .

" هل تعتقدين أنه يعرف أين يوجد الطائر ؟ " .

" ربما ، ولكنه لن يخبرنى ؛ لقد كان يكره الطائر " .

" إذن فسيكون بينكما منازعات حضانة على طائر " .

" سأتحدث لنيدزادا ، ولكنه ربما دفع لها " .

" هل يعرف الطائر اسمك ؟ أو اسم المعمل ؟ أو أرقام الهاتف ؟ " .

" لا ، ولكنه يحفظ نغمة هاتفى الخلوى . لقد اعتاد أن يصدرها فى تتابع صوتى " .

" إذن ربما يتصل بنا في يوم من الأيام " .

تنهدت جيل وقالت : " ربما " .

الفصل ٤٥

لقد كانت أليكس بيرنت في غاية الانشغال بأصعب محاكمة في حياتها المهنية ، قضية اغتصاب تتضمن اعتداء جنسياً على طفل يبلغ من العمر عامين في ماليبو . وكان المدعى عليه ، " مايك كرولى " البالغ من العمر ٣٠ عامًا ، وهو كاتب عمود سياسى مقره واشنطن ، ولقد كان الطفل الذى قام بالاعتداء عليه هو ابن زوجة شقيقه ؛ ذلك الطفل الصغير الذى لايزال يرتدى الحفاضة . لقد كان كرولى ثريًا ، فاسداً ، وقد تخرج فى جامعة يال ، وورث ثروة طائلة من إحدى شركات الأدوية ، وقد استعان بأحد المحامين سيئى السمعة من واشنطن للدفاع عنه ويدعى " آب جانزيلر .

لقد بدا أن فضيحة كرولى الأخلاقية باتت معروفة فى واشنطن ، لكن جانزيلر ـ كما كانت عادته ـ شن حملة عنيفة فى الصحافة قبل المحاكمة بشهور ، مصوراً أليكس وأم الطفل " كنساء متعصبات ومتزمتات " ، وأنهن " قد اختلقن الموضوع كله من خيالهن المريض ، " غير السوى " . وذلك ، على الرغم من أن هناك فحصاً بالمستشفى موثقاً بالمستندات والذى أثبت وقوع الاعتداء على الطفل .

لقد كان في خضم الإعداد الساخن العنيف لليوم الثالث من المحاكمة ، عندما قامت إمي ، مساعدة أليكس ، بتحويل المكالمة لها وإخبارها بأن والدها على الهاتف . التقطت أليكس السماعة وقالت : " إنى مشغولة جدًا ، يا أبى " .

" لن آخذ من وقتك الكثير ، ولكنى سأذهب بعيدًا لمدة أسبوعين " .

" حسنًا ، رائع " . حضر أحد المحامين الآخرين وأسقط أحدث جريدة على مكتبها . جريدة النجم " ذا ستار " كانت تنشر صورًا للطفل المغتصب ، والمستشفى في ماليبو ، وصوراً غير جذابة لأليكس وأم الطفل ، يغمضان أعينهما في ضوء الشمس الشديد . " سألت أليكس : أين ستذهب يا أبى ؟ " .

قال أبوها : " لا أعرف بعد ، أنا في حاجة لقضاء بعض الوقت بمفردى . وربما لن يعمل الهاتف الخلوى . سأرسل لك رسالة قصيرة عندما أصل هناك ، وصندوقاً ببعض الأشياء في حالة إذا احتجت إليها " .

" حسنًا ، يا أبى ، استمتع بوقتك " ، وتصفحت خلال جريدة لوس أنجلوس تايمز بينما تتحدث إليه . فلسنوات حاربت جريدة التايمز من أجل الحصول على حق الوصول إلى إعلان ونشر جميع الوثائق القضائية ، سواء كانت مجرد وثائق مبدئية ، أو وثائق خاصة ، أو حتى وثائق متضاربة . وكان قضاة كاليفورنيا معارضين بشدة كشف حتى تلك الوثائق التى تتضمن عناوين منازل السيدات اللاتى تمت مطاردتهن أو التفاصيل المتعلقة بالأطفال الذين تم اغتصابهم . كانت سياسة التايمز في نشر كل شىء عن القضايا تعنى أنه في إمكان المحامين أن يتقدموا بمزاعم وادعاءات غير مدعمة ، وليس لها أساس في حملاتهم قبل بدء المحاكمة ، مع علمهم أن جريدة التايمز ستنشرها . وكانت الجريدة تفعل ذلك بشكل ثابت ودائم ؛ فقد كانت ترى أن ذلك هو حق الجماهير في أن تعرف كل شىء عن

القضية . نعم ، إن الجماهير تحتاج حقًا إلى أن تعرف بالضبط طول التمزق في ـ الطفل المسكين .

قال أبوها : " هل الأمور تسير على ما يرام ؟ " .

" نعم ، يا أبى أنا بخير " .

" لم يتصلوا بك ؟ " .

" لا ، أنا أنتظر المساعدة من منظمة رعاية الأطفال ، ولكنهم لم يصدروا أى بيانات بعد . إنهم صامتون بشكل غريب " .

قال أبوها : " أنا واثق من أن ذلك كان بمثابة صدمة لك ، إن ذلك الحرباء له علاقات سياسية كبيرة أليس كذلك ؟ يا له من وغد حقيقي . يجب أن أذهب ، يا ليكسى " .

" وداعًا ، يا أبى " .

التفتت بعيداً ، لقد كان موعد وصول نتيجة مطابقة الحمض النووى اليوم ، ولكنها لم تصل بعد . إن العينات التى تم الحصول عليها كانت صغيرة ، وكانت أليكس قلقة بشأن النتيجة .

الفصل ٤٦

خفتت الأضواء برفق فى صالة العرض الفاخرة بسيات ، وهى الصالة التابعة لشركة آنى كوس المحدودة ، تلك الشركة الرائدة فى مجال الدعاية والإعلان . ظهر على الشاشة صورة لجانب من أحد المراكز التجارية الأمريكية ، وكانت هناك صورة غير واضحة للمرور ؛ حيث كانت السيارات تندفع مارة بمجموعة من اللافتات المحطمة ، وقد عرف " جافين كوس " من خبرته أن هذه الصورة ستحقق التواصل الذى يريده ، فأى شىء يمس نمط الحياة الأمريكية ذو أهمية بالغة .

قال كوس : " لقد أنفقت المشاريع الأمريكية على الدعاية أكثر من أى بلد آخر فى العالم ، بالطبع ، يجب أن يفعلوا ذلك ، إذا أخذنا فى الاعتبار نوعية المنتجات الأمريكية . . . ".

انتشر صوت الضحكات خلال الظلام .

" وذكاء الجمهور الأمريكى . . . " .

كان هناك ضحكات خافتة ومكتومة .

" كما ذكر أحد الصحفيين مؤخرًا ، أن الغالبية العظمى من الأمريكيين بلغوا من الحماقة الدرجة التى تجعلهم لا يستطيعون رؤية ما تحت أقدامهم " .

تعالى صوت الضحكات ، وقد أثار هذا حماسته .

" لقد أصبح معظم الناس غير مهذبين ، وبلا ثقافة ، وكلما غرقوا في ديونهم ، صفع كل منهمٍ الآخر على ظهره " . فكر أن هذا يكفى . وغير من نبرته قائلاً : " ولكن ما أريد أن أجذب انتباهكم إليه هو الحجم الهائل للرسائل التجارية التى يتلقاها المواطن الأمريكى ، فكما هو موضح أمامكم ، فإن اللوحات الإعلانية مصفوفة بطول جانبى الطريق ، وعلاوة على ذلك ، فإن كل سيارة تمر بها مذياع ، يرسل رسائل تجارية أكثر . فى الحقيقة ، تقدر عدد الرسائل التى تصل إلى الأمريكيين كل يوم بثلاثة آلاف رسالة ـ أو من المحتمل يبلغ عدد الرسائل أكثر من ذلك ، ولكنهم فى الواقع لا يستمعون إليها ؛ فقد قرر علماء النفس أن حجم تلكٍ الرسائل الهائل يخلق نوعاً من المخدر ، والذى يصبح متأصلاً مع الوقت ، وفى بيئة مشبعة بالإعلام ، تفقد كل الرسائل تأثيرها " .

تغيرت الصورة لميدان تايمز فى الليل ، ثم شينجوكو ، فى طوكيو ، ثم بيكاديللى ، فى لندن . قال جافين : " لقد أصبح التشبع الإعلامى اليوم ظاهرة عالمية . تلك الرسائل الضخمة الهائلة ، بما فى ذلك شاشات الفيديو الكبيرة ، التى تظهر فى الميادين العامة ، بطول طرق السيارات ، وفى محطات مترو الأنفاق ، ومحطات القطارات . إننا نضع رسائل الفيديو فى منافذ البيع ، وفى محلات التجزئة . فى دورات المياه ، فى غرف الانتظار ، وفى الملاهى ، والمطاعم ، وقاعات الانتظار بالمطارات وعلى الطائرات .

علاوة على ذلك ، لقد تمكنا من اقتحام المساحة الشخصية ؛ فالماركات والشعارات اليوم تظهر على أشياء عادية من السكاكين إلى أدوات المائدة إلى أجهزة الكمبيوتر . فإنها تظهر على كل متعلقاتنا . المستهلكون يرتدون ملابسهم عليها شعارات ، وحقائب أيديهم ، وأحذيتهم ، ومجوهراتهم . لقد أصبح من النادر حقاً أن يظهر أى شخص فى الحياة الاجتماعية دون أن

يرتدى أى شيء يحمل شعاراً تجارياً . فلو كان أحد منذ ثلاثين عاماً مضت ، قد تنبأ أن الناس فى كل أنحاء العالم ستتحول إلى لوحات إعلانية متحركة ، تمشى وتتجول حاملة منتجات إعلانية ، كانت هذه الفكرة تبدو ضرباً من الخيال ، ولكن ذلك قد أصبح واقعاً ملموسًا بالفعل .

" والنتيجة هى تخمة إعلامية ضخمة ، وإجهاد حسى ، وضياع التأثير . ماذا نستطيع أن نفعل الآن ؟ كيف نستطيع أن نتحرك للأمام فى حقبة جديدة من التكنولوجيا ؟ قد تكون الإجابة ابتداعية ، ولكن تلك هى الإجابة " .

تغيرت الشاشة بشكل جذرى ، إلى صورة غابة . أشجار ضخمة تناطح السماء ، والظلال تحتها ، ثم قمة جبل جليدية . وجزيرة استوائية ، قوس من الرمل ، مياه بللورية ، نخيل ، وأخيرًا ، سلسلة صخور تحت الماء ، مع أسماك تسبح بين رءوس مرجانية وإسفنج .

قال كوس : إنه العالم الطبيعى ، إنه بالكامل بدون دعاية . إن العالم الطبيعى لم يتم ترويضه بعد ، ولم يستغل بواسطة عالم التجارة . إنه مازال بكرًا " .

صدر صوت من الظلام قائلاً : " ولكن أليس هذا هو الهدف ، أن تظل الطبيعة بكراً ؟ " .

" الحكمة التقليدية تؤكد ذلك . نعم ، ولكن الحكمة التقليدية هى بشكل ثابت عتيقة ، فإنها لم تعد تتناسب مع روح العصر ؛ لأنه فى الوقت الذى استغرقته لتصبح تقليدية ـ لتصبح ما يعتقده كل شخص ـ تحرك العالم من حولها ، مخلفاً الحكمة التقليدية وراءه ؛ فالحكمة التقليدية هى بقية الماضى ، وهى كذلك فى هذه الحالة .

وفجأة تحول على الشاشة منظر السلاسل الصخرية ، تحول شكلها لعلامات تجارية ، وصور لشعاب مرجانية بها أحرف تقرأ " *بى بى كلين* " . ومجموعة أسماك صغيرة تتلوى ، كل

منهـا يغمـز " *فودافون* " ، " *فودافون* " . حـوت ينزلـق مـع " *كادبورى* " كلمة محنية على أنفه ، والسمكة المنتفخـة عليهـا عبارة " *ليلويد تى إس بى جروب* " باللون الأسود . أحـرف تعـوم على رءوس ملفوفة من المرجان عليها " *سكوتيش بور* " مطبوعة بطول السلسلة باللون البرتقالى ، وأخيراً ، صورة لثعبان الماء يبرز رأسه خارج حفرة ، وشكل جلده المخضر يقول : " مارك آند سبينسر" .

قال كوس : " فكروا فى الاحتمالات " .

ذهل الحضور ـ كما توقع أن يحدث ، وقد ضغط فى المناظرة .

يظهر على الشاشة الآن منظر صحراء ، مع قمم من الصخور الحمراء التى تعلو فى مقابل سماء زرقاء بها سلسلة من السحب . بعد لحظة تلتحم السحب فى سحابة أكبر ضبابية معلقة فوق المنظر الطبيعى وتقول :

بى بى تعنى قوة نظافة .

قال كوس : " إن هذه الأحرف تقع على ارتفاع تسعمائة قدم ، وإن هذه السحابة الصناعية التى تشتمل على الأحرف تقع فى مكان أعلى من السحب الطبيعية بنصف ميل ، وهى واضحة عند النظر إليها بالعين المجردة ، ويمكن تصويرها بشكل جيد . وعند غروب الشمس تصبح رائعة الشكل حقاً " . تغيرت الصورة وقال كوس : " هنا ترون مظهرها حين تغرب الشمس ـ حيث تتغير الحروف من اللون الأبيض إلى اللون الوردى ، ثم إلى الأحمر ، وأخيراً إلى الأزرق الداكن ، وعلى الرغم من أنها صناعية ، إلا أن هذه السحابة تعطى انطباعاً وشعوراً بأنها عنصر طبيعى داخل المنظر الطبيعى " .

وعاد لصورة السحابة الأصلية فى ضوء النهار ، وقال : " هذه الحروف تم إنتاجها عن طريق تزاوج الجسيمات الدقيقة وبكتيريا المطنيات الحاطمة المحورة جينيًا . وتكون الصورة

فعالة ، وتظل مرئية في الهواء لمدة متغيرة من الوقت ـ اعتمادًا على الأحوال ـ مثلها في ذلك مثل أى سحابة طبيعية تماماً . قد تظهر السحابة لمدة دقائق قليلة . وفى أوقات أخرى ، قد تظهر لمدة ساعة ، وقد تظهر مرات متعددة . . . " .

على الشاشة ، أصبحت السحب الزاغبة على شكل شعار بى . بى ، لقد ظهر الشعار متكرراً بشكل لانهائى فى سحابة تلو الأخرى ، تلك السحب الممتدة بعيدًا فى الأفق . قال كوس : " أعتقد أن كل شخص يدرك تأثير هذه الوسيلة الجديدة على الجمهور . إنها الوسيلة الطبيعية " .

لقد توقع أن يسمع تصفيقاً يدويًّا بصورة تلقائية لما رأوه من مناظر درامية ، ولكن كان مازال هناك سكون فى الظلام ، ولكنهم بالتأكيد شعروا بنوع من رد الفعل الآن . إعلان يتكرر بشكل لا نهائى معلق فى السماء . بالتأكيد لابد أن يحركهم ذلك .

قال : " ولكن هذه السحب هى حالة خاصة " .

عاد إلى صورة تحت الماء ؛ حيث كانت الأسماك تتحرك فوق السلاسل المرجانية ، قال : " فى هذه الحالة ، ستكون اللافتات والإعلانات منتجة بواسطة الكائنات الحية نفسها ، من خلال التحور الجينى لكل نوع من هذه الكائنات . ونسمى هذا النوع من الإعلانات بالإعلان الجينومى ، والسرعة ذات أهمية قصوى لاغتنام هذه الوسيلة الإعلانية الجديدة ؛ فهناك عدد محدود من أسماك سلاسل الصخور للسياح الذين يقومون بالغطس تحت الماء ، كما أن هناك أسماكاً أكثر بريقاً من الأسماك الأخرى ، وهناك الكثير من الأسماك ذات اللون الداكن . لذلك نريد أن نختار الأفضل من بين هذه الأسماك لاستخدامه فى حملاتنا الإعلانية . والتعديلات الجينية تتطلب الحصول على براءات لتحويل الحيوان البحرى جينياً فى كل حالة . ولذلك فإننا

سنحصل على براءة لتحويل سمكة المهرج لصالح شركة " كادبورى " ، وسمك المرجان لصالح شركة " بريتيش بيتروليام " ، وثعبان الماء لصالح شركة " ماركس آند سبينسر " ، وسمكة الإنجيل لصالح إعلانات البنك الملكى الاسكتلندى ، وللخطوط الجوية البريطانية سنحصل على براءة لتحويل سمكة شيطان البحر جينياً " .

تنحنح كوس وأردف قائلاً : ويجب علينا " استعجال الأمور لأننا ندخل منافسة كبيرة ، ونريد أن تخرج السمكة المهرجة التى تحمل إعلان شركة كادبورى لحيز الوجود قبل شركة هيرشي أو ماكودنالدز على حق استغلال السمكة . إننا نرغب فى تطوير كائن إعلانى قوى ؛ حيث إنه فى البيئة الطبيعية ستتنافس السمكة المهرجة لكادبورى مع السمكة المهرجة العادية ، ونأمل أن تنتصر عليها ، وكلما كانت سمكتنا المرخصة ناجحة ، تم رؤية رسالتنا بشكل متكرر ، ودفعت السمكة الأصلية بدون رسالة بالكامل إلى الانقراض . نحن ندخل حقبة الإعلانات الداروينية ! " .

صدر صوت كحة من الجمهور ، وقال صوت : " جافين معذرة ولكن هذا يبدو كابوساً بيئياً . ماركات وشعارات على الأسماك ؟ وشعارات فى السحاب ؟ وماذا أيضاً ؟ وحيد القرن فى إفريقيا يحمل لوجو لاندروفر ؟ إذا استمررت فى تحوير الحيوانات جينياً لتحولها إلى لوحات إعلانية ، سيقف كل علماء البيئة فى العالم ضدك " .

قال كوس : " فى الواقع هم لن يفعلوا لأننا لن نقترح أن تحول الشركات الفصائل إلى شعارات دعائية ، ولكن ما سنطلبه من الشركات هو أن ترعى الفصائل الحيوانية ، كنوع من أنواع الخدمات العامة " . توقف ثم قال : " فكروا فى عدد المعارض ، وعدد المسارح ، وعدد الفرق الموسيقية التى تعتمد بالكامل على

رعاية شركات ، حتى إن قطاعات من الطرق يتم رعايتها ، اليوم . لماذا لا توجه نفس الروح الإنسانية تجاه العالم الطبيعى - والذى سيستفيد بالتأكيد من هذه الرعاية أكثر مما تستفيد الطرق فى الشوارع فإن الفصائل المعرضة للخطر يمكن رعايتها بشكل جذاب ، فيمكن أن تخاطر الشركات بسمعتها على بقاء فصائل الحيوانات ، مثلما خاطرت ذات مرة بسمعتها من قبل على ضمان جودة البرامج التليفزيونية المملة . ونفس الشيء بالنسبة للحيوانات التى لم تتعرض لخطر الانقراض بعد ، يمكن توفير الرعاية لكل الأسماك فى البحر . إننا نتحدث عن حقبة المؤسسات الخيرية العظيمة - على المستوى العالمى " .

" إذن هل سيحمل لنا المستقبل عبارات مثل : تقدم لكم وحيد القرن الأسود ، برعاية شركة لاندرفو ، وتقدم لكم النمر الأمريكى برعاية شركة جاجوار ؟ " .

" ما كنت لأضعها بهذه الفجاجة ، ولكن ، نعم ، هذا ما نقترحه " ، واستمر قائلاً : " والهدف من هذا أن تخرج جميع الأطراف فائزة ، البيئة وشركات الدعاية والإعلان " .

لقد أجرى جافين كوس المئات من العروض التقديمية فى مهنته ، وشعوره بالنسبة لجمهور الحضور فى عرضه لم يخذله أبدًا ، وهو يستطيع أن يشعر الآن أن الحاضرين لم يقتنعوا بما قدمه ، لقد كان وقت إضاءة الأنوار وأخذ الأسئلة .

بدأ بصفوف الوجوه العابسة أمامه وقال : " أعترف أن فكرتى - تلك جذرية ، ولكن العالم يتغير بشكل سريع ، وسوف يقوم أحد بذلك فى يوم من الأيام . إن استغلال الطبيعة سيحدث بأى حال من الأحوال - السؤال هو ، بواسطة من ، وأستحثكم لأن تفكروا فى هذه الفرصة بأقصى عناية ، ثم تقرروا إذا كنتم تريدون أن تكونوا جزءا منها " .

من الخلف ، كان يقف جارث بيكر ، رئيس مؤسسة ميدلاند للإعلام وقال : " إنها فكرة جديدة جدًا ، يا جافين ، ولكن يجب أن أقول لك ببعض التأكيد إنها لن تنجح " .

" آه ، لماذا ذلك ؟ " .

" لأن شخصاً آخر قد قام بها بالفعل " .

الفصل ٤٧

لم يكن هناك قمر أو صوت ، فيما عدا هدير الأمواج فى الظلام وصوت الرياح الرطبة . يمتد شاطئ تورتوجيرو أكثر من ميل بطول ساحل الأطلنطى الوعر لكوستاريكا ، ولكن الليلة بدا الساحل وكأنه ليس أكثر من شريط مظلم اندمج مع سماء سوداء ذات نجوم . توقف جوليو مانارير منتظراً لأن تتأقلم عينه مع الظلام ، يمكن للإنسان أن يرى فى ضوء النجوم ، إذا استغرق بعض الوقت .

وسريعًا استطاع أن يميز جذوع النخيل وكتل الصخور المبعثرة على الرمل المظلم ، والنباتات الصغيرة الضئيلة التى انتزعتها الرياح من المحيط . كان يستطيع أن يرى الموجة المزبدة فى البحار المخضة . لقد كان يعرف أن المحيط ممتلئ بالقروش . هذا الامتداد من الساحل الأطلنطى كان أجرد وغير مضياف .

على بعد ربع ميل أسفل الشاطئ رأى صديقه مانيول ، وبدا مانيول وكأنه شكل معتم أسفل شجر المنغروف الاستوائى . كان يحتمى من الريح .

ولم يكن هناك شخص آخر على الشاطئ .

حدق جوليو تجاهه ، مارًا بالحفر العميقة التى حفرتها السلاحف فى اليوم السابق . لقد كان هذا الشاطئ هو أحد

الأراضى لتناسل السلاحف البحرية جلدية الظهر ، التى جاءت من المحيط فى الظلام لتضع بيضها . كانت عملية وضع البيض تستغرق معظم الليل ، وكانت السلاحف عرضة ـ فى الأيام السابقة ، للصيادين ، والآن غالباً ما تتعرض السلاحف لحيوان الجغور أو النمر الأمريكى الذى يتجول على الشاطئ ، وكان أسود كالليل نفسه ، وكرئيس جديد للمحافظة على البيئة فى المنطقة ، كان جوليو واعيًا جدًا أن السلاحف كانت تُقتل كل أسبوع على طول الشاطئ .

لقد ساعد وجود السياح فى منع ذلك ؛ حيث كان الجغور يظل بعيداً عن الشاطئ ، فى الوقت الذى يسير فيه السياح عليه ، ولكنه كان غالباً ما يعود بعد منتصف الليل ليلتهم السلاحف المسكينة ، عندما يكون السياح قد عادوا إلى فنادقهم .

لقد كان من الممكن بالنسبة له أن يتخيل أن السلاحف قد طورت من نفسها كشكل من أشكال الوسائل الدفاعية ضد هجمات الجغور . عندما كان فى المدرسة الثانوية اعتاد بيتان جوان أن يمزح هو وأصدقاؤه بشأن التطور الذى قد تفرضه الظروف البيئية على الكائنات . سأل نفسه هل يمكن أن تكون للسياج يد فى هذا التطور الذى طرأ على السلاحف ؟ لقد غير السياح كل شىء آخر فى البلد ، فلم لا يغيرون البرية ؟ لأنه لو حدث أن امتلكت السلحفاة صفة معينة ـ ربما لو كانت تومض بأضواء ، أو كانت قادرة على إصدار صوت حزين معبر عن آلام ومشاعر الأمومة ـ إذا كان لديها شىء يجذب السياح ويجعلهم يبقون أثناء الليل ، إذن فإن هذه السلاحف على الأرجح سوف تبقى على قيد الحياة هى والبيض الذى تضعه ، وأبناؤها كذلك .

إن بقاء هذه السلاحف يعتمد على انجذاب السائحين لها . الأمر الذى كان مجالاً للمزاح فى المدرسة . ولكن ، بالطبع لقد كان ذلك ممكنًا . إذا كان ما يقوله مانيول حقيقيًا . . .

رآه مانيول وأشار إليه ، ووقف بينما اقترب جوليو منه وقال : " في هذا الاتجاه " ، وانطلق حتى الشاطئ .

" سوف تجد أكثر من واحدة اليوم ، يا جوليو " .

" إنني أريد مجرد واحدة من ذلك النوع الذى كنت أتحدث عنه " .

" حسنًا " .

" مشيا على الشاطئ في صمت ، ولكنهما لم يبتعدا أكثر من مائة ياردة أو ما يقرب - وذلك عندما رأى جوليو الوهج الأرجواني الضعيف أسفل الرمل ، ينبض بشكل طفيف .

سأل جوليو : " هل هذه هي ؟ " .

قال مانيول : " نعم هذه هي " .

لقد كانت أنثى تزن حوالى ١٠٠ كيلو جرام ، طولها متر وربع . ولديها صفائح صدفية ، كانت كل واحدة منها بحجم اليد . لونها بني مخطط باللون الأسود . لقد كانت نصف مدفونة في الرمل ، تحفر حفرة في الخلف بزعانفها .

وقف جوليو فوقها وشاهد .

قال مانيول : " إنها تبدأ في الوميض ثم تتوقف " .

ثم بدأت مرة أخرى ؛ فظهر وهج أرجواني والذى كان يبدو أنه ينبثق من بين الصفائح الفردية للصدفة . بعض الصفائح لم يكن بها الوهج وكانت مظلمة ، والبعض كان يتوهج فقط بين الفينة والأخرى ، وأخرى توهجت كل مرة . كل نبضة كانت تستمر حوالى ثانية ، ترتفع بسرعة وتخبو ببطء .

قال جوليو : " كم واحدة شاهدتها مثل هذه ؟ " .

" هذه الثالثة " .

" وهل يصرف هذا الضوء الجغور بعيداً عنها ؟ " واستمر في مشاهدة النبض الخفيف ، لقد شعر بأن نوعية هذا الوهج كانت

مألوفة بالنسبة له بشكل غريب ، وكأنه وهج يخفق . أو جرثوم متوهج فى الأمواج . إنه يشبه شيئاً كان قد رآه من قبل .

" نعم إن ذلك يجعل الجغور يبتعد عنها بمسافة " .

قال جوليو : " انتظر لحظة ، ما هذا ؟ " وأشار إلى الصدفة ؛ حيث ظهر عليها شكل متكون من صفائح مضيئة وأخرى مظلمة .

" إن ذلك يحدث أحيانًا " .

" ولكن هل ترى هذا الشكل الذى تكون ؟ " .

" نعم ، أراه " .

" إنه يبدو مثل شكل سداسى الأضلاع " .

" لا أدرى . . . " .

" ولكنه مثل رمز ، ألا تعتقد أن ذلك يمكن أن يكون رمزاً أو شعاراً لشركة ما ؟ " .

" ربما ، نعم . من الممكن " .

" ماذا عن السلاحف الأخرى ؟ هل يظهرون نفس الشكل ؟ " .

" لا ، كل واحدة مختلفة عن الأخرى " .

" إذن قد يكون ذلك شكلاً عشوائياً حدث أن أخذ شكلاً سداسى الأضلاع ؟ " .

" نعم ، يا جوليو أعتقد أنه كذلك ؛ لأن صورة الشكل السداسى على الصدفة ليست جيدة ، ليست متماثلة تماماً ... ". وبينما يتحدث تلاشت الصورة ، وأصبحت السلحفاة مظلمة مرة أخرى .

" هل يمكن أن تصور هذا الشكل ياماينول ؟ " .

" لقد فعلت من قبل . لقد صورتها بدون فلاش ، ولذلك فإن الصورة غير واضحة قليلاً ، ولكنى نعم قمت بتصويرها " .

قال جوليو : " جيد ؛ لأن هذا تغيير جينى . دعنا نراجع سجل الزوار ، ونر من قد يكون فعل ذلك " .

الفصل ٤٨

" **جوش** " لقد كانت أمه على الهاتف .

" نعم ، يا أمى " .

" لقد اعتقدت أنك يجب أن تعلم . هل تتذكر إريك ، ابن لوى جراهام ، الذى كان يتعاطى الهيروين ؟ لقد حدثت له مأساة فظيعة ، لقد لقى حتفه " .

تنهد جوش تنهيدة طويلة ، واستند إلى مقعده وأغلق عينيه وسألها : " كيف حدث ذلك ؟ " .

" فى حادث سيارة ، ولكن عندما تم تشريح جثته ، اكتشفوا أن إريك توفى إثر أزمة قلبية مميتة . إنه فى الواحدة والعشرين من العمر يا جوش " .

" هل لأسرته تاريخ مرضى بأمراض القلب ؟ هل يوجد أى عيب خلقى ؟ " .

" لا ، إن والد إيريك يعيش فى سويسرا ويبلغ من العمر ٦٤ عاماً . هو يتسلق الجبال . ولوى بخير . بالطبع لقد حطمها ما حدث ، فى واقع الأمر لقد حطمنا جميعاً " .

لم يقل جوش شيئًا .

" لقد كانت الأمور تسير بشكل جيد بالنسبة لإيريك . لقد أقلع عن المخدرات ، وحصل على وظيفة جديدة ، وتقدم بطلب

للعودة للمدرسة في الخريف . . . لقد بدأ فى الصلع هذا هو الشيء الوحيد الذى تغير فيه . اعتقد الناس أنه يأخذ علاجاً كيميائياً . لقد فقد الكثير من الشعر ، وكان يمشي منحنيًا . يا جوش ؟ هل أنت هناك ؟ " .

" أنا هنا " .

" لقد رأيته الأسبوع الماضى . كان يبدو رجلاً عجوزًا " .

لم يقل جوش شيئًا .

" يجب أن تذهب لتعزية أسرته " .

" سأحاول " .

" جوش ، أخوك يبدو عجوزًا ، أيضًا " .

" أعرف " .

" لقد حاولت أن أخبره بأن ما حدث له هذا قد حدث لأبيه لكى أبهجه ، ولكن آدم يبدو عجوزاً جدًا " .

" أعرف " .

قالت : " ماذا يحدث ؟ ماذا فعلت به ؟ " .

" ماذا فعلت ؟ " .

" نعم ، يا جوش . لقد أعطيت لهؤلاء الناس بعضاً من هذا الجين ، أو أياً كان هذا الرشاش ، ولقد تسبب ذلك فى أنهم شاخوا " .

" أمى ، لقد فعل آدم هذا بنفسه . لقد استنشق الرشاش بنفسه لأنه اعتقد أنه سيجعله سعيدًا ، ولم أكن حتى معه فى هذا الوقت ، وقد طلبت منى أن أعطى الرشاش لابن لوى جراهام " .

" أنا لا أعرف كيف تفكر في مثل هذا الشيء " .

" أنت من اتصل بى " .

" جوش ، أنت سخيف . ولماذا أتصل بك ؟ أنا لا أعرف أى شيء عن عملك . لقد اتصلت *أنت بى* وسألتنى أين يعيش إيريك ، وطلبت منى ألا أخبر أمه ، هذا هو ما أتذكره " .

لم يقل جوش شيئًا ، وضغط بأطراف أصابعه على عينيه المغمضتين حتى رأى في مخيلته وميض سارينة وكأنه لسيارة شرطة . أراد أن يهرب . أراد أن يترك مكتبه ، وهذه الشركة . أراد ألا يكون أى من هذا حقيقيًا .

قال أخيرًا : " أمي ، إن ذلك يمكن أن يكون خطيراً جدًا " . كان يفكر في أنه قد يذهب للسجن .

" طبعًا إنه خطير . أنا خائفة جدًا الآن ، يا جوش . ماذا سيحدث ؟ هل سأفقد ابني ؟ " .

" لا أعرف يا أمي ، آمل ألا يحدث ذلك " .

قالت أمه : " أعتقد أن هناك فرصة ؛ لأنني قد اتصلت بأسرة ليفين في سكارسديل ووجدت أنهم بخير . إنهم كبار بالفعل ، عمرهم أكثر من ستين عامًا ، ويبدو أنهم بخير . تقول هيلين إنها لم تكن أفضل حالاً من ذلك ، وجورج يلعب الكثير من الجولف " .

قال : " هذا جيد " .

" إذن ربما هم بخير " .

" أعتقد ذلك " .

" إذن قد يكون آدم بخير ، أيضاً " .

" أتمنى ذلك حقاً يا أمي ، حقاً أتمنى ذلك " .

أنهى المكالمة الهاتفية . بالطبع كانت أسرة ليفين بخير ؛ لأنه قد أرسل محلولاً ملحيًا في الأنبوب ؛ فهم لم يأخذوا الجين . لم يكن ليرسل الجين التجريبي لأشخاص في نيويورك لا يعرفهم .

وهذا أعطى أمه أملاً . حسناً دع الأمر هكذا .

لأن جوش الآن لم يكن لديه أى أمل . لا في أخيه ، ولا حتى في نفسه .

لقد كان سيخبر ريك دايهل بالأمر ، ولكن ليس الآن . ليس الآن تمامًا .

الفصل ٤٩

لقد كان ريتشارد زوج جيل بوند الموظف بأحد البنوك الاستثمارية غالبًا ما يعمل لوقت متأخر ؛ حيث يستضيف العملاء المهمين ، ولم يكن هناك مستثمر أهم من ذلك الأمريكى الجالس عبر المنضدة أمامه الآن ؛ المدعو باترون ويليامز ، مستثمر كليفلاند الشهير .

قال ريتشارد بوند : " هل تريد مفاجأة لزوجتك ، يا باترون ، أعتقد أن لدى الشيء المطلوب تمامًا " .

نظر ويليامز الذى كان محنياً على طاولة الغداء بقليل من الاهتمام . كان ويليامز يبلغ من العمر ٧٥ عامًا وكان يشبه الضفدع لقد كان له لغد ووجه متدل بمسام كبيرة ، وأنف عريض مسطح ، وعيون جاحظة ، وكان من عادته وضع ذراعه بشكل مسطح على المنضدة ووضع ذقنه على أصابعه ، الأمر الذى يجعله أكثر شبهاً بالضفدع . فى الواقع لقد كان بهذه الحركة يريح عنقه المصاب بالتهاب المفاصل ؛ حيث إنه كان يكره ارتداء دعامه لأنها تجعله يبدو عجوزًا .

ولم يكن ريتشارد بوند لِيُبَالى ، حتى لو استلقى ويليامز أمامه متمرداً على الطاولة . لقد كان ويليامز عجوزًا بشكل كافٍ وغنيًّا بشكل كافٍ لأن يفعل أى شيء يريده ، وما كان كل ما

يريده دائمًا طوال حياته سوى صحبة النساء . وعلى الرغم من السن وهذا المظهر ، فقد استمر فى الحصول عليهن والجلوس معهن وبأعداد كبيرة ، فى كل أوقات اليوم ، وقد رتب ريتشارد للعديد من النساء للمرور بالمنضدة فى نهاية الوجبة . إما أنهن زميلات عمل وسيمررن على الطاولة لعرض بعض الأوراق عليه ، أو أنهن صديقات قديمات يحضرن ليقابلنه ويتعرفن عليه . والقليل منهن أتين لتناول الغداء بالمصادفة ، ومعجبات بالمستثمر الكبير ، وهن منبهرات أنهن قد حضرن لمقابلته .

ولم يخدع أى من ذلك باترون ويليامز ، ولكنه كان يسعده ، وقد توقع من شركائه فى الأعمال أن يعانوا بعض المتاعب من أجله ؛ فعندما تساوى عشرة بلايين دولار ، فإن الناس يقومون بمجهود لجعلك سعيدًا . لقد كان هذا هو الحال مع باترون ويليامز ، وقد كان ينظر إليه كنوع من التقدير .

ولكن فى هذه اللحظة المحددة أراد ويليامز أن يسترضى زوجته التى تزوجها منذ أربعين عاماً ، أكثر من شىء آخر . فلسبب غير معروف ، أصبحت " إيفلين " البالغة من العمر ستين عاماً ، غير راضية فجأة عن زواجهما بسبب مغامرات باترون التى لا تنتهى ، على حد وصفها .

قال باترون : " هدية قد تساعد على حل هذه المشكلة ولكن من الأفضل أن تكون هدية جيدة ، لقد تعودت زوجتى على كل شىء . فيلات فى فرنسا ، ويخوت فى ساردينيا ، ومجوهرات من وينستون ، وطهاة يطيرون من روما من أجل عيد ميلاد كلبها . هذه هى المشكلة . لا أستطيع أن أشترى لها شيئاً مميزاً بعد الآن . إنها تبلغ الستين ومتخمة بالهدايا " .

قال ريتشارد : " أعدك ، هذه هدية فريدة فى العالم ، زوجتك تحب الحيوانات . ألا تحبها ؟ " .

" إن لديها حديقة الحيوان الخاصة بها " .

" وهل تحتفظ بطيور ؟ " .

" يا إلهى . لابد أنها مئات . لدينا عصافير فى الغرفة المشمسة ، تزقزق طول اليوم . إنها تربيها " .

" والببغاوات ؟ " .

" كل نوع . لا أحد منها يتكلم ، حمدًا لله . ليس لديها حظ مع الببغاوات " .

" إن حظها على وشك أن يتغير " .

تنهد باترون وقال : " ولكنها لا تريد ببغاء آخر لعينًا " .

قال ريتشارد : " ولكنها سترغب فى اقتناء هذا الببغاء ؛ إنه الفريد من نوعه فى العالم " .

دمدم باترون : " إنى سأغادر غداً الساعة السادسة صباحًا " .

قال ريتشارد : " سأكون منتظرًا فى طائرتك " .

الفصل ١٥

ابتسم روب بيلارمينو معيدًا الطمأنينة وقال للفتيان : " تجاهلوا الكاميرات " . لقد جلسوا في مكتبة مدرسة جورج واشنطن العليا في سيلفر سبرينج ، بولاية ماريلاند . كان هناك ثلاث مجموعات من الكراسي التي أخذت شكل نصف دائرة والتفت حول الكرسي الرئيسي ؛ حيث جلس دكتور بيلارمينو بينما تحدث للطلبة عن القضايا الأخلاقية لعلم الوراثة .

ولقد كان للتلفاز ثلاث كاميرات تعمل على تصوير هذا اللقاء ، واحدة في نهاية الغرفة ، وواحدة على الجانب تقترب من بيلارمينو ، وواحدة تواجه الفتيان ؛ لتسجل تعبيراتهم بالافتتان وهم يستمعون عن حياة عالم وراثة يعمل بالمعهد القومي للصحة ، ووفقاً لمنتج العرض فإنه من المهم إظهار تفاعل بيلارمينو مع المجتمع ، ولقد كان ذلك المكان مناسباً تماماً ، ولقد تم اختيار الفتيان بشكل خاص ليكونوا أذكياء ولديهم معرفة .

لقد اعتقد أن الأمر سيكون ممتعاً حقاً .

لقد تحدث عن خلفيته والتدريبات التي تلقاها لعدة دقائق ، ثم أخذ أسئلة الطلبة . السؤال الأول جعله يتوقف . سألت فتاة

آسيوية صغيرة فقالت : " دكتور بيلارمينو ، ما رأيك فى هذه المرأة فى تكساس التى استنسخت قطتها الميتة ؟ " .

فى الواقع ، فكر بيلارمينو أن موضوع القطة الميتة كان سخيفاً ، وأنه يقلل أهمية العمل الذى يقوم به هو وزملاؤه ، ولكنه لم يستطع أن يقول ذلك .

قال بيلارمينو بطريقة دبلوماسية : " بالطبع ، هذا موقف عاطفى صعب . إننا جميعاً مغرمون بالحيوانات الأليفة ، ولكن . . . " ، لقد تردد قبل أن يقول : " هذا العمل قد تم بواسطة شركة تدعى المدخرات الجينية والاستنساخ " ، وقد ذكر أن التكلفة كانت خمسين ألف دولار .

سألت الفتاة : " هل تعتقد أن استنساخ القطة الأليفة عمل أخلاقى ؟ " .

قال : " كما تعرفون ، فإن حيوانات قليلة تم استنساخها الآن ، مثل النعاج ، والفئران ، والكلاب ، والقطط . إذن فقد أصبح غير لافت للنظر . . . والاهتمام الوحيد الآن منصب حول حقيقة أن الحيوان المستنسخ لا يكون له نفس فترة حياة الحيوان الأصلى " .

قال طالب آخر : " هل هو عمل أخلاقى أن تدفع خمسين ألف دولاراً لتستنسخ حيوانًا مدللاً ، بينما هناك الكثير من الناس يموتون من الجوع فى العالم ؟ " .

تأوه بيلارمينو داخليًّا . كيف سيمكنه تغيير الموضوع ؟ فقال : " أنا لست متحمسًا بشأن هذا الإجراء ، ولكننى لن أبالغ وأقول إنه غير أخلاقى " .

" هل لا يكون غير أخلاقى لأنه يمهد مناخاً لاستنساخ البشر ؟ "

" لا هل لا يكون اعتقد أن استنساخ حيوان أليف له أى تأثير على القضايا التى تتعلق بالاستنساخ البشرى " .

" وهل استنساخ البشر أمر أخلاقى ؟ " .

قال بيلارمينو : " لحسن الحظ إن هذا الأمر بعيد جدًا فى المستقبل . اليوم آمل أن نفكر فى الموضوعات المعاصرة ؛ فهناك أشخاص يعبرون عن قلقهم بشأن الطعام المعدل جينيًا ؛ ولدينا قلق بشأن العلاج الجينى ، والخلايا الجذعية ؛ وهذه موضوعات حقيقية . هل يساور أحدكم القلق بشأن ذلك ؟ رفع ولد صغير يده وقال : " نعم " .

سأل الولد : " هل تعتقد أنه من الممكن استنساخ البشر ؟ " .

" نعم ، أعتقد أنه من الممكن ، ليس الآن ، ولكن مؤخرًا " .

" متى ؟ " .

" لا أريد أن أخمن متى . هل هناك أسئلة عن موضوع مختلف ؟ ارتفعت يد أخرى : " نعم " .

" فى رأيك هل استنساخ البشر غير أخلاقى ؟ " .

مرة أخرى تردد بيلارمينو فى الإجابة واعيًا أن إجاباته ستبث عبر التلفاز ، ومن يعرف كيف ستحذف الشبكة ملاحظاته ؟ فربما يفعلون ما فى وسعهم لجعله أسوأ ما يمكن . والمراسلون لديهم تحيز واضح ضد العلماء الذين يخلطون بين العلم والأمور الدينية ؛ لأنه كان يدير قسمًا فى المعهد القومى للصحة .

قال : " أنتم ربما سمعتم عن الكثير عن الاستنساخ ، ومعظم ما سمعتموه غير صحيح ، وعندما أتحدث كعالم ، يجب أن أعترف بأنى لا أرى شيئا بشكل متأصل فى الاستنساخ . ولا أراه متعلقًا بأى قضية أخلاقية . إنه فقط إجراء جينى آخر . لقد سبق أن فعلنا ذلك مع حيوانات متنوعة ، كما ذكرت . على أى حال ، أنا أعرف أيضاً أن عمليات الاستنساخ لها نسبة عالية من الفشل ، والتى لن تكون بوضوح مقبولة بالنسبة للبشر ، لذلك فأنا أعتبر الاستنساخ لا يمثل أى مشكلة فى الوقت الحالى " .

" أليس الاستنساخ أمراً مخالفاً للدين ؟ " .

قال : " أنا شخصيًا لا أرى الاستنساخ بهذه الطريقة ، إذا كان الله قد صنع البشر ، وصنع باقى العالم ، إذن ، بوضوح فإن الله قد صنع أدوات الهندسة الوراثية . هذا هو عمل الله ، ليس الإنسان . وكما هو المعتاد ، فإن الأمر يرجع لنا فى استخدام ما أعطاه الله لنا بحكمة " . لقد شعر بتحسن بعد ذلك ؛ فقد كانت تلك إحدى الإجابات التى كان يحفظها .

" إذن هل الاستنساخ هو استخدام حكيم لما أعطاه الله لنا ؟ " .

وعلى عكس طبيعته تماماً ، مسح بيلارمينو جبهته بكم سترته . كان يأمل ألا يستخدموا هذا الجزء من الفيلم ، بالرغم من أنه كان واثقاً أنهم سيفعلون . الأطفال الصغار جعلوا العرق يتصبب من رئيس المعهد القومي للصحة . قال بيلارمينو : " بعض الناس يعتقدون أنهم يعرفون حكمة الله فى صنع الأشياء ، أنا لا أعتقد أنى أعرف ذلك ، ولا أعتقد أن أى شخص يمكن أن يعرف ذلك ، إلا الله . وأعتقد أن أى شخص يقول إنه يعرف قصد الله فهو يظهر الكثير من الغرور الإنسانى الشديد " .

أراد أن ينظر إلى ساعته ، ولكنه لم يفعل . لقد كان الفتيان ينظرون إليه بشكل فضولى ، وليسوا مبتهجين كما توقع .

قال : " هناك مجال كبير من الموضوعات الجينية ، دعونا ننتقل إلى شيء آخر " .

قال فتى من جهة اليسار : " دكتور بيلارمينو أردت أن أسألك عن اضطراب الشخصية الاجتماعية . لقد قرأت أن هناك جيناً من أجل ذلك ، وهو مرتبط بالعنف والجريمة والسلوك الاجتماعى . . . " .

" نعم ، هذا صحيح ؛ فالجين يظهر فى حوالى ٢٪ من السكان فى جميع أنحاء العالم " .

" ماذا عن نيوزيلاند ؟ إن هذا الجين في ٣٠٪ من السكان النيوزيلانديين البيض ، و٦٠٪ من السكان الماورى . . . " .

" هذا ما ذُكر ، ولكن يجب أن تكون حريصًا " .

" ولكن ألا يعنى ذلك أن العنف وراثى ؟ أقصد ، هل يجب أن نحاول أن نتخلص من هذا الجين ، كما تخلصنا من الجديرى " .

توقف بيلارمينو . بدأ يتعجب كم من آباء هؤلاء الفتيان يعملون في بيثيسدا . لم يفكر في السؤال عن أسماء الأولاد قبل اللقاء . الأسئلة التى طرحها الفتيان كانت تدل على أنهم يتمتعون بمعرفة كبيرة ، وأنهم كانوا يوجهون الأسئلة بلا شفقة ولا رحمة . هل يرغب أحد أعدائه الكثيرين في تشويه سمعته ، باستخدام هؤلاء الفتيان . هل كانت الخطة الكلية للبرنامج مجرد شرك لجعله يبدو سيئًا ؟

هل هى الخطوة الأولى تجاه دفعه خارج المعهد القومى للصحة ؟ إن هذا هو عصر المعلومات ؛ وهذه هى الطريقة التى تتم بها الأمور اليوم . الترتيب لجعلك تبدو سيئًا ، وجعلك تبدو ضعيفاً . دفعك لأن تقول شيئاً أحمق ، ثم مشاهدة حماقتك تكرر لمدة الثمانى والأربعين ساعة القادمة ، فى كل المحطات الإخبارية ، وفى كل الصحف ، ثم تبدأ الثرثرة ، والانتقادات ... كيف يمكن أن يكون متبلد الشعور ؟ هل هو مناسب حقاً لوظيفته ؟ ألم يكن متحملاً حقاً مسئولية موقعه ؟

وبعد هذه التساؤلات ، وهذه الثرثرة تجد نفسك خارج وظيفتك .

هذه هى الطريقة التى تجرى بها الأمور هذه الأيام .

الآن يواجه بيلارمينو سؤالاً مجملاً عن العوامل الوراثية لسكان ماورى . هل يقول ما يعتقده فعلاً ، ويخاطر باتهامه بالحط من قدر أقلية عرقية مضطهدة ؟ هل يصمت ولا يعلق على الأمر ؟ ولكنه بصمته ذلك سيكون لا يزال مخاطراً بتعرضه للنقد

بسبب تشجيعه لليوجينية ، أو تحسين خصائص النسل . كيـف يمكنه حقاً أن يقول أى شىء على الإطلاق ؟

لقد قرر أنه لا يستطيع قول شىء فى هذا الأمر . قال : " أنتم تعرفون أن هذا مجال شيق للبحث ، ولكننا لا نعرف الكثير عن الإجابة بعد . السؤال التالى ؟ " .

الفصل ٥١

لقد كانت تمطر طوال اليوم فى جنوب سوماطرة . كانت أرض الغابة مبتلة . وكانت الأوراق مبتلة . كل شىء كان مبتلاً ، وقد رحلت فرق التصوير التى تجمعت من مختلف أنحاء العالم منذ وقت طويل لمهمة أخرى ، والآن عاد هاجار مع عميل واحد فقط ، رجل يدعى جوريفيتش ، وهو مصور فوتوغرافى شهير حضر بالطائرة من تنزانيا .

جلس جوريفيتش تحت شجرة فيكس ضخمة ، وفتح حقيبة معدات التخييم ، وأخرج شبكة حبال من النايلون ، بدت مثل أرجوحة شبكية ، ووضعها على الأرض بحرص ، ثم أحضر حقيبة معدنية ، فتحها ، وركب بندقية .

قال هاجار : " أنت تعرف أن هذا غير قانونى ؛ فهذه محمية " .

" لا لم أعرف ، اللعنة ! " .

" إذا مر حراس الغابة ، من الأفضل أن تبعد هذه عن النظر " .

" لا توجد مشكلة " . حشا آلة ضغط الهواء وفتح خزانة البندقية ، وسأل " ما حجم هدفنا ؟ " .

" إنه مازال صغيراً ، يبلغ من العمر ثلاث أو أربع سنوات . ربما يصل وزنه إلى ثلاثين كيلو . ويحتمل أقل " .

" حسناً ١٠ سم ٣ تكفى " ، جذب جوريفيتش حقنة من الحقيبة ، وتأكد من المستوى فى الحقيقة ، ووضعها فى خزانة البندقية ثم وضع حقنة أخرى وأخرى وأغلق خزانة البندقية . وقال لهاجار : " متى كانت آخر مرة رأيته فيها ؟ " .

" منذ عشرة أيام مضت " .

" أين ؟ " .

" بالقرب من هنا " .

" وهل يمكن أن يعود مرة أخرى ؟ هل هذا هو مكان وجوده ؟ " .

" يبدو ذلك " .

نظر جوريفيتش فى التليسكوب بعين وأغمض الأخرى . ودار بالتليسكوب فى دائرة ، ثم نظر به إلى السماء ثم لأسفل . وعندما شعر بالرضا عن مدى وضوح الرؤية وضعها جانبًا .

" هل لديك جرعة مخفضة من ذلك ؟ " .

قال جوريفيتش : " لا تقلق " .

" وكذلك لا يمكنك الإطلاق عليه إذا كان فى الجزء الأعلى المتغصن من الغابة ، تحسباً أن ـــــ " .

" قلت لك لا تقلق " ، ونظر إلى هاجار وقال : " أنا أعرف ما أفعله . هذه الجرعة كافية لجعله غير ثابت . سيأتى بنفسه ، قبل أن ينهار بفترة طويلة ، وقد نضطر لملاحقته على الأرض لمدة " .

" هل قمت بذلك من قبل ؟ " .

أومأ جوريفيتش .

" مع أورانجتون ؟ " .

" مع شمبانزى " .

" ولكن فصيلة الشمبانزى مختلفة " .

قال بسخرية : " حقاً " .

صمت الرجلان صمتاً غير مريح . أخرج جوريفيتش كاميرا الفيديو والقاعدة وثبتها ، وأخرج ميكروفوناً بعيد المدى له طبق قطره قدم ، ثم قام بتثبيته فى قمة الكاميرا بسارية تركيب ، وقد اعتقد هاجار أن ذلك جعل شكل الكاميرا بشع ، ولكن جعل الجهاز ككل أكثر فاعلية .

نزل جوريفيتش فى الماء على ركبتيه وحدق إلى الغابة . استمع الرجلان لصوت المطر وانتظرا .

فى الأسابيع الأخيرة اختفى الأورانجتون المتكلم عن أنظار الإعلام ، لقد سارت قصة الأورانجتون فى نفس الطريق الذى سارت فيه القصص عن الحيوانات الأخرى ، والتى لم تثبت صحتها : حيث لم يستطع أحد العثور على نقار الخشب الخارق للطبيعة الذى ظهر فى أركانساس ، وكذلك لم يستطع أحد تحديد مكان القرد الذى يبلغ طوله ست أقدام والذى شوهد فى الكونغو ، على الرغم من القصص المستمرة عنه بواسطة السكان الوطنيين ، وكذلك الخفاش العملاق الذى يبلغ مدى جناحيه ١٢ قدما الذى يفترض أنه قد شوهد فى غابات غينيا الجديدة لم يعد له أثر ؛ فقد آلت قصة الأورانجتون إلى نفس ما آلت إليه هذه القصص .

ويرى جوريفيتش ، أن فقد الاهتمام بالأمر كان شيئاً مثالياً ؛ لأنه عندما يتم اكتشاف أمر القرد فى النهاية ، سيبلغ اهتمام وسائل الإعلام عشرة أضعاف حال اكتشافه بطريقة أخرى .

خاصة لأن جوريفيتش كان يعتزم أكثر من مجرد تصوير القرد المتكلم . لقد اعتزم أن يحضر القرد نفسه على قيد الحياة .

قفل ياقة سترته جيداً لتجنب المطر المتساقط ، وانتظر .

لقد كان الوقت متأخرًا بعد الظهيرة ، وبدأ الظلام في الدخول . كان جوريفيتش ينعس عندما سمع صوتاً منخفضاً أجش يقول : " *الورس ميردى* " .

فتح عينيه ونظر إلى هاجار ، الجالس بالقرب منه .

هزّ هاجار رأسه .

قال الصوت مجدداً : " *الورس كومون سافا ؟* " .

نظر جوريفيتش ببطء حوله .

" ميردى . سكومباج اسبيس دى كون " . لقد كان صوتاً منخفضاً ، وكأنه يصدر عن شخص ثمل " فانجيل أ اوستد " .

شغل جرويفيتش الكاميرا . لم يكن يعرف من أين يأتى الصوت ، ولكنه يستطيع تسجيله على الأقل . وحرك العدسات فى شكل دائرة ببطء ، بينما راقب مستويات صوت الميكروفون لأن الميكروفون كان توجيهيًا ، فاستطاع أن يحدد أن الصوت يأتى من . . . الجنوب .

كانت الساعة التاسعة فى المكان الذى كان فيه . نظر من خلال التليسكوب مستخدماً عدسات التقريب ولم يستطع أن يرى شيئًا ؛ فالغابة تزداد ظلمة فى كل دقيقة .

وقف هاجار دون حركة ، يراقب فقط .

الآن كان هناك صوت تحطم أفرع الأشجار ولمح جرويفيتش ظلاً بينما نظر عبر العدسة ، ونظر وشاهد الشكل يتحرك أعلى وأعلى ، متأرجحًا على الأفرع بينما ذهب إلى الجزء العلوى المتغصن من الغابة ، وفى دقائق قليلة كان الأورانجتون على ارتفاع ٧٥ قدمًا فى الهواء فوقهم .

" *جودز فلوك هيت . اسهول ويجكى فلوك* " .

أخذ الكاميرا من على الحامل ، وحاول أن يصور ما رآه . لقد كان كل شىء أسود . لا شىء واضحاً مطلقاً . حول نظام الكاميرا إلى الرؤية الليلية . ولم ير شيئاً غير الأشرطة الخضراء بينما

تحــرك الحيــوان داخــل وخــارج النباتــات الكثيفــة . لقــد كــان الأورانجتون يتحرك لأعلى وبشكل جانبى .

" *فلوك هت . مودر فاكر* " .

" إنه يتحدث بشكل جيد " ، لكن الصوت كـان يـصبح أكثـر خفوتاً .

أدرك جــوريفيتش أنــه أمامــه قــرار يجــب أن يتخــذه ، وبسرعة . وضع الكاميرا وبحث عن البندقية . أرجحها ونظر فى التليسكوب ، وقام بتشغيل نظام التليسكوب على الرؤية الليليـة العسكرية ، كان اللون أخـضر فاتحـاً ، وكانـت الرؤيـة واضـحة للغاية . رأى القرد ، رأى عينيه تتوهج فى نقاط بيضاء " .

قال هاجار : " لا ! " .

قفز الأورانجتون إلى شجرة أخرى وتعلق فى الفضاء للحظة .

أطلق جوريفيتش البندقية .

سمع هسيس الغاز وسمع الحقنة تصفع الأوراق .

قال جوريفيتش : " لم أصبه " ورفع بندقيته مرة أخرى .

" لا تفعل ذلك " .

قال جوريفيتش : " اخرس " وصوب ثم أطلق الحقنة .

فى الأشجار بأعلى توقف صوت انطلاق الحقنة فى الأعلى .

قال هاجار : " لقد أصبته " .

انتظر جوريفيتش .

بدأ صـوت تحطـم الأوراق مـرة أخـرى ، وكـان الأورانجتـون يتحرك الآن ، فوقهم مباشرة .

" لا لم أفعل " ، رفع جوريفيتش بندقيته مرة أخرى .

" نعم فعلت ، وإذا أطلقت مرة أخرى " .

أطلق جوريفيتش .

اندفع الغاز بـالقرب مـن أذنــه ، ثـم سـاد الـسكون . خفـض جوريفيتش البندقية وتحرك لتعبئتها . مثبتًا عينيه على الجزء العلـوى المتغـصن مـن الغابـة فـوقهم ، وانحنــى وفـتح الحقيبـة

المعدنية وبحث عن خراطيش أخرى ، واستمر فـى النظـر لأعلـى طول الوقت .

كان هناك هدوء تام .

قال هاجار : " لقد أصبته " .

" ربما " .

" أنا أعرف أنك أصبته " .

" لا أنـت لا تعـرف ، ووضـع ثـلاث خـراطيش أخـرى فـى البندقية ، ثم قال : " أنت لا تعرف ذلك " .

" إنه لا يتحرك . لقد أصبته " .

اتخذ جرويفيتش موضعه ، ورفع بندقيته ؛ ليرى فى الوقت المناسب هيكلاً داكنًا يهبط عموديًا فوقهم من الجـزء العلـوى مـن على ارتفاع أكثر من ١٥٠ قدماً .

لقد ارتطم الحيوان بالأرض تحت أقدام جوريفيتش مطرطـشاً طمياً . لم يتحرك الأورانجتون . التقط هاجار صورة بالفلاش .

ثلاث طلقات تخللت جسد الأورانجتون . واحدة فى القدم ، واثنتان فى الجسم . كان الأورانجتـون لا يتحـرك . كانـت عينـا الحيوان مفتوحتين ، محدقاً لأعلى .

قال هاجار : " عظيم ، عمل عظيم " .

انحنى جوريفيتش على ركبتيه فى الطمى ، ووضع فمه علـى شفتى الأورانجتون ، ونفخ هـواء فـى رئتيـه ؛ لينعـشه ويعيـده للوعى .

الفصل ٥٢

جلس ستة محامين على المنضدة الطويلة ، كلـهم يقلبـون فـى الأوراق التـى أمـامهم ، وبـدا صـوت الأوراق كعاصـفة ريحيـة . وانتظر ريك دايهل فى نفـاد صـبر ، وهـو يعـض علـى شـفتيه . وأخيرًا رفع محاميه ألبرت رودريجيز بصره .

قال رودريجيز : " فى هذا الموقف لديك سبب وجيه ، علـى أى حال ـ للاعتقاد أن فرانك بيرنت قد تآمر لكـى يحطـم خطـوط الخليـة التـى فـى حيازتـك ؛ حتـى يـتمكن مـن بيعهـا لـشركة أخرى " .

قال ريك : " صحيح ، صحيح جدًا " .

" حكمـت ثـلاث محـاكم أن خلايـا بيرنـت هـى ملكيتـك ، وبذلك يكون لك الحق فى أخذها " .

" تقصد أخذها *مرة أخرى* " .

" صحيح " .

" إلا أن الرجل قد اختبأ " .

قـال رودريجـز : " هـذا أمـر مـزعج ، ولكنـه لا يغـير مـن الحقائق المادية للموقف . أنت مالك خـط خلايـا بيرنـت ، أينمـا تكون هذه الخلايا " .

" بمعنى ... " .

" أولاده . أو أحفاده . من المحتمل أن تكون لديهم نفس الخلايا ؟ " .

" تعنى أننى أستطيع أن آخذ خلايا من أبنائه ؟ " .

قال رودريجز : " نعم ؛ فالخلايا ملكيتك " .

" ماذا لو لم يوافق أبناؤه على أن آخذها منهم ؟ " .

" من المحتمل جدًّا أنهم لن يوافقوا على ذلك ، ولكن حيث إن الخلايا ملكيتك ، فإن الأطفال ليس لهم أى كلمة فى هذا الأمر " .

قال دايهل : " نحن نتحدث عن عينات استئصال نسيج من الكبد والطحال ، وإنها إجراءات ثانوية " .

قال رودريجز : " وهى ليست إجراءات خطيرة ، كذلك أعتقد أنها الإجراءات التى يقوم بها المريض العادى فى أى عيادة خارجية ، وبالطبع ، فإن عليك أن تتأكد أن استخلاص هذه الخلايا سيتم بمعرفة طبيب كفء . أفترض أنك ستفعل ذلك " .

تجهم وجه دايهل وقال : " دعنى أتأكد إذا كنت قد فهمت . أنت تخبرنى بأنى أستطيع أن آخذ أبناءه من الشارع وأسوقهم لطبيب وأنتزع أنسجتهم ؟ سواء وافقوا أم لم يوافقوا ؟ " .

" أنا أقول ذلك . نعم " .

قال ريك دايهل : " وكيف ، هل يكون ذلك قانونيًا ؟ " .

" لأنهم يحيون بخلايا ملك لك من الناحية القانونية ، إذن بخلايا مسروقة ، وهذه جنحة ثانية . وبموجب القانون إذا شاهدت جنحة تُرتكب ، من حقك اعتقال مواطن ، وأخذ المذنب للسجن ، فإذا رأيت أبناء بيرنت يمشون فى الشارع ، فمن حقك قانونًا اعتقالهم " .

" هل أقوم بذلك أنا شخصيًا ؟ " .

" لا ، لا " ، فى مثل هذه الظروف عليك الاستعانة بشخص محترف مدرب ـ عميل استعادة الهاربين " .

" هل تقصد صائدى المكافآت ؟ " .

" إنهم لا يحبون هذا المصطلح ، ولا نحن أيضًا " .
" حسنًا . هل تعرف عميلا جيدا لاستعادة الهاربين ؟ " .
قال رودريجز : " أعرف " .
قال دايهل : " إذن اتصل به ، الآن " .

الفصل ٥٣

نظر فاسكو بوردن إلى المرآة وتأكد من مظهره بعين محترفة ، بينما قام بصبغ الحروف الرمادية من لحيته الصغيرة . لقد كان فاسكو رجلاً ضخمًا ، يبلغ طوله ٦,٤ قدم ووزنه ٢٤٠ رطلاً ، وكان وزنه كله عبارة عن عضلات و ٩٪ من جسده فقط كانت دهوناً . حلق رأسه وزينه ، واللحية السوداء جعلته يبدو مثل الشيطان ، بل جعلته يبدو مثل كبير الشياطين ، فقد كان يقصد أن يبدو مخيفا ، وقد فعل .

التفت إلى حقيبة سفره على الفراش ، وبها وضع مجموعة من أثواب العمل المرتبة بإحكام وعليها لوجو شركة " كون ايد " على الصدر ؛ ووضع معطفا رياضيًا ؛ وحُلة إيطالية رشيقة ؛ وجاكيت دراجة بخارية مكتوبا عليه من الخلف اذهب إلى الجحيم ؛ وسترة جرى رياضية ؛ وجبيرة قدم ؛ وبرميل قصير من موسبرج ٥٩٠ و٢ براشوت أسود .٤٥s أما بالنسبة لليوم فقد كان يرتدي سترة رياضية من صوف التويد وبنطلوناً فضفاضاً وحذاء بنيا برباط .

وأخيرًا وضع ثلاث صور فوتوغرافية على الفراش .

أولاً ، صورة لرجل يدعى فرانك بيرنت . يبلغ من العمر ٥١ عاما ، رياضي ، كان بالبحرية سابقًا .

والصورة الثانية لابنة الرجل ، وتدعى أليكس ، فى أوائل الثلاثينيات ، وتعمل محامية .

والصورة الثالثة لحفيد الرجل ، جيمى ، عمره الآن ثمانى سنوات .

لقد اختفى الرجل العجوز ، ولم يجد فاسكو أى سبب للتفكير في العثور عليه . يمكن أن يكون بيرنت فى أى مكان فى العالم ـ المكسيك ، كوستاريكا ، أستراليا . ووجد أن الأسهل بكثير هو أخذ الخلايا مباشرة من أعضاء الأسرة الآخرين .

نظر إلى صورة الابنة ، أليكس محامية ـ ليست هدفًا جيدًا أبدًا . وحتى لو تولى الأمر بشكل مثالى ، فإنها ستقاضيه . كانت شقراء ، تبدو فى حالة جسمانية مقبولة . تبدو جذابة بشكل كافٍ ، إذا كان يعجبك هذا النمط من النساء ، ولكنها كانت نحيفة بالنسبة لذوق فاسكو . واعتقد فاسكو أنها ربما تتلقى بعض الدروس فى الدفاع عن النفس فىٍ عطلات نهاية الأسبوع . فلا يمكنك الجزم بمدى قدراتها حقاً ، وعلى أى حال ، بدا واضحاً أن أليكس قد تسبب مشاكل .

يتبقى الصبى .

جيمى ، يبلغ من العمر ثمانى سنوات ، بالصف الثانى ، بالمدرسة المحلية . يمكن أن يذهب فاسكو هناك ، ويأخذه ، ويجمع العينات من جسده ، وينتهى من كل شىء قبل الظهيرة . وهذا فى صالح فاسكو ؛ لأنه سيحصل على مكافأة قدرها خمسون ألف دولار لإنجاز المهمة ، ولكن ذلك إذا ما استعاد الخلايا فى الأسبوع الأول ، وسوف تنخفض المكافأة إلى عشرة آلاف دولار بعد أربعة أسابيع ، لذلك فلديه الكثير من الأسباب لأن ينتهى منها فى أسرع وقت ممكن .

فكر ، عليك بالطفل ، فسيكون الأمر معه بسيطاً ومباشراً .

جاءت دوللى والورقٍ فى يدها . اليوم كانت ترتدى حُلة زرقاء ، وحذاء منخفضاً ، وقميصاً أبيض . وكان معها حقيبة

ورق بنية . وكالمعتاد ، فإن نظراتها الرقيقة تمكنها من التحـرك دون أن تجذب الانتباه ، قالت : " كيف يبدو هذا ؟ " ، وسلمته الورقة .

فحـصها بـسرعة . لقـد كانـت : " إلى مـن يهمـه الأمـر " ، موقعـة بواسـطة ألـيكس بيرنـت ، وكانـت هـذه الورقـة تـسمح لحاملها أن يأخذ ابنها جيمي من المدرسة إلى طبيـب الأسـرة مـن أجل فحصه .

قال فاسكو : " هل اتصلت بمكتب الطبيب ؟ " .

" نعم . إن جيمي لديه حرارة والتهابـاً فـي الحلـق ، وقـالوا أحضروه " .

" إذن إذا اتصلت المدرسة بالدكتور ... " .

" سيكون الأمر تحت التغطية " .

" وأنت مرسلة من مكتب الأم ؟ " .

" صحيح " .

" معك بطاقة عمل ؟ " .

جذبت بطاقة عمـل ، عليهـا شـعار الـشركة القانونيـة التـى تعمل بها أليكس .

" وإذا اتصلوا بالأم ؟ " .

" رقمها مكتوب فى الورق ، كما ترى " .

" وهذا فى الواقع رقم سيندى ؟ " .

" نعم " كانت سيندى السكرتيرة فى مكتـبهم فـى بليـا ديـل راى .

قال فاسكو : " حسنًا " دعينا ننفذ العملية " ، ووضع ذراعـه حول كتفها وقال : " هل ستكونين بخير ، فى القيام بذلك " .

" بالتأكيد ، لِمَ لا ؟ "

" أنـت تعـرفين لـماذا . لقـد كانـت نقطـة ضـعف دوللـى الأطفال . كلما كانت تنظر إلى أعينهم كانت تذوب . كـان لـديهم هارب فى كندا ، وطاردوه حتى فانكوفر ، قرعـت دوللـى البـاب

فأجابتها طفلة ، فسألتها دوللى هل والدها بالمنزل ، كانت هذه الطفلة فتاة في الثامنة ، فأجابت الطفلة بأنه ليس هناك . قالت دوللى حسناً وغادرت . وفى نفس الوقت كان الرجل يقود سيارته فى الشارع ، فى طريقه للمنزل . أغلقت الابنة الباب وذهبت للهاتف ، وأسرعت بالاتصال بوالدها ، وأخبرته بأن يستمر فى الهرب . لقد كانت الطفلة ذات خبرة ؛ حيث إنهم كانوا مطاردين منذ أن كانت فى الخامسة ، ولم يستطيعوا الوصول إلى الرجل مرة أخرى " .

قالت دوللى : " لقد كانت مرة واحدة فقط " .

" لقد كانت أكثر من مرة " .

قالت : " فاسكو ، كل شيء سيسير على ما يرام اليوم " .

قال : " حسنًا " .

على الطريق العام ، كانت سيارة الإسعاف واقفة ، وأبوابها الخلفية مفتوحة ، وشم فاسكو رائحة دخان سجائر ، فذهب إلى خلف السيارة ، ووجد أن نيك يجلس هناك يرتدى معطف معمل ، ويدخن .

" يا إلهى ، يا نيك . ماذا تفعل ؟ " .

قال نيك : " إنها سيجارة واحدة فقط " .

قال فاسكو : " أطفئها ، إننا ذاهبون الآن . هل معك الأدوات التى سنحتاج إليها ؟ " .

" إنها معى " كان نيك رامزى هو الطبيب الذى يستعينون به فى عملياتهم التى تقتضى وجود طبيب . لقد عمل نيك فى قسم الحالات الطارئة بأحد المستشفيات ، حتى قضى عليه الإدمان . وعلى الرغم من أنه قد خرج من المصحة الآن وانتهى من فترة إعادة التأهيل ، إلا أنه يصعب عليه الحصول على عمل ثابت .

" إنهم يريدون عينات نسيج من الكبد والطحال ، وهم يريدون دمًا " .

" لقد قرأت التعليمات إنهم يريدون عينات دم باستخدام حقن سحب رفيعة . أنا مستعد لذلك " .

توقف فاسكو وقال : " هل احتسيت أى خمور لعينة ، يا نيك ؟ " .

" لا . اللعنة لا " .

" إنى أشم شيئًا فى رائحة فمك " .

" لا ، لا ، دعك من هذا ، يا فاسكو ، تعرف أنا لن ــــ " .

" إن لدى أنفاً جيداً ، يا نيك " .

" لا " .

" افتح فمك " انحنى فاسكو للأمام وشم فمه .

قال نيك : " لقد تذوقته فقط هذا هو كل شيء " .

مسك فاسكو يده ، وقال : " اللعنة يا نيك يجب أن تتوقف عن ذلك ؟ أين الزجاجة اللعينة ؟ " .

بحث نيك أسفل وأعطاه الزجاجة .

هشمها فاسكو على الأرض وقال : " هذا ما يجب أن تفعله بها " ، ثم اقترب من وجه نيك ، وقال سريعًا : " الآن استمع إلى إذا علمت أنك فعلت ذلك مجدداً ، سوف ألقيك شخصيًا من على ظهر سيارة الإسعاف هذه إلى طريق ٤٠٥ . هل تريد أن تجعل من حياتك مأساة . سوف أعمل على أن يتحقق ذلك . هل فهمتنى ؟ " .

" نعم ، يا فاسكو " .

" حسنًا . أنا مسرور أننا قد توصلنا لتفاهم " وعاد للخلف وقال : " اقبض على يديك " .

" أنا بخير " .

" اقبض على يديك " . لم يكن فاسكو يرفع صوته فى لحظات التوتر أبدًا . بل إنه كان يخفضه مما يجعل من أمامه يستمعون إليه ، وكذلك يجعلهم يقلقون . " اقبض على يديك الآن ، يا نيك " .

قبض نيك رامزى على يديه ، ولم ترتعش .

" حسنًا . اصعد إلى السيارة " .

" أنا فقط " .

" اصعد إلى السيارة ، يا نيك لقد انتهيت من الكلام " .

صعد فاسكو للأمام مع دوللى ، وبدأ القيادة . قالت دوللى : " هو بخير بالخلف هناك ؟ " .

" تقريبًا " .

" لن يؤذى الطفل ، صحيح ؟ " .

قال فاسكو : " لا إنها مجرد زوج من الإبر . لن يستغرق الأمر سوى ثوان قليلة . هذا هو كل شىء " .

" من الأفضل له ألا يؤذى الطفل " .

قال فاسكو : " مهلا هل أنت بخير بشأن هذا ؟ أم ماذا ؟ " .

" نعم أنا بخير " .

" حسنًا . دعينا نفعل ذلك " .

" وقاد السيارة على الطريق " .

الفصل ٥٤

لقد شعر براد جوردون بشعور سيئ بينما مشى داخل مقهى بوردر فى فينتورا بوليفارد ونظر إلى الموائد . لقد كان المقهى من نوع المقاهى الضيقة الرخيصة ، وكان ممتلئاً بالمثلين . أشار إليه أحد الرجال من مائدة خلفية فاتجه براد نحوه .

كان الرجل يرتدى حُلة رمادية فاتحة ، وكان قصير القامة وأصلع وبدا غير واثق من نفسه وكانت مصافحته لليد ضعيفة .

قال لبراد : " اسمى ويللى جونسون ، أنا محاميك الجديد فى المحاكمة القادمة " .

" لقد اعتقدت أن عمى ، جاك واطسون هو من سيوفر لى المحامى " .

قال جونسون : " إنه كذلك ؛ فأنا المحامى الذى وكله عمك للدفاع عنك ، وإنى متخصص فى القضايا المشابهة لقضيتك " .

" ما معنى ذلك ؟ " .

" إنى متخصص فى قضايا اغتصاب الأطفال أو التعدى على القاصرات " .

قال براد : " أنا لم أتعد على أى شخص ، قاصر أو غير قاصر " .

قال جونسون : " لقد راجعت ملفك وتقارير الشرطة " ، ثم جذب مذكرة قانونية وقال : " أعتقد أن لدينا طرقاً عديدة للدفاع عنك " .

" ماذا عن الفتاة ؟ " .

" إنها غير متواجدة ؛ لقد غادرت البلد . أمها مريضة في الفلبين ، ولقد قالت إنها ستعود في موعد المحاكمة " .

قال براد : " لقد اعتقدت أنه لن تكون هناك محاكمة " . حضرت النادلة . وأشار إليها لتبتعد وسأل جونسون : " لماذا نتقابل هنا في هذا المكان ؟ " .

" يجب أن أكون في المحكمة في فان نايز الساعة العاشرة . واعتقدت أن هذا سيكون ملائمًا " .

نظر براد حوله بغير راحة . وقال : " المكان ممتلئ بالناس ، من الممثلين . إنهم يتحدثون كثيرًا " .

قال جونسون : " إننا لن نناقش تفاصيل القضية ، أريد أن أضع هيكل دفاعك . في حالتك ، أنا أقترح دفاعًا جينيًا " .

" دفاعاً جينيًا ؟ ماذا يعني هذا ؟ " .

قال جونسون : " إن الأشخاص الذين لديهم شذوذ واضطراب جيني متنوع ، يجدون أنفسهم عاجزين عن كبت بعض النزوات ، وهذا يجعلهم ، بالمصطلحات التقنية ، غير مذنبين . سنقدم ذلك كتفسير في قضيتك " .

" أي اضطراب جيني ؟ ليس لدى اضطراب جيني ؟ " .

قال جونسون : " مهلاً ، إنه ليس بالشيء السيئ ، فكر فيه كشيء مشابه للداء السكري . أنت لست مسئولاً عنه . لقد ولدت بهذه الطريقة . وفي حالتك ، لديك دافع لا يقاوم لمعاشرة النساء الصغيرات " ، وابتسم ثم قال : " إنه دافع يشترك فيه حوالي ٩٠٪ من البالغين الذكور من السكان " .

قال براد جوردون : " أي نوع من الدفاع اللعين يكون هذا ؟ " .

قال جونسون : " دفاع مؤثر جدًا " وتصفح أوراقاً في ملف أمامه .

" لقد كان هناك العديد من تقارير الصحف الحالية تؤكد أن ــــ " .

قال براد : " هل تريد أن تخبرني بأن هناك جيناً يدفع المرء للتعدى على الفتيات الصغيرات رغماً عن إرادته ؟ " .

تنهد جونسون : " أتمنى لو كان الأمر بهذه البساطة ، لسوء الحظ لا " .

" إذن ما هو الدفاع ؟ " .

" إنه جين " دى ٤ . دى . آر " .

" والذى هو ؟ " .

" إنه يسمى جين الحداثة . إنه جين يدفعك لأخذ المخاطرات ، وتشترك في سلوك البحث عن الإثارة . سوف نجادل أن جين الحداثة داخل جسمك يدفعك لسلوكيات طائشة ؟ " .

" إنه يبدو هراء بالنسبة لى " .

" هل هو كذلك ؟ دعنا نر . هل سبق أن قفزت من طائرة ؟ " .

" نعم ، عندما كنت في الجيش ، وقد كرهت ذلك " .

" وماذا عن الغطس تحت الماء ؟ " .

" فعلت ذلك مرتين . وكثير من أصدقائي يحبون الغطس كثيراً " .

" تسلق الجبال ؟ " .

" لا " .

" حقًا ؟ ألم يتسلق فصلك فى المدرسة العليا جبل رينر ؟ " .

" نعم ، ولكن ذلك كان ـ " .

قال جونسون : " لقد تسلقت قمة جبل أمريكى مرتفع " وأومأ ثم قال : وماذا عن " قيادة السيارات الرياضية بسرعة ؟ " .

" ليس حقًا ، لا " .

" لقد تحرر ضدك خمس مخالفات بسبب السرعة فى سيارتك البورش فى السنوات الثلاث الأخيرة . وبموجب قانون كاليفورنيا ، كنت معرضًا لخطر سحب الرخصة طوال الوقت " .

" إنها مجرد سرعة عادية ... " .

" لا أعتقد ذلك ، وماذا عن علاقتك بصديقة رئيسك فى العمل ؟ " .

" حسنًا " .

" وماذا عن علاقتك بزوجة مديرك فى عملك السابق لهذا العمل ؟ " .

" إنها مجرد علاقات عابرة فى وظيفتين قد انتهتا ، ولكنها هى التى سعت إلى لكى ـــ " .

" هذه علاقات متهورة وخطرة ، يا سيد جوردون . سيتفق أى محلف على ذلك الرأى " .

" وماذا عن الأمراض التناسلية التى أصابتك بسبب تهورك ؟ " .

قال براد : " انتظر لحظة ، هنا ، أنا لا أريد أن أخوض فى ـــ " .

قال جونسون : " أنا متأكد أنك لا تريد ، ولا عجب فى ذلك ، إذا أخذنا فى الاعتبار أصابتك بثلاث حالات من قمل العانة ـــ حادثين من السيلان ، حالة من الحبيبات الكلاميدية وغيره . وهذا فقط فى السنوات الخمس الأخيرة ، وفقًا لتقارير الطبيب فى كاليفورنيا " .

" كيف حصلت على ذلك ؟ " .

قال جونسون مستهجنًا : " الطيران فى الهواء ، الغطس تحت الماء ، وتسلق الجبال ، والقيادة المتهورة ، والدخول فى علاقات متهورة . إذا لم يكن هذا دليلاً على نمط المخاطرة

العالية ، وسلوك البحث عن الإثارة ، لا أعرف إذن إلى ما يشير ذلك ؟ " .

كان براد جوردون صامتاً ، يجب أن يعترف بأن الرجل الصغير عرف كيف يصنع قضية ؛ فهو لم يفكر فى حياته من قبل بهذه الطريقة أبدًا . فعندما دخل فى علاقة مع زوجة مديره ، جن جنون عمه لذلك . ولم يستطع براد الإجابة عن سؤال عمه عندما سأله في غضب عارم : " لماذا دخلت فى علاقة لعينة كهذه ؟ " . لم يكن لدى براد إجابة عن ذلك ، ولكن بدا له من نظرات عمه ، أنه تصرف تصرفاً غاية فى الحماقة . فلم تكن حتى زوجة المدير جميلة للدرجة ليقدم على ذلك التصرف الطائش . أما الآن فبدا لبراد أن لديه الإجابة عن سؤال عمه : لقد كان الأمر خارجاً عن إرادته . لقد كانت جيناته الموروثة هى ما يتحكم فى سلوكه .

فسر جونسون الأمر له بصورة أكبر ، معطيًا الكثير من التفاصيل ، ووفقاً لما قال ، فإن براد كان تحت رحمة هذا الجين المسمى بـ " دى ٤ . دى . آر " ، الذى يتحكم فى المستويات الكيميائية فى المخ ، وأن شيئاً يسمى بالدوبامين يدفع براد لأخذ هذه المخاطر ، وأن يستمتع بمثل هذه الخبرات ، ويتوق إليها . إن فحوصات المخ والاختبارات الأخرى أوضحت أن الأشخاص مثل براد لا يتحكمون في الرغبة فى أخذ المخاطر .

قال جونسون : " إنه جين الحداثة " كما سماه أهم عالم وراثة فى أمريكا ، دكتور روبرت بيلارمينو . دكتور بيلارمينو هو أكبر باحث فى علم الوراثة في المعهد القومى للصحة ، ولديه معمل ضخم ، وينشر خمسين بحثًا فى العام ، لا يستطيع أحد من المحلفين تجاهل أبحاثه " .

" حسنًا ، إذن لدى هذا الجين . هل حقًا تعتقد أن هذا سينجح ؟ " .

" نعم ، ولكن أريد أن نضيف بعض التوابل ، قبل أن تـذهب للمحاكمة " .

" بمعنى ماذا ؟ " .

" فإنك قبل المحاكمة ، تشعر بالاضطراب والقلق " .

" أجل " .

" إذن أنـا أريـدك أن تقـوم برحلـة ؛ لتبعـد ذهنـك عـن الأشياء ، أريدك أن تسافر في جميع أنحـاء البلـد ، وأريـدك أن تقوم بمخاطر أينما ذهبت " .

أوضح جونسون : مخالفات سرعة ، والذهاب إلى متنزهـات ترفيه ، والدخول فـى قتـال ، وركـوب سـكك حديـد الملاهـى ، والاشتراك في حملات التسلق فـى الحـدائق العامـة ـ وأن يتأكـد دائماً من الدخول في مجادلات ونزاعات بشأن الأمان ؛ مدعياً أن المعدات ذات عيوب . أن يفعل أى شيء يجعل اسمـه مـسجلاً فـى مستند يمكن أن يستخدم فيما بعد في المحاكمة .

قال جونسون : " هذا هو الأمر ، اذهب وسأراك فـى ظـرف أسابيع قليلة " ، وأعطاه ورقة .

" ما هذا ؟ " .

" قائمة بأكبر عربات ملاهٍ فى الولايات المتحدة ، تأكد من أن تزور الثلاثة التى بالقمة " .

" يا إلهى . أوهايو ... إنديانا ... تكساس ... " .

قال جونسون : " لا أريد أن أسمع ذلك ، فى انتظارك عشرون سنة في السجن ، يا صديقى ، مع سجناء حقيرين سترى مـنهم ما لا يمكنك تخيله . لذلك ، افعل ما أقوله لـك ، وغـادر المدينـة اليوم " .

عاد إلى شقته ، فى شيرمان أوك ، والتقط حقيبة ؛ فقد شغلت باله فكرة السجن وما يمكن أن يلاقيه فيه للحظـة ، وتـساءل إذا ما كان يجب أن يأخذ مسدسه معه فـى رحلتـه ، فإنـه سـيذهب

عبر البلـد ، لأمـاكن مجنونـة مثـل أوهـايو - مـن يعـرف مـا قـد يقابله . وضع صندوقاً من الذخيرة فى الحقيبة ، ومسدسه داخـل الجراب الجلد .

توجه نحو سيارته ، وجد براد أنه شعر شعوراً أفضل حيـال كل شيء . لقد كان يومًا مشمسًا ، كانت سيارته البـورش نظيفـة لامعة ، وكانت لديه خطة .

رحلة طريق !

الفصل ٥٥

هرعت لين كيندال إلى مدرسة لا جولا ، ووصلت وهى تلهث إلى مكتب المديرة . قالت : " لقد حضرت إلى هنا بأسرع ما يمكن ما المشكلة ؟ " .

قالت المديرة والتى كانت فى الأربعين من عمرها : " إنه ديف ذلك الطفل الذى تعلمينه فى المنزل . لقد أحضره جيمى معه إلى المدرسة اليوم " .

" أجل ، لنر كيف ذلك .." . .

" وأخشى أنه لم يتصرف جيدًا . لقد قام بعض طفل آخر فى الملعب " .

" آه ، يا للدهشة " .

" لقد كاد الدم يسيل من الطفل " .

" هذا فظيع " .

" نحن نرى ذلك فى الأطفال الذين يتعلمون فى المنزل ، يا سيدة كيندال . فينقصهم بشدة المهارات الاجتماعية والتحكم الداخلى . ليس هناك بديل لبيئة مدرسية يومية مع الزملاء والنظراء " .

" أنا آسفة أن هذا حدث . . . " .

قالت المديرة : " يجب أن تتحدثى معه إنه محتجز فى الغرفة المجاورة " .

ذهبت إلى غرفة صغيرة . لقد كانت الغرفة مليئة بخزانات معدنية خضراء خاصة بالملفات ، وكانت تلك الخزانات مرصوصة عاليًا ، وكان ديف يجلس على كرسى خشب ، وكان يبدو صغيرًا جدًا حيث جلس منكمشاً فى الكرسى .

" ديف . ماذا حدث ؟ " .

قال : " لقد أذى جيمى " .

" من فعل ذلك ؟ " .

" لا أعرف اسمه . إنه فتى فى الصف السادس " .

فكرت لين فى الصف السادس ، إذن لابد أنه طفل أكبر منهم بكثير .

" وماذا حدث يا ديف ؟ " .

" لقد دفع جيمى على الأرض وأنزل به الأذى " .

" وماذا فعلت ؟ " .

" قفزت على ظهره " .

" لأنك أردت أن تحمى جيمى ؟ " .

أومأ ديف .

" ولكن لا يجب أن تلجأ إلى العض ، يا ديف " .

" لقد عضنى أولاً " .

" هل فعل ؟ أين عضك ؟ " .

" هنا " رفع ديف إصبعه وكان إصبعاً قصيراً وغليظاً وبه عضلات . كان الجلد شاحبًا وسميكا . ربما كانت هناك علامات عض ولكن لين لم تكن متأكدة من ذلك .

" هل أخبرت المديرة بما حدث ؟ " .

" هل لم تكن مع أمى ؟ " . كانت لين تعرف طريقة ديف لقول إن المديرة لم تحبه . فصغار الشمبانزى تقيم فى مجتمع أمومى ؛ حيث كان الولاء للإناث مهماً جدًا ومتبعا باستمرار .

" هل أريتها إصبعك ؟ " .
هزَّ ديف رأسه " لا ".
قالت لين : " سأتحدث إليها إذن " .

قالت المديرة : " هذه قصته عما حدث ، أليس كذلك ؟ حسناً ، أنا لست مندهشة . لقد قفز على ظهر الطفل . ماذا كان يتوقع أن يحدث ؟ " .

" لقد عضه الطفل الآخر أولاً ؟ " .
" العض غير مسموح به هنا ، يا سيدة كيندال " .
" هل عضه الطفل الآخر ؟ " .
" إنه يقول لا " .
" هل هذا الطفل في الصف السادس ؟ " .
" نعم . في فصل الآنسة " فرومكين " .
قالت لين : " أريد أن أتحدث إليه " .
قالت المديرة : " لا يمكن أن نسمح بذلك ، إنه ليس طفلك " .
" لكنه اتهمٍ ديف ، والموقف خطير جدًا ، ويجب أن أعرف ما حدث تحديداً إذا كنت سأتعامل مع ديف بطريقة صحيحة . أريد أن أعرف ما حدث بينهم يا سيادة المديرة " .
" لقد أخبرتك ما حدث " .
" هل رأيته يحدث ؟ " .
" لا ، ولكن جاءني تقرير من السيد " آرثر " ، مشرف الملعب . إنه دقيق جدًا في مسألة النزاعات . أؤكد لك . إننا لا نسمح بالعض هنا ، يا سيدة كيندال " .
كانت لين تشعرٍ بيد خفية تضغط عليها . لقد أخذت المحادثة بينهما شكلا متصاعداً . قالت لين : " ربما يجب أن أتحدث مع ابني جيمي " .

قالت المديرة : " قصة جيمى ستتفق مع قصة ديف ، أنا متأكدة . ولكن السيد آرثر يقول إنها لم تحدث بهذه الطريقة " .

هل يقول : " الطفل الكبير لم يهاجم جيمى أولاً ؟ " .

تيبست المديرة ، قالت : " سيدة كيندال . فى حالات النزاعات التأديبية ، يمكن أن نرجع إلى كاميرا الأمن فى الملعب . يمكن أن نرجع إلى الكاميرا إذا احتجنا إلى ذلك الآن أو لاحقًا ، ولكن ما أريده منك هو التعامل مع الطفل الذى قام بالعض ، والذى كان ديف . مهما كان الأمر غير مريح بالنسبة لك على أى حال " .

قالت لين : " فهمت " لقد كان الموقف واضحًا . أردفت لين : " حسناً ، سأتعامل مع ديف عندما يعود للمنزل من المدرسة " .

" أعتقد أنك يجب أن تأخذيه معك " .

قالت لين : " أفضل أن ينهى اليوم ويعود ماشيًا مع جيمى " .

" لا أعتقد أن ــــ " .

قالت لين مقاطعة إياها : " إن ديف يعانى من مشكلة فى التفاعل مع المدرسة كما أوضحت لى ، ولا أعتقد أن تركه للفصل الآن سيحل هذه المشكلة . سأتحدث معه عندما يعود إلى المنزل " .

أومأت المديرة على مضض : " حسناً ... " .

قالت لين : " سأتحدث إليه الآن وأخبره بأنه سيبقى هنا لنهاية اليوم " .

الفصل ٥٦

قفزت أليكس بيرنت من السيارة الأجرة وهرعت نحو المدرسة . وعندما رأت سيارة الإسعاف دق قلبها بقوة .

منذ دقائق قليلة كانت أليكس مع عميل ـ وكان ينتحب ـ وذلك عندما رنت لها موظفة الاستقبال لتخبرها بأن مدرسة جيمى قد اتصلت ؛ لتخبرها بشىء بخصوص زيارة الطبيب لابنها . كانت القصة مشوشة ، ولكن أليكس لم تنتظر . لقد أعطت العميل علبة مناديل ورقية وجرت . قفزت داخل سيارة أجرة وأخبرت السائق بألا يتوقف فى الإشارات .

لقد كانت سيارة الإسعاف عند الحاجز ، وأبوابها مفتوحة ، وكان هناك طبيب يرتدى معطفاً أبيض بالخلف ـ أرادت أليكس أن تصرخ ؛ فهى لم تشعر بهذا الشعور من قبل . لقد كان العالم لونه رمادى فى عينيها ، كانت تشعر بغثيان وخوف . تخطت سيارة الإسعاف ودخلت المدرسة . قالت لها السيدة التى فى مكتب الاستقبال : " هل يمكن أن أساعدك ؟ " ، لكن أليكس كانت تعرف مكان فصل جيمى ، فى الدور الأرضى خلف الملعب ، وتوجهت مباشرة تجاهه .

رن هاتفها الخلوى . لقد كانت الآنسة " هولواى " مدرسة جيمى وهمست لها : " إن هذه المرأة تنتظر خارج الفصل ،

أعطتنى خطاباً لتأخذ جيمى عليه رقم هاتفك ، ولكنى لم أثق فى ذلك . استخدمت الرقم الذى لدينا فى ملف المدرسة واتصلت بك " .

قالت أليكس : " عمل جيد ، لقد وصلت تقريباً " .

" إنها بالخارج الآن " .

جاءت أليكس وشاهدت من بعيد امرأة ترتدى حُلة زرقاء ، تقف خارج الفصل . ذهبت أليكس إليها مباشرة . قالت : " ومن أنت بحق السماء ؟ " .

ابتسمت السيدة فى هدوء ، ومدت يدها إليها . وقالت : " أهلا يا سيدة بيرنت . أنا " كيسى روجرز " ، أنا آسفة أنك اضطررت للحضور كل هذه المسافة " .

لقد كانت هادئة ومسترخية ، خفت حدة أليكس . وضعت أليكس يديها فى وسطها ، وأخذت تتنفس بعمق ، ملتقطة أنفاسها . قالت : " ما هى المشكلة يا كيسى ؟ " .

" ليست هناك مشكلة ، يا سيدة بيرنت " .

" هل تعملين فى مكتبى ؟ " .

" لا ، أنا أعمل فى مكتب دكتور هجز . لقد أرادنى أن آخذ جيمى وأحضره ليأخذ حقنة التيتانوس . إنها ليست حالة طارئة ، ولكن يجب أن تتم . لقد جرح جيمى كاحله الأسبوع الماضى . أليس هذا صحيحًا ؟ " .

" لا ... " .

" لا ؟ حسنًا ، لا أستطيع أن أتخيل الأمر ... هل تعتقدين أنهم قد أرسلونى من أجل طفل خطأ ؟ دعينى اتصل بدكتور هجز . . . " ، وأخرجت هاتفها الخلوى .

" نعم افعلى ذلك " .

داخل الفصل كان الأطفال ينظرون إليهم من خلال الزجاج . لوحت أليكس لجيمى . الذى ابتسم لها .

قالت كيسى روجرز لأليكس : " ربما يجب أن نبتعد بعيداً ؛ حتى لا نزعجهم " ، ثم تحدثت فى الهاتف قائلة : " أريد التحدث إلى الدكتور هجز من فضلك ، نعم . أنا كيسى " .

مشيا معاً عائدين تجاه مدخل المدرسة من خلال قوس الدخول ، رأت أليكس سيارة الإسعاف . قالت أليكس : " هل أحضرت سيارة إسعاف ؟ " .

" لا ، ليس لدى فكرة لماذا هى هنا " . وأشارت إلى زجاج السيارة وقالت : " يبدو أن السائق يتناول الغداء " .

من خلال زجاج السيارة رأت أليكس رجلاً ضخم الجسم ذا لحية سوداء يمضغ ساندوتشًا كبيرًا ، وسألت نفسها هل توقف بجانب المدرسة فقط ليتناول الغداء ؟ كان هناك شىء ما غير مريح فى الأمر ، ولكنها لم تستطع أن تضع يدها عليه .

" دكتور هجز ؟ أنا كيسى . نعم أنا مع السيدة بيرنت الآن ، وهى تقول إن ابنها جيمى لم يجرح قدمه " .

كررت أليكس : " لم يفعل " ومشيا خلال القوس للخارج ، مقتربين من سيارة الإسعاف . وضع السائق ساندوتشه على تابلوه السيارة وفتح الباب بجانب السائق ، وشرع فى الخروج منها .

قالت كيسى : " نعم يا دكتور هجز ، نحن نغادر المدرسة الآن ؟ ومدت بالهاتف لأليكس وقالت : " هل تريدين أن تتحدثى مع دكتور هجز ؟ " .

قالت أليكس : " نعم " ووضعت الهاتف على أذنها ، وسمعت صوت صرخة إلكترونية حادة ـ أفقدها حسها ـ وأسقطت الهاتف بينما كانت كيسى قد أمسكت بكاحليها وجذبت يديها بعنف للخلف ، وكان السائق قادماً من أمام السيارة تجاهها .

قال السائق : " لا نريد الطفل ؛ فهى ستفى بالغرض " .

استغرقت أليكس لحظة لتستجمع نفسها : لقد كانوا يخطفونها . ما حدث بعد ذلك كان غريزياً . ضربت رأسها للخلف ؛ لتصيب كيسى فى أنفها . صرخت كيسى وتركتها .

جـذبت ألـيكس ذراع كيـسى وأرجحتهـا للأمـام ، وألقتهـا علـى الرجل الضخم . أخذ الرجل خطوة جانبًا برشاقة بينما ارتطمت كيسى بالأرض وتدحرجت ، وهى تصرخ من الألم .

تحسست أليكس جيبها وحذرته : " ابتعد " .

قال الرجل : " نحن لن نؤذيك يا سيدة بيرنـت " . لقد كـان أطول منها برأس والنصف ، وضخمًا ، ذا عضلات . وعندما وصل إليها وضعت إصبعها على الزر ورشت فلفلاً أسود فى وجهه .

" اللعنـة ! اللعنـة عليـك " ألقـى ذراعـه ليحمـى عينيـه ، والتفت نصف لفتة بعيدًا عنها ، وعرفـت أن هـذه هـى فرصتها الوحيدة . فأخذت تضرب بسرعة وبشدة وضـربته فـى حنجرتـه بكعبها العالى ، فصرخ من الألم ، ووقعـت ألـيكس للخلـف علـى المشى الجانبى ، غير قادرة علـى الاحتفـاظ بتوازنـهـا . زحفت أليكس ثم نهضت علـى أقـدامها بـسرعة . كانـت المـرأة الأخـرى بدأت تقف علـى قـدميها ودمهـا يقطـر علـى المـشى الجـانبى . تجاهلت المرأة أليكس وذهبت لتواسى الرجل الضخم ، الذى كان ينحنى أمـام سيارة الإسـعاف يمـسك بحنجرتـه ، ويـصرخ مـن الألم .

سمعت ألـيكس صـوت سـارينة يـأتى مـن بعيـد ـ لقـد اتـصل أحدهم بالشرطة ـ فبدأت المرأة الآن تساعد الرجل الضخم ليـدخل سيارة الإسعاف ، وتضعه فى كرسى الراكب . كـان ذلـك يحـدث بسرعة . بدأت أليكس تقلق من أن الاثنين سيهربان قبل حـضور سيارة الشرطة ، ولكن لم يكن هناك شيء تستطيع عمله . وبينما قفزت المـرأة فـى سيارة الإسـعاف صـرخت لألـيكس : " سـوف نقبض عليك بعد ! " .

قالت أليكس : " ماذا ستفعلين ؟ " وبـدت غـير مـصدقة لمـا يحدث حولها وهى تقول : " *ماذا ستفعلين ؟* " .

صـــرخت المـــرأة : " ســـنعود أيتهـــا الحقـــيرة ! وأدارت المحرك " ، وقالت : " لن تفلتى ! " . جاء الفلاش الأحمـر مع السارينة ، وانطلقت سيارة الإسعاف .

صرخت أليكس : " من أجل ماذا ؟ " . كـل مـا اسـتطاعت أن تفكر فيه أليكس أن هناك خطأ جسيماً فى الأمر . ولكـن " فـيرن هجزٍ " كـان طبيبهـا بالفعـل ، ولقـد اسـتعملوا اسمهـا الـصحيح أيضاً ، ولقد حضروا من أجل جيمى . . .

لا لم يكن خطأ .

"سوف نقبض عليك بعد !" .

" ماذا يمكن أن يعنى ذلك ؟ " التفتت ، وأسـرعت عائـدة إلى المدرسة . كان تفكيرها الوحيد هو جيمى .

لقد كان وقت الوجبة الخفيفـة . كـان الأطفـال يجلـسون علـى موائدهم ، يأكلون قطعاً من الفاكهــة المقطعـة ، وبعـضهم يتنـاول الزبادى . لقد كانوا مزعجين جدًا ومحدثين كـثيراً مـن الجلبـة . أعطتها الآنسة هولوواى الورقة التى جلبتها المـرأة . يبـدو أنهـا صورة من أوراق شركتها الرسمية عليها توقيعها . لم تكن ورقـة من مكتب الطبيب .

وهـذا يعنـى أن الـسيدة التـى كانـت ترتـدى الحلـة الزرقـاء خاطفة هادئة الأعصاب ، فعندما تم الإمساك بها ، غيرت قصتها فورًا . مبتسمة ومصافحة أليكس . وبسهولة وجـدت عـذرًا لكـى تخرجا معا وتمـشيا للخـارج . . .مقدمـة لهـا الهـاتف حتـى إذا أخذته . . .

نحن لا نريد الطفل ، هى ستفى بالغرض .

لقـد جـاءوا لاختطـاف جيمـى ، ولكـنهم كـانوا مـستعدين لاختطافها بدلاً منه . لماذا ؟ هل من أجل فدية ؟ فهى ليس لديها نقود تتحدث عنها . هل كانت قضية اشتركت فيها ؟ لقد كانـت

لديها قضايا خطيرة فى الماضى ، ولكن لم يكن هناك شىء معلق الآن .

هى ستفى بالغرض .

سواء ابنها أو هى .

قالت ميس هولوواى : " هل هناك شىء يجب أن أعرفه ؟ أو تعرفه المدرسة ؟ " .

قالت أليكس : " لا ، ولكنى سآخذ أليكس للمنزل " .

" لقد انتهوا تقريباً من الوجبة الخفيفة " .

أومأت لجيمى ولوحت له لكى يحضر . جاء على مضض .

" ما الأمر ، يا أمى ؟ " .

" يجب أن نذهب " .

" أنا أريد أن أبقى هنا " .

تنهدت أليكس . إنه عنيد كالمعتاد . قالت : " جيمى . . " .

قال جيمى : " لقد فاتنى الكثير من الدروس لأننى كنت مريضاً ، اسألى الآنسة هولوواى عن ذلك . وإنى لم أر أصدقائى منذ فترة طويلة ، أريد أن أبقى هنا . إننا سوف نتناول السجق على الغداء " .

قالت : " أنا آسفة اذهب إلى فصلك وأحضر أشياءك . يجب أن نغادر ".

كانت هناك سيارتان للشرطة وأربعة رجال شرطة أمام المدرسة يفحصون أرضية الشارع . قال أحدهم : " هل أنت السيدة برنت ؟ " .

" نعم ، أنا " .

قال رجل الشرطة : " لقد تلقينا بلاغاً من سيدة تعمل فى مكتب المديرة رأت كل ما حدث " ، مشيراً إلى نافذة قريبة .

" ولكن هناك الكثير من الدم هنا ، يا سيدة بيرنت " .

" لقد أصابت المرأة أنفها عندما سقطت " .

" هل أنت مطلقة ، يا سيدة بيرنت ؟ " .

" نعم ، أنا مطلقة " .

" منذ متى ؟ " .

" خمس سنوات " .

" إذن هذا ليس حديثًا ؟ " .

" لا على الإطلاق " .

" علاقتك مع زوجك السابق ... " .

" ودية جدًا " .

تحدثت مع الشرطة لدقائق قليلة أخرى ، بينما انتظر جيمى بنفاد صبر . بدا لها أن الشرطة لا تريد أن تتدخل فى الأمر بشكل غريب ؛ لقد كانوا منفصلين عن الأمر ، وبدا أنهم شعروا بأنهم قد حضروا لمسألة خاصة ، مثل نزاع عائلى .

" هل ستكتبين شكوى ؟ " .

قالت أليكس : " سأفعل ولكن يجب أن آخذ ابنى إلى المنزل الآن " .

" يمكن أن نعطيك الأوراق لتعملى عليها فى المنزل " .

قالت : " سيكون ذلك جيدًا " .

أعطاها أحد رجال الشرطة بطاقة عمله لكى تتصل إذا كان هناك شىء آخر تريده . قالت إنها ستفعل ، ومشت هى وجيمى للمنزل .

وفى الشارع ، بدا العالم حولها فجأة مختلفاً تمامًا فى واقع الأمر ، لم يكن هناك شىء مبهج أكثر من ضوء شمس بيفرلى هيلز . ولكن الآن ، لم تعد أليكس قادرة على رؤية أى شىء سوى هذا التهديد .

لم تكن تعرف من أين يأتىٍ هذا التهديد ، أو لماذا أتى لها . أمسكت يد جيمى . قال متنهداً : " هل سنمشى للمنزل ؟ " .

قالت : " نعم سنسير " ، ولكن بينما سأل ، بـدأت تتعجـب أنهم يعيشون على بعد مبان قليلة فقط من المدرسة ، ولكن هل من الأمان أن يسيرا إلى المنزل ؟ هل سيكون هـؤلاء الأشخاص الـذين كانوا في سيارة الإسعاف في انتظارهما ؟ وهل سيخفون أنفسهم جيدًا المرة القادمة ؟

مشى جيمي مجهداً وقال : " إنها مسافة بعيـدة لا يمكـن أن نمشي ، والجو حار جداً " .

قالت : " نحن نسير ، وهذا هو كل ما في الأمـر " . وبينمـا كانا يسيران فتحت الهاتف الخلوى واتصلت بالمكتب ، وأجابـت مساعدتها إيمي .

قالـت ألـيكس : " اسمعـي ، أريـدك أن تتفحـصي الملفـات الحديثة للمقاطعة ، واعرفي إذا كان اسمي موجوداً كمدعى عليها في أى مكان " .

سألت إيمي وهي تضحك ولكن ضحكة تـوتر : " هـل هنـاك شيء يجب أن أعرفه ؟ إن الأخطاء التـي قـد يقترفهـا المحـامون ربما تنتهي بدخول المساعدين السجن . لقد حدث ذلك عدة مرات مؤخرًا .

قالت أليكس : " لا ، ولكنني أعتقد أن هناك صائدى مكافـآت يطاردونني " .

قالـت : " هـل تم اسـتدعاؤك للمثـول أمـام أى محاكمـة ولم تحضرى ؟ " .

قالت أليكس : " لا ، هذه هـي النقطـة . أنـا لا أعـرف مـاذا يعتقد هؤلاء أنهم فاعلون ؛ فلـيس هنـاك سـبب يطـاردونني مـن أجله " .

قالت المساعدة إنها ستتأكد من الأمر . مـشى جيمـي بجانـب ألـيكس وقـال : " مـا هـو صـائد المكافـآت ؟ ولمـاذا يطـاردك يـا أمي ؟ " .

قالت : " أنا أحاول أن أعرف ، يا جيمي . أعتقد أن هناك خطأ ما " .

قال : " هل حاولوا أن يؤذوك ؟ " .

قالت " لا ، لا . لا شيء من ذلك " . رأت أليكس أنه لم يكن هناك داعٍ أن تقلقه .

اتصلت المساعدة .

قالت : " حسناً ، هناك شكوى مقدمة في حقك ، بالفعل . في المحكمة العليا ، مقاطعة فينتورا " .

كانت على بعد ساعة من لوس أنجلوس ، بعد أكسفورد سألت أليكس " ما فحوى هذه الشكوى ؟ " .

" إنها مرفوعة بواسطة شركة بيوجين للبحوث في قرية ويست فيو . لا أستطيع أن أقرأ الشكوى على شبكة الإنترنت . ولكن ما يتضح لى هو أنك أخفقت في الحضور " .

" الحضور متى ؟ " .

" أمس " .

" وهل تم إخطارى بالأمر ؟ " .

" يشار إلى أنه قد تم إخطارك " .

قالت أليكس : " لم يحدث ذلك " .

" يظهر أمامى أنه قد تم إخطارك " .

" إذن ، هل هناك دعوة للمثول بسبب تحقير المحكمة ؟ هل هناك أمر باعتقالى ؟ " .

" لا يظهر شيء ، ولكن الشبكة متباطئة اليوم ؛ فقد يكون هناك معلومات لم يتم تحميلها على الموقع بعد " .

أغلقت أليكس الهاتف .

قال جيمي : " هل سيتم اعتقالك ؟ " .

قالت : " لا ، يا حبيبى ، لن يتم ذلك " .

قال : " إذن هل يمكن أن أعود للمدرسة بعد الغداء ؟ " .

قالت : " سنرى " .

كانت شقتها في الجانب الشمالى لحديقة روكسبيرى ، تبدو هادئة في شمس منتصف اليوم . وقفت أليكس فى الجانب الآخر من الحديقة وأخذت تراقب لبرهة .

قال جيمى : " لماذا ننتظر ؟ " .

قالت : " مجرد دقيقة " .

قال : " لقد مرت الدقيقة بالفعل " .

قالت : " لا ، لم تمر " .

كانت تراقب الرجل الذى يرتدى حُلة ، يدور حول جانب المنزل . إنه يبدو مثل قارئ العداد لشركة المرافق . فيما عدا أنه ضخم ويرتدى شعراً مستعاراً سيئاً ، وله لحية سوداء رأتها فى مكان ما من قبل ، ولكن قارئى العداد لا يحضرون أبداً من الأمام ؛ فهم دائمًا يدخلون من المشى الخلفى .

لقد كانت تفكر فى أنه إذا كان هذا الرجل هو صائد المكافآت ، فإن لديه الحق في دخول ملكيتها دون إنذار أو إذن . ويمكن أن يحطم الباب ، إذا أراد . وله الحق فى أن يفتش شقتها ، وأن يبحث في أشيائها ، وأن يأخذ الكمبيوتر الخاص بها ويفحص القرص الصلب به . يمكنه أن يفعل ما يريد ليقبض على الهارب . ولكنها لم تكن ـ .

نحب جيمى : " هل يمكن أن ندخل ، يا أمى من فضلك " .

لقد كان جيمى محقاً فى شىء واحد ، لا يمكنهما الاكتفاء بالوقوف هناك هكذا .

لقد كان هناك صندوق رمل فى منتصف الحديقة ، وهناك العديد من الأطفال ، والمربيات ، والأمهات يجلسون حوله .

قالت : " دعنا نذهب ونلعب فى صندوق الرمل " .

قال : " أنا لا أريد ذلك " .

قالت : " بل تريد " .

قال : " إنه للأطفال الصغار " .

قالت : " لفترة قصيرة فقط يا جيمى " .

ضرب جيمي بقدمه ، وجلس على حافة صندوق الرمل . وركل الرمل بغضب بينما طلبت أليكس مساعدتها على الهاتف .

" إيمي ، أتساءل بشأن شركة بيوجين ، التى اشترت خط خلايا والدى . ليس لدينا أى استدعاءات معلقة بشأنها ، أليس كذلك ؟ " .

" لا ، سنذهب إلى محكمة كاليفورنيا العليا بعد سنة من الآن " .

لقد تعجبت : " *إذن ماذا يحدث* ؟ هى القضية التى ترفعها بيوجين الآن ؟ " قالت : " اتصلى بمساعد القاضى فى محكمة فينتورا ، واعرفى بما يتعلق بهذا الأمر " .

" حسنًا " .

وسألت أليكس مساعدتها : " هل هناك أخبار من والدى ؟ " .

" ليس منذ فترة " .

" حسنًا " . فى الواقع لم يكن ذلك بالأمر الحسن ؛ لأن أليكس كان لديها الآن شعور قوى أن كل هذا يتعلق بأبيها . أو على الأقل بخلايا أبيها . لقد أحضر صائدو المكافآت سيارة إسعاف مع وجود هذا الطبيب الجالس فى الخلف ـ لأنهم يريدون أن يأخذوا عينة ، أو يقوموا بإجراء جراحى . لقد كان هناك إبر طويلة . لقد رأت أشعة الشمس تومض على الإبر الطويلة المغطاة بالبلاستيك ، بينما كان الطبيب الجالس فى مؤخرة سيارة الإسعاف يقلب بين الأشياء .

ثم بدا لها الأمر واضحاً : لقد أرادوا أن يأخذوا خلاياهم .

لقد أرادوا خلايا منها ، أو من ابنها . لم تتخيل السبب الذى قد يدفعهم لذلك ، ولكنهم بوضوح يشعرون بأن من حقهم أخذها .

هل يجب أن تتصل بالشرطة ؟ لقد قررت أنه ليس بعد . فإذا كان هناك إذن بالقبض عليها لعدم مثولها ، فإنهم ببساطة سيحتجزونها ، وماذا ستفعل بشأن جيمى حينها ؟ هزت رأسها بالنفى .

الآن ، هى فى حاجة إلى وقت لتعرف ما يحدث . وقت لتسوى كل شىء . ماذا يفترض أن تفعل ؟ أرادت أن تتصل بأبيها ، ولكنه لا يرد على الهاتف منذ أيام . فإذا كان هؤلاء الأشخاص يعرفون أين تسكن ، فإنهم سيعرفون نوع السيارة التى لديها و ـــ

قالت : " إيمى ، ما رأيك فى أن تقودى سيارتى لمدة أيام قليلة ؟ " .

الـ " بى إم دبليو ، بالتأكيد . لكن ـــــ " .

قالت أليكس : " وسأقود سيارتك ، ولكن يجب أن تحضريها إلى ، ثم قالت : " توقف عن ذلك ، يا جيمى ، توقف عن ركل الرمل " .

" هل أنت متأكدة ؟ إن سيارتى تويوتا وبها نتوءات وانبعاجات " .

" فى الواقع ، هذا رائع . تعالى إلى الجانب الجنوبى الغربى من حديقة روكسبيرى ، وأوقفى السيارة أمام مبنى الشقق الأسبانية ذات الأبواب الحديدية المشغولة فى الأمام " .

لم تكن أليكس مستعدة بطبعها للموقف الذى وجدت نفسها فيه ولم تتدرب كذلك على كيفية خوض مثل هذه المواقف من قبل ؛ فقد قضت حياتها كلها فى ضوء الشمس . أطاعت القوانين ، وكانت موظفة بالمحكمة . وكانت تسير وفقاً للقواعد لم تتخط الأضواء الصفراء ، ولم تصف سيارتها فى الممنوع ؛ ولم تغش فى ضرائبها . وفى الشركة ، كانت تسير تماماً وفق النظام ، لقد كانت شخصية ملتزمة ومحافظة ، وكانت تقول

لعملائها دوماً إن القواعد قد وضعت لكى تتبع لا لكى نحرفها . وكانت تعنى ذلك .

منذ خمس سنوات مضت ، عندما اكتشفت أن زوجها يغشها ويخونها ، ألقت به خارج المنزل فى خلال ساعة من معرفتها الحقيقة . جمعت أشياءه فى حقيبة ووضعتها خارج الباب ، وغيرت أقفال الباب ، وعندما عاد من " مكان فعلته " تحدثت إليه من خلال الباب وطلبت منه أن يرحل . لقد كان زوجها " مات " يخونها مع أعز صديقاتها ـ كانت هذه طريقة مات ـ ولم تتحدث مع هذه المرأة أبداً مرة أخرى .

وكان يجب بالطبع أن يرى جيمى والده ، وقد حرصت على ذلك . فكانت ترسل ابنها لشقة أبيه في الوقت المحدد ، تمامًا بينما هو لم يرجع ابنها مرة في الموعد المتفق عليه . لكن أليكس ترى دوماً أن العالم قد يغير الإنسان ويجعله أكثر استقراراً فى وقت ما . فإذا ما فعلت ما عليها ، فإنها تشعر بأن الآخرين فى النهاية قد يفعلون ما عليهم .

كانوا يسمونها فى العمل الإنسانة المثالية ، وغير العملية ، وغير الواقعية . وكانت ترد عليهم أن عبارة *غيرواقعى* ، بلغة المحامين ، ما هى إلا مرادف لعبارة *غيرشريف* ، وكانت متمسكة بوجهة نظرها تلك .

ولكنها في واقع الأمر كانت تشعر فى بعض الأحيان بأنها أبعدت نفسها عن القضايا التى تستفز قدرتها على التحدى وتداعب خيالها ، دائماً ما كان يقول لها رئيس شركتها روبرت إيه . كوش : " أنت مثل حى للضمير ، يا أليكس . أنت تتركين الأشخاص الآخرين يقومون بالقتال ، ولكن أحيانًا يجب أن نقاتل ، أحياناً لا نستطيع تجنب الصراع " .

لقد كان كوش بالبحرية ، تماماً مثل أبيها وكان يحدثها بنفس الطريقة القاسية التى كان يحدثها بها أبوها حتى يثنيها عن موقفها المثالى المتشدد ، ولكنها كانت فخورة بنفسها هكذا ،

ولم تكن تبالى بما يقولونه لها ، أو بما يحدث حولها ، ولكنها الآن لا تستطيع تجاهل أى شيء . إنها حتى لا تعرف ماذا يحدث ، ولكن ما كانت على يقين منه أنها لا تستطيع تجاهله ، كانت على يقينٍ من أن عليها مواجهته .

لقد كانت متأكدة أيضاً أنه لا أحد سيغرز إبرة فيها أو فى ابنها ، وأن عليها أن تمنع ذلك مهما تكلف الأمر !

مهما تكلف الأمر !

استرجعت فى ذهنها حادثة الدرسة . لم يكن لديها مسدس ، ولم تمتلك مسدساً من قبل ولكنها كانت تتمنى أن تمتلك واحداً . لقد فكرت أنهم إذا *كانوا يحاولون أن يفعلوا شيئًا لابنى* ، هل كان من الممكن أن أقتلهم ؟

وفكرت ، *نعم . لكنت قد قتلتهم .*

وعرفت أنها كانت الحقيقة .

بعد فترة وقفت سيارة تويوتا هايلاندر ذات مصد أمامى منبعج ، ورأت إيمى جالسة فى السيارة . قالت أليكس : " جيمى ؟ دعنا نذهب " .

" أخيرًا ! " .

حملق جيمى نحو شقتهم ولكنها وجهت السيارة فى اتجاه آخر .

" أين سنذهب يا أمى ؟ " .

قالت : " سنذهب فى رحلة قصيرة " .

" أين ؟ " لقد كان متشككا وهو يقول : " لا أريد أن أذهب فى رحلة " .

قالت دون تردد : " سأشترى لك لعبة بى . إس . بى الإلكترونية " . لقد كانت ترفض بشكل ثابت لمدة عام أن تشترى له إحدى الألعاب الإلكترونية ، ولكنها الآن تقول أى شيء يخطر ببالها .

" حقيقى ؟ شكرًا " . وبدا عليه المزيد من العبوس وقال : " ولكنى أريد أن تكون اللعبة من نوع " تونى هوك ٣ " ، وأريد كذلك لعبة " شريك " " .

قالت : " أى شيء تريده ، دعنا نذهب إلى السيارة . سنوصل إيمى إلى العمل " .

" ثم بعد ذلك ؟ أين سنذهب ؟ " .

قالت : " إلى ليجولاند " .

وكان ذلك أول شيء خطر ببالها .

أثناء القيادة إلى المكتب ، قالت إيمى : " لقد أحضرت لك طرد والدك . اعتقدت أنك قد تريدينه " .

" أى طرد ؟ " .

" لقد وصل إلى المكتب الأسبوع الماضى . أنت لم تفتحيه . لقد كنت فى المحكمة فى قضية الاغتصاب الخاصة بميك كراولى . هل تذكرين ذلك الرجل السياسى المتهم بالتعدى على أحد الأطفال الصغار " .

لقد كان صندوقاً صغيراً من شركة " فيدرال إكسبريس " . فتحته أليكس وألقت المحتويات على رجلها .

كان الطرد يحتوى على هاتف خلوى رخيص ، من النوع الذى تشتريه وتضع بطاقة فيه ، وبطاقتى هاتف مدفوعتى الأجر ، وحزمة من النقود ملفوفة : خمسة آلاف دولار بورق فئة مائة دولار .

وملحوظة سرية " فى حالة المتاعب . لا تستخدمى بطاقتك الائتمانية . وأغلقى هاتفك الخلوى . لا تخبرى أحداً أين ستذهبين . استعيرى سيارة شخص آخر . اتصلى بى عندما تصلين إلى موتيل . احتفظى بجيمى معك " .

تنهدت أليكس وقالت : " هذا الرجل الماكر ! " .

" ماذا فى الأمر ؟ " .

قالت أليكس : " أحياناً ما يضايقني أبى ، ولم تكن إيمى فى حاجة إلى سماع التفاصيل . قالت أليكس : " اسمعى اليوم الخميس . لماذا لا تأخذين إجازة طويلة ؟ " .

قالت : " هذا ما يريدنى خطيبى أن أفعله ؛ فإنه يريد أن يذهب إلى شاطئ بيبل ومشاهدة عرض السيارات القديمة " .

قالت أليكس : " هذه فكرة عظيمة ، خذى سيارتى " .

" حقاً ؟ أنا لا أعرف ... ماذا لو حدث شيء لها ، أو أصيبت فى حادث أو شيء من هذا القبيل " .

قالت أليكس : " لا تقلقى ، خذى السيارة فقط " .

عبس وجه إيمى ، وكانت هناك فترة صمت طويلة : " هل ذلك آمن ؟ " .

" بالطبع إنه آمن " .

قالت : " أنا لا أعرف ما أنت متورطة فيه " .

" إنه لا شيء . إنه مجرد خطأ فى الهوية ، وسوف أحل الأمر يوم الاثنين ، أعدك بذلك . أحضرى السيارة يوم الأحد ليلاً ، وسأراك فى المكتب يوم الاثنين " .

" أكيد ؟ " .

" دون شك " .

قالت إيمى : " هل يمكن أن يقود خطيبى السيارة ؟ " .

" بالتأكيد " .

الفصل ٥٧

لم تكن جورجيا بيلارمينو ستعرف بالأمر مطلقاً لـولا صـندوق الحبوب .

لقد كانت جورجيا على الهـاتف مـع عميـل مـن نيويـورك ، موظف ببنك استثمارى حصل لتوه على موعد ، وكانوا يتحـدثون عـن المنـزل الـذى سيـشتريه لأسـرته لتنتقـل إلى روكفيـل ، ميريلاند ، بولاية جورجيا ، كانت جورجيـا أفـضل وسـيط بيـع عقارى للعام فى روكفيل ولـدة ثـلاث سـنوات ، كانـت جورجيـا مشغولة فى التحدث عـن شـروط الـشراء ، عنـدما نـادت ابنتهـا " جنيفر " التى تبلغ من العمر ١٦ عاماً من المطبخ : " يـا أمـى ، أنا متأخرة على المدرسة . أين الحبوب ؟ " .

" على منضذة المطبخ " .

" لا ، إنها ليست موجودة " .

" انظرى مرة أخرى " .

" أمى ، إنها فارغة ! لابد أن جيمى قد أكلها " .

غطـت الـسيدة بيلارمينـو الهـاتف بيـدها وقالـت : " إذن أحضرى صندوقاً آخر ، يا جين ، أنت الآن فى السادسة عشرة ، لست عاجزة " .

قالت جنيفر : " أين هى ؟ " .

وبدأت فى إغلاق أبواب الخزانات داخل المطبخ بقوة .

قالت السيدة بيلارمينو : " انظرى فوق الفرن " .

" لقد فعلت . إنها ليست هناك " .

قالت السيدة بيلارمينو للعميل إنها ستعاود الاتصال به ، واتجهت نحو المطبخ . كانت ابنتها ترتدى سروالاً قصيراً من الجينز وقميصاً علوياً شفافاً مكشوفاً يبدو مثل شيء ترتديه فتاة تعمل فى ملهى ليلى ، وفى هذه الأيام حتى الفتيات الصغيرات يرتدين ملابس بهذه الطريقة . تنهدت .

" ابحثى فوق الفرن ، يا جين " .

" أخبرتك . لقد فعلت " .

" ابحثى مرة أخرى " .

" أمى ، هل تحضرينه لى ؟ أنا متأخرة " .

وقفت السيدة بيلارمينو بحزم وقالت : " إنه فوق الفرن " .

مدت جنيفر يدها ، وفتحت الأبواب ، وبسطت يدها بحثاً عن صندوق الحبوب الذى كان هناك ، بالطبع السيدة بيلارمينو لم تكن تنظر إلى الصندوق . كانت تنظر إلى بطن ابنتها المكشوف .

" جين ... هل أصبت بهذه الجروح مرة أخرى " .

أحضرت ابنتها علبة الحبوب ، وجذبت قميصها العلوى لتغطى بطنها ، وقالت : " إنه لا شيء " .

بتنهيدة سخط ، وقفت ابنتها ورفعت قميصها العلوى كاشفة بطنها . رأت السيدة بيلارمينو خدشاً بطول بوصة أفقياً فى الجزء السفلى من بطنها ، وآخر أضعف فى الجانب الآخر من البطن .

" إنه لا شيء ، يا أمى . أنا فقط أصطدم باستمرار بحافة الطاولة " .

" ولكن لا يجب أن تخدشى ... " .

" إنه لا شيء " .

" هل تأخذين فيتاميناتك ؟ " .

" أمى ، هل يمكن أن أحصل على طعامى فقط ؟ " .

" أنت تعرفين أنه يمكنك أن تخبرينى بأى شىء ، أنت تعرفين أن ـــــ " .

" أمى ، أنت تجعليننى أتأخر عن المدرسة ! لدى امتحان لغة فرنسية ! " .

لم يكن هناك داع للضغط عليها الآن . على أى حال لقد بدأ الهاتف يرن . لابد أنه عميل نيويورك يتصل بها مرة أخرى . إن العملاء غير صبورين ؛ فهم يتوقعون من الوسطاء العقاريين أن يكونوا متواجدين في كل دقيقة من اليوم . لقد ذهبت للغرفة الأخرى لترد على المكالمة وفتحت مستنداتها لمراجعة الأرقام .

بعد خمس دقائق صاحت ابنتها : " وداعاً ، يا أمى ! " . وسمعت جورجيا الباب الأمامى يغلق بعنف .

جعلها ذلك تشعر باضطراب .

كانت تشعر بعدم الارتياح . طلبت رقم معمل زوجها فى بيثيسدا ولأول مرة . لم يكن فى اجتماعات ، وقد تحدثت إليه ، وأخبرته بالقصة .

سألت : " ما الذى علينا فعله فى اعتقادك ؟ " .

قال فورًا : " فتشى فى غرفتها . إن لدينا التزاماً " .

قالت : " حسنًا " ، سأتصل بالمكتب وأخبرهم أنى سآتى متأخرة " .

" سأصل بالطائرة لاحقاً ، ولكن أخبرينى إذا توصلت لشىء " .

الفصل ٥٨

توقفت الطائرة بوينج ٧٣٧ الخاصة ببارتون ولیامز عند مطار هوبكينز الخاص فى كليفلاند ، بولاية أوهايو ، وكان دوى المحركات يهب . كانت الطائرة مجهزة تجهيزاً فخمًا . كانت هناك غرفتا نوم ، وحمامان كاملان مجهزان ، وغرفة طعام تتسع لثمانية أفراد ، ولكن غرفة النوم الرئيسية والتى تشغل الثلث الخلفي من الطائرة ، كان بها سرير بغطاء فرو وإضاءة هادئة ؛ حيث كان بارتون يقضى معظم وقته على الطائرة فى هذه الغرفة . كان فى حاجة إلى مضيفة واحدة ولكنه كان بشكل ثابت يطير مع ثلاث مضيفات . لقد كان يحب الصحبة ، ويحب الضحك والثرثرة . كان ويليامز يحب أن يقضى وقته بصحبة الجميلات . وعلى ارتفاع ٤٠٠٠٠ قدم فى الهواء ؛ فهذا هو المكان الوحيد الذى يكون فيه آمنًا من زوجته .

إن فكرة زوجته تعكس مزاجه . نظر إلى الببغاء الواقف على السارية فى غرفة المعيشة فى الطائرة ، قال الببغاء : " لقد اختطفتنى " .

قال بارتون : " ما اسمك مرة أخرى ؟ " .

تحدث الببغاء بصوت مضحك قائلاً : " رايلى . دوجهوس رايلى " .

" لا تحاول التحذلق على " .

" اسمى جيرارد " .

" هذا صحيح . جيرارد . أنا لا أحب هذا الاسم . يبدو أجنبيًا . ما رأيك فى جيرى ؟ هل يناسبك ؟ " .

قال الببغاء : " لا ، هو لا يناسبنى " .

" لِمَ لا ؟ " .

" إنه اسم سخيف . إنها فكرة سخيفة " .

لقد كان هناك سكون غير مريح . قال بارتون ويليامز : " هل هو حقًا كذلك ؟ " ، مع مسح من التهديد فى صوته . لقد كان ويليامز يعرف أنه مجرد طائر ، لكنه لم يتعود أن يصف أحد فكرة من أفكاره بأنها سخيفة ، لاسيما إذا كانت مجرد طائرة ـ لم يفعل أحد ذلك منذ سنوات عديدة . شعر ويليامز بأن حماسه لهذه الهدية يفتر .

قال : " جيرى ، من الأفضل أن تتماشى معى الآن ؛ لأنك الآن ملك لى " .

" لا يمكنك أن تملك شخصاً " .

" لكنك لست شخصاً ، يا جيرى . أنت مجرد طائر لعين " .

وقف بارتون بالقرب من السارية وقال : " الآن ، دعنى أخبرك كيف ستسير الأمور . سأعطيك لزوجتى ، وأريدك أن تكون مهذباً ، أريدك أن تسليها وأريد أن تجاملها وتمتدحها وتجعلها تشعر شعوراً طيباً . هل هذا واضح ؟ " .

قال جيرارد : " كل شخص آخر يفعل " . لقد كان يقلد صوت الطيار ، الذى سمعه من ركن الطيار وحرك رأسه لينظر للخلف . استمر جيرارد مقلداً صوت الطيار : " يا إلهى أحياناً ما يصيبنى الغثيان من ذلك الرجل العجوز " .

عبس وجه بارتون ويليامز .

بعد ذلك سمع تقليداً دقيقاً لصوت المحركات النفاثة فى الطيران ، وركب فوق ذلك صوت فتاة ، كان صوت إحدى

المضيفات تقول لزميلتها : " جينى هل ستجلسين مع ذلك الوغد العجوز أم أقوم بذلك أنا ؟ " .

" إنه دورك " .

تنهيدة : " حسناً ... " .

صوت فتح الباب وإغلاقه .

بدأ بارتون ويليامز تظهر عليه علامات الخجل . استمر الطائر :

" آه يا بارتون كم أنت شخص رائع حقاً ، وكم أشتاق دوماً أن أكون بصحبتك يا عزيزى ! " .

حدق بارتون إلى الطائر وقال : " أعتقد أنه لن يتم الترحيب بك كضيف في منزلنا " .

قال جيرارد : " إذا ما أنجبت أبناء منك ستكون أنت السبب فى أنهم سيكونون قبيحين يا صغيرى " .

قال بارتون ملتفتا بعيداً : " يكفى هذا منك " .

" آه يا بارتون ، هذا صحيح لأنك أكثر جمالاً منى " ، وصوت قبلة .

رمى بارتون الغطاء قفص الطائر .

" **جينى ، يا حبيبتى** ، أنت لديك أسرة فى دايتون ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا سيد ويليامز " .

" هل تعتقدين أن أى شخص من أسرتك قد يستمتع بطائر متكلم ؟ " .

" آه ، حسناً ، في الواقع ـ نعم يا سيد ويليامز ، أنا متأكدة من أنهم سيحبون ذلك " .

" حسناً ، حسناً ، أقدر لك إذا قمت بتوصيله هناك اليوم " .

" بالطبع ، يا سيد ويليامز " .

" وإذا تصادف أن أسرتك لم تقدر الرفقاء ذوى الريش ، دعيهم يضعوا وزناً ثقيلاً فى رجله ويلقوه فى النهر ؛ لأننى لا أريد أن أرى هذا الطائر مرة أخرى " .

" نعم ، يا سيد ويليامز " .

قال الطائر : " لقد سمعت ذلك " .

قال ويليامز : " هذا جيد " .

بعد أن غادرت سيارة الليموزين الخاصة بالرجل العجوز ، وقفت جينى على الأسفلت ممسكة بالقفص المغطى . قالت : " ماذا سأفعل بهذا الشيء ، والدى يكره الطيور ، ويطلق النار عليهم " .

قال الطيار : " خذيه لمحل حيوانات أليفة . أو أعطه لشخص يشحنه لأوتا ، أو المكسيك أو مكان مثل هذا " .

كان ريفرشنج باوز متجراً ذا سلالم مرتفعة ويقع فى مرتفعات شيكر . كانت أغلب الحيوانات فى المتجر جراء صغيرة ، وكان الشاب الذى يجلس خلف المنضدة ، وسيماً ، ربما أصغر بقليل من جينى . مشت جينى تحمل جيرارد فى قفصه المغطى . وقالت : " هل لديك أى ببغاوات ؟ " .

" لا ، لدينا كلاب فقط " وابتسم لها . " ماذا لديك هنا ؟ أنا ستان " . كان اسم الشاب ستان ميلجرام .

" أهلاً ، ستان . أنا جينى . وهذا جيرارد . إنه ببغاء رمادى إفريقى " .

قال ستان : " دعينا نلق نظرة ، هل تريدين بيعه ، أم ماذا ؟ " .

" أو التنازل عنه " .

" لماذا ؟ ما الأمر ؟ " .

" المالك لا يحبه " .

أزاحت جينى الغطاء . نظر جيرارد بعين نصف مفتوحة ، ورفرف ريشه وقال : " لقد اختطفت " .

قال ستان : " إنه يتحدث بشكل جيد " .

قالت جينى : " آه إنه متحدث جيد " .

قال جيرارد بصوتها : " آه إنه متحدث جيد توقفوا عن التفضل علىّ " .

عبس ستان : " ماذا يقصد ؟ " .

قال جيرارد : " أعنى أنى محاط بالمغفلين " .

استهزأت جينى وقالت : " إنه يتحدث كثيراً فقط " .

" هل هناك ما يسوء بشأنه ؟ " .

" لا ، لا شيء " .

التفت جيرارد إلى ستان وقال بتأكيد : " لقد تم اختطافى . إنها متورطة فى الأمر ، إنها أحد المختطفين " .

قال ستان : " هل هو مسروق ؟ " .

قال جيرارد : " لست مسروقاً ، بل مخطوفاً " .

سأل ستان : " ما هذه اللهجة ؟ وكان يبتسم لجينى . بادلته الابتسام وقالت فى دلال مبالغ :

" إنها فرنسية " .

" تبدو لى بريطانية " .

" لقد جاء من فرنسا ، هذا هو كل ما أعرف " .

قال جيرارد : " أرجوك أن تستمعى إلى " .

قالت جينى : " إنه يعتقد أنه شخص " .

قال جيرارد : " أنا شخص ، أيتها الصغيرة البائسة ، وإذا كان هذا الفتى يروق لك أخبريه مباشرة وكفى عن التصنع " .

احمر وجه جيمى من الخجل ، ونظر الفتى بعيداً ، ثم ابتسم لها .

قالت جيمى وهى مازال وجهها أحمر من الخجل : " إن لديه فماً يمكنه من التحدث بشكل جيد " .

" هل يسب ؟ " .

" أنا لم أسمعه أبدًا يفعل ذلك ، لا " .

قال ستان : " لأنى أعرف شخصاً ما قد يحبه ، طالما لا يسب " .

" ماذا تقصد بشخص ما ؟ " .

" عمتى ، فى الخارج فى كاليفورنيا . إنها تعيش فى ميشن فيجو . إنها أرملة ، تعيش وحيدة ؛ وهى تحب الحيوانات لأنها تشعر بالوحدة " .

" آه ، حسنا . يمكن أن يكون ذلك جيدًا " .

قال جيرارد فى صوتٍ مروع : " أنت تتنازلين عنى ؟ هذه عبودية . أنا لست شيئا تتنازلين عنه " .

قال ستان ميلجرام : " يجب أن أقود السيارة إلى هناك " ويمكن أن آخذه معى خلال يومين " .

الفصل ٥٩

لقد كان المخزن بالقرب من المطار فى مدينة ميدان . وكان به كوة تسمح لضوء الشمس بالدخول ، لذلك كانت الإضاءة فى الغرفة جيدة وكان الأورانجتون الصغير فى القفص يبدو بصحة جيدة ، عينه لامعة ومنتبه . يبدو أنه قد أفاق تمامًا من طلقات المخدر .

ولكن جوريفيتش كان يمشى جيئة وذهاباً ، وهو مصاب بإحباط شديد ، وينظر إلى ساعته . وبالقرب منه كاميرا الفيديو الخاصة به موضوعة على جانبها وصندوقها مكسور ، والمياه بالطين تسيل منها . وكان جوريفيتش قد فتح الكاميرا محاولاً تجفيفها ولكن كانت تنقصه الأدوات ، كانت تنقصه الأدوات .

وفى الجانب الآخر وقف زانجر مندوب الشبكة التليفزيونية وقال : " ماذا ستفعل الآن ؟ " .

قال جوريفيتش " نحن ننتظر كاميرا لعينة أخرى " ، والتفت إلى ممثل شركة " دى . إتش . إل " لخدمات التوصيل ، شاب من مالاى يرتدى زياً أصفر وسأله : " كم تبقى من الوقت الآن ؟ " .

" لقد قالوا فى خلال ساعة يا سيدى " .

قال جوريفيتش بسخرية : " لقد قالوا ذلك منذ ساعتين مضتا " .

" نعم يا سيدى . لكن الطائرة غادرت بيكاسى وفى طريقها إلينا " .

لقد كانت بيكاسى على الساحل الشمالى لجاوة . على بعد ٨٠٠ ميل سأله : " وهل الكاميرا على الطائرة ؟ " .

" أعتقد ذلك ، نعم " .

مشى جوريفيتش ، متجنبًا نظرة الاتهام التى يوجهها إليه زانجر . لقد كان الأمر كله أشبه بكوميديا الأخطاء . فى الغابة عمل جوريفيتش ليعيد القرد إلى وعيه لمدة حوالى ساعة قبل أن تظهر على الحيوان علامات الحياة ، ثم جاهد ليربط الحيوان ويهدئه مرة أخرى ـ لم يستغرق الأمر كثيراً من الوقت هذه المرة ـ ثم أخذ جوريفيتش فى مراقبة الحيوان بعناية حتى لا يصاب بصدمة أدرينالين بينما أحضره جوريفيتش شمال مدينة ميدان ، أقرب مدينة بها مطار .

بقى الأورانجتون خلال الرحلة على قيد الحياة دون أية مشكلة ، وانتهى به الأمر فى المخزن ؛ حيث أخذ يتلفظ بعبارات سباب باللغة الألمانية ، فقام جوريفيتش بإخطار زانجر الذى حضر بالطائرة فورًا من نيويورك .

ولكن فى الوقت الذى حضر فيه زانجر عانى القرد من التهاب فى الحنجرة ، ولم يعد يتكلم ، إلا همسات .

قال زانجر : " وما فائدة ذلك ، لا يمكن أن تسمعه " .

قال جوريفيتش : " سنصوره ونركب الصوت بعد ذلك ، أنت تعرف أسلوب تزامن الشفاه " .

" هل تريد أن تقول إننا سوف نعيد تسجيل الصوت ؟ " .

" لن يعرف أحد بالأمر " .

" هل أنت مجنـون ؟ *كـل شخص* سيعرف . كـل معمـل فـي العالم سيراجع شـريط الفيـديو بمعـدات متقدمـة ، وسيكتـشفون تـركيب الصوت على الصورة في خمس دقائق " .

قال جوريفيتش : " حسنًا ، إذن ننتظر حتى يتحسن " .

زانجر لم يعجبه ذلك أيضًا وقال : " إنه يبدو مريـضًا جـدًا . هل أصيب بأنفلونزا في مكان ما ؟ " .

قال جوريفيتش : " محتمل " . في الواقع ، لقد كـان تقريبـاً متأكدًا أن القرد قد أصيب بالأنفلونزا كعـدوى منـه ، عنـدما كـان ينعشه بالنفخ في فمه . لقـد كانـت نزلـة بـرد معتدلـة بالنـسبة لجوريفيتش ، لكن بدا أنها خطيرة بالنسبة للأورانجتـون الـذى أصبح متثنيًا من آلام الكحة .

" إنه يحتاج إلى طبيب بيطرى " .

قال جوريفيتش : " لا نستطيع ، إنه حيوان قد سـرقناه مـن محمية طبيعية ، ألا تتذكر ذلك ؟ " .

قـال زانجـر : " أنـت الـذى سـرقته وإذا لم تكـن حريـصاً ، ستقتله أيضًا " .

" إنه صغير ، سيشفى " .

وبالفعل ، في اليوم التالى ، كان القرد يتحدث مرة أخـرى ، ولكن يسعل بشكل تشنجي ويبصق كتلاً صـفراء ـ خـضراء . قـرر جوريفيتش أنه من الأفضل أن يصور الحيوان الآن ، لـذلك ذهـب ليحضر معداته من السيارة ، فتعثر وأسقط الكاميرا في خندق من الطين . وانكسر صندوق الكاميرا مفتوحاً . كل ذلك كان على بعـد عشر أقدام من باب المخزن .

وبالطبع لم يكن بادياً أن هناك أى شخص فـي مدينـة ميـدان قادر على إصـلاح كـاميرا فيـديو متطـورة كهـذه . كـان يجـب أن يحضروا كاميرا أخرى بالطائرة من جـاوة . لقـد كـانوا ينتظـرون الكاميرا الآن ، بينما كان القرد يسب ويرفس ، ويـسعل ويبـصق عليهم من داخل قفصه .

وقف زانجر خارج المدى يهز رأسه : " يا إلهى ، يا لها من فوضى " .

ومرة أخرى التفت جوريفيتش لفتى مالاى وقال : " كم تبقى من الوقت ؟ " هز الفتى رأسه وكتفه فى قلة حيلة .

وداخل القفص ، كان الأورانجتون يسعل ويسب .

الفصل ٦٠

فتحت جورجيا بيلارمينو باب غرفة نوم ابنتها لتجرى بحثًا سريعًا فيها . لقد كانت الغرفة بالطبع فى حالة من الفوضى . كسرات من الخبز بين ثنايات غطاء الفراش المشعث ، أسطوانات مدمجة ملقاة على الأرض ، علب كوكاكولا مطبقة تحت الفراش ، مع فرشاة شعر قذرة ، أداة لعقص الشعر ، وأنبوبة فارغة من دابغ الجلود . فتحت جورجيا أدراج منضدة جانب السرير ، كاشفة تراكماً من أغلفة العلكة ، ملابس داخلية مكورة ، نعناعاً للتنفس ، طلاء رموش ، صوراً من حفلة العام الماضى ، وأعواداً ، وآلة حاسبة ، وجوارب متسخة وإصدارات قديمة من مجلتى teenvogue و people ، *وعلبة سجائر ، مما جعل جورجيا غير سعيدة* .

ثم قامت بفتح درج الملابس ، وقلبت خلاله بسرعة حتى نهايته ، ثم فتحت الخزانة ، التى أخذ تفتيشها منها وقتاً طويلاً ؛ حيث كان هناك أزواج مختلطة من الأحذية الجلدية والأحذية القماش فى القاع . وكذلك قامت بتفتيش الخزانة التى تحت حوض الحمام حتى إنها قامت بتفتيش سلة الملابس المتسخة .

لم تجد شيئاً يفسر الخدوش التى على بطن ابنتها .

وفكرت جورجيا فى أنه ليس هناك أى غرض لوضع سلة الملابس في الغرفة ؛ حيث إن جنيفر كانت تلقى بملابسها على الأرض في جميع أنحاء الغرفة . انحنت جورجيا بيلارمينو وأخذت تلتقط الملابس ، ولم يلفت انتباهها شيء إلا عندما لاحظت الخطوط على أرضية الحمام القرميد ، خطوطاً خلفها شيء مطاطي ، وكانت ضعيفة ومتوازية .

عرفت ما سبب هذه الخطوط : سلم .

وبالنظر للسقف رأت لوحاً مزوداً بمدخل بالعلية . وكانت هناك بصمات أصابع تلطخ اللوح .

ذهبت جورجيا لتحضر سلماً .

دفعت اللوح جانبًا ، فسقطت إبر وسرنجات محدثة جلبة على الأرض .

فكرت جورجيا ، *يا إلهى* . وبحثت في فراغ العلية ، مستشعرة ما حولها . لمست يدها كومة من الأنابيب الكرتون ، مثل معجون الأسنان . أخرجتها : كانت كلها عليها بطاقات طبية : لوبرون ، جونال ـ إف ، فوليستم .

أدوية خصوبة .

ماذا كانت ابنتها تفعل ؟

قررت ألا تتصل بزوجها ؛ لأنه سينزعج . وبدلاً من ذلك ، أخذت هاتفها الخلوى واتصلت بالمدرسة .

الفصل ٦١

فى عيادة دكتور مارتن بينيت بشيكاغو كان جهاز الاتصال الداخلى يرن ، لكن دكتور بينيت لم يعره أى اهتمام .

لقد جاءت نتيجة الدراسة المجهرية لنسيج مريضه أسوأ مما توقع ، أسوأ بكثير . كان يمرر أصابعه على طرف ورقة الاختبار ، متعجبًا كيف سيخبر مريضه بتلك النتيجة .

كان مارتن بينيت الذى يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً ، ممارسًا للأمراض الباطنة لما يقرب من ثلث قرن ، وكثيراً ما أبلغ مرضاه بأخبار سيئة ، ولكن لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة له مطلقاً . خصوصاً إذا كان هؤلاء المرضى لا يزالون فى مقتبل العمر ولديهم أطفال صغار . نظر إلى صورة ابنيه على المكتب . لقد كانا فى الجامعة الآن . كان " تاد " فى سنة التخرج فى ستانفورد ؛ وبيل فى جامعة فى كولومبيا . وكان بيل يدرس الطب .

سمع طرق الباب ، وأدخلت الممرضة " بيفرلى " رأسها من الباب وقالت : " أنا آسفة ، يا دكتور بينيت ، ولكنك لم تكن ترد على جهاز الاتصال الداخلى . واعتقدت أنه قد يكون شيئًا مهماً " .

قال : " أعرف . لقد كنت فقط ... أحاول أن أفكر كيف أصوغ الأمر لها " . وقف خلف مكتبه وقال : " سوف أقابل أندريا الآن " .

هزت بيفرلى رأسها وقالت : " إن أندريا لم تصل بعد ، أنا أتحدث عن المرأة الأخرى " .

قال : " أية امرأة أخرى ؟ " .

تسللت بيفرلى داخل المكتب فى هدوء وأغلقت الباب خلفها وخفضت من صوتها وقالت : " ابنتك " .

قال : " عم تتحدثين ؟ أنا ليس لى ابنة " .

قالت : " حسناً ، هناك سيدة صغيرة فى غرفة الانتظار تقول إنها ابنتك " .

قال بينيت : " هذا مستحيل ، من تكون هذه الفتاة ؟ " .

نظرت بيفرلى إلى بطاقة ملاحظات كانت فى يدها وقالت : " اسمها ميرفى . وتعيش فى سياتل . أمها تعمل فى الجامعة . تبلغ من العمر حوالى ٢٨ عاماً ومعها طفل يحبو عمره حوالى سنة ونصف ، فتاة صغيرة " .

أخذ بينيت يفكر فى الماضى قائلاً : " ميرفى ؟ سياتل ؟ وتقولين إن عمرها ٢٨ عاماً ؟ لا ، لا مستحيل " . لقد كان له نصيب من العلاقات العابرة فى سنوات الجامعة فى كلية الطب . لكنه تزوج من إيميلى منذ ثلاثين عاماً مضت ، ومنذ ذلك الوقت المرات الوحيدة التى كان فيها غير مخلص كانت أثناء المؤتمرات الطبية . صحيح . كان ذلك على الأقل مرتين فى العام ، فى كانكان بسويسرا ، فى مكان غريب . ولكنه قد بدأ ذلك فقط منذ عشرة أعوام أو خمسة عشر عامًا . لم يعتقد أنه من الممكن أن يكون له طفل بهذه السن مطلقاً .

قالت بيفرلى : " أعتقد أنك لم تكن تعرف بذلك الأمر بالتأكيد . . . هل ستراها ؟ " .

قال : " لا " .

قالت بيفرلى : " سأخبرها " ، وخفضت صوتها وهمست : " ولكن لا نريدها أن تقوم بأى مشهد أمام المرضى . فيبدو أنها غير متوازنة قليلاً . وإذا لم تكن ابنتك ، ربما يجب أن توضح لها ذلك فى خصوصية " .

أومأ بينيت ببطء . ورجع للخلف فى كرسيه وقال : " حسنا ، أدخليها " .

" **مفاجأة كبيرة** ، أليس كذلك ؟ " كانت المرأة الواقفة على باب حجرة المكتب ترفع طفلها على ذراعيها ، كانت شقراء ، غير جذابة ، متوسطة الطول ، ترتدى جينزًا وقميصاً وبدت ملابسها متواضعة . وكان وجه طفلها متسخاً وعليه بقع . قالت : " أنا آسفة لم أرتد ملابس تتناسب مع الحدث ، ولكنك تعرف كيف تسير الأمور "

وقف بينيت خلف مكتبه وقال : " من فضلك ادخلى يا سيدة ... " .

قالت : " ميرفى . اسمى إليزابيث ميرفى " ، وأشارت للطفل وقالت : " وهذه بيس " .

قال : " أنا دكتور بينيت " . وأشار إليها لتجلس على الكرسى الذى أمامه بجانب المكتب ونظر إليها جيداً بينما جلست . لم ير أى تشابه على الإطلاق ، ولا تشابها بسيطاً . هو نفسه كان أسود الشعر ، ذو بشرة بيضاء ، وذو وزن زائد قليلاً ، وكانت هى ذات بشرة زيتونية ونحيفة ، وسريعة الانفعال ، ومتوترة .

قالت : " نعم ، أنا أعرف أنك تظن أنى لا أبدو مثلك إطلاقاً . ولكن مع لون الشعر الطبيعى ، والمزيد من الوزن ، يمكن أن ترى التشابه الأسرى " .

قال بينيت وهو جالس : " أنا آسف ولكن لكى أكون صريحاً معك ، أنا لا أرى هذا التشابه مطلقاً " .

قالت مستهزئة : " هذا حسن ، أعتقد أنها كانت صدمة بالنسبة لك . أعنى حضورى لمكتبك بهذه الطريقة " .

قال : " هى بالتأكيد مفاجأة " .

" لقد أردت أن أتصل مقدما وأحذرك ، ولكنى قررت أن علىّ القدوم وحسب دون سابق إنذار . فى حالة إذا رفضت أن ترانى " .

قال : " أفهم ، يا سيدة ميرفى ، ماذا يجعلك تعتقدين أنك ابنتى ؟ " .

قالت : " آه ، أنا ابنتك ، من غير ريب . ليس هناك شك فى ذلك " . كانت تتحدث بثقة غريبة .

قال بينيت : " هل تقول أمك إنها تعرفنى ؟ " .

قالت : " لا " .

قال : " هل قابلتنى فى أى وقت مضى ؟ " .

قالت : " يا إلهى ، لا لم تقابلك " .

تنهد بارتياح وقال : " إذن أخشى أنى لا أفهم ـــ " .

" سأذهب إلى الموضوع مباشرة . لقد قضيت فترة تدريبك فى دالاس . بالمستشفى الجنوبى التذكارى " .

عبس وجهه وقال : " نعم ... " .

" لقد تم أخذ عينات دم من كل الأطباء المتدربين ، فى حالة إذا ما احتاجوا لهم كمتبرعين بالدماء فى حالة الطوارئ " .

" لقد كان ذلك منذ فترة طويلة جداً " . كان يفكر فى الماضى . كان ذلك منذ حوالى ثلاثين سنة من الآن .

" نعم ، حسناً . لقد احتفظوا بالدم ، يا والدى " .

مرة أخرى سمع الإدانة فى صوتها " بمعنى ماذا ؟ " .

تحركت فى مقعدها وقالت : " هل تريد أن تمسك حفيدتك ؟ " .

قال : " ليس الآن ، شكرًا " .

ابتسمت ابتسامة ملتوية وقالت : " أنت لست كما توقعت . اعتقدت أن الطبيب قد يكون أكثر ... تعاطفاً . إن العاملين في مصحة علاج الإدمان بيبفليو يظهرون تعاطفاً أكثر من ذلك " .

قال : " يا سيدة ميرفي ، دعيني ـــــ " .

" ولكنى عندما أقلعت عن المخدرات ، ورزقت بتلك الابنة الجميلة ، أردت أن أجعل معنى لحياتى . أردت أن تعرف ابنتى جدها ، وأردت أخيراً أن أقابلك " .

لقد حان الوقت لكى يضع حدًا سريعًا لهذا . وقف وقال : " يا سيدة ميرفى ، أنت تعلمين أننى يمكن أن أجرى تحليلاً جينيًا ، وسيوضح ـــــ " .

قالت : " نعم ، أعلم ذلك " . ألقت بورقة مطبقة على مكتبه . فتحها ببطء . لقد كانت تقريرًا طبياً من معمل وراثى فى دالاس . وعندما اطلع على الفقرات التى بالتقرير شعر بدوار .

" إنه يقول إنك بالتأكيد أبى وأن هناك فرصة واحدة فى أربعة بلايين أنك لست كذلك . لقد قارنوا خلاياى الجينية بدمك المخزن " .

قال : " هذا جنون " . وسقط فى كرسيه .

قالت : " لقد اعتقدت أنك ستهنئنى ، لم يكن من السهل أن أعرف ذلك ، كانت أمى تعيش فى سانت لويس منذ ٢٨ عامًا ، وكانت متزوجة فى ذلك الوقت ... " .

كانت كلية الطب التى التحق بها بينيت فى سانت لويس . قال : " لكنها لا تعرفنى ؟ " .

" لقد أجرت تلقيحًا صناعيًا من متبرع مجهول ، وكان ذلك المتبرع أنت " .

شعر بينيت بالدوار .

" ولقد خمنت أن المتبرع يجب أن يكون طالبًا بكلية الطب لأن أمى كانت قد ذهبت إلى العيادة التابعة لكلية الطب ؛ حيث كان لديهم بنك الحيوانات المنوية الخاص بهم . لقد كان طلبة كلية

الطب يتبرعون بحيواناتهم المنوية مقابل مبلغ من المال فى ذلك الوقت ، صحيح ؟ " .

" نعم ، ٢٥ دولاراً " .

" مبلغ جيد للجيب فى هذه الأيام . وكان فى إمكانك على حد توقعى أن تذهب إلى هناك وتتبرع بحيواناتك المنوية مرة فى الأسبوع ، أليس كذلك ؟ " .

" شىء من هذا القبيل " .

" لقد احترقت العيادة منذ ١٥ عاماً مضت ، وفُقدت كل السجلات ، ولكنى حصلت على السجلات السنوية للطلاب وبحثت فيها . كان هناك فى كل عام ١٢٠ طالباً ، نصفهم من الإناث ، إن ذلك يعنى وجود ستين طالباً من الذكور بالكلية ، وإذا استبعدنا الآسيويين والأقليات الأخرى ، يتبقى حوالى خمسة وثلاثين ذكراً . والحيوانات المنوية لا يحتفظ بها لأكثر من عام أو نحو ذلك ، فانتهيت إلى حوالى مائة وأربعين اسماً لأفحصها ، وانتهى الأمر أسرع مما اعتقدت " .

استرخى بينيت فى كرسيه .

" لكن هل تريد أن تعرف الحقيقة ؟ عندما رأيت صورتك فى السجل السنوى الطبى ، عرفت فورًا أنك أبى . شىء ما فى شعرك ، حواجبك ... " ، ثم قالت باستهجان : " على أى حال ، أنا هنا يا أبى " .

قال بينيت : " ولكن ذلك لم يكن من المفترض أن يحدث ، لقد كنا جميعاً متبرعين مجهولين . لا يمكن متابعتنا . لم يكن أحد ليعرف إذا كان لدينا أطفال أم لا . وهناك منحونى الحق فى أن تكون شخصيتى مجهولة " .

" نعم ، حسناً . لقد انتهت هذه الأيام " .

" لكنى لم أوافق على أن أكون والدك ، هذا هو الأمر " .

قالت باستهزاء : " ماذا عساى أن أقول ؟ " .

" لم يكن فى نيتى الحصول على طفل ، لقد أردت فقط مساعدة زوجين ليس لديهما خصوبة فى أن يحصلا على طفل " .

" حسناً ، أنا طفلتك " .

" ولكنك لديك والدان ؟ " .

" أنا طفلتك ، يا دكتور بينيت ، ويمكن أن أثبت ذلك فى المحكمة " .

سادت فترة سكون . بدأ كل منهما يحدق إلى الآخر . سال لعاب الطفلة وتلوت . وقال بينيت أخيراً : " لماذا حضرت هنا ؟ " .

" أردت أن أقابل أبى البيولوجى ... " .

" حسناً ، لقد قابلته " .

" وأردته أن يلتزم بواجباته والتزاماته بسبب ما فعله لى " .

إذن فهذا هو الأمر ، لقد كشفت أوراقها أخيراً .

قال بينيت بهدوء : " سيدة ميرفى ، لن تحصلى على شىء منى " .

وقف ، ووقفت هى الأخرى أيضًا .

قالت : " كونى مدمنة ، هو بسبب جيناتك أنت " .

قال : " لا تكونى سخيفة " .

قالت : " لقد كان أبوك مدمن خمور . وأنت كذلك تعانى من مشاكل الإدمان الخاصة بك فأنت تحمل جينات الإدمان " .

" عن أى جينات تتحدثين ؟ " .

" عن جين " إيه . جى . إس ٣ " وهو جين الاعتماد على الهروين . وعن جين " دى . إيه . تى ١ " وهو جين إدمان الكوكايين . إن لديك هذه الجينات ، وكذلك أنا فقد ورثتها منك . لقد أعطيتنى هذه الجينات . ما كان يجب أن تتبرع بحيوانات منوية بها خلل فى المقام الأول " .

قال : " عم تتحدثين ؟ " شعر فجأة بالغضب . من الواضح أن هذه المرأة تتبع نصًا محفوظًا . لقد شعر بالخطر .

" لقد تبرعت بحيواناتى المنوية منذ ثلاثين عاماً ، لم تكن هناك اختبارات جينية فى ذلك الوقت . . . وليس هناك مسئولية الآن " .

قالت : " ولكنك كنت تعرف ، لقد كنت تعرف أن لديك مشكلة مع الكوكايين وعرفت أنها تجرى فى أسرتك ، ولكنك بعت حيواناتك المنوية على أى حال . وضعت حيواناتك المنوية التالفة ، والخطيرة فى السوق ، ولم تهتم بمن ستعديه " .

" أعديه ؟ " .

" لم يكن لك الحق أن تفعل ما فعلته . أنت عار على مهنة الطب . تثقل الناس بجيناتك المريضة ولا تهتم " .

وعلى الرغم من غضبه العارم استطاع التحكم فى نفسه ، واتجه إلى الباب وقال : " يا سيدة ميرفى ليس لدى شىء آخر أقوله لك " .

" أنت تلقى بى إلى الخارج ؟ ستندم على ذلك ، ستندم على ذلك كثيراً " .

وخرجت بسرعة خارج المكتب .

شعر فجأة بأنه قد استُنزف ، انهار بينيت فى كرسيه خلف مكتبه . كان فى حالة من الصدمة . حدق إلى مكتبه فى ملفات المرضى المنتظرين . لم يعد يهتم بأى منها الآن . اتصل بمحاميه ، وشرح له الموقف بسرعة .

قال المحامى : " هل تريد هذه المرأة نقودًا ؟ " .

" أعتقد ذلك " .

" هل ذكرت لك المبلغ الذى تريده ؟ " .

قال بينيت : " جيف ، أنت لا تأخذ ذلك بجدية ، أليس كذلك ؟ " .

قال المحامى : " لسوء الحظ يجب أن نفعل . لقد حدث ذلك فى ميسورى ، وميسورى لم يكن بها قوانين واضحة تتعلق بالأبوة من التلقيح الصناعى فى ذلك الوقت . وحالات مثل حالتك تلك لم تكن أبداً مشكلة حتى وقت قريب جداً ، ولكن كقاعدة فى نزاعات الأبوة ، تأمر المحكمة برعاية الطفل " .

" إنها فى الثامنة والعشرين " .

" نعم ، ولديها والدان . ولكنها يمكن أن ترفع دعوى فى المحكمة بناء على موضوع الجين هذا ؛ فيمكن أن تدعى التعرض للخطر بسبب تهورك ، ويمكن أن ترفع دعوى إيذاء طفل ، وأى شىء آخر يمكن أن تخرجه من جعبتها ، وربما تحصل على حكم من القاضى فى صالحها ، وربما لا . عليك أن تتذكر أن أحكام الأبوة فى قوانيننا دائماً لا تكون فى جانب الذكور . فمثلاً إذا حملت منك امرأة وقررت هى أن تحصل على إجهاض يمكن أن تفعل ذلك دون استشارتك ، ولكن إذا قررت أن تلد ، فأنت المسئول عن إعالتها هى والطفل ، على الرغم من أنك لم توافق على أن يكون لك طفل منها . ستقول المحكمة إنها كانت مسئوليتك ألا تجعلها تحمل طفلاً منك فى المقام الأول . أو افترض أنك أجريت اختباراً جينياً لأولادك واكتشفت أنهم ليسوا أولادك - وأن زوجتك خانتك ، فإن المحكمة ستلزمك بإعالة أولاد على الرغم من أنهم ليسوا أولادك " .

" ولكنها تبلغ من العمر ٢٨ عاماً . إنها ليست طفلة " .

" السؤال هو هل يرغب طبيب مشهور مثلك فى الذهاب للمحكمة فى قضية مرفوعة ضده لعدم إعالة ابنته ؟ " .

قال بينيت : " لا " .

" هذا صحيح ، أنت لا ترغب فى ذلك ، وهى تعرف ذلك . وأعتقد أنها تعرف قانون ميسورى ، أيضًا . إذن عليك أن تنتظر

حتى تتصل بك مرة أخرى ، ورتب موعداً معهـا ، واتـصل بـى . وإذا كان لديها محامٍ ، يكـون ذلـك أفـضل . تأكـد مـن أن يحـضر معها ، وفى نفس الوقت ، أرسـل لى بالفـاكس التقريـر الجينـى الذى أعطته لك " .

" هل سأضطر إلى أن أدفع لها ؟ " .

قال المحامى : " أعتقد ذلك " ، ووضع السماعة .

الفصل ٦٢

كانت ضابط الاستقبال فى مخفر شرطة روكفيل ، امرأة سوداء جذابة ، تبلغ من العمر ٢٥ عاماً . وكانت لوحة المكتب مكتوباً عليها الشرطية " جيه . لورى " . وكان زيها الرسمى مجعدًا . دفعت جورجيا بيلارمينو ابنتها بالقرب من الجانب الآخر من المكتب . ووضعت الحقيبة الورقية التى تحتوى على السرنجات أمام الشرطية وقالت : " شرطية لورى ، أريد أن أعرف لماذا تحتفظ ابنتى بهذه الأشياء ، لكنها ترفض أن تخبرنى " .

نظرت ابنتها إليها وقالت : " إنى أكرهك ، يا أمى " .

لم تظهر الشرطية لورى أى اندهاش . نظرت إلى السرنجات والتفتت لابنة جورجيا وقالت : " هل تم وصف هذه الأشياء لك بواسطة الطبيب ؟ " .

" نعم " .

" هل تتعلق هذه الأدوية بالإنجاب ؟ " .

" نعم " .

" كم عمرك ؟ " .

" ستة عشر عاماً " .

" هل يمكن أن أرى بطاقة هويتك ؟ " .

قالت جورجيا بيلارمينو : " إنها فى السادسة عشرة ، من غير ريب " ، وانحنت للأمام وقالت للشرطية : " أريد أن أعرف ــــ " .

قالت الشرطية : " آسفة يا سيدتى ، إذا كانت تبلغ من العمر ١٦ عاماً ، وهذه الأدوية تتعلق بالإنجاب ، فليس لك الحق أن تعرفى ــــ " .

" ماذا تقصدين بأنه ليس لى الحق أن أعرف ؟ إنها ابنتى . وهى مازالت فى *السادسة عشرة* " .

" هذا هو القانون هنا فى الولايات المتحدة ، يا سيدتى " .

" أنا لا أعرف ماذا تفعل ابنتى بهذه الأدوية . إنها أدوية خصوبة . إنها تحقن نفسها بأدوية خصوبة ! " .

" أنا آسفة لا أستطيع أن أساعدك فى ذلك " .

" هل تعنين أن ابنتى مسموح لها أن تحقن أدوية فى جسمها ، ولا يحق لى أن أعرف ماذا يحدث ؟ " .

" لا ، إذا لم تخبرك بنفسها ، لا " .

" ماذا عن طبيبها ؟ " .

هزت الشرطية لورى رأسها وقالت : " إنه لا يستطيع أن يخبرك أيضًا ، إنه امتياز الطبيب ـ المريض " .

جمعت جورجيا بيلارمينو السرنجات وألقتها فى الحقيبة ، وقالت : " هذا شىء سخيف " .

قالت الشرطية : " إنى لا أضع القوانين ، إنى مسئولة عن تنفيذها " .

كانتا فى السيارة فى طريقهما للمنزل . قالت جورجيا : " يا حبيبتى ، هل تحاولين زيادة خصوبتك حتى تتمكنى من الإنجاب سريعاً عند الزواج ؟ " .

قالت : " لا " ، وهى تجلس مطبقة ذراعيها غاضبة .

" أقصد أنك مازلت فى السادسة عشرة ، ولا يجب أن تكون هذه مشكلة . . . إذن ماذا تفعلين بهذه الأدوية ؟ " .

" لقد جعلتنى أبدو مثل *الغبية* " .

" حبيبتى ، أنا فقط قلقة عليك " .

" لا ، أنت لست كذلك . أنت فضولية ، وشريرة . وأنا أكرهك وأكره هذه السيارة " .

استمر الأمر كذلك لفترة ، حتى اصطحبت جورجيا ابنتها بالسيارة للمدرسة . خرجت جنيفر من السيارة ، وضربت الباب قائلة : " وقد جعلتنى أتأخر على اختبار اللغة الفرنسية ! " .

لقد كان صباحًا مجهدًا لجورجيا ، وكان عليها أن تلغى موعدين . والآن كان عليها أن تحاول إعادة جدولة مواعيد العملاء . دخلت جورجيا إلى المكتب ، ووضعت حقيبة السرينجات على الأرض . وبدأت الاتصال بالعملاء ، هاتفياً . دخلت فلورانس مديرة المكتب ورأت الحقيبة وقالت : " واو ، ألست كبيرة قليلاً على ذلك ؟ " .

قالت جورجيا بانفعال : " إنه لا يخصنى " .

" إذن ... ليس لابنتك ؟ " .

أومأت جورجيا : " نعم " .

قالت فلورانس : " هل هذا له علاقة بدكتور" فاندكين " ؟ " .

" من ؟ " .

" إنه طبيب فاسد فى ميامى . إنه يدفع المراهقات لأخذ تلك الهرمونات حتى تزيد بويضاتهن ويبعنها له ويحصلن على المال " .

" لا أصدق هذا ، لماذا تقدم المراهقات على شىء كهذا ؟ " .

" ليحصلن على المال ويجرين بالمال عمليات التجميل ، وعمليات تكبير الصدر ، لقد أصبحنا فى مجتمع فاسد يا عزيزتى " .

تنهدت جورجيا وقالت : " يا للهول ، يا للهول " .

لقد أرادت جورجيا أن يتحدث زوجها إلى ابنتهما جنيفر ، لكن لسوء الحظ ، كان روب في طريقه للطيران إلى أوهايو ؛ حيث كان يصور حلقات تليفزيونية عن نفسه ، فهذه المناقشة ـ التي ستكون نارية بالتأكيد ـ يجب أن تنتظر حتى عودة زوجها .

الفصل ٦٣

أثنـــاء اســتقلالهما مــترو الأنفــاق مــن مبنـــى مكتــب مجلــس الشيوخ ، إلى غرفة الغـداء التابعـة للمجلـس ، التفـت سيناتور روبـرت ويلـسون (مـن مقاطعــة فيرمونـت) إلى سـيناتور ديــان فاينستاين (من مقاطعة كاليفورنيا) وقال : " أعتقد أننـا يجـب أن نكون أكثر فعالية فيما يتعلـق بالموضـوع الـوراثى هـذا . علـى سبيل المثال ، يجب أن نفكر فى قانون يمنع الفتيات الـصغيرات من بيع بويضاتهن من أجل الربح " .

قالت فاينستاين : " الفتيات الصغار يقمـن بـذلك بالفعـل يـا بوب . إنـهن يبعن بويضاتـهن الآن " .

" لماذا ، هل ليدفعن مصاريف الكلية ؟ " .

" ربما قليلات منهن يفعلن ذلك لهذا السبب ، ولكن الغالبية يفعلن ذلك لشراء سيارة جديدة لـصديقهن ، أو لإجـراء جراحــة تجميلية لهن " .

نظر سـيناتور ويلـسون مرتبكًـا وقـال : " منـذ متـى يحـدث ذلك ؟ " .

قالت فاينستاين : " منذ سنتين حتى الآن " .

" ربما يحدث ذلك فى فلوريدا . . . " .

" فـى كـل مكـان ، يـا بـوب . لقـد فعلـت ذلـك مراهقـة فـى هامبشاير لتدفع كفالة صديقها " .

" ألا يفزعك الحال الذى آلت إليه الأمور ؟ " .

" بالطبع لا أستطيع تقبل ذلك ، ولكنه لن يغير من الواقع فى شيء ، إن هـؤلاء الفتيـات يخـاطرن بقـدرتهن علـى الإنجـاب ، ولكنــه فـساد المجتمـع ككـل ، وفـى النهايـة هـذه أجـسادهن وبويضاتهن ولا يوجد قانون هنا يحرم ذلك ، أعتقد أن الأوان قـد فات " .

الفصل ٦٤

ليس مرة أخرى !

وجد إليس ليفاين أمه فى الدور الثانى من محل بولو رالف لورين فى تقاطع شارع ماديسون وشارع ٧٢ . كانت تقف أمام المرآة ، ترتدى حُلة من الكتان الأصفر مع وشاح أخضر . كانت تلتفت فى هذا الاتجاه وذلك الاتجاه .

قالت عندما رأته : " أهلاً ، يا عزيزى ، هل تريد أن تعيد الكرة مرة أخرى ؟ " .

قال : " يا أمى ، ماذا تفعلين هنا ؟ " .

قالت : " أشترى بعض الأشياء للصيف ، يا عزيزى " .

قال إليس : " لقد تحدثنا فى ذلك من قبل يا أمى " .

قالت أمه : " مجرد أشياء قليلة للصيف . هل تحب ثنية ساق هذا البنطلون ؟ " .

قال : " لقد كنا هنا من قبل " .

عبس وجهها ، وزغبت شعرها الأبيض وهى شاردة الذهن وقالت : " ما رأيك فى هذا الوشاح ؟ أعتقد أنه مبالغ فيه قليلاً " .

قال إليس : " يجب أن نتحدث " .

قالت : " هل سنتناول الغداء معاً ؟ " .

قال : " يبدو أن الرشاش لم يفلح " .

قالت : " آه ، لا أعرف " ، ووضعت مساحيق التجميل بالفرشاة على وجنتها وأردفت : " لقد شعرت ببعض الرطوبة لمدة أسبوع بعد ذلك ، ولكن لم يؤثر تأثيراً كبيراً ، كلا " .

قال : " واستمررت في التسوق كعادتك يا أمي " .

قالت : " إني لم أعد أتسوق على الإطلاق بعد " .

قال : " لقد أنفقت ثلاثة آلاف دولار الأسبوع الماضي " .

قالت : " آه ، لا تقلق . لقد أرجعت الكثير من هذه الأشياء للمتاجر مرة أخرى " . سحبت الوشاح وقالت : " أعتقد ، أن اللون الأخضر لا يتناسب مع بشرتي ، إنه يجعلني أبدو مريضة . ولكن الوشاح القرنفلي قد يكون لطيفاً معي . أتساءل هل لديهم اللون القرنفلي من هذا الوشاح ؟ " .

كان أليس يشاهدها عن قصد ، وبداخله شعور متنام أن هناك شرًا ما سيقع ؛ فهناك شيء ما سيئ بشأن أمه فها هي واقفة أمام نفس المرآة ، في نفس المكان تمامًا الذي كانت تقف فيه منذ أسابيع مضت ، وقد أظهرت لا مبالاة تامة له ، ولرسالته ، ولموقف أسرتها ، أو لموقفها المالي . لقد كان موقفها المالي سيئاً تماماً وغير ملائم لما تفعله .

وكان لدى إليس ـ كمحاسب ـ رعب من الأشخاص الذين يتصرفون بما لا يتناسب مع وضعهم المالي ؛ فالمال شيء حقيقي ، وملموس ، إنه حقائق صلبة وأرقام وأوراق حسابية . وهذه الحقائق والأرقام ليست مجرد مسألة رأي . وهي لا تعتمد على الكيفية التي تنظر بها إليها ، وأمه لم تكن تدرك الحقيقة الواهنة لموقفها المالي .

لقد راقبها تبتسم ، وتسأل فتاة المبيعات إذا كان هناك اللون القرنفلي من الوشاح . قالت فتاة المبيعات : " لا ، إنه لم يصنع منه اللون القرنفلي هذا العام . والألوان المتوفرة منه هي الأخضر

والأبيض " . طلبت أمه أن تجرب الأبيض . ومشت فتاة المبيعات بعيدًا . وابتسمت له أمه .

إنهـا تتـصرف بـشكل غـير ملائـم تمامـاً . تقريبـا كمـا لـو كانت ...

لقد فكـر . قـد يكـون ذلك عتهًا مبكـرًا ، وقـد تكـون تلك العلامة الأولى له .

قالت : " لماذا تنظر إلى بهذه الطريقة ؟ " .

قال : " أي طريقة ، يا أمي ؟ " .

قالت : " أنا لست مجنونة . لن تضعنى فى دار للمسنين " .

قال : " لماذا تقولين ذلك ؟ " .

قالت : " أنا أعرفكم يا أولاد أنكم تريدون المـال . لهـذا أنـتم تبيعون أملاكنا فى فيل وفيرجـين إيلنـدز مـن أجـل المـال . أنـتم جشعون ، جميعكم جشعون . أنـتم مثـل نـسور تنتظـرون مـوت والديكم حتى تنهشوا لحمهم . وإذا لم نمـت ، فـإنكم تتعجلـون ذلـك . وتـضعوننا فـى دار للمـسنين . وتبعـدوننا عـن الطريـق ، معلنين أننا مجانين . هذه هى خطتكم ، أليس كذلك ؟ " .

عادت فتاة المبيعات بوشاح أبيض . لفته أمـه حـول عنقهـا ، وطرحته فوق كتفها بإيماءة متوهجة ، وقالت : " حسنًا ، أيهـا السيد الذكى ، لن تضعنى فى دار للمسنين . أخرج ذلك من رأسك الآن " ، والتفتـت لفتـاة المبيعـات وقالـت : " سـآخذه " وكانـت مازالت مبتسمة .

اجتمع الإخوة فـى هـذا المـساء . كـان جيـف وسـيمًا ، ولديـه معارف فى كل مطعم فى المدينة ، حجز لهم طاولـة بـالقرب مـن شلال فى سوشى هانا . وعلى الرغم مـن أن الوقـت كـان مبكـرًا ، كـان المكـان مزدحمـا . قـال إلـيس بـضيق : " كيـف الأحـوال بالمنزل ؟ " .

قال جيف باستهزاء : " حسنًا . أحيانًا أضطر للعمل حتى وقت متأخر . أنت تعرف ـــ " .

قال : " لا ، لا أعرف . لأني لست موظفًا ببنك استثمارى والفتيات لا يغمزن لى كما يغمزن لك " .

كان أرون ، الأخ الأصغر ، يتحدث فى هاتفه الخلوى . أنهى المكالمة وأغلق الهاتف . وقال : " كفًا عن ذلك ، كلاكما . إنها نفس المناقشة بينكما منذ أن كنتما بالمدرسة الثانوية . ماذا عن أمى ؟ " .

قال إليس : " إنه ما أخبرتك به فى الهاتف . إنه جفول . إنها تبتسم وسعيدة وهى لا تبالى " .

قال : " لقد أنفقت ثلاثة آلاف دولار الأسبوع الماضى " .

" إنها لا تبالى . إنها تشترى وتنفق أكثر من أى وقت سبق " .

قال أرون : " هذا غير متوقع خاصة بعد رشاش الجين ، من أين حصلت عليه ، على أى حال ؟ " .

" من شخص يعمل فى شركة فى كاليفورنيا . شركة بيوجين " .

كان جيف ينظر فوق كتفه ، ثم التفت إلى الطاولة مرة أخرى وقال : " لقد سمعت شيئًا عن شركة بيوجين . لديهم بعض المشاكل " .

قال أرون : " ماذا تعنى ببعض المشاكل ؟ " .

" قد تلوث منتج لديهم ، ومكاسبهم تنخفض . أو ربما فعلوا شيئًا غير متقن ، أعتقد أنهم ارتكبوا خطأً ما . لا أتذكر ؛ فالشركة لديها عرض للاكتتاب العام الأول ، ولكن الشركة فى طريقها للخسارة لا محالة " .

التفت أرون لإليس وقال : " هل تعتقد أن الرشاش الذى أحضرته يؤثر على أمى ؟ " .

قال " لا ، لا أعتقد ذلك . أعتقد أن المادة اللعينة لم تعمل " .

قال أرون : " لكن إذا كان لديهم تلوث . . . " .

" توقف عن لعب دور المحامى يا أرون ، لقد أرسله لنا ابن ، ابن عمة أمى ، كخدمة لنا " .

قال أرون : " ولكن العلاج الجينى خطير ، وقد كانت هناك حالات وفاة من العلاج الجينى من قبل . لقد كان هناك الكثير منها " .

تنهد إليس وقال : " أرون ، نحن لن نقاضى أى شخص . أعتقد أن ما يحدث لأمى هو بداية التدهور العقلى كما تعرفون . ألزهايمر أو شىء من هذا القبيل " .

" ولكنها مازالت فى الثانية والستين فقط " .

قال إليس : " يمكن أن يبدأ التدهور العقلى فى سن مبكرة كهذه " .

هز أرون رأسه نافياً وقال : " دعك من هذا يا إليس . لقد كانت أمى فى تمام الصحة . كانت حادة الذهن والآن تخبرنى أنها تفقد عقلها . قد يكون الرشاش هو السبب فى ذلك " .

ذكرهم جيف قائلا : " إنه بسبب ذلك التلوث " . وكان يبتسم لفتاة .

قال : " جيف ، هل يمكن أن تنتبه هنا ؟ " .

قال جيف : " أنا منتبه . انظر إلى أنوثتها الطاغية " .

" إنه جمال زائف بواسطة عمليات التجميل " .

" أنت فقط تريد أن تفسد أى شىء " .

" من الواضح أنها أجرت عملية تجميل لأنفها " .

" إنى أراها جميلة " .

قال إليس : " إنها مصابة بجنون العظمة " .

" أنت لا تعرف ذلك " .

قال إليس : " أنا أتحدث عن أمى ، إنها تعتقد أننا سنضعها فى دار للمسنين " .

قال أرون : " وربما نفعل ذلك ، وقد يكون مكلفًا جدًا ولكننا إذا فعلنا ذلك سنقول إن السبب هو شركة الأبحاث الجينية تلك . أنت تعرف أن الجمهور لا يتعاطف مع هذه الشركات . لقد أشارت الاستفتاءات إلى أن ٩٢ ٪ من الرأى العام ضدهم . فيُنظر إليهم كمجردين من المبادئ الأخلاقية ، كصناديق من النفاية لا تكترث بحياة الإنسان . إن أصحاب شركات التعديل الجينى ، وتلوث البيئة بالنفايات ، وترخيص براءات الجينات ، يأخذون ميراثنا العام بينما لا أحد يشعر . يبيعون الأدوية بآلاف الدولارات بينما هى فى الواقع لا تتكلف بنسات . يتظاهرون بأنهم يقومون بأبحاث بينما هم فى الحقيقة لا يفعلون ذلك ؛ إنهم فقط يشترون أعمال الأشخاص الآخرين ، ويتظاهرون بأنهم يتكبدون تكاليف أبحاث مرتفعة ، بينما هم فى الواقع ينفقون معظم أموالهم على الدعاية ، ثم يكذبون فى الدعاية . إنهم جبناء ، ونفاية ، وقذرون ، وخاطفو أموال ، ويمكن أن تكون قضية فائزة فوزًا ساحقًا " .

قال إليس : " نحن لا نتحدث عن قضية فى المحكمة ، نحن نتحدث عن أمنا " .

قال جيف : " أبى بخير . دعه يتعامل معها " ، ونهض وترك المنضدة ؛ ليجلس مع ثلاث فتيات .

قال إليس وهو يحك أنفه : " لا يمكن أن تكون هذه الفتيات أكبر من خمسة عشر عامًا " .

قال أرون : " أعتقد أنهن أكبر من ذلك " .

قال : " إن لديه طفلين فى المدرسة ، ولابد أن يكف عن هذه الأفعال الصبيانية " .

قال أرون : " هل يمكن أن ننضم إليهن ؟ " .

" عليك اللعنة ! " .

قال أرون : " حسناً دعنا نلتزم بموضوعنا الرئيسى ، ربما تفقد أمنا عقلها وربما لا ، ولكننا سنحتاج إلى الكثير من المال إذا

كانت ستذهب لدار مسنين " . قال إليس : " إذن ما رأيك ؟ أنا لست واثقاً أننا سنقدر على تكلفته " .

" أريد أن أعرف الكثير عن شركة بيوجين وهذا الرشاش الجيني الذى أرسلوه لنا ، وأكثر من ذلك " .

" يبدو أنك تخطط بالفعل لقضية محكمة " .

قال أرون : " أنا فقط أفكر للمستقبل ".

الفصل ٦٥

لم ينته الأمر ، يا رجل !

جاء " بيللى كليفر " ، فتى الصف السادس الغاضب ، راكبًا لوح التزلج مندفعًا فى الملعب مع هوائى مدرسة قديم إلى منطقة ٣٦٠ الخلفية وكان خلفه مجموعة من الفتيان ، ثم نقر بكعب قدمه على حافة لوح التزلج فصعد بمهارة على المشى الجانبى . فعل ذلك دون خطأ ، وكان ذلك جيدًا ؛ لأنه كان يشعر بأنه قد فقد بعضًا من مهارته اليوم . والأطفال الأربعة خلفه كانوا هادئين ، بدلاً من أن يهتفوا له كالمعتاد ، وقد كانت تلك مسابقة التزلج الكبرى أسفل التل بشارع ماركت فى سان دييجو . لقد كانوا هادئين ، كما لو كانوا قد فقدوا الثقة به .

لقد أهين بيللى كليفر اليوم . لقد جرحت يده مثل أى فتىٍ أحمق ضعيف . لقد أخبر المرضة الغبية أن تضع على يده شريطا طبيًا لاصقًا فقط ، ولكنها أصرت على وضع الرباط الأبيض الكبير . لقد مزقه بمجرد خروجه من المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسى ، ولكنه كان لا يزال يبدو مثل المعوق . كان يبدو مثل العاجز المريض .

لقد أهين بيللى ، وهوٍ فى سن الحادية عشرة . لقد كان طوله ٥ .٩ قدم ووزنه ١٢٠ رطلا ، وكانت له عضلات صلبة بالنسبة

لطفل في سنه ، وكانت رجله أطول من رجل أي شخص آخر في المدرسة ، لقد كان أضخم من معظم مدرسيه ؛ فلم يكن هناك من يجرؤ على أن يعبث معه .

هذا الفتى الضعيف جيمي ، وذلك النمرود ذو الأسنان الحيوانية ، كان يجب على جيمي أن يبقى بعيداً عن طريق بيللي . كان " ماركي ليستر " أثناء لعبهم للبيسبول ، الذى يلعب في خط الدفاع ، يلقى بالكرة إلى بيللي وعندما رجع ليتسلمها تعثر فوق جيمي لاعب خط الدفاع الأيمن وسقط ، سقط آخذاً معه جيمي على الأرض ، ولقد أثار ذلك ضيق بيللي وغضبه وشعر بحرج ، ينبطح هكذا أمام الجميع ، ومن بينهم " ساره هاردى " التى ضحكت على ذلك المشهد هي والآخرون . كان جيمي مازال راقدًا على الأرض ، لذلك أعطاه بيللي زوجًا من الرفسات بحذائه - لا شيء فيِ الواقع ، مجرد تحذير وعندما نهض جيمي صفعه بيللي قليلا ، لا شيء ذو أهمية .

وفجأة لم يشعر بيللي إلا بالفتى القرد وهو يقفز على ظهره ، يجذبه من شعره ويدمدم في أذنه كقرد لعين ، وتحسس بيللي ظهره وجذبه فقام الفتى القرد بعضه ، فشعر بيللي بألم فظيع وكأن النجوم بدأت تدور فوق رأسه !

وبالطبع لم يفعل المراقب السيد سنوتي نوزدريب شيئاً ، تفرقوا ، يا أولاد . واكتفى بالصياح . تفرقوا ، يا أولاد ، ووضعوا الفتى القرد في الحجز ، واتصلوا بأمه لتحضر وتأخذه ، لكن من الواضح أن أمه لم تأخذه للمنزل ، ولم يكن ذلك في صالحه . فها هما الولدان الآن يمشيان بمفردهما عائدين إلى المنزل . أسفل التل ، وبدآ في عبور ملعب البيسبول .

جيمي والفتى القرد وحدهما .

وهكذا لم ينته الأمر .

ضربهما بيللى مـن الجانـب ، وهـو يتحـرك بـسرعة ، وطـار الاثنان مثل القارورات الخشبية للعبة البولينج ، بجانـب مخبأ بجوار الملعب . انزلـق جيمـى علـى ذقنـه فـى الوحـل ، محـدثًا سحابة من التراب البنى ، واصطدم الفتى القـرد بالحـاجز الـذى يقع خلف لوحة النتائج ، وعند أحـد الجوانـب ، وقـف أصـدقاء بيللى يصيحون : *دم ! نريد دمًا !*

كان الفتى الصغير جيمى يئن فى الوحل ، لذلك اتجه بيللـى مباشرة إلى الفتى القرد يهاجمـه بزلاجتـه ، فـانقض عليـه وهـو يحرك لوح التزلج بقوة ، ثم أسقطه وأمسك الفتى القرد اللعين من خلف أذنه الصغيرة الـسوداء ، معتقـداً أن ذلـك سـيلقنه درسـاً . ولكن الفتى القرد تمكن من تحريك قدمه وقفـز فـى الهـواء قفـزة بهلوانية ، ولكنٍ بيللى ضربه ضربة قويـة أسـفل ذقنـه ؛ حيـث رفع جسده قليلاً من على الأرض حتى يتمكن من إصابته ، وتمكن بالفعل من ذلك . ولكن بيللى لم يرغب فى أن يأتى دم الفتى القرد على حذائه ، لذلك فعاد إلى أرجحة المزلاج مـرة أخـرى ، عازمـاً على أن يضربه بالمزلاج بشدة فى وجهه ، فربمـا يكـسر أنفـه أو فمه بهذه الضربة ، ويجعله أقبح مما كان .

لكن الفتى القرد تحرك إلى أحد الجوانب فاصطدم المزلاج فـى السور بشدة وغرس الفتى القرد أسـنانه فـى رسـغ بيللـى وعـضه بشدة ! فصرخ بيللى وأسـقط مزلاجـه ، بينمـا ظـل الفتـى القـرد ممسكاً بذراع بيللى بين أسنانه . شعر بيللى بأن ذراعه يتخدر ، وكان هناك دم يسيل من ذراعه نزولاً إلى ذقن الفتى القرد ، وكان الفتى القرد يزمجر مثل الكلب ، وكانت عيناه جاحظتين بشدة ، محملقاً فى بيللى بينما يعض ذراعه ، وبدا لبيللى أن شعر الفتى القرد قد وقف ، وفى تلك اللحظة فكر بيللى وهو فـى حالـة مـن الذعر *هذا الأسود اللعين سيلتهمنى* .

وفى هذا الوقت جرى أصدقاؤه ، مؤرجحين ألواحهم جميعـاً تجاه القرد ، ضربته الألواح الأربعـة بجانـب رأسـه بينمـا كـان

بيللى يئن والقرد يدمدم ، وبدا أنه قد مر دهر قبل أنٍ يسقط الفتى القرد ذراع بيللى من فمه ، قفز الفتى القرد مسددا ضربة مباشرة نحو صدر ماركى ليستر ، فسقط ليستر ، وأخذ فى مطاردة الفتيان الآخرين بينما كانوا يتدحرجون فى التراب ، وفى هذا الوقت كان بيللى يسعف ذراعه التى تنزفٍ .

بعد لحظات قليلة ، عندما أصبح الألم محتملاً ونظر بيللى لأعلى ، رأى أن الفتى القرد قد تسلق البوابة ذات السلاسلٍ وأصبح على ارتفاع حوالى ١٥ قدمًا فى الهواء فوقهم ، محدقاً إليهم ، بينما يقف أصدقاؤه أسفل يصيحون ويهزون ألواحهم له . لكن لا شىء يحدث . ترنح بيللى ووقف على قدميه وقال : " أنتم تبدون مثل مجموعة من القرود " .

قالوا : " نريده أن ينزل هنا ! " .

قال بيللى : " حسنًا ، إنه لن يفعل ، هو ليس غبيًا ليفعل ذلك ، وهو يعلم أننا سنوسعه ضربًا إذا نزل . على الأقل ، سأفعل أنا ذلك " .

" إذن كيف سنجعله ينزل ؟ " .

شعر بيللى بأنه يمكن أن يفعل أى شىء حقير وأعمى الآن لينزل ذلك القرد ، فذهب مباشرة إلى جيمي وبدأ في ركل الفتى وحاول أن يضربه في رأسه ولكن الفتى أخذ يتدحرج ويصرخ طالبًا المساعدة . إنه مجرد طفل صغير . بعض أصدقائه لم يحبوا ذلك وقالوا له : " دعه وشأنه ، إنه طفل صغير " ولكن كان كل ما يشغل تفكير بيللى *اللعنة أريد هذا القرد أن ينزل إلى هنا* . وهذا سيكفل ذلك ، أخذ الفتى يتدحرج في التراب . وأخذ بيللى ... يضربه... ويضربه والفتى يصرخ طالبًا المساعدة . . .

وفجأة أخذ أصدقاء بيللى يصرخون : " آه ، اللعنة " .

براز ! براز !

وهم يجرون بعيدًا ، وفجأة صفع بيللى شىء ساخن وناعم على ظهره وعنقه ، وشم بيللى تلك الرائحة الغريبة وهو

لا يصدق ، وأخذ يتحسس خلفه و . . . يا إلهى . لا يستطيع أن يصدق !

" براز ! إنه يلقى برازًا ! " .

لقد كان الفتى القرد فى أعلى قد أنزل بنطاله ، وأخذ يلقيهم بمخلفاته وهو لا يخطئ فى إصابتهم . لقد كان الأولاد جميعًا مغطين بالبراز ، ثم أصابت واحدة أخرى وجه بيللى مباشرة وكان فمه نصف مفتوح .

" أوو ك أ أ أ ع " وأخذ يبصق ويبصق ويمسح وجهه ، ويبصق مرة أخرى ، محاولاً أن يبعد الطعم عن فمه . براز قرد! اللعنة ، ورفع بيللى قبضته ويقول : " أيها الحيوان اللعين ! " .

وتلقى بيللى واحدة أخرى على جبهته ، فخطف لوحه وجرى بعيدًا لاحقًا بزملائه . وكانوا يبصقون أيضًا . إنه مقزز . لقد التصق بثيابهم ، ووجوههم . اللعنة . إنهم جميعًا ينظرون إلى بيللى ، وعلى وجوههم نظرة تقول : *انظر ماذا فعلت بنا* . وكان على بيللى فى هذه اللحظة أن يصلح الأمور ويسويها ، وكان بيللى يعرف كيف يقوم بذلك .

قال بيللى : " يارفاق إنه حيوان وهناك شيء واحد للتعامل مع الحيوانات . والدى لديه بندقية وأنا أعرف مكانها " .

قال ماركى : " إن ذلك كلام كبير " .

قال هيرلى : " أنت مليء بالبراز " .

" نعم ، انتظر وسترى . لن يحضر الفتى القرد إلى المدرسة غدًا . انتظر وسترى " .

مشى بيللى مجهدًا للمنزل ، يحمل لوح التزلج الخاص به ، والآخرون يسيرون خلفه متباطئين . وكان يفكر ، *آه اللعنة ، ماذا وعدت أن أفعل الآن ؟*

الفصل ٦٦

بـدأ سـتـان ميلجـرام الرحلــة الطويلـــة لــيرى عمتـــه فـــى كاليفورنيـا ، ولم تمــر ســوى ســاعة واحــدة فقــط مــن رحلتــه بالسيارة ، حتى بدأ جيرارد فى الشكوى .

قال جيرارد وهو واقف علـى الـسارية فـى المقعـد الخلفـى : " إنها نتنة . إنها نتنة للغاية " ، ونظر خـارج النافـذة وقـال : " أى مكان لعين يكون هذا ؟ " .

قال ستان : " إنها كولومبس ، بولاية أوهايو " .

قال جيرارد : " إنها مقززة " .

قال ستان : " تعلم ماذا يقولـون عنهـا ؟ إن كولومبـوس هـى كليفلاند دون بريق " .

لم يقل الطائر شيئًا .

" هل تعلم ما البريق ؟ " .

" نعم . اخرس وقد السيارة " .

كان جيرارد متقلباً وقلقاً ، وقد شعر ستان بأنه ما كان يجـب أن يكون كذلك ، خاصة بعد الطريقة الجيدة التى كان يعامله بها فى الأيام الأخيرة فقد تصفح ستان شـبكة الإنترنـت ليعـرف مـا يأكله الببغاء الرمادى ، وأعطى جيرارد بعض التفاحات الـشهية وخـضراوات خاصـة ، وتـرك التلفـاز مفتوحًـا لـيلاً فـى متجـر

الحيوانات الأليفة ؛ حتى يشاهده جيرارد . وبعد يوم ، توقف جيرارد عن عض أصابع ستان عند محاولة مداعبته . حتى إنه سمح لـ " ستان " أن يضعه على كتفه ، دون أن يعض أذنه .

قال جيرارد : " هل وصلنا تقريبًا ؟ " .

قال ستان : " لقد رحلنا منذ ساعة واحدة فقط " .

قال جيرارد : " كم نبعد ؟ " .

قال ستان : " يجب أن نقود السيارة لمدة ثلاثة أيام ، يا جيرارد " .

قال جيرارد : " ثلاثة أيام . تعنى أربعة وعشرين مضروبة في ثلاث ، ذلك يعنى اثنين وسبعين ساعة " .

عبس وجه ستان ؛ فهو لم يسمع من قبل عن طائر يقوم بالحساب وقال : " أين تعلمت ذلك ؟ " .

قال جيرارد : " أنا رجل ذو مواهب كثيرة " .

ضحك ستان وقال : " أنت لست رجلاً على الإطلاق ، هل كانت هذه العبارة من فيلم ؟ " .

كان الطائر أحيانًا يردد سطورًا من الأفلام ، لقد كان ستان متأكدًا من ذلك .

قال جيرارد في وتيرة واحدة : " ديف ، هذه المحادثة لا يمكن أن تخدم أى غرض بعد الآن . إلى اللقاء " .

قال ستان : " آه ، انتظر إن هذه العبارة من فيلم حرب الكواكب " .

قلد جيرارد صوت امرأة وهو يقول : " اربطوا أحزمة مقاعدكم ، فسوف تكون ليلة كثيرة المطبات " .

عبس وجه ستان وقال : " هذه العبارة من فيلم تدور أحداثه في طائرة . . . " .

قال جيرارد : " إنهم يبحثون عنه هنا ، إنهم يبحثون عنه هناك ، وفرانشايس يبحث عنه في كل مكان ــ " .

قال ستان : " أعرف هذه العبارات إنها ليست من أحد الأفلام ، إن هذا شِعر " .

قال جيرارد بلهجة بريطانية : " أغرقنى ! " .

قال ستان : " أنا أستسلم لا أعرف من أين أتيت بهذه الكلمات " .

قال جيرارد بتنهد محكم : " وأنا أستسلم أيضًا ، كم نبعد ؟ " .

قال ستان : " ثلاثة أيام " .

حدق الببغاء خارج النافذة على المدينة التى يمران بها وقال بلهجة رعاة البقر : " حسنًا ، لقد أنقذتهم نعمة الحضارة " . وبدأ يصدر أصوات رنين آلة البانجو الوترية .

وفى نهاية اليوم بدأ الببغاء يغنى أغانى فرنسية ، أو قد تكون أغانى عربية ، لم يكن ستان متأكدًا ؛ فهى على أى حال لغة أجنبية ما . يبدو أنه قد ذهب إلى حفلة موسيقية حية ، أو على الأقل سمع تسجيلاً لواحدة ؛ لأنه كان يقلد صوت الجماهير ، وصوت الآلات الموسيقية حينما كان يتم ضبطها قبل بدء الحفل والهتافات مع حضور العازفين ، قبل أن يغنى المطرب الأغنية نفسها ، إنها كانت مثل أغنية " ديدى " أو شىء من هذا القبيل .

لقد كان ذلك مسليًا لفترة ، ونوعًا من الاستماع للمذياع من بلد أجنبى ، لكن جيرارد كان ميالاً لتكرار نفسه ، وفى جانب ضيق من الطريق ، اضطروا إلى أن يسيروا خلف سيارة تقودها امرأة . حاول ستان أن يتجاوزها بالسيارة مرة أو مرتين ، لكنه لم يستطع أبدًا .

بعد لحظة بدأ جيرارد يقول بالفرنسية : " السماء جميلة " ، ثم يصدر صوتًا مرتفعًا مثل طلقات الرصاص .

سأل ستان : " هل هذه لغة فرنسية ؟ " .

مزيد من صوت طلقات الرصاص وهو يقول السماء جميلة ، *بانج ! ، السماء جميلة ، بانج ! السماء جميلة ، بانج !*

قال ستان : " جيرارد ... " .

وأخذ الطائر *فى الغناء باللغة الفرنسية وأصدر صوت تمتمة واستمر فى الغناء والصياح ببعض العبارات باللغة الفرنسية .*

وأخيرًا اتجهت قائدة السيارة جهة اليمين ، ولكنها كانت بطيئة في أخذ المنحنى ، واضطر ستان أن يكبح السيارة قليلاً وهو يتجاوزها بسيارته .

استأنف جيرارد الغناء والتمتمة بعبارات باللغة الفرنسية .

قال ستان : *" أنا لا أفهم كلمة واحدة مما تقوله ، يا جيرارد "* .

غنى جيرارد بالفرنسية مرة أخرى وأصدر صوت سارينة مثل *سارينة سيارة الشرطة .*

قال ستان : " هذا يكفى " ، وفتح المذياع . لقد كان الوقت متأخرًا في الظهيرة ، ولقد اجتازا ماريفيل فى اتجاه سانت لويس ، وكان المرور قد بدأ يزدحم .

قال جيرارد : " هل وصلنا تقريبًا ؟ " .

تنهد ستان وقال : " لا تهتم ؛ فإنها ستكون رحلة طويلة " .

الفصل ٦٧

جلست لين على طرف الحوض وبرفق استعملت قماشة لتنظف الجرح الذى خلف أذنه ، قالت لين : " ديف أخبرنى بما حدث " . لقد كانت ترى أن القطع عميق ، لكنه لم يكن يشكو .

كان جيمى فى حالة من الإثارة ، يحرك ذراعيه وقال : " لقد جاءوا وراءنا ، يا أمى " . لقد كان جيمى مغطى بالتراب ولديه خدوش فى بطنه وكتفيه ، ولكن بخلاف ذلك لم يكن مصابًا بشكل سيئ ، قال : " نحن لم نفعل شيئًا . إنهم هؤلاء الفتيان الأشرار بالصف السادس ! " .

قالت : " جيمى ، دع ديف يخبرنى كيف أصيب بهذا القطع ؟ " .

قال جيمى : " لقد ضربه بيللى بلوح التزلج ، ونحن لم نفعل أى شىء ! " .

قالت وهى ترفع حاجبًا : " أحقاً لم تفعلا أى شىء ؟ تقصد أن هذا حدث دون سبب على الإطلاق ؟ " .

قال جيمى : " نعم ، يا أمى ، أقسم على ذلك ! لقد كنا نمشى فى طريقنا للمنزل ! وقد جاءوا وراءنا ! " .

قالت لين فى هدوء : " لقد اتصلت السيدة ليستر ؛ حيث عاد ابنها إلى المنزل مغطى بالغائط " .

قال جيمى : " لا ، لقد كان برازًا " .

" وكيف حدث ـــ " .

" ألقاه ديف عليهم ! لقد كان عظيمًا ! لقد كانوا يضربوننا وبدأ يلقيه عليهم فجروا بعيداً عنا ! لم يخطئ أبداً في التصويب ! " .

بدأت لين تنظف الجرح برفق وقالت : " هل هذا حقيقى يا ديف ؟ " .

قال : " لقد آذوا جيمى . ضربوه وركلوه " .

" لذلك ألقيت . . .البراز عليهم ؟ " .

قال مرة أخرى : " لقد آذوا جيمى كما لو أن هذه العبارة تكفى لتفسير كل شيء " .

قال هنرى عندما حضر إلى المنزل متأخرًا : " لا تمزحى هل ألقى عليهم برازًا حقاً ؟ هذا سلوك شمبانزى تقليدى " .

قالت لين : " ربما ، لكنها مشكلة ، إنهم يقولون إنه لا يستطيع التركيز فى الفصل ، ودخل فى شجار فى الملعب . وقام بعض أولاد آخرين . . . والآن يلقى برازًا . . . " هزت رأسها فى أسف ثم قالت : " أنا لا أعرف كيف أكون والدة شمبانزى " .

" إنه نصف شمبانزى " .

قالت : " ولا حتى ربع شمبانزى ، يا هنرى . لا أستطيع أن أجعله يفهم أنه لا يمكنه التصرف بهذه الطريقة " .

قال هنرى : " ولكنهم هم من بدأوا فى مضايقته ، أليس كذلك ؟ وهؤلاء الفتيان الكبار ، ألم يكونوا من طلاب الصف السادس ؟ ألم يكونوا من راكبى ألواح التزلج ؛ إن هؤلاء الفتيان فاسدون ، إنهم دائمو التردد على المدرسة الإصلاحية . ولماذا يقدم فتيان فى الصف السادس على مضايقة صغار فى الصف الثانى على أية حال ؟ " .

" إن جيمى يقول إن الأولاد يسخرون من ديف ويسمونه الفتى القرد " .

" هل تعتقدين أن ديف هو من أثار هذا القتال وتسبب فيه ؟ " .

" لا أعرف . أعتقد أنه عدوانى " .

" لقد حدث ذلك فى الملعب . أراهن أن هناك كاميرا أمن هناك " .

قالت : " هنرى ، أنت لا تفهم ما أقوله لك " .

" نعم ، أنا أفهم ؛ فأنت تعتقدين أن ديف قد بدأ ذلك ، بينما أشعر أنا بأن هناك فتى غبيًا متنمرًا " .

وذلك عندما سمعا صوت إطلاق رصاص فى الفناء الخلفى !

الفصل ٦٨

كان المرور يتحرك ببطء . وكـان الطريـق الـسريع ٤٠٥ أشـبه بنهر من الإشارات الحمراء في الليل . تنهـدت ألـيكس بيرنـت وهى تجلس بجانب ابنها جيمى الذى قال : " كم نبعد ؟ " .

قالت : " إن الرحلة ستستغرق فترة ، يا جيمى " .

قال : " أنا متعب " .

" حاول أنت تستلقى فى المقعد الخلفى وترتاح " .

" لا أستطيع ، إنه شيء ممل " .

قالت مرة أخرى : " إن الرحلة ستـستغرق فـترة ، وفتحـت هاتفهـا الخلـوى الجديـد ، وقـد وجـدت رقـم صـديقة طفولتهـا القديمة الذى قامت بحفظه على الهاتف . لم تكن تعرف شخـصًا آخر تتصل به . لقد كانت لين دائمًا موجودة مـن أجلـها . عنـدما انفصلت أليكس عن زوجها ، ذهبت هى وطفلها لرؤيـة صـديقتها لين وزوجهـا هنـرى . وأخـذ الـصبيان الـصغيران يلعبـان معـاً ، وكلاهما يدعى جيمى .

وبقيت أليكس هناك أسبوعًا .

ولكنها الآن ، كانت تجد مشكلة فى الاتصال بهـاتف لـين . فى البداية ، كانت قلقة مـن أن يكـون الـرقم غـير صـحيح ، ثـم فكـرت فــى احتماليــة وجــود مــشكلة فــى الهــاتف الخلــوى

الـرخيص ، ثـم رد عليهـا جهـاز الـرد الآلى ، ولكـن الآن وبعـد محاولة أخرى جاءها الصوت يقول :

" ألو ؟ ألو ، من المتحدث ؟ " .

" لين ، أنا أليكس . اسمعى أنا ـ "

" آه ، أليكس ! أنا آسفة حقاً ، لا أستطيع أن أتحـدث إليـك الآن ـ " .

" ماذا ؟ " .

" ليس الآن . أنا آسفة . سنتحدث فيما بعد " .

" ولكن ما ـ " .

سمعت أليكس صوت الحرارة .

كانت لين قد أغلقت الهاتف بالفعل .

حـدقت إلى الإشـارات الحمـراء علـى الطريـق الـسريع الـذى يزحف ببطء .

سأل ابنـها : " من هذه ؟ " .

قالت : " إنـها العمة لين ، لكنها لم تـستطع التحـدث . لقـد بدت مشغولة " .

" إذن ما زلنا سنذهب إلى هناك ؟ " .

" ربما غدًا " .

توقفت على جانب الطريق السريع عند كليمنت وبدأت تبحـث عن نزل صغير . ولسبب ما ، كانت مرتبكة بشكل غريب لحقيقة أنها قد لا تتمكن من رؤية لين . لم تدرك أنـها قد اعتمدت عليها اعتماداً تاماً .

قال جيمى فى قلق : " أين سنذهب ، يا أمى ؟ " .

قالت : " سننزل فى نزل " .

" أى نزل ؟ " .

" أنا ما زلت أبحث " .

حدق جيمى إليها وقال : " هل تعرفين أين يكون ؟ " .

قالت : " لا يا جيمى أنا ما زلت أبحث " .

مرت على أحد النزل يدعى " هوليداي إن " ، ولكنه كان ضخمًا جداً ، ويبدو مكشوفا ، ووجدت نزلاً آخر يسمى بست ويسترن فى طريق كامينو ريل وكان نزلاً متواضعاً ، وتوقفت أمامه بالسيارة ، وأخبرت جيمى بأن يظل فى السيارة بينما توجهت إلى البهو .

وقف فتى مترف خلف طاولة الاستقبال . كان ينقر بأصابعه على سطح الجرانيت المصقول ، يدندن قليلاً لنفسه . كان يبدو قلقا . قالت أليكس : " مرحبًا ، هل لديك غرفة لليلة ؟ " .

قال : " نعم ، يا سيدتى " .

قالت : " أريد غرفة " .

قال : " لك فقط ؟ " .

قالت : " لا ، لى ولابنى " .

نظر خارج الباب إلى جيمى وقال : " إنه أقل من اثنى عشر عامًا ؟ " ، وكان مازال يطقطق أظافره .

قالت : " نعم ، لماذا ؟ " .

" إذا ذهب إلى حمام السباحة يجب أن ترافقيه " .

" هذا رائع " .

كان ما زال ينقر على الطاولة . أعطته بطاقة ائتمانها ومررها بالجهاز ، بينما أخذ ينقر على الطاولة بيده الأخرى ويدندن . وقد أثار ذلك أعصابها . قالت : " هل يمكن أن أسألك لماذا تفعل هذا ؟ " .

بدأ يغنى فى رتابة ويقول : " إن المتاعب هى حيث أذهب ، والمتاعب هى حيث أتيت ؛ لأن المتاعب هى جزء منى ، والمتاعب هى خطيئتى " وابتسم ثم قال : " هذه أغنية " .

قالت : " هذا غير طبيعى للغاية "

قال : " لقد اعتاد أبى أن يغنى هذه الأغنية " .

قالت : " أدرك ذلك " .

قال : " إنه ميت الآن " .

قالت : " أتفهم ذلك " .

قال : " لقد قتل نفسه " .

قالت : " أنا آسفة أن أسمع ذلك " .

قال : " برصاصة من مسدس " .

قالت " أنا آسفة " .

قال " هل تريدين أن ترينها ؟ " .

طرفت بعينها ثم قالت : " ربما فى وقت آخر " .

قال : " أنا أحتفظ بها هنا ، وأشار لأسفلٍ المنضدة ، إنها غير محشوة ، بالطبع " واستمر ينقر ويغنى قائلا : " إن المتاعب هى المكان الوحيد الذى أذهب إليه ... " .

قالت أليكس : " سأوقع فقط " . أعطاها البطاقة ، وملأت النموذج . وكان مازال ينقر ويدندن ، طول الوقت . فكرت فى الذهاب لمكان آخر ، ولكنها كانت متعبة ، وكان جيمي ينتظر . يجب أن تطعمه ، وتشترى له ملابس جديدة ، وفرشة أسنان ، وكل ذلك .

أعطاها الفتى مفاتيح الحجرة وقال : " يمكن أن تذهبى " .

وما إن عادت لسيارتها ، وقادت السيارة إلى مرآب السيارات بالقرب من الغرفة ؛ حتى تذكرت أنها ما كان ينبغى عليها أن تستعمل بطاقة ائتمانها .

ولكن *قد فات الأوان على ذلك الآن* .

قال جيمي : " أنا جوعان ، يا أمي " .

قالت : " أعرف ، يا حبيبى . سنحضر شيئاً لتأكله " .

قال : " أنا أريد برجر " .

قالت : " حسنًا ، يمكن أن نحضر ذلك " .

قادت السيارة خلال مرآب السيارات ومنه إلى الشارع ؛ فمن الأفضل أن تطعمه قبل أن يذهبا إلى الغرفة .

الفصل ٦٩

سمعت لين صوتاً آخر لطلقتين بينما كانت تجرى نحو الفناء الخلفى . كانت ابنتها تريسى تصرخ ، وديف فى أعلى الشجرة يصيح ويهز الأفرع ، وجيمى منبطح على الأرض والدم يسيل من رأسه . شعرت لين بغثيان ، وتقدمت للأمام بينما كانت تريسى تصرخ : " ابقى منخفضة يا أمى ! " .

لقد بدا أن الطلقات تأتى من الشارع . شخص ما يقوم بإطلاق النار من خلال سورهم ذى الشرائح الخشبية . وكان هناك صوت سارينة من على بعد . لم تستطع لين أن ترفع عينيها من على جيمى ، وبدأت تتحرك نحوه .

صدر مزيد من الطلقات النارية ، وكان هناك أيضاً صوت تمزق الأوراق على الشجرة . لقد كانوا يطلقون الرصاص على ديف . وكان ديف يصيح ويدمدم ويهز الأفرع فى غضب . كان يصيح : " أنت ميت ! أنت ميت أيها الولد ! " .

صاحت لين : " اهدأ يا ديف " . وبدأت تزحف نحو جيمى . كانت تريسى تصيح فى الهاتف الخلوى ، تعطى العنوان للنجدة . كان جيمى يئن على العشب . لقد كان جيمى هو كل ما تراه لين . كانت تأمل أن يكون هنرى قد خرج من الباب

الخارجي ليرى من يفعل ذلك وألا يصاب بأذى . لقد كان من الواضح أن شخصًا ما يحاول أن يصيب ديف .

أصبح صوت السارينة أعلى ، وسمعت صياحاً وخطوات جرى في الشارع ، ووقفت بعض السيارات ، وكانت الأضواء الساطعة تومض من خلال الشرائح الخشبية للسور ، تلقى بخطوط من الظلال .

وأعلى الشجرة ، أطلق ديف صيحة حرب وذهب . كانت تريسى تصرخ ، بينما وصلت لين لجيمي وكان الدم غزيراً حول رأسه .

قالت : " جيمى ، جيمى . . . " .

جثت لين على ركبتيها ، وحركته برفق . كان لديه جرح غائر في جبهته ، ودم أحمر يتدفق من أحد جانبى وجهه .

ابتسم بضعف وقال : " مرحبًا ، يا أمى " .

" جيمى أين أصبت ؟ " .

" لم . . . " .

" أين ، يا جيمى ؟ " .

" لقد سقطت من فوق الشجرة " .

لقد كانت ممسكة بطرف تنورتها ، تمسح الجرح بحذر ، ولم تر أى أثر لرصاصة ، كل ما كان في رأسه مجرد سحجة ، تنزف بغزارة .

" حبيبى ، أنت لم تصب بطلق نارى ؟ " .

هزّ رأسه وقال : " لا ، يا أمى لم أكن أنا المقصود على أى حال . لقد كان يسعى وراء ديف " .

" من كان هذا ؟ " .

" إنه بيللى " .

نظرت لين لأعلى الشجرة . كانت الأفرع تتمايل فى ضوء المصابيح الأمامية .

وكان ديف قد اختفى !

قفزة ديف الأولى هبطت به إلى المشى الجانبى ، وبدأ يعدو خلف بيللى كليفر الهارب ، الذى كان يتجه نحو الشارع ، مسرعاً نحو منزله . كان ديف يستطيع أن يتحرك بسرعة إذا أراد ذلك من خلال الوثب على أطرافه الأربعة . جرى ديف فى موازاة المشى الجانبى ، مستمراً فى الجرى على العشب حيث كانت الخرسانة تؤلم مفاصل أصابعه وكان ديف يتمتم باستمرار ، كلما اقترب من بيللى .

عند نهاية المبنى ، التفت بيللى ورأى ديف يتجه نحوه بسرعة . أمسك البندقية فى يديه المرتجفتين وأطلق رصاصة نحو ديف ثم أطلق رصاصة أخرى ، واستمر ديف فى التقدم . وعلى طول الشارع كان الناس ينظرون من النوافذ ، وكل النوافذ يخرج منها وهج أزرق من ضوء أجهزة التلفاز فى الداخل .

التفت بيللى لكى يجرى ، لكن ديف أمسكه وضرب رأسه فى عمود الإشارات ، وكانت ضربة شديدة . حاول بيللى أن يجرى ، لكنه كان مرعوبًا . أمسكه ديف بشدة وضرب رأسه فى الأرضية وكان سيقتله بالتأكيد ، لولا أن صوت اقتراب السارينة جعله يتوقف ويبحث عن مصدر الصوت .

وفى هذه اللحظة ، قام بيللى بركل ديف ووقف على قدميه وجرى إلى مدخل أقرب منزل ، وقفز داخل سيارة واقفة فى الممر . طارده ديف . دفع بيللى باب السيارة بقوة وأغلقه بينما كان ديف يهبط على زجاج السيارة ، وانزلق على سطح غطاء محرك السيارة ناظرًا للداخل .

صوب بيللى بندقيته ولكنه كان يرتعد وخائفًا أن يطلق النار . سقط ديف إلى الجانب المجاور للسائق وأخذ يجذب المقبض بعنف مرة تلو الأخرى محاولاً فتح الباب ، وكان بيللى يلهث لكى يتنفس ، وهو ينظر إليه .

ثم سقط ديف لأسفل مرة أخرى بعيدًا عن النظر .

بينما اقترب صوت السارينة أكثر .

أدرك بيللى ورطته ببطء ؛ فالشرطة قادمة ، وهو محبوس فى السيارة مع بندقية فى يده ، ودمه وبصمات أصابعه تلوثها جميعًا . لقد ترك البارود علامات على يده ، وكذلك كان هناك قطع فى أصابعه ؛ حيث أصاب نفسه ، لأنه فى واقع الأمر ، لم يكن يجيد التصويب . لقد أراد أن يخيفهم ، هذا هو كل شىء .

ستجده الشرطة هنا محبوسًا فى هذه السيارة .

حدق بحذر من نافذة الراكب المجاور للسائق ، محاولاً أن يرى ديف .

قفز ديف الأسود وهو يصرخ صرخة عالية وارتطم بالنافذة . صرخ بيللى ، وقفز للخلف من الهلع ، وانطلقت البندقية لتصيب لوحة أجهزة السيارة ، وتطايرت الشظايا البلاستيكية تقطع فى ذراعه ، وتملأ السيارة بالدخان . لقد أسقط بيللى البندقية على الأرض ، وانحنى للخلف فى المقعد من شدة الفزع ، وكان يلهث لكى يتنفس .

اقترب صوت السارينة .

قد يجدونه هنا ، ولكنه فى إمكانه أن يبرر الموقف كدفاع عن النفس . إن هذا سيكون واضحًا . إن الفتى القرد حيوان شرير . ستلقى الشرطة نظرة واحدة عليه وتدرك أن أى شىء قد فعله بيللى كان دفاعًا عن النفس . كان يجب أن يحمى نفسه . لقد كان الفتى القرد شريرًا . هو يبدو مثل قرد ويتصرف مثل قرد . إنه قاتل ، ومكانه الطبيعى يجب أن يكون خلف القضبان فى حديقة حيوان . . .

كانت الأضواء الحمراء تتحرك فوق السيارة . توقفت السارينة . سمع بيللى صوت مكبر صوت : " هذه الشرطة . اخرج من السيارة الآن . ببطء جدًا وضع يديك فى مكان بحيث يمكن أن نراها ؟ " .

صاح بيللى : " لا أستطيع ! إنه فى الخارج هنا ! " .

دوى الصوت : " اخرج من السيارة الآن وارفع يديك لأعلى " .

انتظر بيللى لحظة ، ثم خرج رافعًا يديه لأعلى ، وعينه نصف مفتوحة فى الكشاف الساطع لسيارات الشرطة . جاء شرطي ودفعه على الأرض ، ووضع القيود فى يديه .

قال بيللى ووجهه مرفوع نحو العشب : " لم يكن ذلك خطئى إنه الفتى ديف . إنه أسفل السيارة " .

قال الشرطي وهو يرفعه ليقف على قدميه : " لا يوجد أحد تحت السيارة ، يا بنى . لا يوجد هنا سواك ، ليس هناك شخص آخر . والآن ستخبرنى فيم كان كل ذلك ؟ " .

جاء والد بيللى ، وعرف بيللى أن والده سيلقنه درساً ويبرحه ضرباً عقاباً على ما فعل ، لكن الأب لم يبد أى إشارة تدل على ذلك ، وطلب أن يرى البندقية ، وسأل بيللى أين صوب الطلقات ؟ قال بيللى إنه كان يطلق النار على فتى شرير كان يهاجمه .

اكتفى والد بيللى بالإيماء ، وكان وجهه لطيفاً . لكنه قال إنه سيلحق بالشرطة فى المخفر ، عندما أخذوا بيللى هناك ليحققوا معه .

قال هنرى : " *أعتقد أننا* يجب أن نعترف ، إن ذلك لن يفلح " .

قالت لين وهى تمرر أصابعها خلال شعر ديف : " ماذا تقصد ؟ هذه ليست غلطة ديف ، لقد قلت ذلك بنفسك " .

قال : " أعرف . لكن يبدو أن وجوده سوف يسبب متاعب طوال الوقت : عضًا ، ومشاجرة . . . والآن إطلاق رصاص ، يا إلهى إنه يعرضنا جميعًا للخطر " .

" ولكن أليس هذا خطأك ، من البداية يا هنرى ؟ " .

" أنا قلق بشأن ما سيحدث بعد ذلك " .

قالت منفجرة فى غضب مفاجئ : " كان يجب أن تفكر فى ذلك مسبقاً . منذ أربع سنوات مضت ، عندما قررت أن تقوم بتجربتك ؛ لأن الوقت الآن متأخر على الندم ، ألا تعتقد ذلك ؟ إنه مسئوليتنا ، وسيبقى معنا " .

" ولكن ـ " .

" نحن أسرته " .

" لقد كانوا يطلقون النار على جيمى " .

" إن جيمى بخير " .

" *لكن إطلاق النار . . .* " .

" إنه ولد مجنون بالصف السادس ، وقد أخذته الشرطة " .

" لين ، أنت لا تصغين " .

حدقت إليه وقالت : " ماذا تعتقد أنك فاعل ، هل تعتقد أنه فى إمكانك التخلص من ديف بهدوء وكأنه مجرد تجربة لم تنجح ؟ لا يمكنك أن تلقى ديف فى النفاية البيولوجية . أنت الذى لا تصغى يا هنرى . إن ديف كائن حى ، كائن يفكر وله مشاعر ، وأنت سبب وجوده على الأرض . ليس لك الحق أن تتخلى عنه لمجرد أنه مختلف أو يواجه متاعب فى المدرسة " . توقفت لتلتقط نفسها فلقد كانت غاضبة وقالت : " على أى حال ، أنا لن أتخلى عنه ، ولا أريد التحدث فى هذا الشأن بعد ذلك " .

" ولكن ـ " .

" ليس الآن ، يا هنرى " .

لقد عرف هنرى معنى هذه النبرة . هزّ كتفيه ومشى .

قال ديف وهو يحنى رأسه ، بينما تمرر لين يدها خلال شعره : " شكراً لك ، شكراً لك يا أمى " .

الفصل ٧٠

أخذت أليكس ابنها إلى مطعم " إين أن أوت " الذى يقدم الخدمة فى السيارات وطلبا برجر ، وبطاطس محمرة ، ومخفوق الفراولة ، وقد حل الظلام الآن فى الخارج ، وفكرت فى الاتصال بلين مرة أخرى ، ولكن بدا على لين الضيق والتعجل ، فقررت أليكس ألا تفعل .

دفعت ثمن البرجر نقدًا ، وقادت سيارتها لمتجر واطسون الضخم ، وهو أحد الأماكن الضخمة التى يمكن أن تجد بها كل شىء . اشترت لجيمى بعض الملابس الداخلية وملابس ليغيرها ؛ وفعلت نفس الشىء بالنسبة لها ، واشترت فرشتين للأسنان ومعجون أسنان .

كانت تتجه إلى المكان المخصص للدفع من أجل الانصراف وذلك عندما رأت بنادق وأسلحة للبيع ، موضوعة بعد مكان عرض الكاميرات والساعات . ذهبت لتلقى نظرة . عبر سنوات حياتها كانت أليكس ترافق والدها إلى أماكن الرماية ، لذلك كانت تعرف كيف تتعامل مع البندقية . أخبرت جيمى أن يذهب لينظر فى قسم اللعب وذهبت إلى حامل الأسلحة .

قال رجل بشارب : " هل يمكن أن أساعدك ؟ " .

قالت : " أريد أن أرى البندقية الموسبيرج المزدوجة " . وأشارت إلى الحائط .

قال : " لدينا موديل ٥٩٠ ، عيار ١٢ ، مناسب للدفاع عن المنزل . ونقدم سعرًا خاصًا لهذا الأسبوع فقط " .

رفعت البندقية وقالت : " حسنًا سآخذها " .

قال : " سأحتاج لبطاقة هوية ومقدمًا لأحجزها لك " .

قالت : " لا ، أقصد سأشتريها الآن " .

قال : " آسف يا سيدتى ، إن مدة الانتظار حتى يتم تسليمك السلاح هنا عشرة أيام فى ولاية كاليفورنيا " .

أعطته البندقية وقالت : " سأفكر فى الأمر " .

وعادت لجيمى ، واشترت له لعبة الرجل العنكبوت التى كان يلعب بها ، ومشت إلى موقف انتظار السيارات .

كان هناك رجل يقف خلف سيارتها ، ينحنى على رقم اللوحة ويكتب الرقم . لقد كان رجلاً كبيرًا يرتدى زيًا مثل زى حراس الأمن بالمتجر .

فكرت : *أجرى وأهرب الآن* .

لكن ذلك لم يكن له معنى ؛ إنها فى حاجة لسيارة . إنه وقت التفكير بشكل أسرع . لقد طلبت من جيمى أن يدخل السيارة ، ومشت إلى الخلف وقالت : " هل تعرف أنه كاذب لعين ؟ " .

قال الحارس : " من هو ؟ " .

" زوجى السابق يتظاهر بأن السيارة سيارته ، لكنها ليست كذلك . إنه فقط يتحرش بى . لدى أمر من المحكمة بمنعه . ولقد حصلت على حكم كبير ضد حارس الأمن فى وال - مارت " .

قال : " كيف ذلك ؟ " .

قالت : " لا تتظاهر بالغباء . أعرف أنك تلقيت مكالمة منه ، إنه يتظاهر بأنه محامٍ ، ويتظاهر بأنه جامع غرامات أو

موظف بالمحكمة ، ويريد أن يتأكد من أن سيارتى موجودة بالمكان ، ويقول إنه أمر قضائى معلق " .

" حسنًا ، نعم " .

" إنه يكذب ، وأنت مسئول الآن . هل أخبرك بأنى محامية ؟ " .

" لا ، إنه فقط ــــ " .

" حسنًا ، أنا محامية . وأنت تساعده فى مخالفة أمر المحكمة بعدم التعرض لى وذلك يجعلك مسئولاً عن الأضرار . إنها مسألة اقتحام خصوصية وتحرش " . وأخذت نوتة من حقيبتها ثم قالت : " الآن اسمك هو . . . " ونظرت إلى بطاقة الاسم ، وبدأت تكتب .

" أنا لا أريد أى متاعب يا سيدتى ـ " .

قالت : " إذن أعطنى الورقة التى كتبت فيها رقم ترخيص لوحاتى ، وابتعد عن الأمر " وعندما يتصل زوجى مرة ثانية ، تأكد من أن تخبره بأنك لم ترنى أبدًا ، وإلا سأراك فى المحكمة ، وأعدك ، أنك وهو ستكونان من المحظوظين إذا اقتصر الأمر على فقد وظيفتيكما فقط " .

أومأ وأعطاها الورقة وكانت يداه ترتجفان . دخلت السيارة وتحركت .

غادرت مرآب السيارات ، وفكرت فى أن ذلك قد يفلح ، *أو ربما لا يفلح* . لقد كانت مذهولة فى المقام الأول من السرعة التى حدد فيها صائد المكافآت مكانها .

لابد أنه قد اتبع سيارتها الخاصة تتجه شمالاً منذ ساعتين ، وأدرك أنها قد غيرت سيارتها مع مساعدتها . هو وجماعته يعرفون اسم مساعدتها ، وكذلك لديهم سجل سيارتها . إذن هم يعرفون الآن نوع السيارة التى تقودها أليكس .

ثم إن أليكس قد استعملت بطاقتها الائتمانية ، وخلال دقائق عرف صائد المكافآت مكانها في نزل بسان جوان كابيسترانو . وأدركت أنها ستحتاج إلى إمدادات ؛ فقد يكون صائد المكافآت قد اتصل بكل المتاجر المجاورة في حدود خمسة أميال من النزل واختلق قصة لرجال الأمن في كل متجر ليبحثوا عن التويوتا البيضاء بلوحات رقم كذا وكذا .

وقد وجدها ذلك الرجل .

وبسرعة .

وإذا لم تكن مخطئة فيٍ تخمينها ، فإن صائد المكافآت في طريقه إلى كابيسترانو حالا . إذا كان يقود سيارة فإنه سيحضر في خلال ثلاث ساعات ، أما إذا كان لديه إمكانية الوصول لطائرة هليوكوبتر فإنه قد يكون هناك بالفعل .

بالفعل .

" أمي ، هل يمكن أن أشاهد التلفاز عندما نذهب إلى النزل ؟ " .

" بالتأكيد ، يا حبيبي " .

لكن بالطبع لم يكونوا عائدين إلى النزل .

أوقفت السيارة قرب أحد الجوانب من النزل ؛ بحيث كان في إمكانها من موقعها ذلك رؤية ردهة النزل وفتى الاستقبال في الداخل . لقد كان يتحدث في الهاتف ، وينظر حوله كما كان يفعل .

أخذت هاتفها الخلوي واتصلت بالنزل .

وضع الفتى الخط الآخر على الانتظار وأجاب .

" بيست ويسترن " .

" نعم ، أنا السيدة كولسون . لقد نزلت عندكم مبكرًا " .

" نعم ، يا سيِدة كولسون " .

لقد بدا منتبها . ونظر حوله في كل الاتجاهات الآن باهتياج .

" لقد أنزلتنى فى غرفة رقم ٢٠٤ " .

" نعم ... " .

" أعتقد أن هناك شخصًا ما فى غرفتى " .

" سيدة كولسون ، لا أتخيل ـ " .

" أريدك أن تحضر هنا وأن تفتح الغرفة لى " .

" إذا كان هناك أحد ، ربما الخادمة ـ " .

" أعتقد أنه رجل " .

" آه ، لا ، لا يمكن ـ " .

" تعال إلى هنا وافتح الباب ، أو سأضطر إلى أن أبلغ الشرطة " .

" لا ، أنا متأكد . . . سأحضر حالاً " .

" شكرًا " .

لقد تحول إلى الهاتف الآخر ، وتحدث بسرعة ، ثم ترك الردهة ، وجرى نحو الغرف فى الخلف .

خرجت أليكس من سيارتها وجرت عبر الشارع إلى الردهة . وقد تحركت بسرعة ، ووقفت خلف الطاولة ، والتقطت البندقية ، وخرجت مرة أخرى . لقد كانت بندقية رمينجتون عيار ١٢ قصيرة ، لكنها ستفى بالغرض الآن . سوف تحصل على طلقات لاحقاً .

دخلت السيارة . قال جيمى : " لماذا أخذت هذه البندقية ؟ " .

قالت : " فقط للاحتياط " . قادت السيارة متجهة إلى كامينو ريل ، وفى المرآة الخلفية رأت الفتى يعود إلى الردهة ، ويبدو مرتبكاً .

قال جيمى : " أريد أن أشاهد التلفاز " .

قالت : " ليس الليلة . الليلة لدينا مغامرة " .

" ما نوع المغامرة ؟ " .

" سترى " .

قادت السيارة فى اتجاه الشرق ، مبتعدة عن الأضواء ، وداخل ظلام الجبال .

الفصل ٧١

كان ستانٍ ميلجرام ضائعًا وسط ظلام لا ينتهي ؛ فالطريق أمامه كان خطًا من الضوء ، ولكن على كل جانب لم يستطع أن يرى أى علامة من علامات الحياة على الإطلاق ، لا شيء غير المنظر الطبيعي للصحراء الداكنة تمتد لمسافة بعيدة . وفي اتجاه الشمال كان يمكنه أن يستبين فقط سلسلة من الجبال ، خطاً باهتاً من السواد مقابل السواد . لكن لا شيء آخر ـ لا أضواء ، لا مدن ، لا منازل ، لا شيء .

لقد كان الحال كذلك منذ ساعة .

أين هو بحق السماء ؟

من المقعد الخلفي ، أصدر الطائر صرخة حادة . قفز ستان في مقعده ؛ لقد جعل الصوت طبلة أذنه تؤلمه . وقد فكر ، إذا كنت تخطط للسفر بالسيارة للغرب ، لا تأخذ معك طائرًا ملعونًا فى الطريق السريع ؛ فإن ذلك هو أفضل شيء . لقد وضع غطاء على القفص منذ ساعات مضت ، لكن الغطاء لم يخرس الطائر بعد . من سانت لويس جنوبًا إلى ميسورى وإلى جالوب ، نيو ميكسيكو . لم يصمت الطائر طوال الطريق . نزل ستان فى نزل " جالوب " ، وفى حوالى منتصف الليل بدأ الطائر يصرخ ، صرخات تثقب الأذن .

لم يكن لديه شيء يفعله غير أن يغادر النزل ـ حيث صاح في وجهه كل ضيوف النزل ـ وبدأ يقود السيارة مرة أخرى . وسكت الطائر لفترة بمجرد أن بدأ فى قيادة السيارة . لكنه أوقف السيارة لساعات قليلة أثناء النهار لينام ، ولكن عندما توقف لاحقاً في فلاجستاف ، بولاية أريزونا ، بدأ الطائر يصرخ مرة أخرى ، قبل حتى أن ينزل في أحد النزل .

لقد استمر فى القيادة من وينونا ، إلى كينجمان ، إلى بارستاو ، متجهًا إلى سان بيرناردينو ـ كانت عمته تسميها سان بيردو ـ وكل ما كان يفكر فيه أن تنتهى هذه الرحلة بسرعة . أرجو يا إلهى أن تنتهى قبل أن أقتل هذا الطائر .

لكن ستان كان مجهدًا بعد قيادة ألفى ميل ، أصبح بشكل غريب فاقد الحس بالاتجاهات لدرجة أنه لم ير المنعطف المؤدى إلى سان بيردو . . . أو لم يكن متأكدًا .

لقد كان ضائعًا .

وكان الطائر مازال يصرخ : " إنك تتصبب عرقًا ، وجسمك يرتجف ، إن كل ما تحتاج إليه هو قبلة . . . " .

أوقف السيارة جانبًا . ونزل منها وفتح الباب المجاور للمقعد الخلفى ، ورفع الغطاء وقال : " جيرارد لماذا تفعل ذلك ؟ " .

تجاهله جيرارد واستمر : " لا تستطيع أن تنام ، لا تستطيع أن تأكل ـ " .

" جيرارد ، توقف عن ذلك . لماذا تفعل ذلك ؟ " .

" أنا خائف " .

" لماذا ؟ " .

فتح الطائر عينيه نصف فتحة ونظر إلى الظلام فى الخارج وقال : " نحن بعيدان عن المنزل ، أى جحيم جديد يكون هذا ؟ " .

" هذه هى الصحراء " .

" إنها متجمدة " .

" الصحراء باردة فى الليل " .

" لماذا نحن هنا ؟ " .

حدق ستان إلى الطائر وقال : " أنا آخذك إلى بيتك الجديد . إذا تركت الغطاء مرفوعًا ، هل ستبقى هادئًا ؟ .

" نعم " .

" لا حديث على الإطلاق ؟ " .

" نعم " .

" هل تعد بذلك ؟ " .

" نعم " .

" حسنًا ، أريد الهدوء حتى أعرف أين نحن " .

أخذ جيرارد فى الغناء : " أنا لا أعرف لماذا ، أحبك مثلما أفعل ، بعد كل التغييرات ـ " .

" حاول أن تساعدنى ، يا جيرارد من فضلك . " عاد ستان لمقعد السائق وبدأ يقود السيارة فى الطريق . كان الطائر هادئًا ، ومرت الأميال ورأى ستان لافتة لعلامة مدينة مكتوباً عليها " إيرب " ، على بعد ثلاثة أميال للأمام .

قال جيرارد : " تحيات رقيقة أوكى دوكى " .

تنهد ستان .

وقاد السيارة للأمام فى الظلام .

قال جيرارد : " أنت تذكرنى برجل " .

قال ستان : " لقد وعدتنى " .

" لا ، المفترض أن تسألنى أى رجل ؟ " .

" جيرارد ، اخرس " .

قال جيرارد : " أنت تذكرنى برجل " .

" أى رجل ؟ " .

" الرجل ذو القوة " .

" أى قوة ؟ " .

" قوة السحر الأسود " .

قال ستان : " السحر الأسود ؟ " .

" أنت تفعل ... " .

" أفعل ماذا ؟ "

" تذكرنى برجل " .

قال ستان : " أى رجل ؟ " ثم تحكم فى نفسه وقال : " *جيرارد* اخرس وإلا سألقى بك فى الخارج حالاً " .

" آه ، ألست أنت الأرنب الملتوى ؟ " .

نظر ستان إلى ساعته .

لقد فكر ، ساعة أخرى ، وسيكون هذا الطائر فى الخارج .

الفصل ٧٢

جلس إليس فى الجهة المقابلة من أخيه أرون ، فى مكتب الشركة القانونية لأرون . كان المكتب يطل على المدينة ، تجاه مبنى إمبير ستيت . لقد كان اليوم غائمًا ، لكن المنظر كان مذهلاً ورائعاً .

قال إليس : " لقد تحدثت لجوش وينكلر فى كاليفورنيا " .

" رائع " .

" يقول إنه لم يعط أى شىء لأمى " .

" ثم ؟ " .

" يقول إن ما أرسله هو ماء " .

" حسنًا ، هذا ما تتوقع منه أن يقوله " .

قال إليس : " أرون ، لقد أعطوها ماء . لقد أكد وينكلر أنه لم يكن ليرسل أى شىء آخر غير الماء عبر حدود الولاية . لقد أصرت أمه على إرسال ذلك الدواء ، ولكنه أرسل الماء بدلاً منه ليختبر تأثير البلاسيبو أو الدواء الاسترضائى " .

قال أرون وهو يهز رأسه : " وهل تصدقه ؟ " .

" أعتقد أن لديه مستندات تثبت ذلك " .

قال أرون : " بالطبع لديه " .

" يقول إن لديه تصاريح ، وتقارير معامل ، ومستندات أخرى حصل عليها من شركته " .

قال أرون : " إنها مزورة " .

" إن هذه المستندات تطلبها مؤسسة الأدوية الفيدرالية الإف . دى . إيه وتزويرها يعتبر مخالفة فيدرالية " .

" وكذلك إعطاء علاج جينى للأصدقاء " . جذب أرون حزمة من الأوراق وقال : " هل تعرف تاريخ العلاج الجينى ؟ إنه قصة مخيفة ، يا إيللى . تعود لأخوار الثمانينيات ؛ حيث ذهب علماء التكنولوجيا الحيوية لاستخدام هذه الجينات دون التأكد التام من تأثيرها فتسببوا فى قتل الناس يمينا ويسارًا . لقد ذُكر أن ستمائة شخص على الأقل قد لقوا حتفهم بسبب ذلك ، وهناك العديدون الذين لقوا مصرعهم بسبب ذلك ولم نعرف عنهم شيئاً . هل تعرف لماذا لم نعرف عنهم ؟ " .

" لا ، لماذا ؟ " .

" لأن العلماء ادعوا أنه لا يمكنهم الإعلان عن أسباب الوفاة ؛ لأنها بمثابة معلومات خاصة ، ملك لأصحابها فقط . كان قتل مرضاهم سرًا تجاريًا بالنسبة لهم " .

" هل قالوا ذلك فعلا ؟ " .

" هل يمكن أن أختلق هذا الموضوع ؟ ثم يطالب هؤلاء العلماء بعد ذلك مراكز الرعاية الطبية بتكلفة التجربة التى قتلت المريض . هم يقتلون ، ونحن ندفع . وفى حالة إذا ما تم ضبط الجامعات بمخالفات ، يدعون أنه ليس عليهم تقديم موافقات بها معلومات مفصلة للأشخاص الذين سيجرون عليهم التجارب ؛ نظراً لأنهم مؤسسات غير هادفة للربح ؛ فجامعات " ديوك " و " بين " و " مينسوتا " ـ تلك الصروح الكبيرة تم ضبطها تجرى مثل هذه التجارب ؛ فالرجال الأكاديميون يعتقدون أنهم فوق القانون . لقد قتلوا ستمائة شخص يا رجل " .

قال إليس : " أنا لا أعرف ما علاقة ذلك ـــــ " .

" هل تعرف كيف يقتل العلاج الجينى الناس ؟ إنـه يقتلـهم بكل أنواع الطرق . لايعرفون ماذا سيحدث لهـم ؛ فهـم يـضعون الجينـات داخـل أجـسام النـاس ، قـد تتحـول إلى جينـات سرطانية ، ويموت الناس من السرطان ، أو قد يظهرون بعد ذلك حساسية شديدة لهذه الجينات ؛ فيؤدى ذلك إلى وفاتهم . هـؤلاء الحمقى لا يعرفون ما يفعلون . إنهم طائشون ولا يتبعون القوانين ونحن سوف نسحقهم " .

تلوى إليس فى مقعده وقال : " مـاذا لـو كـان وينكلـر يقـول الحقيقة ؟ ماذا لو كنا مخطئين ؟ " .

قال أرون : " نحن لم نخالف القـوانين ، بينمـا هـم فعلـوا . والآن أمى تعانى من ألزهايمر ، وهم فى مشكلة كبيرة " .

الفصل ٧٣

عندما بدأ براد جوردن الشجار فى ملهى " لكى لوسى صالون " فى شارع بيرل فى جاكسون هول ، بولاية إيومينج لم يقصد أن ينتهى به الأمر فى المستشفى . كان الفتيان اللذان يرتديان قميصين ضيقين منقوشين بجيوب ذات أزرار محببة يبدوان مثل القطط بالنسبة له ، واعتقد أنه يستطيع أن يتخلص منهما بسهولة . لم تكن هناك وسيلة لمعرفة أنهما أخان ولم يأخذا ملاحظته عنهما عندما وصفهما بالقطط الصغيرة بصدر رحب .

لم تكن هناك طريقة لمعرفة أن الأخ الأصغر يدرب كاراتيه فى ولاية وايومينج وقد حصل على بطولة ما فى مسابقة بروسلى فى فنون الشجاعة القتالية بهونج كونج .

أخذ يوسعه ضرباً بكلتا قدميه مستخدماً رياضة الكيكبوكسنج ، وما زاد الأمر سوءاً أنه كان يرتدى حذاء رعاة البقر ذا الشريحة المعدنية على حافته ، لم يتماسك براد سوى ثلاثين ثانية فقط ، وبعدها أصبحت معظم أسنانه مفكوكة . لقد رقد فى هذا المستشفى لمدة ثلاث ساعات ، بينما حاولوا أن يدفعوا أسنانه فى مكانها . كان هناك طبيب أسنان واحد استمروا فى الاتصال به ، لكنه لم يكن يرد . يحتمل (كما

فسر النائب) أنه كان يسعى وراء صيد فى نهاية الأسبوع ـ فهو يحب الظبيان والأكل اللذيذ .

الظبيان ! لقد كاد فكه اللعين أن يقتله .

وقد تركوه هناك بقربة ثلج على وجهه وملأوا فمه بمادة النوفاسين ، واستغرق براد في النوم ، وفى الصباح التالى ، كان الورم قد اختفى بشكل يسمح له بالتحدث فى الهاتف ، لذلك اتصل بمحاميه ، ويللى جونسون ، فى لوس أنجلوس ، ممسكاً بطاقة عمله بين إبهامه المكدوم والسبابة .

قالت موظفة الاستقبال بصوت مبتهج : " هنا جونسون ، بيكر ، آند هالوران " .

قال براد : " أريد التحدث إلى ويللى جونسون من فضلك " .

" انتظر من فضلك " ، سمع طقطقة الهاتف ، لكنه لم يوضع على الانتظار ، وسمع صوت الموظفة تقول : " فيبر ، إليس ، وكندون " .

نظر براد إلى البطاقة في يده مرة أخرى . لقد كان العنوان فى مبنى فى أنسينو . لقد عرف هذا المكان . لقد كان مبنى ؛ حيث يستطيع المحامون الأفراد استئجار مكتب صغير ، ويشتركون فى موظفة استقبال واحدة مدربة للرد على الهاتف كما لو كانت تعمل فى شركة محاماة كبيرة ، حتى لا يشك العملاء أن محاميهم يعمل بمفرده . وكان المبنى يضم أكثر المحامين فشلاً ، هؤلاء المحامون الذين يتعاملون مع صغار مروجى المخدرات ، أو الذين قضوا وقتًا فى السجن أنفسهم .

قال فى الهاتف : " معذرة . . . " .

" آسف يا سيدى ، أنا أحاول أن أجد مستر جونسون لك " . ووضعت يدها على الهاتف وقالت : " هل رأى أحد ويللى جونسون ؟ " .

وسمع صوتًا مكتومًا يصيح : " ويللى جونسون شخص أحمق ! " .

لم يشعر براد وهو جالس هناك في مدخل غرفة الطوارئ ، وهو ضعيف ومتألم ، وفكه يؤلمه جدًا بشعور طيب بشأن ما سمعه . قال : " هل وجدت مستر جونسون يا سيدة ؟ " .

" دقيقة واحدة يا سيدى نحن نبحث . . . " .

أغلق الهاتف .

وشعر برغبة فى البكاء .

خرج ليتناول الإفطار ، لكنه كان يتألم وهو يأكل ، وكان الناس في الكافيتريا ينظرون إليه باستغراب . ورأى خياله في الزجاج وأدرك أن كل فكه أزرق ومنتفخ . لكنه ما زال أفضل من الليلة الماضية . لم يكن قلقاً بشأن أى شيء مثل قلقه بشأن هذا المحامى جونسون . لقد تأكدت كل شكوكه بالنسبة للرجل . لماذا تقابلا فى مطعم ، بدلاً من شركة المحاماة الخاصة به ؟ لأن جونسون لم يكن ينتمى لشركة محاماة .

لم يكن أمامه شيء سوى الاتصال بعمه جاك .

" هنا مجموعة جون بى . واطسون للاستثمار " .

" أريد التحدث إلى السيد واطسون ، من فضلك " .

وصلوه بالسكرتيرة ، التى وصلته بعمه .

" أهلاً ، عمى جاك " .

قال واطسون وكان صوته غير ودى : " أين أنت عليك اللعنة ؟ " .

" أنا فى وايومينج " .

" بعيدًا عن المتاعب ، آمل ذلك " .

قال : " فى الواقع لقد أرسلنى المحامى هنا . لهذا أتصل بك أنا قلق ، أقصد أن هذا الرجل ـ " .

قال واطسون : " انظر ، أنت متهم فى تهمة تحرش ، ولقد أحضرت لك خبيرًا فى قضايا التحرش ليتولى قضيتك ، وليس من

الضرورى أن تحبه . أنا شخصيًا أسمع أنه تافه وأحمق ، وغير مستقيم " .

" حسناً ـــــــ " .

قاطعه عمه قائلاً : " ولكنه يفوز فى قضاياه ، افعل ما يقوله لماذا اتصلت بى يا فتى ؟ " .

" لا شىء . . . " .

" أنا مشغول يا براد . ولقد أخبروك ألا تتصل بى مطلقاً " ، ووضع السماعة .

لقد كان شعور براد أسوأ من قبل . عاد إلى غرفته بالنزل ، وأخبره الرجل فى مكتب الاستقبال أن أحد رجال الشرطة جاء يبحث عن شىء يتعلق بجريمة عنصرية . قرر براد أن الوقت قد حان لمغادرة جاكسون هول الجميلة .

ذهب إلى غرفته ليحزم أمتعته ، وهو يشاهد أحد العروض التليفزيونية عن جريمة حقيقية ؛ حيث قبضت الشرطة على هارب خطير وبالتظاهر بأنهم سيجرون معه لقاءاً تليفزيونياً ، وقد أعدوا بالفعل ديكورا لحلقة تليفزيونية مزيفة وبمجرد أن استرخى الرجل وضعوا القيود فى يديه ؛ والآن فقد وقع الرجل فى المصيدة وتم القبض عليه .

لقد أصبحت الشرطة مخادعة . انتهى براد بسرعة من حزم الحقيبة ، ودفع فاتورة الحساب ، وأسرع خارجا إلى سيارته .

الفصل ٧٤

نظر مارك سانجر الذى يدعو نفسه فنان البيئة ، والذى عاد مؤخرًا من رحلة إلى كوستاريكا ، من على الكمبيوتر الخاص به في دهشة ليجد أربعة رجال يقتحمون الباب ويندفعون داخلٍ شقته في بيركلى . كان الرجال يرتدون من الرأس للقدم حُللاً مطاطية زرقاء غامقة ، مع خوذات مطاطية كبيرة وكانت وجوههم مغطاة وكانوا يرتدون أحذية عالية للساق ، وقفازات مطاطية وكانوا يحملون بنادق مخيفة ومسدسات كبيرة .

وتفاعل بصعوبة مع الصدمة عندما انقضوا عليه ، وجذبوه بأيديهم المطاطية وهو يقاوم بعيدًا عن لوحة المفاتيح .

صرخ : " أوغاد ! فاشيون ! " ، ولكن يبدو أن كل شخص آخر كان يصيح ويصرخ فى الغرفة . صرخ بينما كانوا يقيدونه : " هذا اعتداء ! أيها الأوغاد الفاشيون ! " ، ولكنه كان يستطيع رؤية وجوههم خلف الأقنعة ، ولقد بدا أنهم كانوا خائفين . قال : " يا إلهى ، ماذا تظنون أنى أفعل هنا ؟ " وأجاب واحد منهم : " نحن نعرف ماذا تفعل ، يا سيد سانجر " وأداره بعيدًا .

" مهلاً ! ، مهلاً ! " لقد دفعوه بخشونة لأسفل السلالم من شقته للشارع . كان سانجر يأمل أن تكون وسائل الإعلام

منتظرة ، والكاميرات جاهزة لتصور هذا الاعتداء الذى يحدث في وضح النهار .

لقد كان هناك نطاق من رجال الصحافة عبر الشارع . كانوا يستطيعون أن يسمعوا سانجر يصيح ، وكان يصورونه ، ولكن مسافتهم منعت الاقتراب بالعدسة ومواجهته عن كثب ، الأمر الذى كان يأمله سانجر . في الحقيقة ، أدرك سانجر فجأة كيف أن مثل هذا المنظر سيبدو من خلال عدساتهم ـ ورجال الشرطة يرتدون الحلل الغامقة المخيفة ، يرافقون رجلاً فى الثلاثينات ذا لحية يرتدى جينزاً وقميصاً عليه صورة جيفارا ، وهذا الرجل يقاوم بين أيديهم ، ويلعنهم ويصيح فيهم .

عرف سانجر أنه سيبدو مثل مجنون ، مثل واحد من المدعين تيد " تيد بندى " ، " وتيد كاكزنسكى " ، أحد هؤلاء الأشخاص المختلين . ستقول الشرطة إن لديه معدات أحياء مجهرية ، ولديه أدوات للهندسة الوراثية ، وإنه كان يصنع طاعونًا ، أو فيروسًا أو مرضًا ـ شيئًا فظيعًا . إنه رجل مجنون .

قال مجبرًا نفسه أن يكون هادئًا : " أنزلونى ، أنا أستطيع السير . دعونى أسر " .

قال أحدهم : " حسنًا ، يا سيدى " . وتركوه يقف على قدميه ويمشى .

مشى سانجر بأكبر قدر من الكرامة يستطيعه ، وهو يفرد كتفيه ، ويهز شعره الطويل ، وقادوه إلى سيارة تنتظر . بالطبع كانت سيارة دون علامات . كان يجب أن يتوقع ذلك . لابد أنهم رجال الـ " إف . بى . أى " المباحث الفيدرالية أو " سى . أى . إيه " المخابرات المركزية الأمريكية الملاعنة أو أيًا كانوا . بدا أنهم تابعون لإحدى المنظمات السرية الحكومية ، تلك التى لديها طائرات هليوكوبتر سوداء وغير قابلة للمساءلة ، وتتمتع بنفوذ كبير .

وهو غاضب ، لم يكن مستعدًا ليرى السيدة مالوف ، السيدة السوداء التي تسكن في الدور الثاني من مبناه تقف مع طفليها الصغيرين ، وبينما مر أمامها ، انحنت للأمام وبدأت تصرخ في وجهه : " أيها الحقير ! لقد عرضت أسرتي للخطر ! عرضت حياة أطفالي للخطر ! أنت فرانكنشاتين ! فرانكنشاتين ! " .

لقد كان سانجر واعيًا بشكل كبير كيف أن هذه اللحظة ستظهر في أخبار المساء . سيدة سوداء تصيح في وجهه ، وتدعوه فرانكنشاتين ، والأطفال بجانبها يبكون ، وخائفون من كل شيء يحدث حولهم .

ثم دفعته الشرطة داخل السيارة المجهولة ، وضغطت يد ترتدي قفازًا مطاطيًا على رأسه ، تضعه على الكرسي الخلفي . وعندما أغلق الباب بقوة ، فكر ، *لقد انتهيت* .

جلس في زنزانته في السجن ، يشاهد التلفاز في المدخل ، محاولاً أن يسمع التعليق حول الجدال الذي دار بين الرجال الآخرين بالسجن ، ويحاول تجاهل الرائحة الضعيفة للقيء والشعور العميق باليأس الذي هبط عليه وهو يشاهد التلفاز .

أولاً كانت هناك صورة له نفسه ، شعره الطويل ، مرتديًا ملابس مثل عربيد ، يمشي بين رجلين في ملابس غامقة . لقد بدا حتى أسوأ مما كان يخشى . وكانت المذيعة التي تعمل بالمحطة والتي كانت تقرأ الأخبار كانت تستخدم كل الألفاظ الرنانة : كان سانجر عاطلاً . كان منحرفاً غير متعلم . كان متعصبًا ومنعزلاً لديه أدوات هندسة وراثية في شقته الضيقة ، والقذرة ، وكان يعتبر خطيرًا ؛ لأنه يناسب مظهر الإرهابي البيولوجي الكلاسيكي .

بعد ذلك أظهر التلفاز صورة سلحفاة جلدية الظهر ، وخريطة لكوستاريكا . الآن يبدو أنه قد تم إخطار السلطات بأنشطة سانجر لأنه قد زار تورتوجيرو ، على ساحل الأطلنطي

لكوستاريكا ، منذ وقت مضى . ولأنه قد قام بتهديدات خطيرة للبيئة فيما يتعلق بالسلاحف جلدية الظهر .

لم يستطع سانجر أن يتابع ذلك ؛ فهو لم يتسبب أبدًا في أى تهديدات ، فقد كان كل ما أراده هو مساعدة هذه الحيوانات . والحقيقة أنه ، بمجرد أن عاد إلى شقته ، لم يستطع تنفيذ خططه . لقد اشترى أكواماً من الكتب عن علم الوراثة ، لكن الأمر كله كان معقدًا جدًا . وقد انتقى أقصر الكتب وفحص بعض التعليقات " النوية المزروعة داخل بروتين " إل . أو . أكس " ليست لها فرصة كبيرة في البقاء بداخل الجينوم ؛ وذلك لأن عنصر الـ " كرى " سوف يقوم بإزالة تلك النوية ذات الحمض النووى المختلف " . ناقلات لا نتفايرال المحقونة داخل خلية جينية واحدة أو محصنة مع أجنة منزوعة الغشاء سوف ... أما الطريقة الأكثر فاعلية لاستبدال جينات فتعتمد على استخدام خلايا محورة جينياً بحيث يكون منتزعاً منها جين " إتش . آر . آر . تى " . وهذه الخلايا لا يمكنها أن تعيش في بيئة تحتوى على مواد هيبوكسيناتين ، وأمينوتبرين ، وثايمايدين . وتم إدخال جين " إتش . بى . آر " عن طريق عملية مزدوجة متماثلة في التركيب ....

توقف سانجر عن القراءة

والآن أظهر التلفاز السلاحف على الشاطئ بالليل ، تتوهج بلون قرنفلى غريب . . . وقد اعتقدوا أنه قد فعل ذلك ؟ لقد كانت الفكرة ذاتها سخيفة . لكن دولة فاشية تطلب دمًا لأى انتهاك ، حقيقى أو تخيلى . لم يكن سانجر يتوقع أن يلقى فى السجن على جريمة لم يرتكبها ـ جريمة لا يعرف حتى كيف يرتكبها !

حيوانات أليفة محورة جينيا فى الأفق

صراصير عملاقة ، وجراء دائمة لا تكبر مطلقا

الفنانون ، والصناع يعملون بجد

انضمت فنانة يال المدربة ليزا هنسلى لفريق شركة بورجر آند سنود ليمتد التى تعمل فى مجال الوراثة ؛ لتطوير صراصير عملاقة تباع كحيوانات أليفة . وسيبلغ طول الصراصير المحورة جينيا ثلاث أقدام وتقف تقريبًا على ارتفاع قدم واحدة من الأرض وتقول هنسلى : " إنها ستكون فى حجم كلب الدشهند الألمانى الكبير ، لكنها بالطبع لا تنبح " .

وتعتبر هنسلى تطوير مثل هذه الحيوانات الأليفة أعمالاً فنية ، المقصود بها زيادة الوعى الإنسانى بمجتمع الحشرات . قالت هنسلى : " إن الغالبية الساحقة للكائنات الحية فى كوكبنا تتكون من حشرات ، ومع ذلك نستمر على التعامل عليها بشكل غير منطقى . يجب أن نحتضن أشقاءنا الحيوانات ، نقبلها ، ونحبها " .

لقد أوضحت أن : " الخطر الحقيقى الذى قد يسببه الاحتباس الحرارى هو انقراض الكثير جدًا من الحيوانات " . وقد أكدت هنسلى أنها قد استوحت فكرتها من عمل الفنانة كاثرين تشالمرز (بكالوريوس العلوم الهندسية ، جامعة سانفورد) التى كان مشروعها حول الصرصور الأمريكى ، فكانت أول من رفع الصراصير كموضوع رئيسى فى الفن المعاصر .

وفى نفس الوقت ، تعمل شركة كومنيك جينوميكس فى ضاحية نيو جيرسى بجد لتطوير حيوان يعتقدون أن مالكى الكلاب سيحبونه حقا ، وهى جراء دائمة .

والجراء الدائمة لشركة كومنيك لن تكبر أبدًا . ويقول المتحدث الرسمى " لين كومنيك " عندما تشترى جروًا دائمًا فإنه يبقى جرواً صغيراً إلى الأبد ولا يكبر مطلقاً ، وكذلك فإن الشركة تعمل على تعديل سلوكيات الجراء غير المرغوبة ، مثل مضغ الأحذية ، الذى يجعل كثيرًا من مالكى الكلاب عصبيين . تقول لين كومنيك " بمجرد أن تكون الأسنان فى

الداخل ، يتوقف ذلك السلوك ، ولكن لسوء الحظ فإن تدخلنا الجينى قد منع نمو الأسنان تمامًا ، ولكننا سنحل ذلك . وقالت إن الشائعات التى تتردد حول أنهم سيسوقون حيوانًا بدون أسنان اسمه " جمى دوج " غير حقيقية .

ويذكر كومنيك أنه بمجرد أن يتم استبدال مرحلة البلوغ فى الكائنات البشرية بمراهقة دائمة ، فإن الناس بشكل طبيعى سيرغبون فى أن تصاحبهم خلال حياتهم كلاب شابة بالمثل . ويقول كومنيك : " مثل بيتر بان ، نحن لا نريد أن نكبر أبدًا ، وقد جعل علم الوراثة ذلك ممكناً ! " .

الفصل ٧٥

مازال ستان ضائعًا ، إنـه الآن يقـود سـيارتـه خـلال منطقـة كثيرة التلال ، نظر شزراً إلى لافتة الطريق التى ظهرت أمامه فى الظلام : *جبل بالومار ٣٧ ميلاً* . أين هـى بحـق الـسماء ؟ لم يكـن يدرك أن كاليفورنيا كبيرة لهذا الحد . لقـد مـر علـى القليـل مـن المدنٍ وراءه ، ولكـن فـى الـساعة الثالثـة صـباحًا كـان كـل شـىء مغلقاً ، بما فى ذلك محطات البنزين ، ثم وجد نفسه مرة أخـرى فى الظلام ، وجد نفسه فى الريف غير المأهول .

كان يجب أن يحضر معه خريطة .

كان ستان مرهقاً ، وسريع الغضب ، وكان فـى حاجـة إلى أن يقف جانبًا وينام ، ولكن الطائر الملعون بدأ فى الصراخ بمجرد أن أوقف السيارة .

لقد كان جـيرار صـامتًا لـمدة الـساعة الماضـية ، ولكنـه الآن ، بشكل غير واضح ، بدأ يقلد أصوات نغمات الهاتف . كما لو كـان يتصل بشخص ما .

قال ستان : " توقف ، يا جيرارد " .

توقف الطائر . على الأقل للحظة . استطاع خلالهـا سـتان أن يقود فى صمت ، ولكن بالطبع لم يستمر ذلك طويلاً .

قال جيرارد : " أنا جوعان " .

" أنا وأنت معًا " .

" هل أحضرت أى رقائق بطاطس ؟ " .

" لقد نفدت رقائق البطاطس " . كانا قد أكلاها كلها ، فى مدينة أراب السابقة ، هل كان ذلك منذ ساعة مضت ؟ أم ساعتين مضتا ؟

قال جيرارد وهو يهمهم : " لا أحد يعرف المتاعب التى رأيتها " .

حذره ستان : " لا تفعل ذلك " .

" لا أحد يعرف ، . . . " .

" جيرارد . . . " .

سكون .

فكر ستان ، إن الأمر أشبه بالسفر مع طفل . إن ذلك الطائر عنيد كل العند مثل الأطفال كما أن تصرفاته غير متوقعة مثلهم . لقد كان ذلك مجهدًا .

مروا بخطوط سكة حديدية ، إلى جهة اليمين .

أصدر جيرارد أصواتاً انفجارية ، وصفارة حزينة وقال : " أنا لم أر شروق الشمس ، منذ لا أعرف متى . . . " .

قرر ستان ألا يقول شيئًا . أمسك عجلة القيادة وقاد خلال الليل . كان يرى خلفه ضوءاً خافتاً فى السماء ؛ مما يعنى أنه كان يقود باتجاه الغرب . وهذا هو المكان الذى يريد الذهاب إليه تقريبًا .

وفى السكون المتوتر ، بدأ جيرارد مرة أخرى .

" سيداتى وسادتى ، مما كان فى وقت ما كتلة لا مفصلية لأنسجة ليس بها حياة ، اسمحوا أن أقدم رجلاً مثقفاً ، وراقياً ، ورجل مدينة ! " .

قال ستان : " أنت تستفزنى ، وأنا أعطيك تحذيرًا " .

غنى الطائر وهو يصرخ بأعلى ما أوتى من صوت : " إنها حياتى - لا تنسى ! " وقد تسبب صوته الهادر ذلك فى اهتزاز السيارة بأكملها . فكر ستان أن النوافذ قد تتحطم .

جفل وأمسك عجلة القيادة بشدة .

ثم توقف الصياح .

قال جيرارد وهو يبدو مثل مذيع : " يسعدنا أن نرى الكثير من الأشخاص المحببين للنفس هنا الليلة " .

هزّ ستان رأسه : " يا إلهى " .

" دعنا نكن سعداء ، سعداء ، سعداء ، قل الكلمة الآن " .

" سعيد سعيد سعيد ، جربها بطريقة ما . . . " .

قال ستان : " توقف " .

استمر جيرارد :

" سعيد ، سعيد ، سعيد ، سعيد ، آه يا حبيبتى نعم سعيد ، سعيد - " .

صرخ ستان ، وأوقف السيارة فى جانب الطريق ، وخرج من السيارة وأغلق باب السائق بقوة وقال : " هذا يكفى ! " .

قال جيرارد : " أنت لا تخيفنى ، أيها الضخم " .

سبه ستان وفتح الباب الخلفى .

كان جيرارد يغنى مرة أخرى : " لدى بعض الأخبار لك ، وستعرف قريباً أنها حقيقية ، وستضطر لتناول الغداء بمفردك - " .

قال ستان : " لا مشكلة ؛ لأنك ستخرج من هنا ، يا صديقى ! " وأمسك الطائر بخشونة - نقره جيرارد بوحشية ، لكنه لم يهتم ووضع جيرارد على الأرض فى جانب الطريق فى التراب .

" يبدو أنك ستدعنى أذهب ، وإذا كان ذلك حقيقيًا لا أريد أن ـــــ " .

زمجر ستان : " إنه حقيقى " .

رفرف جيرارد بجناحيه وقال : " لا يمكن أن تفعل ذلك بى " .

مشى ستان لمقدمة السيارة ، وفتح الباب وقال : " آه ، لا يمكننى أن أفعل ذلك بك ؟ راقب ماذا سأفعل وسترى ؟ " .

قال جيرارد : " أريد ساريتى ، هذا أقل شىء تستطيع — " .

" اللعنة على ساريتك ! " .

" لا تذهب بعيدًا يا مجنون ، لا يمكن أن يكون الأمر بهذا السوء ، لا تذهب بعيدًا . . . " .

أغلق ستان الباب بقوة ودفع بقدمه محرك السيارة بسرعة ، مخلفاً وراءه سحابه كبيرة من التراب . ونظر خلفه ، ولم يستطع أن يرى الطائر . كل ما رآه على أى حال كان فضلات الطائر فى الكرسى الخلفى . سيستغرق الأمر أياماً لتنظيف كل ذلك .

ولكن كان هناك هدوء الآن .

هدوء ونعيم .

أخيرًا .

لقد انتهت مغامرات جيرارد .

لم يكن هناك فى السيارة الآن سوى الهدوء ، وشعر ستان فجأة بالتعب المتراكم والإرهاق يداهمانه . بدأ ستان ينعس . فتح المذياع ، وأنزل الشباك ، وأخرج رأسه من السيارة فى النسيم البارد حتى يتغلب على رغبته فى النوم ، ولكن لم يكن هناك ما يجدى . أدرك ستان أنه سيستغرق فى النوم ، ولذا كان عليه إيقاف السيارة بجانب الطريق .

لقد كان الطائر هو ما أبقى ستان متيقظاً . شعر ستان بالاستياء ، لوضع الطائر فى الخارج فى الطريق بهذه الطريقة . لقد كان ذلك مثل قتله . طائر مثل هذا لن يستمر طويلاً فى الصحراء . ستقوم حية أو ذئب بالإجهاز عليه بسرعة ، وربما يكون ذلك قد حدث بالفعل ، لكن لا يوجد سبب للعودة .

أوقف ستان السيارة على جانب الطريق ، إلى بستان من الصنوبر . أغلق المحرك واستنشق رائحة الأشجار ، ودخل فى سبات عميق فى الحال .

مشى جيرارد جينة وذهابًا فى الأرض المتربة لفترة فى الظلام . أراد أن يرتفع عن الأرض ، وحاول عدة مرات على أغصان نبات المريمية القصيرة التي تحيط به ، ولكن النبات لم يتحمل وزنه ، وكان فى كل مرة يسقط . وأخيرًا وثب نصف وثبة ، وطار نصف طيران فى الهواء ، وعاد مرة أخرى على شجيرة صنوبر على ارتفاع حوالى ثلاث أقدام من الأرض . ووقوفا على السارى البديل ، ربما كان من الممكن لجيرارد أن يستغرق فى النوم ، إلا أن درجة حرارة الجو كانت شديدة البرودة بالنسبة لطائر استوائى . علاوة على أن عواء مجموعة من الحيوانات فى الصحراء قد أبقاه متيقظا .

وكان صوت العواء يقترب أكثر .

نفش جيرارد ريشه علامة على عدم الارتياح ، ونظر فى اتجاه الصوت ، ورأى أشكالاً عديدة مظلمة تتحرك خلال عشب الصحراء . ورأى بريق عيون خضراء .

نفش ريش جناحيه مرة أخرى .

وشاهد المجموعة تتجه نحوه .

الفصل ٧٦

هبطت الطائرة الهليوكوبتر موديل روبنسون " آر . ٤٤ " مخلفة سحابة من التراب ، وخرج فاسكو بوردن منها ينحني أسفل مراوحها ، ودخل في السيارة موديل هامر سوداء اللون التي كانت في انتظاره وقال لدوللي التي كانت تقود السيارة وجاءت مبكرًا : " أخبريني بما لديك من أخبار ، لقد وصلت دوللي بالسيارة الهامر ، بينما كان هو لا يزال في طريقه إلى هناك بالطائرة .

قالت دوللي : " لقد نزلت بنزل بيست ويسترن الساعة ٧:٣٠ الليلة ، وذهبت إلى متجر واطسون ، حيث تعرف رجل الأمن على هوية السيارة ، وقد تخلصت منه بقصة عن زوجها السابق ، ورحلت " .

" متى كان ذلك ؟ " .

" قبل الثامنة بقليل . ذهبت من المتجر إلى النزل ، وأخبرت فتى الاستقبال بأن هناك شخصاً ما في غرفتها ، وبينما كان يتأكد من ذلك ، أخذت بندقيته من تحت الطاولة وهربت " .

قال بوردن : " هل فعلت ذلك ؟ هذه السيدة الصغيرة ماكرة حقاً " .

" من الواضح أنها حاولت شراء بندقية من أحد المتاجر ، ولكنها صادفت مشكلة ضرورة الانتظار عشرة أيام قبل تسلمها " .

" وأين هي الآن ؟ " .

" كنا نتتبع هاتفها الخلوى ، لكنها أغلقته ، وقبل أن تفعل ذلك وجدناها تتجه نحو الشرق ، تجاه طريق أورتيجا السريع " .

قال فاسكو : " إلى داخل الصحراء ، إنها ستنام فى سيارتها ، وتكمل رحلتها فى صباح الغد " .

" يمكن أن نوجه الأقمار الصناعية لرصد موقعها فى الساعة الثامنة صباحًا ؛ فهذا هو أسرع وقت للوصول لموقعها " .

قال فاسكو : " ستكون قد غادرت قبل الثامنة صباحًا " ، وانحنى للخلف فى السيارة وقال : " سوف تذهب فى الفجر . لذلك دعينا نفكر فى الأمر " . ظلت السيدة تقود سيارتها باتجاه الجنوب طوال فترة الظهيرة ؛ فمنذ أن بدأ هذا الأمر ، وهى تتجه نحو الجنوب .

قالت دوللى : " هل تعتقد أنها ذاهبة إلى المكسيك ؟ " .

هزّ فاسكو رأسه وقال : " إنها لا تريد أن تترك سجلاً وراءها ، وعبور الحدود يترك وراءها سجلاً " .

قالت دوللى : " ربما ستتجه شرقًا ، ربما تحاول عبور براون فيلد أو كاليكسيكو " .

أخذ فاسكو يحك لحيته بيده مفكراً ، ولم يدرك إلا مؤخراً أن الصبغة التى صبغ بها لحيته قد طبعت على أصابعه . اللعنة لقد تذكر الآن أمر اللحية المصبوغة ، قال فاسكو بعد تفكير : " إن هذه السيدة خائفة ، وأعتقد أنها متوجهة إلى مكان تلتمس فيه المساعدة . ربما ستقابل أباها هناك ، أو تقابل شخصاً تعرفه . صديقاً قديماً ؟ صديقاً من المدرسة ؟ أختاً من ناد للفتيات ؟

مدرساً سابقاً ؟ شريكاً سابقاً فى شركة محاماة ؟ شيئاً من هذا القبيل " .

قالت دوللى : " إننا نفحص كل شبكات قواعد البيانات منذ يومين ، وحتى الآن لم نجد شيئًا " .

" ماذا عن سجل هاتفها القديم ؟ " .

" لا مكالمات لمنطقة سان دييجو " .

" إلى أى مدى رصدت مكالمتها السابقة ؟ " .

" لعام مضى . هذا هو كل المتاح دون طلب خاص بالرصد لمدة أطول " .

تنهد فاسكو وقال : " أياً كان هذا الذى تذهب إليه ؛ فهى لم تتصل به منذ عام ، يجب علينا أن ننتظرها " ، والتفت لدوللى وقال : " دعينا نذهب إلى بيست ويسترن . أريد أن أعرف نوع البندقية التى مع السيدة ، ويمكننا أن نحصل على بعض الساعات من الراحة ، قبل طلوع الفجر . أنا متأكد أننا سنمسك بها غدًا . لدى شعور قوى بذلك " . ونقر على صدره ثم قال : " وأنا لا أخطئ أبدًا " .

" حبيبى هناك صبغة على قميصك الأنيق " .

تنهد : " آه ! اللعنة ! " .

قالت دوللى : " سيتم إزالتها ، دعنى أزلها لك " .

الفصل ٧٧

شاهد جيرارد الأشكال المعتمة تقترب .

وكانت حركتها أقرب إلى الوثب ، كانت تصدر صوتاً مثل الشخير أو التشمم ، وأحياناً ما كانت تصدر صوتاً يشبه صوت بكاء الأطفال . لقد كانت تلك الأجسام منخفضة . وكان من الصعب رؤية ظهورها من فوق عشب المريمية . لقد شكلوا دائرة حول ساريته ، آخذين في الاقتراب ثم الانسلال بعيدًا .

كان من الواضح أن هذه الحيوانات تتشممه ؛ لأنها كانت تقترب منه . لقد كانوا ستة حيوانات معاً . نفش جيرارد ريشه في محاولة لأن يدفئ جسمه .

كان للحيوانات أنوف طويلة ، وكانت عيونها تومض بلون أخضر ساطع . وكانت لها رائحة مميزة كريهة . ولها ذيول طويلة زاغبة . لقد استطاع جيرارد أن يرى أن لونها ليس أسود ولكن رمادياً يميل إلى البني .

اقتربت أكثر . قال جيرارد : " أنا أرتجف ، أنا أرتجف الآن " .

أخذت تلك المخلوقات في الاقتراب ؛ لقد كانت قريبة جدًا ، الآن .

توقف الحيوان الأكبر على بعد أقدام قليلة ، ونظر إلى جيرارد ، ولكن جيرارد لم يتحرك .

بعد ثوان عديدة ، اقترب الحيوان الكبير أكثر .

قال جيرارد : " يمكن أن تقف هناك ، يا سيد ! " .

توقف الحيوان فورًا ، وأخذ خطوات قليلة للخلف . وتراجعت باقي الحيوانات في الجماعة أيضًا بعيدًا . لقد بدت جميعها مرتبكة من الصوت .

وبعد فترة ليست طويلة بدأ الحيوان الكبير يتحرك مرة أخرى .

قال جيرارد : " حسنًا ، توقف ! " .

هذه المرة ، كان هناك توقف لحظى فقط ؛ ثم استمر الحيوان في المجيء .

" هل تشعر بأنك محظوظ ، أيها الغلام ؟ هل تشعر بذلك ؟ هه ؟ " .

كان الحيوان قادماً ببطء جدًا الآن . يتشمم جيرارد ، وأخذ الحيوان يقترب أكثر وأكثر ، ويتشمم جيرارد أكثر وأكثر ... لقد كانت رائحة الحيوان كريهة . كان أنفه على بعد بوصات قليلة فقط . . .

انحنى جيرارد وعض بقسوة على الأنف الناعم للحيوان . عوى الحيوان وقفز للخلف ، وكاد يصطدم بسارية جيرارد ، ثم استعاد الحيوان اتزانه مرة أخرى .

قال جيرارد : " كل مرة تلتفت حولك توقع أن تراني ؛ لأنك في إحدى المرات ستلتفت حولك وسأكون هناك وأقتلك " .

كان الحيوان مسطحًا على الأرض ، يمسح أنفه المجروح بأرجله الأمامية . فعل ذلك لفترة ، ثم نهض وهو يزمجر .

قال جيرارد : " الحياة صعبة ، ولكنها تكون أصعب إذا كنت غبيًا " .

أخذت مجموعة الحيوانات تزمجر الآن ، وبدأت فى التحرك فى نصف دائـرة ، وبـدا أنهـم يتحركـون بشكل جمـاعى ، بـدأ جيرارد فى نفشٍ ريشه مرة تلو الأخرىٍ حتى إنه أخـذ يرفـرف بجناحيه محاولاً أن يجعل نفسه ضخماً قدر الإمكان ، ولكن بـدا أن هذه المخلوقات لم تهتم لذلك .

قال جيرارد : " انظروا ، أيها الأغبياء ، أنتم فى خطر ، ألا ترون ؟ إنهم وراءكم ، إنهم وراءنا جميعًا ! " .

ولكن الأصوات المتحدثة لم يكـن لهـا تـأثير علـى الإطـلاق ، واستمرت الحيوانات فى التحرك للأمـام ، بـبطء . وكـان أحـدها يلتف خلف جيرارٍد . لف جيرارد رأسه لينظر ، ورأى جيرارد أن الأمر ليس جيداً تماماً .

" ارجـع إلى حيـث كنـت فيمـا مـضى ! " رفـرف جـيرارد بأجنحته مرة أخرى بعصبية ، ولكن من الواضح أن إثارتـه تلـك أعطته قوة جديدة لأنـه قد ارتفع عن الفرع الذى كان يقف عليـه . وفى ذلك الوقت اقتربت الحيوانات المزمجرة .

رفرف جيرارد بجناحيه بقـوة ـ أكـبر ـ وشـعر بنفـسه فـى الهواء . لقد مضت أسابيع منذ أن تم قص ريشه آخر مـرة ، كـان هذا هو السبب . إنه الآن يستطيع الطيران ! لقد ارتفع عاليًا عـن الأرضِ ، واكتشف أنه يستطيعِ أن يحلقٍ قليلاً . ليس كثيراً لكـن قليلاً ، لكن جيرارد اتجه غربا ، متبعاً الطريق الذى سلكه ستان فى قيادته للسيارة . كان يتجه بعيدًا عن الشروق تجـاه الظـلام . وبحاسة شمه القوية ، حدد رائحة طعام وطار تجاهها .

الفصل ٧٨

كانت أليكس بيرنت نائمة في المقعد الأمامي لسيارتها ، وفتحت عينيها لترى أنها محاطة برجال . كان ثلاثة منهم يحدقون داخل سيارتها . كان هؤلاء الرجال يرتدون قبعات رعاة البقر ويحملون عصى طويلة بها حلقات . جلست بشكل مفاجئ . أشار لها أحدهم أن تبقى ساكنة .

" لحظة واحدة ، يا سيدتي " .

نظرت أليكس إلى ابنها ، جيمي ، وهو ينام بسلام في المقعد بجانبها ، لم يستيقظ . لم يكن هناك شيء أيقظ جيمي .

وعندما نظرت للخارج ، شهقت من المفاجأة ؛ حيث رفع أحد رعاة البقر عصاه ، وكانت هناك بها أفعى ذات الجرس ضخمة ، طولها بلا جدال خمس أقدام وسمكها مثل الساعد . كانت تتلوى في نهاية العصا ، مصدرة صوت صلصة بالعضو المسمى الجلجل الذي في نهاية ذيلها .

أدار الحية بعيدًا وقال : " يمكن أن تخرجي الآن إذا أردتِ " .

فتحت أليكس الباب في حرص .

قال أحدهم : " إن حرارة محركك جذبتها تحت السيارة في الصباح " .

لقد رأت أنهم كانوا جميعاً ستة رجال . كل منهم يحمل عصا وأكياساً كبيرة تتلوى . سألتهم : " ماذا تفعلون ؟ " .

" نحن نجمع الأفاعى " .

" لماذا ؟ " .

من أجل مسابقة جمع أفاعى الأجراس التى ستقام الأسبوع القادم فى ياما " .

" آه ـــــ " .

" نحن نقوم بها فى كل عام . إنها مسابقة ويفوز فيها الشخص الذى يحضر أكبر عدد من الأفاعى " .

" أفهم " .

" إن المسابقة تقوم على الوزن ، لذلك فإننا نجمع الأفاعى الكبيرة . إننا لم نقصد أن نخيفك " .

" أشكرك " .

تحركت مجموعة الرجال . تأخر الرجل الذى كان يحدثها وراءهم وقال : " يا سيدتى ، لا يجب أن تكونى هنا بمفردك ، على الرغم من أننى أرى أن لديك بندقية " وأشار للمقعد الخلفى للسيارة .

قالت : " نعم ، ولكن ليس لدى ذخيرة " .

قال : " حسناً ، لن يكون لها بذلك فائدة " . واتجه نحو سيارته ، الواقفة على الطريق وسألها : " هل هذه عيار ١٢ التى معك ؟ " .

" نعم ، هى كذلك " .

" هذه ستفى بالغرض " ، وأعطاها ملء اليد من الطلقات الحمراء . وضعتها فى جيوبها .

" شكرًا . بكم أدين لك ؟ " .

هز رأسه وقال : " اعتنى بنفسك ، يا سيدتى " . " والتفت لينضم للآخرين وقال لها قبل أن يلحقهم : " لقد عبرت سيارة موديل هامر سوداء الطريق منذ ساعة مضت . كان بها شخص ضخم بلحية ، قال إنه يبحث عن سيدة وابنها . قال إنه عمهم وأنهم مفقودون " .

" آه وماذا أخبرته ؟ " .

" إننا لم نكن قد رأيناك بعد . ولذلك قلنا له إننا لم نر شيئاً " .

قالت : " فى أى طريق اتجهوا ؟ " .

" نحو السينور ، ولكنى أعتقد أنه سيعود فى أى وقت " .

قالت : " شكرًا لك " .

لوح لها وقال : " لا تتوقفى حتى من أجل الوقود ، أتمنى لك التوفيق " .

خبر منقول عن محطة : سى . بى . إس ٥ سان فرانسيسكو

إطلاق سراح المتهم الإرهابى البيولوجى اليوم

(سى بى إس ٥) : تم إطلاق سراح المتهم الإرهابى البيولوجى مارك سانجر اليوم من سجن مقاطعة الاميدا على أن يبقى تحت المراقبة لمدة سنتين لامتلاك مواد بيولوجية خطيرة . قالت مصادر عليمة إن التعقيد التقنى للتهم التى وجهتها الحكومة ضد سانجر قد أدت بالمدعين إلى أن ينتهوا على مضض إلى أنهم قد لا يكونون قادرين على وضع المتهم خلف القضبان . خاصة ، بعد أن أصبح الاتهام الموجه ضد سانجر والمتمثل فى تحوير بعض سلاحف أمريكا الوسطى جينياً ، موضع شك . لقد تحدثنا مع جوليو مانيز فى كوستاريكا .

(مارنيز) : من الصحيح أن سلاحف الأطلنطى قد عانت من تعديل جينى جعلها تصدر ضوءًا أرجوانياً من صدفها . وحتى الآن ، ليس هناك تفسير للطريقة التى حدث بها ذلك . ولكن عمر السلاحف يوضح أن المعالجة الجينية حدثت من خمس إلى عشر سنوات مضت .

(سى بى إس ٥) : بعد الاعتقال بفترة قصيرة ، قرر المحققون أن سانجر لم يذهب إلى كوستاريكا مبكراً بشكل كافٍ ليجرى التعديل الجينى ؛ فإنه لم يذهب إلى هناك إلا العام الماضى فقط . ولذلك فإن مارك سانجر ، المتهم الإرهابى ، الآن حر بعد سداد غرامة قدرها خمسمائة دولار .

الفصل ٧٩

أثناء انتظار بدء الإجراءات ، فى غرفة استماع الكونجرس رقم ٤٤٣ ، التفت عضو الكونجرس مارفين مينكوسكى (من مقاطعة ويسكونسون) إلى عضو الكونجرس " هنرى ويكسلر " (من مقاطعة كاليفورنيا) وقال : " ألا يجب أن يكون لدينا قوانين وقواعد أكثر صرامة لتحد من توفر أدوات وتكنولوجيا تعديل الحمض النووى " .

" هل تفكر فى سانجر ؟ " .

" حسنًا ، إنه أحدث قضية فى هذا الصدد . من أين حصل على أدواته ، هل تعرف ؟ " .

قال ويكسلر : " من الإنترنت ، يمكنك أن تشترى أدوات تعديل الحمض النووى من شركات فى نيوجيرسى وشمال كارولينا . إنها تتكلف حوالى مائتى دولار " .

" هذا هو البحث عن المتاعب ، أليس كذلك ؟ " .

قال ويكسلر : " إن زوجتى تقوم بزراعة الحديقة . هل تهتم زوجتك بأمور البستنة هى الأخرى ؟ " .

" الآن وبعد أن ذهب الأولاد وهى مهووسة بالزهور " .

" هل هى منضمة لأحد نوادى الاعتناء بالحدائق ؟ أو أى من هذه الأمور ؟ " .

" حسنًا ، بالتأكيد " .

قال ويكسلر : " كثير من البستانيين الذين اعتادوا أن يصنعوا هجيناً عن طريق شتلات التطعيم داخل جذور التطعيم الآن يستخدمون أدوات الحمض النووى ليتقدموا فى هذا الأمر خطوة للأمام . وكثير من الناس يصنعون وردًا محورة جينيًا فى جميع أنحاء العالم الآن ، ويفترض أن شركة يابانية قد صنعت وردة زرقاء باستخدام التعديل الجينى . لقد كانت الوردة الزرقاء حلم الكثير من البستانيين لمدة قرون . ما أود قوله يا مارف هو أن التكنولوجيا أصبحت الآن فى كل مكان ، إنها فى الشركات الكبيرة ، وفى الفناء الخلفى . فى كل مكان " .

قال مينكوسكى : " وماذا عسانا نفعل حيال ذلك ؟ " .

قال ويكسلر : " لا شىء ، إننى لا أعتزم فعل شىء يغضب زوجتك أو زوجتى " ومسك ذقنه بيده ، على نحو يبدو كإيمائه تدل على الذكاء فى عدسات الكاميرا ، ثم قال : " ولكن ربما ، ربما حان الوقت لإلقاء كلمة تعبر عن قلقى بشأن أخطار هذه التكنولوجيا التى لا تخضع لرقابة " .

قال مينكوسكى : " فكرة جيدة ، وأعتقد أننى سألقى كلمة ، أيضًا " .

أخبار عمليات شفط الدهون

دهون رئيس الوزراء للبيع بمبلغ ثمانية عشر ألف دولار

التالى : المشاهير يتبرعون بالدهون من أجل الخير

أخبار سى بى سى . بيعت قطعة من الصابون مصنوعة من الدهن المشفوط من رئيس الوزراء الإيطالى" سيلفيو بيرلوسكونى " بمبلغ ثمانية عشر ألف دولار لشخص يهوى جمع المقتنيات الخاصة ، وقطعة الصابون تلك عبارة عن عمل فنى مسمى بـ " أيد نظيفة " ، وقد قام بصناعتها الفنان جيانى موتى ، ومقر إقامته فى سويسرا . وقد أحضر الفنان موتى دهون الوزير من عيادة أجرى فيها بيرلوسكونى عملية شفط الدهون . قام موتى بعد ذلك بتشكيلها إلى قطعة صابون ؛ حيث تم بيعها فى معرض بيسل للفنون ، لشخص يهوى جمع المقتنيات بسويسرا والذى يستطيع الآن أن يغسل يديه بدهون بيرلوسكونى .

أشار المعلقون على هذا الأمر إلى أن بيرلوسكونى ليس محبوبًا فى أوروبا ، الأمر الذى ربما يكون قد تسبب فى انخفاض السعر الذى بيع به دهنه ، ولكن دهون مشاهير السينما ستجذب بلا شك مبالغ أكبر بكثير ، قال أحد الأشخاص : " إن المنتجات التى ستصنع من دهون براد بين أو باميلا آندرسون ستباع بمبالغ خيالية " .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو هل سيبيع المشاهير دهونهم ؟ قال جراح تجميل بيفرلى هيلز : " لِمَ لا ؟ فربما يكون ذلك شيئاً من أجل الخير . وهم قبل كل شىء ، يقومون بعمليات شفط الدهون على أى

أخبار عمليات شفط الدهون

حال . فى الوقت الحالى نحن نتخلص من الدهون ، ولكنهم قد يستخدمون دهونهم أيضاً من أجل قضايا نبيلة " .

متسابق على قارب سريع يمرح هنا وهناك

يصنع وقود قاربه من دهون أردافه أمر محل السخرية والنكات

خدمة أخبار مرسلة برقيًا . يعزم الثرى النيوزيلاندى " بيتر بيثوين " تسجيل رقم قياس على متن قارب السرعة الذى يملكه والذى يتم تشغيله بواسطة الدهون الخاصة بمؤخرته . وزورقه الذى يبلغ طوله ٧٨ قدمًا ، والذى يطلق عليه صاحبه إيرثر ريس ، يتم تشغيله بالكامل بواسطة وقود ديزيل بيولوجى مصنوع من الزيت النباتى والدهون الأخرى . فى واقع الأمر ، ستكون دهون مؤخرة بيثوين مجرد إسهامات بسيطة فى الوقود اللازم للرحلة التى سيقوم بها حول العالم ؛ حيث إن دهون مؤخرته لم تنتج سوى لتر واحد فقط من الوقود . ولقد ذكر بيثوين أنه قد أصيب بجرح نتيجة لعملية استئصال الدهون وقال : " إنها كانت تضحية شخصية لإنتاج الوقود " .

فنان يطهو ، ويأكل دهون جسمه

يحتج على " إسراف " المجتمع الغربى

رويترز . خضع فنان نيويورك الإدراكى ريكاردو فيجا لعملية شفط الدهون ، وقد طها دهونه

أخبار عمليات شفط الدهون

وأكلها . قال إن هدفه فى ذلك كان جذب الانتباه لإسراف المجتمع الغربى . ولقد وضع جانبًا مقادير أخرى من دهونه للبيع ، مشيراً إلى أن ذلك سيمكن الناس من تذوق اللحم البشرى ، وتجربة أكل لحوم البشر وما يحمله ذلك من وحشية . لم يحدد فيجا سعرًا لدهونه ، ولكن أحد التجار فى هذا المجال قدر أن سعر دهونه سيكون أقل بكثير من دهن بيرلسكونى ، وقد أوضح أن بيرلسكونى رئيس وزراء ، بينما فيجا مجرد فنان غير معروف . بخلاف أن ذلك الأمر قد سبق القيام به بواسطة الفنان ماركوس إيفاريستا ، الذى صنع كرات من اللحم من دهون جسمه .

وماركوس إيفاريستا هو فنان مولود فى تشيلى يعيش فى الدانمارك ، ويذكر أن عملية بيع كرات اللحم المصنوعة من دهونه فى مزاد بواسطة كريستى فى نيويورك لم يتم تأكيدها بعد ؛ لأن ممثلى كريستى لم يردوا على المكالمات الهاتفية المتعلقة بهذا الأمر .

الفصل ٨٠

أسرعت سيارة الإسعاف جنوبًا على الطريق السريع كانت دوللى تجلس فى مقعد السائق ، ترتدى سماعاتها البلوتوث الجديدة ، وتتحدث من خلالها إلى فاسكو . كان فاسكو غاضبًا ، لكن لم يكن هناك شيء تستطيع دوللى أن تفعله حيال ذلك . لقد سلك الاتجاه الخاطئ للمرة الثانية ؛ فلا يجب أن يلوم أحدًا إلا نفسه .

قالت دوللى : " انظر ، لقد حصلنا للتو على سجلات الهاتف الخاصة بأليكس للسنوات الخمس الماضية . حصلنا عليها هذه اللحظة . إن أليكس تتصل بأشخاص فى هذه المنطقة ، إنها تتصل بعائلة كيندال ، هنرى ولين . إنه كيميائى بيولوجى ؛ ولا نعرف ماذا تعمل زوجته ، لكن لين وأليكس من نفس السن . وأعتقد أنهما نشأتا معًا " .

قال فاسكو : " وأين مكانهما ؟ أعنى عائلة كيندال " .

" لاجولا . إنها شمال ـ " .

قال فاسكو : " أنا أعرف أين توجد ، اللعنة " .

قالت دوللى : " أين أنت الآن ؟ " .

" إنى عائد من السينور . أنا على الأقل على بعد ساعة من لاجولا . الطرق الملعونة ملتوية جدًا . اللعنة ، أعرف أنها كانت نائمة على الطريق فى مكان ما " .

" كيف تعرف ذلك ؟ " .

" أنا أعرف فقط ، إن أنفي تعمل " .

" حسناً ، ربما تكون فى طريقها إلى لاجولا الآن ، وقد تكون هناك بالفعل " .

" وأين أنت ؟ " .

" على بعد عشرين دقيقة من منزل عائلة كيندال . هل تريدنا أن نلتقطهم إذا وجدناهم هناك ؟ " .

" كيف حال الطبيب ؟ " .

" إنه مُتزن " .

" هل أنت متأكدة من ذلك ؟ " .

قالت دوللى : " إنه يصلح الآن للقيام بعمل حكومى ، إنه ، يشرب قهوة من الترمس " .

" هل فحصت الترمس لتتأكدى ما إذا كان بداخله قهوة أم شيء آخر ؟ " .

" نعم ، طبعًا ، إذن هل نأخذهم إذا وجدناهم أم ننتظرك ؟ " .

" إذا كانت الفتاة ، أليكس ، اتركيها لشأنها ، ولكن إذا رأيت الطفل ، خذيه " .

قالت دوللى : " سنفعل ذلك " .

الفصل ٨١

قالت أليكس وهى ممسكة هاتفها على أذنها : " بوب " .
وسمعت تثاؤباً فى الجانب الآخر : " كم الساعة الآن ؟ " .
" إنها السابعة صباحًا ، يا بوب " .
" يا إلهى ! " صوت ارتطام رأسه بالوسادة " من الأفضل أن يكون ذلك شيئًا مهمًا ، يا أليكس " .
" هل كنت فى الخارج ساهراً حتى الصباح كعادتك ؟ " كرس روبرت أ . كوش ، رئيس الشركة القانونية الشهير الكثير من انتباهه للمقتنيات النادرة . يحتفظ بمجموعته فى خزانات فى جميع أنحاء المدينة . كان يشتريها من مزادات من كريستى وكان يقوم برحلات إلى نابا ، أستراليا ، وفرنسا من أجل هوايته تلك .
قال : " أنا أنتظر يا أليكس ، من الأفضل أن يكون شيئًا مهماً الذى جعلك تتصلين بى فى هذه الساعة " .
" حسناً ، لمدة الأربع والعشرين ساعة الماضية ، كان هناك صائد مكافآت ، رجل ضخم مثل صخرة متحركة ، يسعى ورائى أنا وطفلى ، يحاول أن يغرز إبر عينات فينا ليأخذ خلايانا " .
" هذا مضحك . أنا أنتظر " .

" أنا جادة فى ذلك ، هناك صائد مكافآت يطاردنى أنا وابنى " .

" هذا من لا شيء ؟ " .

" لا . أعتقد أن الأمر مرتبط بشركة بيوجين " .

" أنا أسمع أن شركة بيوجين لديهم مشاكل ، وهل يحاولون أن يأخذوا خلاياك ؟ ربما لا يكون لهم الحق فى فعل ذلك " .

" *ربما* ليس ما أريد أن أسمعه " .

" تعرفين أن القانون غير واضح فى هذا الشأن " .

قالت : " انظر أنا معى طفلى الذى يبلغ من العمر ثمانى سنوات هنا ، وهم يحاولون أخذه فى سيارة إسعاف ويريدون وضع إبر فى كبده . لا أريد أن أسمع أن القانون *غير واضح . أريد أن أسمع سنوقف ذلك* " .

قال : " سنحاول بالتأكيد ، هل هذه قضية أبيك ؟ " .

" نعم " .

" هل اتصلت به ؟ " .

" إنه لا يجيب " .

" هل اتصلت بالشرطة ؟ " .

" هناك مذكرة باعتقالى ، فى أوكسنارد . هناك جلسة استماع اليوم بأوكسنارد . أريد شخصاً جيداً أن يذهب ويحضر عنى " .

" سأرسل دينييس " .

" قلت شخصاً جيداً " .

" دينيس جيد " .

" يكون دينيس جيداً إذا كان أمامنا شهر ، ولكن هذا سيحدث اليوم ، يا بوب " .

" حسنًا ، من تريدين ؟ " .

قالت : " أريدك أنت أن تذهب نيابة عنى " .

" يـا إلهـى . أوكـسنارد ؟ إنهـا بعيـدة جـدًا . . . أن لـست مستعدًا . . . " .

" إن لدى بندقية فى المقعد الخلفى ، يا بوب . ولا أهتم فى الواقع إذا كنت تعتقد أن المسافة طويلة جدًا " .

قال : " حسناً ، حسناً هدئ من روعك ، سيكون علىّ ترتيب بعض الأمور " .

" هل ستذهب ؟ " .

" نعم ، سأذهب . هل يمكن أن تعطينى لمحة عما يكون كـل ذلك ؟ " .

" ستجد ذلك فى ملف بيرنت . أنا أعتقد أن ذلـك لـه علاقـة بأخذ الحق فى مصادرة الملكية الشخصية أو التحول البسيط " .

" أخذ خلاياك ؟ " .

" إنهم يدعون أنهم يملكونها " .

" كيف يمكن أن يملكوا خلاياك ؟ إنهم يملكون خلايا أبيك . لقد فهمت . إنها نفس الخلايا . ولكن ذلك هراء ، يا أليكس " .

" أخبر القاضى بذلك " .

" لا يمكـن أن ينتهكـوا كامـل جـسدك ، أو جـسد طفلـك ، لمجرد ـ " .

قالت : " وفر ذلك للقاضى ، سأتصل بك لاحقاً لأعرف كيـف سارت الأمور " .

أغلقت الهاتف .

نظرت إلى جيمى ، كان مازال نائماً ، هادئاً كالملاك .

إذا ذهب كوش إلى أوكسنارد متأخرًا فى الصباح ، قد يحصل على تحديد موعد جلسة استماع فى فترة بعد الظهيرة . يجب أن تتصل به حوالى الساعة الرابعة مساءً . بدا لها أن ذلك وقت بعيد جدًا .

قادت أليكس السيارة تجاه لاجولا .

الفصل ٨٢

فكر هنرى كيندال ، إن آخر شيء نحتاج إليه ، هو زائرون ! لقد راقب فى فزع بينما ألقت لين ذراعيها حول أليكس بيرنت وانحنت تعانق طفل أليكس ، جيمى . لقد ظهرت أليكس وابنها جيمى الآن ، دون سابق إنذار . كانت السيدتان تثرثران فى إثارة وهما ممسكتان بذراع بعضهما البعض فى شوق ، سعيدتين أن تريا بعضهما البعض ، بينما مشتا إلى المطبخ لإحضار طعام لطفل أليكس جيمى . فى هذا الوقت كان جيمى وديف يلعبان لعبة السيارات " درايف أور داى " على البلاى ستيشن . كان صوت تطاحن المعدن وصوت احتكاك إطارات السيارات يملأ الغرفة .

كان هنرى كيندال مستغرقًا فى التفكير . لقد مشى داخل غرفة النوم ليُقلب بعض الأشياء فى ذهنه . لقد عاد لتوه من مخفر الشرطة ؛ حيث راجع شريط كاميرا أمن الملعب من اليوم السابق . لم تكن الصورة جيدة وواضحة بما يكفى ـ حمدًا لله ـ لأن صورة هذا الطفل بيللى وهو يركل ويضرب ابنه كانت مزعجة واستطاع بالكاد أن ينظر ، وكان عليه أن ينظر بعيدًا عن الشاشة عدة مرات ، وهؤلاء الأولاد الآخرون ، عصابة المتزلجين ، يجب

أن يزج بهم جميعًا فى السجن ، وإذا كانوا محظوظين سيفصلون من المدرسة .

لكن هنرى قد عرف أن الأمر لن ينتهى عند هذا الحد ، وعرف أنه لن ينتهى أبدًا ؛ فكل شخص يقوم برفع قضية فى هذه الأيام ، لا شك أن آباء المتزلجين سيرفعون قضية حتى يؤمنوا موقف أولادهم . إنهم سيرفعون قضية على أسرة هنرى ، وسيقاضون جيمى وديف . ومن خلال هذه القضايا سيظهر أنه ليس هناك ما يدعى تناذر جاندلر كروفيم ، أو أياً كان ما اختلقته لين ، ومن المؤكد أنه سيظهر أن ديف فى الحقيقة شمبانزى محور جينيًا .

ثم ماذا بعد ذلك ؟ سيكون هناك سيرك إعلامى يفوق كل التخيل ، ومراسلون يعسكرون فى الفناء الخارجى لمنزلهم لمدة أسابيع يطاردونهم أينما ذهبوا . ويصورونهم بكاميرات تجسس فى النهار والليل ، ويحطمون حياتهم . وفى الوقت الذى يمل فيه المراسلون من ملاحقتهم ، سوف يبدأ رجال الدين والبيئيون ، سيسمون هنرى وأسرته ملحدين ، يسمونهم مجرمين ، وخطيرين ، وغير أمريكيين ، وسيقولون إنهم يمثلون على النشاط البيولوجى . وفى عقله شاهد المعلقين فى التلفاز يتحدثون باللغات الإنجليزية ، والإسبانية ، والألمانية ، واليابانية ـ كلهم يتحدثون ، مع صورته ، وصورة ديف فى الخلفية .

وهذه هى مجرد بداية .

سيُأخذ ديف بعيدًا ، ومن المحتمل أن يذهب هنرى إلى السجن (وإن كان يشك فى ذلك ؛ فالعلماء يخرقون القوانين بشأن الاختبارات الجينية منذ عقدين ، ولم يذهب أحد للسجن ؛ حتى عندما يموت المرضى) لكنه بالتأكيد سيمنع من البحث ، ويمكن أن يطرد من المعمل لعام أو أكثر . كيف سيعول أسرته ؟ ولين لا تستطيع أن تعول الأسرة وحدها ، وعملها على

شبكة الإنترنت بالتأكيد سينهار . وماذا سيحدث لديف ؟ وابنه ؟ وتريسي ؟ وماذا عن مجتمعهم ؟ لقد كان مجتمع لاجولا متحررًا (في أجزاء منه على أى حال) ، ولكن الناس قد لا تتفهم فكرة الهيومانزى (أى الإنسان الشمبانزى) يذهب إلى المدرسة مع أولادهم . لقد كان متطرفاً دون شك في ذلك . لم يكن الناس مستعدين له ؛ فالمتحررون كانوا فقط متحررين للغاية ، ولكنهم لم يقدموا على أفعال متطرفة .

قد يضطرون للانتقال ، وقد يضطرون لبيع منزلهم والذهاب لمكانٍ بعيد مثل مونتانا ، على الرغم من أن الناس سيكونون أقل تقبلاً لهم هناك .

تبادرت هذه الأفكار وغيرها سريعاً إلى ذهنه ، مصاحبة لصوت صريخ السيارات وتحطمها في بعضها البعض ، وزوجته وصديقتها تضحكان في المطبخ . شعر بأنه مغمور . وفي وسط ذلك وفي مركز كل شيء كان هناك شعوره العميق بالذنب .

لقد كان هناك شيء واحد واضح بالنسبة له . يجب أن يراقب أولاده . يجب أن يعرف أين هم ؛فلا يمكن أن يخاطر بأحداث أخرى مثل التى حدثت في اليوم السابق ؛ فلين تبقى الأطفال في المنزل لمدة ساعة إضافية ، بقصد أن يذهبوا إلى المدرسة متأخرين ، فلا تكون هناك حوادث أخرى مع أطفال آخرين . لقد كان الفتى كليفر خطرًا ولم يكن من المحتمل أن يسجن . فهم ربما أرادوا أن يخيفوه ثم يسلموه في وصاية والده . والأبٍ كان كما يعرف هنرى ، محلل دفاع لشركة محلية ومجنوناً بتلك الأشياء ، إنه أحد العقلانيين الذين يحبون إصابة الأشياء . عقلاني قوى ، ولم يكن ممكناً التنبؤ بما يمكن أن يحدث .

التفت إلى الطرد الذى أحضره للمنزل من المعمل . كان مكتوباً عليه " تراك تيك انداستريز " ، مدينة تشيبا ، اليابان . كانٍ بداخله أنابيب فضية مصقولة طولها خمس بوصات ، أرفع قليلاً

من ماصة الصودا . جذبها للخارج ونظر إليها . هذه عجائب التصغير فى تكنولوجيا التتبع وتحديد المواقع ، وكان الطرد يحتوى كذلك على شاشات لدرجة الحرارة ، والنبض ، والتنفس ، وضغط الدم ، ويتم تنشيطها عن طريق مغناطيس تلمسه فى أحد الأطراف . يتوهج الطرف بلون أزرق مرة ، ثم لا شىء .

لقد كانت هذه الأشياء مصممة لمتابعة ثدييات المعمل ، القرود والبابون ، وكانت الأنابيب توضع بأداة جراحية خاصة تشبه السرنجة ، تحت جلد العنق ، فوق الترقوة مباشرة . لم يستطع أن يفعل هنرى ذلك بأولاده بالطبع ، والسؤال هو أين يضعها ؟

ذهب إلى غرفة الجلوس حيث كان الأولاد . فكر هل يلقى المجسات فى حقائبهم المدرسية ؟ لا ، فى ياقة قمصانهم ؟ هز رأسه لا سوف يشعرون بها .

إذن أين يمكن أن يضعها ؟

لقد أفادت الأدوات الجراحية بشكل رائع . لقد مرت الأدوات بسهولة فى الكعب المطاط للحذاء القماش . فعل ذلك فى حذاء ديف ، ثم جيمى وباندفاع ذهب وأخذ حذاء جيمى ، ابن أليكس ، أيضًا .

قال جيمى : " ماذا ستفعل به ؟ "

" أحتاج إلى قياسه ، سأعيده لك فى ثانية " .

وضع جهازاً آخر فى الحذاء الثالث .

وبذلك تبقى اثنتان من أنابيب التتبع معه . فكر هنرى بشأنهما قليلا ، وقد تبادرت عدة احتمالات إلى ذهنه .

الفصل ٨٣

وقفت السيارة موديل هامر بجانب سيارة الإسعاف ، وخرج فاسكو ومشى إلى سيارة الإسعاف .

انزلقت دوللى فى كرسى الراكب بجانب السائق .

قال فاسكو وهو يدخل السيارة : " ماذا لديك ؟ " .

أشارت دوللى إلى المنزل فى نهاية الشارع وقالت : " هذا هو مكان عائلة كيندال ، وها هى سيارة بيرنت تقف فى الأمام . إنها هناك منذ ساعة " .

عبس وجه فاسكو وقال : " ماذا يجرى ؟ " .

هزّت رأسها وقالت : " استطعت أن أحصل على ميكروفون مُوَجه ، ولكن يجب أن نكون عند النوافذ مباشرة حتى نتمكن من استخدامه ، واعتقدت أنك لا تريدنى أن أقترب كثيرًا " .

" صحيح ، أنا لا أريد ذلك " .

مال فاسكو للخلف فى مقعده ، وتنهد بعمق ، ونظر إلى ساعته .

" حسنًا ، إننا لا نستطيع الدخول إلى هناك " ؛ فصائدو المكافآت يصرح لهم دخول ملكية الهارب ، حتى بدون إذن تفتيش ، لكنهم لا يستطيعون دخول ملكية أطرافٍ ثالثة ، حتى لو كانوا يعلمون أن الهارب هناك . قال : " آجلاً أم عاجلاً يجب أن يخرجوا ، وعندما يفعلون ذلك ، سنكون متربصين لهم " .

الفصل ٨٤

لقد كان جيرارد متعبًا . لقد ظل طائرًا لمدة ساعة منذ آخر مرة توقف فيها والتى كانت أشبه بكارثة .

هبط جيرارد بعد الفجر بفترة قصيرة ، على مجمع مبان حيث شم رائحة طعام . لقد كان المبنى مصنوعًا من الخشب ومطليًا بطلاء باهت . كانت هناك سيارات قديمة ينمو حولها العشب . وحيوانات كبيرة تصدر أصوات غطيطٍ خلف السور . وقف جيرارد على عمود السور وشاهد ولداً صغيراً يرتدى ملابس زرقاء يمشى فى الخارج ممسكاً دلواً فى يده . لقد شم جيرارد رائحة الطعام .

قال : " أنا جائع " .

التفت الولد الصغير ، ونظر حوله سريعاً ، ثم استمر فى طريقه .

قال جيرارد : " أريد طعامًا ، أنا جائع " .

توقف الطفل مرة أخرى ، ونظر حوله مرة أخرى .

قال جيرارد : " ما الأمر ، ألا تعرف كيف تتحدث ؟ " .

قال الفتى : " نعم ، أين أنت ؟ " .

" هنا " .

نظر الفتى شزرًا ومشى إلى السور .

" اسمى جيرارد " .

" ليس مزحًا ! أنت تستطيع التكلم ! " .

قال جيرارد : " كم هو أمر مثير بالنسبة لك " واستطاع جيرارد أن يشم الدلو بقوة الآن . لقد شم رائحة ذرة وحبوب أخرى ، واستطاع أيضًا أن يشم شيئاً آخر رائحته سيئة ، لكن جوعه تغلب عليه .

" أريد طعامًا " .

قال الفتى : " ما الطعام الذى تريده ؟ " بحث فى الجردل وغرف حفنة من الطعام : " أتريد ذلك ؟ " .

انحنى جيرارد وتذوقه ، وبصقه فى الحال : " يع ! " .

" إنه طعام دجاج . لا شىء خطأ فيه . إن الدجاج يتناوله دون مشكلة " .

" هل لديك أى خضراوات طازجة ؟ " .

ضحك الفتى وقال : " أنت مضحك . إن لهجتك بريطانية . ما اسمك ؟ " .

" جيرارد . هل لديك برتقالة ؟ هل لديك برتقالة ؟ " ووثب جيرارد جيئة وذهابًا على عمود السور ، بغير صبر وقال : " أنا أحب البرتقال " .

" كيف حدث أنك تتحدث بشكل جيد هكذا ؟ " .

" يمكن أن أسألك نفس السؤال " .

قال الفتى : " تعرف ماذا ؟ سأريك لأبى " . ومسكه فى يده وقال : " أنت أليف ألست كذلك ؟ " .

وقف جيرارد على يده : " أغرقنى ! " .

وضع الفتى جيرارد على كتفه ، وبدأ يمشى إلى المبنى الخشبى وقال : " أراهن أننا نستطيع أن نبيعك بمبلغ كبير " .

أصدر جيرارد صوتًا عاليًا حادًا وطار لسطح أحد المبانى .

" مهلا ! ، ارجع ! " .

من داخل المنزل جاء صوت : " جاريد قم بعملك ! " .

شاهد جيرارد الفتى يلتفت بمضض إلى فناء قذر ؛ حيث ألقى حفنات من الحبوب من الجردل على الأرض . كان هناك مجموعة من الطيور الصفراء تطلق أصواتًا وتقفز بينما يلقى لها الطعام . لقد كانت تبدو غبية بشكل لا يصدق .

مرت لحظة قبل أن يقرر جيرارد أنه سيأكل من هذا الطعام على أى حال ، طار جيرارد وأصدر صرخة حادة ليبعد الطيور الغبية ، ثم بدأ يتناول الحبوب . لقد كان طعمها مقززًا ، لكنه كان يجب أن يأكل شيئاً . وفى هذه الأثناء قفز الفتى ليمسكه فارداً ذراعيه . طار جيرارد فى الهواء ونقر الفتى بشدة فى أنفه - صرخ الفتى - ثم هبط جيرارد على مسافة قريبة ؛ ليأكل مرة أخرى . لقد كانت هذه الطيور الصفراء جميعها حوله .

" ارجعوا ، ارجعوا كلكم ! " .

لم تعره الطيور الصفراء انتباهاً . أصدر جيرارد صوت سارينة . قفز الفتى عليه مرة أخرى وبالكاد أفلت منه جيرارد . لقد كان من الواضح أنه فتى غبى .

قال جيرارد : " إننا سنصطدم ، سنصطدم ! إننا على بعد عشرين ألف قدم سنصطدم ! سوف أدفع العصا للأمام - " ثم قلد جيرارد صوت انفجار طائرة ضخم . لقد تبعثر الدجاج متفرقاً بعد سماع ذلك الصوت الهادر ، وأصبح أمام جيرارد الآن لحظة سلام ليأكل قليلاً .

الآن عاد الفتى ممسكاً شبكة فى يده ، وهو يلوح بها . لقد كان ذلك شيئاً مثيراً للغاية بالنسبة لجيرارد ، الذى كان يشعر بغثيان فى معدته بسبب الطعام الفظيع الذى تناوله ، لذا طار بسرعة فى الهواء ، مبتعدًا وضرب الفتى جيدًا فى رأسه ، قبل أن يقفز إلى السماء الزرقاء وذهب بعيدًا .

بعد عشرين دقيقة ، فى هواء أكثر برودة ، وصل إلى أحد السواحل وتتبعه . لقد كان التحليق أكثر سهولة هنا ؛ لأنه

كانت هناك تيارات هوائية صاعدة ، فإن هذه التيارات كانت بمثابة النعمة التى أنعم بها الله على جناحيه ؛ لأنه يمكن أن يكون قادراً على التحليق ولكن هذه التيارات الهوائية كانت تساعد على الرغم من ذلك . غمر جيرارد شعور متواضع من السلام .

لقد شعر جيرارد بذلك ، على الأقل حتى اندفع طائر أبيضٍ عملاق ـ ضخم وهائل بشكل كبير ، فى صمت نحوه ، مسبباً اضطراب تحليق جيرارد ، ودورانه حول نفسه حتى إنه جعله يهوى دون تحكم . وعندما استعاد جيرارد توازنه مرة أخرى ، كان الطائر قد انسل بعيدًا عنه بأجنحة ضخمة مسطحة . لقد كانت هناك عين واحدة فى منتصف رأس هذا الطائر ؛ وكانت تتوهج فى الشمس . لم تكن الأجنحة تتحرك ؛ لقد ظلت مستقيمة ومسطحة .

كان جيرارٍد ممتنًا أنه لا يوجد سرب من مثل هذا الطائر ، وأنه كان طائراً واحداً فقط . ولقد شاهده وهو يدور ببطء تجاه الأرض أسفل ؛ وذلك عندما لاحظ واحة خضراء جميلة فى وسط الساحل الجاف . واحة ! لقد كانت هذه الواحة بين سلسلة ضخمة من الصخور ، ويحيط بالصخور نخيل وحدائق ذكية الرائحة ومبان جميلة تحتضن الخضرة . شعر جيرارد بالتأكد من أنه سيكون هناك طعام . لقد كانت الواحة جذابة جدًا ، وهبط عليها بشكل حلزونى .

لقد كان الأمر أشبه بالحلم . أشخاص جميلة يرتدون ملابس بيضاء يمشون فى هدوء خلال حدائق من الزهور والشجيرات ، فى الظلال الهادئة للنخيل ، مع كل أنواع الطيور ترفرف حولهم . لم يشم جيرارد رائحة الطعام هنا ، ولكنه كان متأكدًا أنه يوجد هناك بعض الطعام .

ثم شم رائحة ـ برتقال ! قطع البرتقال !

لقد استغرق الأمر لحظة واحدة فقط من جيرارد ليرى طائراً آخر ، طائراً متوهجاً ذكياً باللون الأزرق والأحمر ، يقف على سارية مع الكثير من البرتقال حوله على صينية أسفل . برتقال وافوكادو ، وبعض الخس ، وبحرص ، هبط جيرارد بالقرب منه .

قال : " أريدك أن ترغب في تواجدى " .

قال الطائر : " مرحبًا " .

" أريدك أن ترغب في تواجدى " .

" مرحباً " .

" هذا مكان جميل الذى أنت فيه . اسمى جيرارد " .

قال الطائر : " آه ، ما الجديد يا دكتور ؟ " .

" هل تمانع لو أخذت برتقالة ؟ " .

قال الطائر : " مرحبًا ، آه ، ما الجديد يا دكتور ؟ " .

" قلت أريد برتقالة " .

" مرحبًا " .

فقد جيرارد صبره ، وذهب إلى البرتقالة . نقره الطائر بشراسة ؛ راوغ جيرارد ورفرف بعيدًا والبرتقالة فى فمه . جلس على فرع شجرة ونظر عندما شاهد الطائر الآخر مقيدًا فى السارية . أكل جيرارد البرتقالة على راحته ، ثم طار من أجل المزيد . جاء إلى السارى من الخلف وأخذ ما أراده من طعام ، ثم بعد ذلك أتى من الجانب ليأخذ ما يريد . كان يطير بشكل غير متوقع في كل مرة حتى يراوغ الطائر ، الذى كان يستطيع أن يقول فقط : " مرحبًا " .

بعد نصف ساعة ، كان جيرارد راضيًا جدًا .

وفى نفس الوقت ، شاهد جيرارد الناس يرتدون أردية حمامات يجيئون ويذهبون ، يتحدثون عن نادى كويل وجيل ـ أوه . قال : " جيل ـ أوه " بطعم الفاكهة لكل الأسرة ، والآن يحتوى المنتج على مزيد من الكالسيوم " . نظر اثنان من الذين

يرتــدون الأرواب لأعلــى ، وضــحك أحــدهما . واســتمرا فــى طريقهما . لقد كان هذا المكان مسالمًا ؛ لقد كـان المـاء يتـدفق فـى تيار متقطـع فِـى جـداول بجانـب الطريـق . سـيبقى هنـا ، كـان جيرارد متأكداً من أنه سيبقى لفترة طويلة .

الفصل ٨٥

قال فاسكو : " حسنًا ، لدينا عمل " . لقد كان الطفلان يخرجان من منزل كيندال . أحدهما كان أسمر يرتدى قبعة بيسبول ، وكان بشكل ما متقوس الساقين والآخر كان أشقر ، ويرتدى أيضاً قبعة بيسبول . كانا يرتديان كاكى وقميصاً رياضياً .

قال فاسكو وهو يدير السيارة : " يبدو أن هذا جيمى " .

قادوا السيارة فى هدوء للأمام .

قالت دوللى : " لا أعرف ، لا يبدو فى نفس الشكل تمامًا " .

قال فاسكو : " إن قبعة البيسبول التى يرتديها هى ما يجعلك غير متأكدة من ذلك . اسأليه فقط " .

أنزلت دوللى زجاج السيارة ومالت للخارج وقال : " جيمى ، حبيبى ؟ " .

التفت الولد وقال : " نعم " .

قفزت دوللى خارج السيارة .

كان هنرى كيندال يعمل على جهاز الكمبيوتر ، يُنشط برنامج تكنولوجيا التعقب ، عندما سمع صراخًا حادًا من الخارج . عرف

في الحال أنه ديف . انطلق وهرع تجاه الباب ، وكانت لين خلفه ، تجرى من المطبخ ، لكنه لاحظ أن أليكس بقيت في المطبخ ، وذراعاها حول ابنها جيمى ؛ لقد كانت مرعوبة .

لقد كان ديف مرتبكاً لما رآه . لقد تحدث جيمى للمرأة في السيارة البيضاء الكبيرة ، ثم قفزت للخارج وجذبته . لم يكن ديف ميالاً للاعتداء على الإناث ، لذلك شاهد المرأة جذبت جيمى ، وأخذته للخلف في السيارة البيضاء ، وفتحت الأبواب الخلفية . رأى ديف رجلاً في الخلف يرتدى معطفاً أبيض ، ورأى الكثير من المعدات اللامعة التى أفزعته .

لابد أن جيمى كان خائفاً ، أيضًا ؛ لأنه فجأة كان يصرخ عندما دفعت المرأة الباب لتغلقه . قبل أن تبدأ السيارة في الحركة . صرخ ديف وقفز على ظهر السيارة ، ممسكاً بمقبض الباب . أسرعت السيارة البيضاء للأمام ، متحركة بسرعة . تمسك ديف محاولاً أن يحافظ على توازنه ، وعندما أمسك بإحكام ، قفز لأعلى حتى يستطيع أن ينظر من النافذة الخلفية للسيارة . لقد رأى الرجل ذا المعطف والسيدة يدفعان جيمى على الفراش ، محاولين ربطه ، وكان جيمى يصرخ .

شعر ديف بفيضان من الغضب في جسمه ، فزمجر وأخذ يخبط في الأبواب . نظرت المرأة في ذعر ، لقد صُدمت عندما رأت ديف ، وصرخت بشيء للسائق .

بدأ السائق ينحرف ويتمايل بالسيارة البيضاء . كان ديف يُطرح جانبًا ، وكان بالكاد قادراً على التمسك بتجويف مقبض الباب ، وعندما أرجحته السيارة مرة أخرى دفع نفسه أعلى السيارة . كانت الريح تهب بشدة . وكان سطح السيارة ناعمًا . نام مسطحًا على ظهر السيارة وأخذ يزحف ببطء . وشعر بأن السيارة بدأت في السير في خط مستقيم وبسرعة أقل . سمع ديف صراخاً بالداخل .

زحف للأمام .

صرخت دوللى : " لقد فقدناه ! " وهى تنظر من النافذة الخلفية .

" ماذا كان ذلك ؟ " .

" بدا مثل قرد ! " .

صرخ جيمي مقاومًا : " إنه ليس قرداً ؛ إنه صديقي ! إنه يذهب إلى المدرسة معى " .

سقطت قبعة الطفل ، ورأت دوللى أن شعره بنى غامق . قالت : " ما اسمك ؟ " .

" جيمى ، جيمى كينداال " .

قالت : " آه ، لا " .

قال فاسكو وهو يقود السيارة : " يا إلهى ، لقد أخذنا الطفل الخطأ ؟ " .

" لقد قال اسمه جيمى ! " .

" إنه طفل خطأ . يا إلهى . أنت غبية ، يا دوللى . إن هذا اختطاف " .

" حسنًا ، هذا ليس خطئى ـ " .

" خطأ من هذا فى اعتقادك ؟ " .

" لقد رأيت الولد أنت أيضًا " .

" أنا لم أر ـ " .

" لقد نظرت إليه أنا أيضاً " .

" يا إلهى ، اخرسى . توقفى عن الجدال . يجب أن نعيده مرة أخرى " .

" ماذا تقصد ؟ " .

" يجب أن نأخذه ونعيده مرة أخرى حيث وجدناه . إن ذلك اختطاف لعين " .

أخذ فاسكو يلعن ويسب .

كان ديف على سطح السيارة ، يتوازن بين حاجز الضوء وميل السيارة . ومال نحو جانب السائقٍ وكانت هناك مرآة جانبية . استطاع أن يرى من خلالها شخصاً قبيحاً بلحية سوداء ، يقود السيارة ويصرخ ، وقد عرف أن هذا الرجل سيؤذى جيمى ، ورأى أن الرجل يَصُر على أسنانه في علامة على الغضب .

انحنى ديف لأسفل ، واضعًا وزنه على المرآة الجانبية وأرجح ذراعه خلال النافذة المفتوحة وقبض بأصابعه القوية على أنف الرجل ذى اللحية ، صرخ الرجل وقذف برأسه ، وفلتت أصابع ديف لكنه اندفع وقضم أذن الرجل بشدة وأمسكها . أخذ الرجل يصرخ فيه فى غضب . شعر ديف بالغضب الذى اعترى الرجل ، ولكن كان ديف لديه الكثير من هذا الغضب أيضاً . جذب ديف أذن الرجل بشدة وشعر بأنها تخرج بعيداً مع تدفق الدماء الساخنة .

صرخ الرجل وأدار عجلة القيادة .

مالت سيارة الإسعاف . ارتفعت العجلات اليسرى عن الأرض وانقلبت السيارة ببطءٍ وارتطمت على جانبها الأيمن . لقد كان صوت المعدن مرتفعاً بشكل لا يصدق . كان ديف يمتطى السيارة بينما سقطت ، لكنه أفلت قبضته نتيجة الصدمة . صدمت قدماه وجه الرجل ذى اللحية ودخل حذاؤه داخل فمه . انزلقت السيارة لتقف على جانبها . كان الرجل يعض ويكح ، وكانت المرأة فى الداخل تصرخ . جذب ديف قدمه من الحذاء ، تاركاً الحذاء فى فم الرجل ذى اللحية ، وكان الدم يتدفق فى كل مكان من أذن الرجل .

انتزع ديف الحذاء الآخر ، وقفز لخلف سيارة الإسعاف ، وتمكن ببعض الجهد من فتح الباب .

كان الرجل ذو المعطف الأبيض راقدًا على جنبه ، ينزف من الفم ، وكان جيمى تحت الرجل ، يصرخ . جذب ديف الرجل ذا

المعطف الأبيض خارج السيارة ، وألقاه فى الشارع ، ثم ذهب وأحضر جيمى ، وضعه على ظهره ، وجرى وهو يحمل جيمى لمنزلهم .

قال جيمى : " هل أصبت ؟ " .

كانت الأذن ما زالت فى فمه بصقها فى يده وقال : " لا " .

" ما هذا الذى فى يدك ؟ " .

فتح ديف قبضته وقال : " إنها أذن " .

" أع " .

" لقد عضضت أذنه . لقد كان رجلاً سيئًا وأذاك " .

" أع " .

ومن بعيد ، رأيا الجميع واقفين فى الحديقة الأمامية لمنزلهم : هنرى ولين والزائرين الجدد ، أيضًا . وضع ديف جيمى على الأرض ، وجرى لوالديه . انتظر ديف أمه لين لكى تشجعه ، لكنها كانت تركز تمامًا على جيمى ، وقد جعله ذلك يشعر باستياء . أسقط الأذن التى فى يده على الأرض . كان الجميع يلتفون حولهم ، لم يلمسه أحد ، ولم يضع أحد أصابعه فى فروته .

لقد شعر ديف بحزن أكثر وأكثر .

ثم رأى السيارة السوداء تنطلق بسرعة تجاههم . لقد كانت ضخمة ، عالية عن الأرض وتقدمت أمام المرج الأخضر للمنزل .

الفصل ٨٦

كانت غرفة محكمة أوكسنارد صغيرة وباردة جدًا واعتقد بوب كوتش أنه سيصاب بالتهاب رئوى ، ولم يكن يشعر بحالة جيدة على أى حال ؛ فلم ينل القدر الكافى من النوم كعادته ، وكذلك كان يشعر بأن معدته على ما يرام . كان القاضى رجلاً صغيرًا فى السن ، فى حوالى الأربعين من عمره ، وكان يبدو متأثرا بقلة النوم هو الآخر ، ولكن ربما لا ، تنحنح كوتش وقال :

" سيدى القاضى ، أنا هنا أمثل أليكسندرا بيرنت ، التى لم تستطع الحضور شخصيًا " .

قال القاضى : " لقد طلبت منها المحكمة أن تحضر شخصيًا " .

أنا مدرك لذلك ، سيدى القاضى ، ولكنها هى وطفلها الآن يتم مطاردتهما بواسطة صائد مكافآت ، بقصد نزع أنسجة من جسديهما ، وهى لذلك الأمر مسافرة حتى تمنع حدوث هذا " .

قال القاضى : " أى صائد مكافآت ، ولماذا يشترك صائد مكافآت فى ذلك ؟ " .

قال بوب كوتش : " نريد أن نعرف هذا بالضبط ، يا سيدى القاضى ـــــ " .

التفت القاضى وقال : " يا سيد رودريجيز ؟ " .

قال رودريجيز : " سيدى القاضى ، ليس هناك صائد مكافآت بذاته " .

" حسنًا ، ماذا هناك ؟ " .

" هناك عميل محترف لاستعادة الهاربين " .

" بأى تصريح ؟ " .

" ليس لديه تصريح بذاته . فى هذه الحالة يقوم هذا المحترف باعتقال مواطن ، سيدى القاضى " .

" اعتقال من ؟ " .

" السيدة بيرنت وابنها " .

" على أى أساس ؟ " .

" على أساس حوزتهما على ملكية مسروقة ، سيدى القاضى " .

" إن اعتقال أحد المواطنين ، يتطلب أن يشهد الشخص الذى يقوم بالاعتقال حوزة ذلك الهارب على تلك الملكية المسروقة " .

" نعم ، سيدى القاضى " .

" وماذا شهد ؟ " .

" حوزة الهاربين على الملكية موضع السؤال ، سيدى القاضى " .

قال القاضى : " أنت تتحدث عن خط خلايا بيرنيت " .

" نعم ، سيدى القاضى ، كما اتضح من خلال المستندات السابق تقديمها أمام هذه المحكمة ، إن خط الخلايا هو ملك لجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ومرخص لشركة بيوجين ، فى ويستفيو ، والملكية مصدق عليها بواسطة أحكام سابقة عديدة أصدرتها محكمة أخرى " .

" كيف إذن سُرقت ؟ " .

" سيدى القاضى ، لدينا دليل أن السيد بيرنت قد تآمر للقضاء على خطوط بيرنت التى تملكها شركة بيوجين ، ولكن سواء كان

ذلك صحيحاً أم لا ، فإن شركة بيوجين لديها الحق فى استعادة خط الخلايا الذى تملكه " .

" يمكن أن تستعيدها من السيد بيرنت " .

" نعم ، سيدى القاضى . وبافتراض ذلك ، وحيث إن المحكمة قد حكمت بأن خلايا السيد بيرنت ملك لشركة بيوجين ، فإن من حق الشركة أن تحصل على المزيد من الخلايا فى أى وقت ، ولا يهم سواء كانت الملكية فى الواقع داخل جسم السيد بيرنت أو لا ؛ فإن شركة بيوجين تمتلك الخلايا على أى حال " .

قال القاضى وهو يرفع حاجبًا : " أنت تنكر حق السيد بيرنت فى تكامل جسده ؟ " .

" مع احترامى ، يا سيدى القاضى ، ليس هناك مثل هذا الحق . افترض أن شخصاً أخذ خاتم زوجتك الماسى وابتلعه ؛ فإن الخاتم لا يزال ملكك " .

قال القاضى : " نعم ، لكنى قد أنتظر بصبر حتى يظهر الخاتم " .

" نعم ، سيدى القاضى ، ولكن افترض لسبب ما أن الخاتم قد التصق فى الأمعاء . أليس لك الحق فى استعادته ؟ بوضوح لك الحق . لا يمكن أن يبقى بعيداً عنك . إنها ملكيتك مهما كانت . وعلى من ابتلعه أن يتحمل مسئولية إعادته " .

فكر كوتش فى أنه يجب أن يتحرك فقال : " سيدى القاضى ، إذا كنت على ما أذكر من مادة الأحياء التى درستها فى المرحلة الثانوية ، فإن أى شىء يتم ابتلاعه لا يصير جزءاً من الجسم ، وفى هذه الحالة لا يعد الخاتم جزءاً من الجسم ، بينما الخلايا جزء لا يتجزأ من الجسم البشرى " .

بدأ رودريجيز يغتاظ : " سيدى القاضى ـ " .

قال كوتش رافعًا صوته : " سيدى القاضى ، أنا واثق أننا جميعًا يمكن أن نتفق أننا لا نتحدث هنا عن خاتم ماسى قد

سُرق . نحن نتحدث عن خلايا توجد داخل الجسم البشرى . فكرة أن هذه الخلايا يمكن أن يمتلكها شخص آخر - حتى لو كانت محكمة الاستئناف قد أيدت ما توصل له المحلفون - تؤدى إلى نتائج سخيفة ، كما ترى هنا . إذا كانت شركة بيوجين لم تعد تمتلك خلايا بيرنت ، إذن فقد فقدوها بسبب تصرفاتهم الحمقاء ، ولا يحق لهم أن يعودوا للحصول عليها . إذا فقدت خاتمك الماسى ، لا يمكن أن تعود على منجم الماس وتحصل على بديل له " .

قال رودرجيز : " إن هذا التشبيه غير دقيق " .

" يا سيدى القاضى إن كل التشبيهات غير دقيقة " .

قال رودرجيز : " فى هذه المرحلة ، اطلب من المحكمة أن تلتزم بشكل محدد بالموضوع الذى فى أيدينا ، والآن يجب أن نأخذ فى الاعتبار النتائج السابقة للمحكمة التى سبق أن حكمت فى هذا الأمر ، والمحكمة قد أقرت أن شركة بيوجين تمتلك هذه الخلايا ، ونحن نجادل أن لنا الحق فى استعادة هذه الخلايا فى أى وقت " .

" سيدى القاضى ، إن هذه الحجة تتعارض بشكل مباشر مع التعديل الثالث عشر ، ضد العبودية المنقولة . شركة بيوجين قد تمتلك خلايا السيد بيرنت ، لكنها لا تمتلك السيد بيرنت . لا يمكن أن تفعل ذلك " .

قال رودريجيز : " نحن لم نَدَّعِ أبدًا أننا نمتلك السيد بيرنت ، ولكننا نملك خلاياه فقط ، وهذا هو كل ما نطلبه الآن " .

" لكن النتيجة العملية لمطالبتك تلك هو أنك بشكل مؤثر تمتلك السيد بيرنت ؛ حيث تدعى أن من حقك الوصول إلى جسمه فى أى وقت — " .

كان القاضى يبدو مرهقاً وهو يقول : " أيها السادة أنا أفهم الموضوع ، ولكن ما علاقة أى من هذا بالسيدة بيرنت وابنها ؟ " .

عاد بوب كوتش للخلف . فكر ، روودريجيز يدفن نفسه في الإجابة عن هذا السؤال ؛ فالنتيجة التي يحاول الوصول إليها والتي يحاول أن يجعل المحكمة تقربها لا يمكن تصورها .

قال رودريجيز : " سيدى القاضى ، إذا كانت المحكمة قد أقرت أن خلايا بيرنت هي ملكية موكلي ، كما أعتقد أنها يجب أن تكون ، إذن فالخلايا المذكورة هي ملكية موكلي في أي مكان وجدت . على سبيل المثال ، إذا كان السيد بيرنت قد تبرع بدمه في بنك دم ، فإن الدم المتبرع به سيحتوى خلايا نملكها . يمكن أن نؤكد ملكية هذه الخلايا ، ونطلب استخلاصها من الدم المتبرع به ؛ حيث إن السيد بيرنت غير قادر من الناحية القانونية على منح هذه الخلايا لأى شخص آخر ؛ إذ إنها ملكيتنا .

وبالمثل ، نفس الخلايا التي نملكها ـ نفس الخلايا بشكل متطابق ـ موجودة في أطفال السيد بيرنت وأحفاده . لذلك ، فإننا نملك هذه الخلايا أيضًا ، ولنا الحق في الحصول عليها " .

" وماذا عن صائد المكافآت ؟ " .

قال رودريجيز : " المختص في استعادة الهاربين ، إنه يقوم باعتقال أحد المواطنين على الأسس التالية . إذا رأى الشخص الذى يعمل على استعادة الهاربين أحفاد السيد بيرنت ، وحيث إنهم بموجب القانون يتحركون بملكيتنا ، فإنهم من الواضح يحوزون على ملكية مسروقة ، ويمكن اعتقالهم " .

تنهد القاضى .

قال رودريجيز : " سيدى القاضى ، إن هذه النتيجة قد تصدم المحكمة لكونها غير منطقية ، لكن حقيقة أننا نعيش في عهد جديد ، وما يبدو غريباً لنا الآن لن يبدو غريبًا في خلال سنوات قليلة ، وبالفعل فإن نسبة كبيرة من الجينوم البشرى قد تم امتلاكها ، وفكرة أن هذه العناصر البيولوجية في أيد خاصة هي غريبة فقط لأنه أمر جديد علينا . لكن على المحكمة أن تحكم وفقاً للأحكام السابقة . إن خلايا بيرنت هي خلايانا " .

قال القاضي : " ولكن في حالة النسل ، فإن الخلايا تكون مجرد نسخ للخلايا الأصلية " .

" نعم ، سيدى القاضي ، ولكن هذا لا يمثل مشكلة . إذا كنت أملك معادلة لصنع شيء ما ، وقام شخص بتصوير هذه المعادلة على ورقة وأعطاها لشخص آخر ، فإنها تبقى ملكيتنا . أنا أملك المعادلة ، بصرف النظر عن كيف نُسخت ، أو بواسطة من . ولى الحق فى استعادة النسخة " .

التفت القاضي إلى بوب كوتش وقال : " ما قولك يا سيد كوتش ؟ " .

" **سيدى القاضى** ، لقد طلب السيد رودريجيز تطبيق الحكم من خلال الحكم وفقاً لما أصدرته المحاكم السابقة ، وكذلك أنا . لقد قررت المحاكم السابقة أنه طالما أن خلايا السيد بيرنت كانت خارج جسده ، فإنها لم تعد تنتمي له ، ولم تقل إن السيد بيرنت هو منجم ذهب متجول يمكن أن يُسلب حسب الرغبة ، مرة تلو المرة بواسطة شركة بيوجين ، وبالتأكيد لم تشر المحكمة إلى أن من حق شركة بيوجين أن تأخذ هذه الخلايا ماديًّا مهما كان من يحملها . هذا الادعاء يتجاوز أى تضمين لقرار المحكمة السابق . إنه في الواقع ، ادعاء جديد ، مبنى على تفكير وراءه غرض محدد ، ونرجو من المحكمة أن تطلب من شركة بيوجين أن توقف صائد المكافآت " .

قال القاضي : " أنا لا أفهم على أى أساس تصرفت شركة بيوجينٍ من نفسها ، يا سيد رودريجيز ؛ فذلك يبدو إجراءً متسرعاً ولا مبرر له . كان من الممكن انتظار مثول السيدة بيرنت أمام هذه المحكمة " .

" لسوء الحظ ، سيدى القاضي ، هذا ليس ممكنًا . إن موقف أعمال موكلى حرج وكما قلت لسيادتكم ، نحن نعتقد أننا ضحية لتآمر لحرماننا مما هو ملكنا . دون الدخول في التفاصيل ، ومن

الضرورى والعاجل استعادة الخلايا فورًا . إذا فرضت المحكمة تأجيلاً ، قد نفقد مشروع أعمال ضخماً فى هذه الأثناء ؛ مما قد يؤدى إلى انهيار شركتنا وابتعادها . نحن نحاول فقط أن نستجيب استجابة سريعة لمشكلة عاجلة " .

شعر بوب بأن القاضى سيميل مع ذلك . إنه لا يريد أن يكون مسئولاً عن وضع شركة كاليفورنيا للتكنولوجيا الحيوية خارج عالم الأعمال . دار القاضى فى كرسيه ونظر إلى ساعة الحائط ، ودار مرة أخرى .

كان على بوب أن يجذب ذلك الموضوع خارج المناقشة ، ويجب أن يفعل ذلك الآن .

قال بوب : " سيدى القاضى ، هناك موضوع آخر يعتمد على قرارك . أود أن ألفت نظر سيادتكم للشهادة الخطية التالية من المركز الطبى لجامعة ديوك ، بتاريخ اليوم " وسلم نسخة إلى رودريجيز ، ثم قال : " سألخص محتوى الشهادة ، سيدى القاضى ، وكيف أنه يؤثر فى القضية التى أمامكم " .

أوضح بوب أن خط خلايا بيرنت كان قادراً على إنتاج كميات من مواد كيميائية تسمى سيتوتوكسيك " تى . إل . إيه . ٧ . دى " ، وهو مضاد قوى لنمو السرطان . إنها المادة الكيميائية التى جعلت خط خلايا شركة بيوجين ذا قيمة .

ولكن ، لقد أصدر مكتب براءات الولايات المتحدة الأسبوع الماضى براءة اختراع لاكتشاف جين " تى . إل . إيه . ٤ . إيه " . هذا الجين المحفز هو المسئول عن تكوين إنزيم يقوم بفصل مجموعة هيدروكسيد من مركز البروتين الذى يطلق عليه بروتين الخلايا الليمفاوية " ٤ . ب " وهذا البروتين هو المحفز لمادة سيتوكسيك " تى . إل . إيه . ٧ . دى " والتى تتكون عندما يتم انتزاع مجموعة الهيدروكسيد ، وإذا لم يتم انتزاع مجموعة الهيدروكسيد تلك فلن يكون للبروتين أى نشاط بيولوجى ، وهكذا يصير الجين المتحكم فى عملية إنتاج خط الخلايا لشركة

بيوجين ملكاً لجامعة ديوك ، وهم يؤكدون ملكيتهم لـه بموجـب المستند الموجود الآن بين يديك .

تغير لون رودريجيز للون الأحمر وقال : " سيدى القاضـى ، هـذه محاولـة للإربـاك ، ومـا يجـب أن تكـون قـضية بـسيطة . وأستحث سيادتكم أنٍ - " .

وافقه بوب قائلاً : " إنها بسيطة ، ما لم تقم شركة بيـوجين بعمل اتفاقية ترخيص مع ديوك ، لا يمكن أن يستخدموا الإنزيم الذى يصنعه جين جامعة ديوك ؛ فالإنزيم ومنتجه ملك لـشخص آخر " .

" ولكن هذا - " .

قال بوب : " شركة بيوجين تملك خلية ، سـيدى القاضـى ، لكن ليس كل الجينات داخل هذه الخلية " .

نظر القاضى مرة أخرى إلى الساعة وقال : " سأستشير مصادر أخرى فى هذا ، وسأعطيكم حكمى غدًا " .

" ولكنٍ سيدى القاضى — " .

" شكراً أيها السادة لقد انتهت الجلسة " .

" لكن سيدى القاضى ، هناك المرأة وابنها مطاردان ——— " .

" أعتقد أننى أفهم القضية ، وأحتـاج إلى أن أفهـم القـانون . أراكم غدًا أيها المستشارون " .

الفصل ٨٧

كـان أفـراد عـائـلـة كينـدال يصرخون بينمـا أسـرعت الـسيارة موديل هامر للأمام ، لكن فاسكو بوردن الذى كان غاضـبًا بـسبب أسـنانه التـى تؤلـمـه ، ويمـسك بيـده الـضمادة علـى أذنـه التـى تنزف ، كان يعرف ماذا يفعـل ، فقـد قـاد الـسيارة إلى المـساحة الخضراء وأوقف السيارة ، مغلقًـا البـاب الأمـامى . ثـم قفـز هـو ودوللـى خـارج الـسيارة ، وخطفـا جيمـى بـن ألـيكس مـن علـى الخضرة ودفعا الأم المذهولة على الأرض ، وقفزا مرة أخرى داخل الـسيارة الهــامر ، وتحركـا بالـسيارة بـسرعة ، بينمـا وقـف الآخرون هناك يحدقون !

قـال فاسـكو صـائحًا : " هكـذا الأمـر بهـذه البـساطة ، يـا صغيرى ، إذا لم تكن داخل المنزل ، فأنت ملكى " .

وتحرك فى الشارع .

قال فاسكو : " لقد فقدنا سيارة الإسعاف الخاصة بنا سـنلجأ للخطة ب " ، ونظـر للخلـف فـوق كتفـه وقـال : " دوللـى ، يـا حبيبتى ، اجعلى غرفة العمليات التالية تستعد ، أخبريهم أننا سنكون هناك فى خـلال عـشرين دقيقـة . فـى خـلال سـاعة مـن الآن ، سينتهى هذا الأمر " .

كان هنرى كيندال مصدومًا ، لقد كان هناك اختطاف من فناء بيته ؛ وهو لم يندفع ليوقف ذلك ؛ وكان ابنه ينتحب ممسكاً بأمه ؛ وديف أسقط أذن شخص ما فى الفناء ؛ وأم الطفل كانت تقف على أقدامها ، تصرخ طلبًا للشرطة ، لكن السيارة الهامر كانت قد ذهبت فى الشارع وأخذت منعطفاً ثم اختفت .

لقد شعر بضعف وعجز ، كما لو كان قد فعل شيئاً خطأً ، وكان محرجًا أن يكون بالقرب من صديقة لين ، لذلك ذهب إلى الداخل وجلس مرة أخرى على الكمبيوتر ؛ حيث كان جالساً منذ خمس دقائق ، عندما صرخ ديف ، وبدأ كل هذا .

لقد كان لا يزال الكمبيوتر على صفحة موقع التعقب التكنولوجى ؛ حيث كان قد أدخل الأسماء والرقم المسلسل . لقد فعل ذلك بالنسبة لديف وجيمى لكنه لم يفعل بالنسبة لجيمى الآخر ، وشعر بالاستياء لذلك الآن .

لقد تحول الموقع إلى فراغ ، خريطة دون تفاصيل ، لقد كان هناك مكان إدخال على الشاشة يمكن أن تكتب فيه الوحدة التى تبحث عنها . الوحدة الأولى التى أدخلها كانت جيمى بيرنت . إذا كان جهاز الاستشعار يعمل ، سيراه يتحرك فى الشارع . لكن النقطة الزرقاء كانت لا تتحرك ، كانت ساكنة ، والعنوان الذى ظهر هو ٣٤٨ ماربورى ماديسون دريف ، وهو عنوان مسكنه الخاص .

نظر حوله فى غرفة المعيشة ورأى الحذاء القماشى الأبيض فى الركن ، مع حقيبة سفره الصغيرة . إذن فإنه حتى لم يرتد هذا الحذاء .

بعد ذلك ، كتب رمز الدخول على جهاز الاستشعار الخاص بابنه . جاءت نفس النتيجة . لقد كانت النقطة الزرقاء ثابتة عند عنوان منزله ، ثم تحركت قليلاً ؛ حيث مشى ابنه جيمى خلال الباب وقال : " أبى ماذا تفعل ، الشرطة فى الخارج ويريدون التحدث إلى الجميع " .

" حسنًا ، سآتي في خلال دقيقة " .

" إن أمه مضطربة حقاً ، يا أبي " .

" سآتي في خلال دقيقة " .

" إنها تبكي . لقد قالت أمه إنهم اختطفوه ليحصلوا على خلايا " .

" سأكون معك فوراً " .

وبسرعة كتب هنري رقم المسلسل الثالث - رقم ديف . أصبحت الشاشة فارغة . انتظر دقيقة ، ثم رأى خريطة مرسومة باللون الأحمر ، وأظهرت الخريطة الطرق المؤدية إلى شمال المدينة بمنطقة توري بينز .

لقد كانت النقطة الزرقاء تتحرك ـــ .

الشمال ، طريق توري بينز ، إي . إن . إي ، ٥٧ إم . بي اتش .

وبينما كان يراقب ، انطفأت النقطة داخل طريق جايلورد المتجه نحو الداخل .

بطريقة ما كان جهاز استشعار ديف في السيارة الهامر ، ربما أن جيمي قد ارتدى هذا الحذاء ، أو أنهم قد أخذوا حذاءه معهم ، ولكن جهاز الاستشعار كان هناك ، ويعمل .

قال هنري : " جيمي ، اذهب إلى أليكس ، وأخبرها أني أريد أن أراها لمدة دقيقة " .

" لكن يا أبي ـــ " .

" افعل ذلك ، ولا تقل أي شيء للشرطة " .

حدقت أليكس إلى الشاشة وقالت : " سأنال من هذا السافل وسأفجر رأسه . إذا لمس ابني ، فسيموت " . كان صوتها هادئاً ، وبارداً وقد شعر هنري بقشعريرة ؛ فقد كانت تعني ذلك .

قالت : " أين يذهب ؟ " .

" لقد ترك الساحل ويتجه للداخل ، ولكنه ربما يكون قد ذهب إلى هناك متجنبًا المرور فى ديل مار ، وقد يعود للساحل مرة أخرى . سنعرف فى دقائق قليلة " .

" كم يبعد عن هنا ؟ " .

" عشر دقائق " .

قالت : " دعنا نذهب ، وأحضر ذلك " مشيرة إلى الكمبيوتر المحمول ، " سأحضر البندقية " .

نظر هنرى من النافذة الأمامية ، كان هناك ثلاث سيارات شرطة تضىء بأنوارها الحاجز ، وستة رجال شرطة فى الفناء الأمامى . قال هنرى : " ليس بهذه السهولة " .

" نعم ، إنه كذلك ، لقد أوقفت سيارتى بالقرب من هنا " .

" إنهم يريدون أن يرونى " .

" اختلق عذرًا ، سأكون فى سيارتى " .

لقد أخبرهم أن ديف يحتاج إلى رعاية طبية ، ويجب أن يأخذه إلى المستشفى ، وقال إن زوجته لين ، قد شهدت كل شىء وستخبرهم بما حدث ، وقال إنه سيعطيهم إفادة كاملة عندما يعود ، لكنه يجب أن يأخذ ديف إلى المستشفى .

وحيث إن أيدى ديف كانت مغطاة بالدم ، فقد قبلوا ذلك العذر . نظرت لين إلى هنرى نظرة غريبة قال : " سأعود فى أسرع وقت ممكن " ، ومشى إلى خلف المنزل وتبعه ديف .

قال ديف : " أين سنذهب ؟ " .

" سنجد ذلك الرجل . الرجل ذا اللحية السوداء " .

" لقد آذى جيمى " .

" نعم ، أعرف " .

" لقد آذيته " .

" نعم أعرف " .

" لقد قطعت أذنه " .

" آه " .

" المرة القادمة سأقطع أنفه " .

قال : " ديف ، يجب أن نظهر رباطة جأش " .

قال ديف : " ما رباطة الجأش ؟ " .

لقد كان الأمر أعقد من أن يفسر له . كانت سيارة أليكس التويوتا البيضاء أمامهم . ركبا السيارة . جلس هنرى فى الأمام وجلس ديف فى الخلف .

قال ديف مشيرًا إلى المقعد الذى بجانبه : " ما هذا ؟ " .

قالت أليكس : " لا تلمسها يا ديف ، إنها بندقية " .

وتحركت بالسيارة .

اتصلت ببوب كوتش ، على أمل أن يكون لديه أخبار جديدة .

قال : " لدى أخبار جيدة ، ولكن كنت أتمنى لو كانت أفضل " .

" هل حسمها القاضى ؟ " .

" علقها حتى الغد " .

" هل حاولت ـ " .

" نعم ، لقد حاولت . إن القاضى مشوش ؛ فهذا ليس المجال القانونى المعتاد لقضاة أوكسنارد ، وربما يكون هذا هو سبب رفعهم القضية هناك " .

" إذن هل سيحسم الأمر غدًا ؟ " .

" أجل " .

قالت : " شكرًا " وأغلقت الهاتف . لم يكن هناك داعٍ أن تخبره ما هى على وشك أن تفعله ؛ فهى لم تكن متأكدة حتى مما ستفعل ، ولكنها فكرت أنها ربما قد تفعله .

كان هنرى يركب السيارة وبالقرب منه بندقية ، وينظر إلى الكمبيوتر ، ولأنه كان خارج المنزل كان الاتصال بالإنترنت

يتوقف أحيانًا لمدة دقيقة أو اثنتين ، وقد بدأ يقلق أن يفقد الاتصال بالكامل . نظر للخلف إلى ديف ، الذى لم يكن يرتدى حذاءه وقال : " أين حذاؤك ؟ " .

" لقد خرج من قدمى " .

" أين ؟ " .

" فى السيارة البيضاء " . كان يقصد سيارة الإسعاف .

" كيف حدث هذا ؟ " .

" كانت واحدة من الحذاء فى فم الرجل ، ثم سقطت بالسيارة " .

" وخُلع حذاؤك من قدمك ؟ " .

" نعم لقد خُلع " .

من الواضح أن أليكس كانت تفكر فى نفس الشىء لأنها قالت : " هذا الحذاء مازال فى سيارة الإسعاف . ليس فى السيارة الهامر . نحن نتبع السيارة الخاطئة " .

" لا ، سيارة الإسعاف تحطمت . لا يمكن أن تكون سيارة الإسعاف " .

" إذن الإشارة . . " . .

يجب أن تكون أداة التعقب قد وقعت من حذائه ، وانزلقت فى ملابس الرجل . بطريقة ما " .

" إذن يمكن أن تنزلق منه مرة أخرى " .

" نعم ، من الممكن ذلك " .

" أو قد يجدونها " .

" نعم " .

لم تقل شيئًا بعد ذلك .

استمر فى مراقبة الشاشة . اتجهت النقطة الزرقاء نحو الشمال ، ثم الشرق ، ثم الشمال وأخيرًا للشرق مرة أخرى ، مارة برانكو سانتافى ، عائدة إلى الصحراء ، ثم انحنت إلى

هايلاند دريف . قال هنرى : " حسنًا ، أعتقد أنى أعرف أين يذهبون ، إنهم متجهون إلى سولانا كانيون " .

" ما هو ؟ " .

" إنه منتجع صحى . كبير جدًا ذو مساحة شاسعة " .

" وهل به أطباء ؟ " .

" أنا واثق من ذلك ، وقد يجرون جراحات مثل رفع الوجه ، وشفط الدهون ، شىء من هذا القبيل " .

قالت بتجهم : " إذن لديهم تسهيلات لإجراء الجراحة " ، وزادت من سرعة السيارة .

كان منتجع سولانا كانيون أو أرض الوديان القائم على مساحة تبلغ مائة فدان مثالاً حياً على النجاح الذى حققه مجال التسويق ، فمنذ بضعة عقود سابقة فقط كانت المنطقة معروفة باسمها الأصلى هيلهول بالمز . لقد كانت مساحة مسطحة جرداء ، منطقة مكسوة بالصخور ولم يكن بها ولو وادياً ضيقاً واحداً ، وهكذا فإن سولانا كانيون أو " أرض الوديان " ، لم يكن بها واد واحد ، وقد ارتبط الاسم سولانا بالشاطئ الأنيق المدعو " سولانا بيتش " ، ولهذا فقد كان اسم سولانا كانيون هو أفضل اسم يمكن أن يطلقوه على المنتجع ، وكذلك لقد كان أفضل اسم من بين الخيارات المطروحة من الأسماء والتى كانت " آنجيل سبرينجز " ، " زين ماويننين فيو " ، سيدار سبرنجز ، وسيلفر هيل أشرام " . وبالمقارنة مع الأسماء الأخرى ، فإن اسم سولانا كانيون قد وصل بطريقة غير مباشرة بسبب جودة ذلك المنتجع الذى يتلقى آلاف الدولارات يومياً لإعادة الشباب لأجساد وعقول وأرواح عملائه . ولقد كان ذلك يتحقق من خلال مجموعة من الأشياء متمثلة فى اليوجا ، والتدليك ، والتأمل ، والاستشارات الروحية ، والمساعدة فى اتباع حمية غذائية ، كل ذلك يتم

تقديمه بواسطة عاملين يرحبون بالضيوف بأيدٍ تقية وترحيب صادر من القلب .

لقد كانت سولانا كانيون بقعة محببة للمشاهير لكى يفقدوا الوزن .

قادت أليكس عبر البوابة الرئيسية التى كانت مبنية على طراز الطوب اللبن ، وكانت مخفية بطريقة فنية خلف نخيل عملاقة . لقد كانوا يتبعون الإشارة الزرقاء ، التى كانت تتحرك خلف المنتجع .

قال هنرى : " إنهم يتجهون نحو بوابة خدمة الدخول " .

" هل جئت هنا من قبل ؟ " .

" مرة . كنت ألقى محاضرة عن علم الوراثة " .

" ثم ؟ " .

" لم يدعونى مرة ثانية . لم تعجبهم الرسالة . تعرفين الحكمة القديمة التى تقول بأن الأساتذة يَعزون ذكاء طلابهم للبيئة وذكاء أبنائهم للجينات . نفس الشىء بالنسبة للأغنياء . إذا كنت غنيًا أو ذا مظهر حسن فإنك تريد أن تسمع أن جيناتك هى المسئولة عن ذلك ، وهى التى جعلتك على هذا النحو . ذلك يمكنك من أن تشعر بأنك من الناحية الوراثية أفضل من الآخرين ـ إنك تستحق نجاحك ، ثم يمكن أن تعطى الآخرين أكبر قدر من ـ انتظرى إنهم يتوقفون . أبطئى من سرعتك " .

قالت : " ماذا الآن ؟ " لقد كانوا فى شارع جانبى ، وكان هناك مدخل أمامهم .

" أعتقد أنهم فى موقف السيارات " .

" إذن ؟ دعنا نواجههم هناك " .

هزَّ رأسه وقال : " لا ، هناك دائماً اثنان من حراس الأمن فى موقف الانتظار ، وإذا أظهرت البندقية ستكون هناك مشاكل . لقد راقب الشاشة بوجه عابس وقال : " الإشارة ثابتة . . . الآن يتحركون مرة أخرى . الآن ثابتة " .

قالت : " إذا كان هناك حراس أمن ، فإنهم سيرون جيمى يقاوم وهو يخرج من السيارة " .

قال بسرعة وقد رأى الألم على وجهها : " ربما خدروه . أو . . . لا أعلم ، انتظرى إنهم يتحركون حول الطريق الخلفى " .

حركت السيارة وقادت نحو بوابة الدخول . كانت البوابة مفتوحة ، ولم يكن هناك أحد عليها قادت خلال البوابة إلى موقف السيارات . لقد كان الطريق الخلفى أحد الجوانب البعيدة من الموقف .

قالت : " ماذا نفعل الآن ؟ هل نتبعهم على الطريق ؟ " .

فتح الباب وقال : " لا أعتقد ذلك . إذا فعلنا ذلك سيرونا قادمين . من الأفضل أن نقف . دعينا نمش خلال منجع سولانا كانيون الجميل " ونظر إليها وقال : " ستتركين البندقية هنا ؟ " .

قالت : " لا " فتحت حقيبة السيارة ووجدت منشفة لفت فيها البندقية وقالت : " أنا مستعدة " .

قال هنرى : " حسنًا ، هيا نذهب " .

قال فاسكو : " اللعنة " وهو يضغط على الفرامل . لقد كان يقود السيارة حول الطريق الخلفى وراء المركز الجراحى . لقد كانت الخطة أن يحضر الدكتور " مانيول كاجال " خارج المركز الجراحى ويدخل داخل السيارة الهامر ، يأخذ العينات ويخرج مرة أخرى ؛ بحيث لا يراه أحد وذلك أكثر حكمة .

ولكن الآن الطريق الخلفى كان مغلقًا . مجرفتان تحفران بعض الخنادق ، وليس هناك طريق للمرور ، ولا يوجد طريق آخر ، وهو يبعد عن المركز الطبى بمائة ياردة .

قال : " اللعنة ، اللعنة ، اللعنة " .

قالت دوللى : " خذ الأمور ببساطة ، إنهـا ليـست مـشكلة . إذا كان الطريق مغلقًا ، يمكننا أن نمـشى إلى المركـز ونـدخل مـن الباب الخلفى ، ونقوم بذلك هناك ـــ " .

" كل شخص سيرانا نمشى خلال المنتجع " .

" وما المشكلة فى ذلك . نحن مجرد زائرين ، بجانب أن كـل شخص فى هذا المكان مشغول بذاته . ليس لـديهم وقـتٌ للـتفكير فينـا . وإذا فعلـوا ، وإذا قـرروا أن يـستدعوا شخـصاً مـا ، فـإن الإجـراء سـينتهى قبـل أن تنتهـى المكالمـة ؛ فالـدكتور مانويـل يستطيع أن يعمل أسرع هناك عن هنا " .

" أنا لا أحب ذلك " نظر فاسـكو حولـه وحـدق إلى الطريـق ، وأراضى المنتجع . ولكنها كانت محقة لقد كان فى إمكانهم المشى بسرعة خلال الحديقة . التفت فاسـكو للولـد وقـال : " اسمـع ، هـذا مـا سـيحدث ، سنتمـشى كـن هادئًـا وكـل شـىء سـيكون بخير " .

" ماذا ستفعلون بى ؟ " .

" لا شىء سنأخذ فقط القليل من الدم " .

" هل هناك إبر ؟ " .

" واحدة صغيرة مثل التى عند الطبيب " .

التفت إلى دوللى وقال : " حـسناً اتـصلى بمانويـل وأخبريـه بأننا قادمون ودعينا نذهب " .

لقد تعلم جيمى بمثابرة أن يصيح ويصرخ ويـضرب أى شـخص يحاول خطفه ، وقد فعل كل ذلك عندما أمسكوه ، لكنه الآن كان مرعوبًا وخائفًا أن يؤذوه إذا تسبب فى متاعب ؛ لذلك فقد مـشى فى هـدوء فـى طريـق الحديقـة ، والمـرأة تـضع يـدها علـى كتفـه والرجل الوضيع يسير على الجانب الآخر ، يرتـدى قبعـة رعـاة بقر حتى لا تظهر أذنه المقطوعة .

لقد مروا بأشخاص يرتدون أردية حمام ، وكان معظمهم من السيدات ، يتحدثون ويضحكون ، ولكن في الواقع لم ينظر إليهم أحد ، ومشوا في منطقة أخرى بها حديقة ، ثم سمعوا صوتا يقول : " هل تحتاج إلى مساعدة في فروضك المنزلية ؟ " .

اندهش جيمي وتوقفٍ ونظر لأعلى ـــ .

لقد كان طائراً ، نوعاً من الببغاء الرمادى .

قال الطائر : " هل أنت صديق إيفان ؟ " .

قال جيمى " لا " .

" أنت في نفس حجمه . كم تكون نتيجة ١١ لو أخذنا منها تسعة ؟ " .

كان جيمى مندهشاً ، وحدق فقط .

" دعنا نمش يا عزيزى ، إنه مجرد *طائر* " .

قال الطائر : " *مجرد طائر* ، من يسميه *طائراً* ؟ " .

قال جيمى : " أنت حقًا تتحدث كثيرًا " .

قال الطائر : " وأنت لا تتحدث كثيرًا ، من هم هؤلاء الناس ، لماذا يمسكونك ؟ " .

قالت دوللى : " نحن لا نمسكه " .

قال الطائر : " أنتم يا سادة لن تحاولوا فعلاً قتل ابنى ، هل ستفعلون ؟ " .

قال فاسكو : " يا إلهى ! " .

قال الطائر : " يا إلهى مقلداً " صوته تماماً : " ما اسمك ؟ " .

قال فاسكو : " دعونا نذهب " .

قال جيمى : " اسمى جيمى " .

قال الطائر : " مرحبًا جيمى . أنا جيرارد " .

" مرحبًا جيرارد " .

قال فاسكو : " حسنًا ، دعونا نتحرك من هنا " .

قال جيرارد : " هذا يتوقف على من الذى يمتطى الفرس " .

قال فاسكو : " دوللى يجب أن نلتزم ببرنامجنا " .

قال الطائر بصوت غريب : " إن أفضل صديق للولد هو أمه " .

قال جيمى : " هل تعرف أمى ؟ " .

قالت دوللى : " لا يا ابنى ، إنه لا يعرفها إنه فقط يقول أشياء سمعها من قبل " .

قال جيرارد : " إن قصتك لا تبدو صحيحة تماماً " ، وبصوت مختلف قال : " آه ، هذا سيئ جدًا ، هل لديك واحدة أفضل ؟ " .

ولكن فى هذه اللحظة كان البالغون يدفعون جيمى للأمام . لم يعتقد أنه يمكن أن يبقى فترة أطول ، ولم يرد أن يتسبب فى مشكلة فقال : " وداعاً جيرارد " .

" وداعاً جيمى " .

لقد مشوا فترة ، وقال جيمى : " إنه مُسَلّ " .

قالت دوللى وهى تضع يدها بحزم على كتفه وقالت : " نعم ، إنه كذلك يا عزيزى " .

وعند دخول الحدائق مرت أليكس أولاً بمنطقة حمام سباحة . لقد كان أهدأ حمام سباحة رأته من قبل - لا تساقط مياه ، ولا ضوضاء ، لم يكن هناك سوى أشخاص يرقدون فى الشمس كالجثث . كانت هناك أجساد مصفوفة ، ومناشف ، وأردية حمامات . أخذت أليكس رداء حمام ووضعته على كتفها ؛ لتغطى المنشفة التى بها البندقية .

قال هنرى وهو يشاهدها : " كيف تعرفين استخدام هذه الأشياء ؟ " لقد كان متوترًا ؛ فهو يمشى معها وهى تحمل بندقية ، ويعرف أنها تعتزم استعمالها . وكان لا يعرف إذا كان الرجل ذو اللحية مسلحاً أم لا ، ولكن من المرجح أنه كذلك .

قالت وهى تضحك : " من كلية الحقوق " .

مشى ديف خلفهم بعدة خطوات . نظر هنرى إليه وقال :

" تقدم ، يا ديف " .

" حسنًا ... " .

لقد لفوا حول الركن ، ومروا تحت قوس ، ودخلوا حديقة أخرى منعزلة . لقد كان الهواء بارداً ، والطريق ظليلاً ، وقد كان هناك جدول يمرٍ بطول الطريق .

سمعوا صوتاً يقول : " تحيات رقيقة ، اوكى دوكى " .

نظر هنرى لأعلى وقال : " ماذا كان هذا ؟ " .

قال الصوت : " إنه - أنا " .

قال هنرى : " إنه طائر " .

قال الطائر : " معذرة ، اسمى جيرارد " .

قالت أليكس : " إنه طائر متكلم " .

قال الببغاء : " اسمى جيمى ، أهلا جيمى أنا جيرارد . أهلاً جيرارد " .

تجمدت أليكس وقالت محملقة : " إنه يقلد صوت جيمى ! " .

قال الببغاء : " هل تعرف أمى ؟ " مقلداً تماماً صوت جيمى .

بدأت أليكس تصيح فى الحديقة : " جيمى ! جيمى ! جيمى ! " .

وعلى بعد سمعته يقول : " أمى ! " .

بدأ ديف يجرى للأمام . نظر هنرى إلى أليكس ، التى وقفت ساكنة رمت المنشفة وراء الحمام على الأرض ووضعت الطلقات بالبندقية وجذبت ذراع البندقية للخلف والأمام ، ثم التفتت لهنرى وقالت : " دعنا نذهب " ، لقد كانت هادئة جدًا ، وكانت البندقية فى يدها ، سألته : " هل تريد أن تسير خلفى ؟ " .

" آه ، حسنًا " .

بدأت تمشى وتصيح : " جيمى ! " .
" أمى " .
مشت أسرع

لم يكونوا أبعد من عشرين قدماً من الباب الخلفى للمركز الطبى - ربما ثلاث أو أربع خطوات كبيرة لا أكثر عندما بدأ كل شىء .

كان فاسكو منزعجاً . لقد ذابت مساعدته أمام عينيه . كان الطفل يبكى ويقول : " أمى " وهى تتركه يذهب وتقف هناك كما لو كانت مذهولة .

" أمسكيه ، عليك اللعنة ، ماذا تفعلين ؟ " .

لم تجب .

" أمى ! أمى ! " .

فكر ، هذا تماماً ما كنت أخشاه ؛ فهناك طفل فى الثامنة من عمره يصرخ من أجل أمه ، وكل هؤلاء السيدات اللاتى يرتدين أردية الحمام ، إذا لم يكونوا قد نظروا إليه والولد من قبل ، فإنهم بالتأكيد سينظرون الآن . لقد بدا فاسكو غريبًا تمامًا عن المكان طول ٦,٤ قدم ، وبلحية ، وملابسه سوداء بالكامل ، ويرتدى قبعة رعاة بقر سوداء كان يجذبها لأسفل ليغطى أذنه المقطوعة . لقد كان يعرف أنه يبدو مثل الشخص الشرير فى فيلم رعاة بقر . وكانت امرأته لا تساعده ؛ لم تكن تسترضى الطفل أو تقوده للأمام ، وقد عرف أنه فى أى لحظة سيلتفت الطفل ويفر .

كان فاسكو فى حاجة إلى التحكم فى الموقف هنا . بدأ يبحث عن مسدسه ، ولكن الآن كان هناك المزيد من النساء يخرجن من الغرف فى كل النواحى - اللعنة فصل كامل من فصول اليوجا كان يخرج فى الحديقة لينظر ويرى الطفل الذى يصيح على أمه .

وكان هو هناك مرتديا الملابس السوداء .

لقد فشل !

قال : " دوللـى ، اللعنـة تماسـكى ، يجـب أن نأخـذ الطفـل الصغير إلى المركز الجراحى هنا ـ " .

لم يكمـل فاسـكو الكلمـة ؛ لأن جـسماً مظلمـاً جـاء منـدفعًا تجاهه ، قفز في الهواء ، وتأرجح من فـرع شـجرة علـى ارتفـاع ثمـانى أقـدام ـ وفـى هـذا الوقـت أدرك أنـه الفتـى الأسـود مـرة أخرى ، هذا الفتى ذو الشعر الكثيف الـذى قـضم أذنـه ـ ارتطـم الفتى الأسود به بشدة كصخرة كبيرة اصطدمت بـصدره ، فتعثـر فاسكو للخلف على بعض شجيرات الورد على مقعدته ، وقدميـه فى الهواء .

وكان ذلك هو كل شيء .

فرَّ الطفل يصرخ من أجل أمه ، وفجأة بـدأت دوللـى تتظـاهر بأنهـا لا تعرفـه ، وفاسـكو مـصاب وممـدد ، يجـذب نفـسه مـن شجيرات الورد دون مساعدة منها . لا يجد أى كرامة فى الوقوف على قدميه ومقعدته مليئة بالأشواك ، وهنـاك علـى الأقـل مائـة شخص يشاهده ، وفى أى لحظة قد يأتى حراس الأمن .

وكان الفتى الأسود الذى يبدو كالقرد قد اختفى . لا يـستطيع أن يراه فى أى مكان .

أدرك فاسكو أنه يجب أن يخرج من هنا . لقد انتهـى . إنهـا كارثة . كانت دوللى متجمدة مثل تمثال الحرية اللعـين ، لـذلك بـدأ يـدفعها ويـصيح عليهـا لكـى تتحـرك ، وأنهمـا يجـب أن يغادرا .

بـدأت كـل الـسيدات الأخريـات فـى الحديقـة فـى إصـدار صـوت اسـتهجان وازدراء . وامـرأة عجـوز تـصرخ " تـسمم بالتيـستوستيرون ! " وأخريـات يـصحن : " دعهـا وشـأنها " ، " بغيض " و " بذىء " كان يريـد أن يـصيح " إنهـا تعمـل عنـدى ولكن بالطبع لم تعد بعد " أصيبت بالدوار والحيرة . والآن النساء يصحن طلبًا للشرطة .

إذن ستصبح الأمور أكثر سوءاً .

كانت دوللى بطيئة ، كما لو كانت تمشى وهى نائمة ؛ لقد خرج فاسكو وهو يدفعها ، متحركاً خلال الحديقة بخطوة نصف عدو ، كان تفكيره الوحيد هو أن يهرب ، يخرج من هذا المكان . فى الحديقة الأخرى يرى الطفل يقف مع رجل وأمامهما المرأة أليكس ، ممسكة البندقية عيار ١٢ ويبدو أنها تعرف كيف تستخدمها تضع يداً على الكتلة الخشبية ويداً على الزناد وتقول : " إذا رأيت وجهك مرة أخرى ، سوف أفجر رأسك أيها الغبى " .

لم يجب فاسكو ، استمر فى التحرك أمامها ، وهو يعرف أن الشىء التالى هو انفجار رأسه ، وكانت أمامه الشجيرات بطول الطريق تعصف فى شكل سحابة خضراء من البتلات والأوراق والتراب ؛ لذا فقد كان مجبراً على الوقوف والتفت ، فى هدوء ، مبعدًا يديه عن جسمه ورافعهما فى الهواء .

قالت : " هل سمعت ما قلته لك ؟ " .

قال : " نعم ، يا سيدتى " . يجب أن تكون دائمًا مهذبًا مع سيدة تحمل بندقية . خصوصًا إذا كانت منزعجة . وكانت الحشود ضخمة ، يثرثرون كالطيور ، ويريدون أن يلقوا نظرة على ما يحدث ، ولكن هذه المرأة لن تترك الأمور تسير هكذا .

صرخت فيه : " ماذا قلت لك ؟ " .

" قلت إذا رأيتنى مرة أخرى ستقتليننى " .

" هذا صحيح ، وسأفعل . وإذا لمستنى أنا أو ابنى مرة أخرى سأقتلك " .

قال : " نعم ، يا سيدتى " لقد شعر بالدم يجرى فى وجهه . غضب وإهانة ، وثورة .

قالت : " يمكنك أن تذهب الآن " كانت تحرك ماسورة البندقية قليلاً . كانت تعرف ماذا تفعل . محامية تذهب إلى ميدان الرماية ، هذا أسوأ نوع من المحامين .

أومأ فاسكو وتحرك بأسرع ما يمكن ، فهو يريد أن يبتعد عنها ، وعن نظر كل هؤلاء السيدات اللاتى يرتدين أردية الحمام ويشاهدنه يهان . وفى لحظة كان يجرى فعليًا ، عائدًا إلى السيارة الهامر ، بعيدًا عن هذا المكان .

وذلك عندما رأى الطفل الأسود ، الذى يبدو مثل القرد . فى الواقع ، لقد كان قردًا . لقد كان فاسكو متأكداً من ذلك ، وهو يشاهد الفتى يتحرك . قرد يرتدى ملابس مثل الفتى . ومجرد رؤية هذا القرد جعل رأس فاسكو يرتجف حيث كانت أذنه . وبدون تفكير سحب مسدسه وبدأ يطلق النار . هو لم يتوقع أن يصيب هذا اللعون الصغير من هذه المسافة ، لكنه أراد أن يفعل شيئًا ، وبالتأكيد فقد جرى القرد ، وذهب خلف حائط واختفى .

تبعه فاسكو ، لقد كانت غرفة السيدات اللعينة . ولكن لم يكن هناك أحد . وكانت الأضواء فى الحمام مطفأة . كان يستطيع أن يرى حوض السباحة على يمينه ، ولكن لم يكن هناك أحد فى الحمام ماعدا القرد . مسك المسدس فى يده وتقدم للأمام .

سمع صوت تشنج تشنج !

تجمد فاسكو . لقد عرف الصوت إنه صوت بندقية مزدوجة الحركة . لا يمكن أن تدخل غرفة بعد أن تسمع صوتاً كهذا فيها . انتظر فاسكو .

سمع فاسكو صوتاً يقول : " هل تشعر أنك محظوظ ، أيها الصبى ؟ أليس كذلك " . لقد كان صوتاً خشناً وبدا مألوفاً .

وقف فى المدخل المؤدى إلى حمام السيدات ، غاضباً وخائفاً ، حتى شعر بأنه أحمق ومكشوف جدًا . التفت وعاد إلى السيارة ولم يهتم بالقرد اللعين ، على أى حال .

من الخلف سمع صوتاً يقول : " يا للعجب ، الكثير من البنادق فى المدينة ، ولكن القليل من العقول " .

التف ونظر خلفه ولكن كل ما شاهده هو هذا الطائر يرفرف بجناحيه .

وبينما وقف على الباب المؤدى للحمام لم يستطع أن يعرف من أين أتى الصوت .

أسرع فاسكو لسيارته الهامر . لقد كان يفكر بالفعل ماذا سيخبر الشركة القانونية والأشخاص فى شركة بيوجين . الحقيقة أن الأمر لم ينجح . لقد كانت المرأة مسلحة ، وقد تم تحذيرها ، لقد أخبرها شخص ما بالأمر مقدمًا . لم يكن هناك شىء يستطيع فاسكو أن يفعله حيال ذلك . لقد كان جيدًا فى عمله ، ولكنه لا يستطيع أن يصنع معجزات . المشكلة تقع فيمن حذرها . قبل أن تلومونى ، انظروا إلى أنفسكم . إن لديهم مشكلة داخل منظمتهم .

بأية حال ، شىء من هذا القبيل .

الفصل ٨٨

رقد آدم وينكلر فى فراش المستشفى ، ضئيلاً وضعيفاً . لقد كان أصلع وشاحبًا .

قال : " اسمع ، لم يكن خطأك . لقد كنت أحاول قتل نفسى على أى حال ، وكان ذلك سيحدث في كل الأحوال . إن الوقت الذى أعطيته لى ـ لقد قدمت لى معروفًا كبيرًا . انظر إلى . أنا لا أريدك أن تلوم نفسك " .

لم يستطع جوش أن يتكلم . كانت عيناه مملوءتين بالدموع .

" عاهدنى على أنك لن تلوم نفسك " .

أومأ جوش .

قال آدم بابتسامة واهنة : " أيها الكاذب ، كيف حال قضيتك ؟ " .

قال جوش : " حسنًا ، بعض أشخاص فى نيويورك يقولون إننى قد تسببت فى إصابة أمهم بمرض ألزهايمر . وفى الواقع لقد أعطيتها ماءً " .

" هل ستفوز ؟ " .

" بالتأكيد " .

تنهد آدم واسترخت يده : " كاذب ، اعتن بنفسك ، يا أخى " ، وأغمض عينيه .

أصاب جوش الذعر ومسح الدموع مـن عينيـه ، لكـن آدم كـان مازال يتنفس .

لقد كان نائمًا فى سلام شديد !

الفصل ٨٩

سعل قاضى محكمة أوكسنارد فى الهواء البارد وهو يسلم الحكم للمحامين المجتمعين . كانت أليكس بيرنت هناك ، بالإضافة إلى بوب كوتش ، وألبرت رودريجيز .

قال القاضى : " كما ترون ، لقد حكمت أن ملكية شركة بيوجين لخلايا السيد بيرنت لا تعطيها الحق فى أخذ هذه الخلايا من أى فرد ، حيًا أو ميتًا ، بما فى ذلك السيد بيرنت نفسه ، وبالتأكيد فإنه لا يمكن أخذ الخلايا من أفراد أسرته أو امتدادها ، وأى حكم مخالف لذلك سيتعارض مع التعديل الثالث عشر الذى يحرم العبودية .

وفى سياق حكمى ، ألاحظ أن هذا الموقف قد نشأ عن ارتباك تسبب فيه حكم صدر عن المحكمة السابقة بشأن مفهوم الملكية فى السياق البيولوجى . أولاً ، فكرة أن المادة التى تنتزع من الجسم " مهملة " أو مادة مفقودة ، والتى بدورها تعنى أن هذه المادة غير مهمة للشخص الذى انتزعت منه ، هى فكرة خاطئة . إذا أخذنا فى الاعتبار الجنين المولود ميتًا ، على سبيل المثال ، فعلى الرغم من أنه قد ترك جسد الأم ، إلا أننا يمكننا أن نعرف بالحدس أن الأم أو الأقرباء الآخرين قد يشعرون بارتباط شديد بهذا الجنين ، وقد يرغبون فى أن يكونوا المسئولين عن التصرف

فيه ، سواء بالدفن ، أو الحرق ، أو تقديم أنسجة للبحث من أجل مساعدة الآخرين ، وفكرة أن تقوم المستشفى أو الطبيب بالتخلص من الجنين كما يشاء ، لمجرد أن الجنين خارج الجسم وبالتالى " مادة مهملة " ، هي بوضوح فكرة غير معقولة وغير إنسانية ، ونفس المنطق ينطبق على خلايا السيد بيرنت . حتى لو كانت خلاياه قد انتزعت من جسمه ، فإن له الحق أن يشعر بأنها مازالت ملكاً له ، وهذا شعور طبيعي وإنسانى عام . ولن يتلاشى هذا الشعور ببساطة لأن المحاكم تحكم طبقاً لبعض المفاهيم القانونية التى قد أقحمت فى حيز ضيق عن طريق التناظر . لا يمكن أن تتخلص من مشاعر إنسانية عن طريق صيغة قانونية ، ولكن هذا بالضبط ما حاولت المحاكم فعله .

بعض المحاكم قد أصدرت أحكامها فى قضايا الأنسجة على اعتبار أن الأنسجة فضلات ، وبعض المحاكم اعتبرت الأنسجة مواد بحثية مماثلة للكتب في المكتبة ، وبعض المحاكم تعتبر الأنسجة ملكية متنازلاً عنها يمكن التخلص منها تلقائيًا تحت ظروف معينة مثل الخزانات المؤجرة التى يمكن أن تفتح بعد وقت معين وتباع محتويات هذه الخزانات . لقد حاولت بعض المحاكم أن توازن بين القضايا المتنافسة واستنتجت أن قضايا مطالبات المجتمع فى البحث تفوق قضايا ومتطلبات الأفراد فى الملكية .

كل هذه الإجراءات تسير فى الاتجاه المعارض للطبيعة البشرية العنيدة . إن أجسامنا هى ملكيتنا الفردية . بمعنى أن ملكيتنا لأجسادنا هى أكثر أنواع الملكية الجوهرية التى عرفتها البشرية ؛ فملكيتنا لأجسادنا هى سر وجودنا ، فإذا فشلت المحاكم فى الاعتراف بهذه الفكرة الجوهرية ، فإن حكمها يكون غير صالح ، مهما كان يبدو صحيحًا داخل منطق القانون .

ولذلك فإن إهداء شخص أنسجة لطبيبه لإجراء دراسة بحثية عليها ، لا يشبه بأى شكل من الأشكال إهداء كتاب لإحدى

المكتبات ، ولن يكون كذلك . وللاستخدام الجديد يجب إخطاره فى كل مرة سيتم استخدام الأنسجة فيها ، فإذا كانت المجلة يمكن أن تخطرك عندما ينتهى اشتراكك ، فإن الجامعات يمكن أن تخطرك عندما تريد استخدام أنسجتك لغرض جديد .

ولقد تم إخبارنا بأن ذلك أمر مرهق للبحث الطبى . ولكن العكس هو الصحيح . إذا كانت الجامعات لا تدرك أن الأشخاص دائماً وأبداً سيحملون اهتماماً عقلانياً وعاطفياً بأنسجتهم ، إذن فإن الأشخاص لن يتبرعوا بأنسجتهم للبحث ، وسيبيعونها للمؤسسات التجارية بدلاً من ذلك ، وسيقدم محاموهم مستندات قوية تمنع الجامعات من القيام باختبارات الدم لأى أغراض على الإطلاق ، دون تفاوض فى السداد ؛ فالمرضى ليسوا سذجاً ولا محاموهم كذلك .

وستزداد تكلفة البحث الطبى بشكل فلكى إذا استمر الأطباء والجامعات فى التصرف بطريقة اليد العليا . ولن يتحقق الصالح العام الحقيقى إلا من خلال تعزيز التشريع الذى يمكن الأشخاص من الحصول على حقوق التصرف فى أنسجتهم ، للأبد .

لقد تم إخبارنا بأن اهتمام المريض بأنسجته ، وحقه فى الخصوصية ينتهى عند الوفاة . وهذا أيضاً تفكير عتيق يجب أن يتغير ؛ لأن أسلاف الشخص الميت يشاركونه الجينات ، ويتم اقتحام خصوصيتهم إذا تم إجراء البحث على المتوفى ، أو إذا تم نشر التركيب الجينى لهذا الشخص المتوفى ؛ فأولاد الشخص المتوفى قد يفقدون تأمينهم الصحى ببساطة لأن القوانين المعاصرة لا تعكس الحقائق المعاصرة .

لكن فى النهاية ، فإن قضية بيرنت قد سارت فى الطريق الخطأ كما حدث بسبب خطأ عميق وجوهرى ارتكب بواسطة المحاكم ، وستظل قضايا الملكية دائماً غير واضحة عندما يرعى الأفراد داخل أجسامهم ما حكمت المحاكم بأنه ملك شخص آخر . وهذا ينطبق على خطوط الخلايا ؛ وعلى الجينات وبعض

البروتينات . هذه الأشياء لا يمكن امتلاكها بشكل منطقى . إنها قاعدة ثابتة فى القانون ، إن ميراثنا المشترك لا يمكن امتلاكه بواسطة أى شخص . إنها قاعدة ثابتة ، إن عناصر الطبيعة لا يمكن أن تمتلك ، ولكن لأكثر من حقبتين من الزمن فشلت الأحكام القانونية فى تأكيد هذا المفهوم ، وسوف تزداد الارتباكات والتخبطات الناتجة عن ذلك مع الوقت ، ومع تقدم العلم ، وسوف تصبح الملكية لعناصر الطبيعة أكثر صعوبة ، وأكثر تكلفة . ما قد تم بواسطة المحاكم هو خطأ فادح يجب تداركه ، والأفضل أن يكون ذلك فى أقرب وقت ممكن " .

التفتت إليكس لبوب وقالت : " أعتقد أن هذا القاضى قد تلقى مساعدة " .

قال بوب : " نعم ، من الممكن " .

الفصل ٩٠

كان ريك دايهل يحاول أن يتماسك ، ولكن كل شيء كان يتداعى حوله . لقد اتضح أن جين النضج كارثة . والأسوأ من ذلك ، أن شركة بيوجين تمت مقاضاتها بواسطة محام فى نيويورك وهو محام ذكى ومجرد من المبادئ . لقد أخبره محاميه أن يسوى الأمر ، لكنه إذا فعل سيفلس الشركة . على الرغم أن ذلك قد يحدث على أى حال . لقد فقدت شركة بيوجين خط بيرنت ، وفشلوا فى استعادة الخلايا من أبناء بيرنت ، والآن يبدو أن هناك براءة اختراع حصلت عليها إحدى الجامعات ومتصلة بإنتاج خلايا بيرنت ، والتى من دونها يكون المنتج بلا قيمة .

وقد جاءت زوجته ، بناء على طلبه وعادت إلى المدينة بعد اختبائها . لقد كان الأولاد فى منزل والديها فى مارثا فينيارد فى فترة الصيف ، وكانت زوجته ستحصل على حضانتهم . لقد كان محاميه ، بارى سيندلر نفسه يواجه مشكلة انفصاله عن زوجته ، ولا يبدو فى ظل هذه المشكلة أن لديه الوقت للتفكير فى قضية ريك . إلى جانب ذلك ، فقد حدثت جلبة كبيرة بسبب الاختبارات الجينية التى كان يتم إجراؤها فى قضايا الحضانة . وكان بارى سيندلر أول من وجهت إليه أصابع الاتهام كالمسئول

الأول ومبتدع هذه الممارسات والاختبارات ، والتي تم وصفها بغير الأخلاقية .

وكانت هناك أقاويل تتردد أن الكونجرس سيصدر قوانين للحد من إجراء الاختبارات الجينية ، ولكنّ المراقبين يشكون في إمكانية حدوث ذلك ؛ لأن شركات التأمين ترغب في إجراء هذه الاختبارات . وهذا شيء منطقي ، على اعتبار أن شركات التأمين لا تعتزم دفع مطالبات التأمين إلا بعد إجراء هذه الاختبارات .

غادر براد جوردون المدينة أثناء انتظاره لموعد المحاكمة ، وقد ترددت الشائعات بأنه قد سافر إلى الغرب ليضع نفسه في بعض المشاكل .

قدمت شركة رودريجز القانونية لشركة بيوجين الجزء الأول من فاتورتها ، والتي كانت بأكثر من مليون دولار . كانت شركة رودريجيز ترغب في الحصول على مليوني دولار أخرى أتعاباً محتجزة ، في ضوء كل الدعاوى القضائية المعلقة التي واجهتها الشركة .

اتصل مساعد دايهل به على جهاز الإنتركوم وقال : " سيد دايهل ، هناك سيدة من شركة " بي . دي جي " الشركة الأمنية ، وترغب في رؤيتك .

جلس في كرسيه ، وتذكر كيف شعر بقمة المتعة عندما كان مع جاكلين مورير . لقد كان يشعر بأنه حي لمجرد وجوده معها ، وهو لم يرها منذ أسابيع .

قال : " أدخلها " ، ووضع قميصه داخل بنطاله بسرعة والتفت نحو الباب .

دخلت سيدة في الثلاثين من عمرها ترتدي حُلة زرقاء وحقيبة للأوراق إلى الغرفة . كان لها ابتسامة لطيفة ، ووجهها ممتلئ وشعرها بني يصل إلى كتفها . قالت السيدة : " سيد دايهل ؟ أنا " أندريا وودمان " ، من شركة " بي. دي. جي " . أنا آسفة لم أتمكن من مقابلتك قبل ذلك ؛ لقد كنا مشغولين مع عملاء

آخرين خلال الأسابيع الماضية . هذا أقرب موعد استطعت الحضور فيه . وأنا سعيدة للتعرف عليك " ومدت يدها لمصافحته .

ولم يسع دايهل سوى التحديق .

رجال الكهف كانوا يفضلون الشقراوات

لاحظ أحد علماء الأنثروبولجى تطوراً سريعاً لجين الضوء
هل الشقر حقا أكثر جاذبية جنسية ؟

أشارت دراسة جديدة أجراها عالم الأنثروبولوجى بيتر فروست أن المرأة الأوربية قد أصبحت ذات عيون زرقاء وشعر أشقر فى نهاية العصر الجليدى الأخير كوسيلة لجذب الرفقاء ، وقد ذكر فروست أن جين لون الشعر " إم . سى . آى . آر " قد تطور لسبعة أشكال مختلفة منذ حوالى ١١٠٠٠ عام مضت ، الأمر الذى حدث بشكل سريع للغاية من الناحية الجينية ؛ حيث إن المعتاد أن يستغرق تغيراً كهذا قرب المليون عام.

ولكن التفضيل الجنسى يمكن أن يؤدى إلى حدوث تغيير جينى سريع . إن التنافس بين النساء من أجل الرجال ، الذين كانوا قليلين نتيجة الوفاة المبكرة فى الحياة البدائية القاسية على الأرض ، أدى إلى اكتساب النساء لون أعين ولون شعر جديداً حتى يتمكنَّ من جذب الرجال ، الذين كانوا قليلين نتيجة الوفاة المبكرة ، ويعزز تلك النتائج التى توصل إليها فروست العمل الذى قامت به ثلاث جامعات يابانية ، والذى حدد تاريخ التحول الجينى للشقر .

وقد تم نشر نظرية بروفيسور فروست فى صحيفة " إيفوليوشن آندهيومان بيهيفيور " التى تهتم بالتطور والسلوك الإنسانى ، وتم تأييد بحث فروست من خلال دراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية والتى تنبأت بزوال الشقر بحلول عام ٢٢٠٢ ، ولكن صدر بعد ذلك تقارير لاحقة اختلفت مع نتائج منظمة الصحة العالمية ، بعد دراسة أجرتها هيئة مستشارى الأمم المتحدة ، والتى أشارت إلى عدم دقة هذا البحث .

الفصل ٩١

مشى فرانك بيرنت بعد الظهيرة خلال المكاتب الحديثـة التـى يملكها رجل رأس المال الشهير جاك واطسون ، بدت المكاتب كما رآها واطسون من قبل فى زيارات سابقة . نفس الأثـاث الحـديث الذى من تصميم مـايس ، والفـن الحـديث ـ ودهانـات الإسـكندر الأكـبر ، والنحـت البـالونى ، ولوحـة تانـسى لمتـسلقى الجبـال المعلقة خلف مكتب واطسون . والهواتـف الـصامتة ، الـسجاجيد الصفراء ـ وكل الـسيدات المـذهلات ، يتحـركن بـسرعة وكفـاءة . وقفت سيدة بجانب واطسون ووضعت يدها على كتفه .

قال واطـسون وهـو جـالس : " آه ، يـا فرانـك ، هـل قابلـت جاكلين مورير ؟ " .

" لا أعتقد ذلك " .

صافحته بشكل هادئ ومباشر جدًا وقالت : " مرحباً يا سـيد بيرنت " .

وقـال واطـسون : " وأود أن أعرفـك علـى عبقـرى المجـال التقنـى ، " جيمـى ماكـسويل " ، وأشـار واطـسون لفتـى فـى العشرينات مـن عمـره ، يجلـس فـى آخـر الغرفـة . كـان الفتـى يرتدى نظارة هلالية وجاكت دودجرز . نظر من خلال الكمبيوتر المحمول الخاص به ولوح لبيرنت .

" كيف حالك ؟ " .

قال بيرنت : " مرحباً بك " .

قال واطسون وهو يتحرك في كرسيه : " لقد طلبت منك أن تحضر هنا لأننا قد انتهينا تقريبًا من الأمر بأكمله . لقد ناقشت السيدة مورير لتوها اتفاقية ترخيص مع جامعة ديوك بشروط مرضية للغاية " .

ابتسمت السيدة ابتسامة تشبه ابتسامة أبى الهول وقالت : " لقد أصبحت أكثر انسجاماً مع العلماء " .

وأكمل واطسون قائلاً : " أما ريك دايهل ، فقد استقال من رئاسة شركة بيوجين ، وقد ذهب معه وينكلر وباقى كبار العاملين بالشركة ، ومعظمهم يواجهون مشاكل قانونية ، وكم هو محزن أن الشركة لن تستطيع مساعدتهم ؛ لأنك إذا خرقت القانون ، فإن وثيقة تأمين الشركة لا تغطيك ؛ لذلك فإنهم يواجهون هذه المشاكل بمفردهم .

قالت جاكلين مورير : " لسوء الحظ " .

قال واطسون : " هكذا سارت الأمور ، ونتيجة لهذه الأزمة ، طلب مجلس إدارة شركة بيوجين منى أن أتولى رئاسة الشركة ، وأن أساعد الشركة فى الوقوف على أقدامها مرة أخرى ، وقد وافقت على ذلك فى مقابل الحصول على أسهم مناسبة من الشركة " .

أومأ بيرنت : " إذن فقد سار كل شيء وفقاً للخطة " .

نظر إليه واطسون نظرة غريبة وقال : " آه ، نعم ، على أى حال ، يا فرانك ، لا شيء آخر يمنعك من العودة للوطن ولأسرتك . أنا متأكد أن ابنتك وحفيدك سيكونان سعيدين لرؤيتك " .

قال بيرنت : " آمل ذلك ، ربما تكون غاضبة منى ، ولكن كل شيء سيسير على ما يرام ، دائماً ما يحدث ذلك " .

قــال واطــسون وهــو مــازال جالــسًا ، ومــد يــده وجفـل قلـيلاً متألماً : " هذا صحيح " .

سأله فرانك : " هل كل شيء على ما يرام ؟ " .

" لا شيء ، لقد لعبت الكثير من الجولف ليلة أمس ، ويبدو أننى أرهقت ذراعى " .

" ولكن مـن الجيـد حقـاً أن تمـضى بعـض الوقـت بعيـداً عـن العمل " .

قــال واطــسون وهــو يبتــسم ابتــسامته الــشهيرة المعتــادة : " هذا حقيقى للغاية ، هذا حقيقى للغاية " .

الفصل ٩٢

اتبع براد جوردون الجماهير التى احتشدت متوجهة نحو مايتى كونج ، عربات قطار الملاهى الضخمة بمدينة ملاهى سيدار بوينت فى ساندسكى ، بولاية أوهايو . كان براد يزور الملاهى الترفيهية لأسابيع الآن ، وكانت مدينة الملاهى تلك أكبر وأفضل مدينة فى الولايات المتحدة . كان يشعر بأنه أفضل حالاً الآن ؛ فلم يعد فكه يؤلمه تقريباً .

الشيء الوحيد الذى ضايقه هو محادثة أجراها مع محاميه جونسون . كان جونسون ذكيًا ، ولكن براد لم يكن أيضاً بالرجل السهل . لماذا لم يدفع عمه لمحام من الدرجة الأولى ؟ لقد كان يفعل ذلك دائمًا ، لقد شعر براد على نحو غريب بأن حياته على حد السكين .

طرح كل هذه الأفكار جانبًا ونظر إلى المضمار فوقه عن بعد والناس تصرخ كلما تحركت عرباتهم . عربات قطار الملاهى مايتى كونج ! التى تسقط من على ارتفاع أربعمائة قدم ، تعطى مبررا وجيهاً للناس لكى يصرخوا ، وكان صف ممسكى التذاكر الشغوفين ممتلئاً . انتظر براد ، كعادته ، حتى جاءت فتاتان جميلتان بالصف ، لقد كانتا فتاتين محليتين ، تربيتا على زجاجة اللبن ، صحتهما جيدة وجلدهما وردى ويتمتعان بقدر

من الأنوثة ووجه حلو . كانت إحداهما ترتدى سترة ضيقة وكانت فاتنة . ظل براد خلفهما ، يستمع بسعادة لصوتيهما الحاد وثرثرتهما الفارغة . وصرخ مع من كانوا معه في بقية الصف عندما استقلوا عربة الملاهى وهبطت بهم بشكل رائع .

ركوب العربة جعله يرتعد وشعر بأن نسبة الأدرينالين قد زادت في جسده ، وشعر بفرط الإثارة ؛ وشعر بقليل من الوهن وهو يقفز خارج السيارة وشاهد الفتيات يخرجن من العربات ، تجاه باب الخروج .

انتظر ، إنهما تذهبان لركوب تلك العربة مرة أخرى ! رائع ! تبعهما براد ليقف في الصف للمرة الثانية .

شعر براد وكأنه في حلم جميل ، بينما كان ينظر إلى الفتاتين الجميلتين وخصلات شعرهما الناعم تتمايل بينما تتحركان ، وملابسهما تكشف النمش على كتفيهما والذى جعلهما أكثر جاذبية . بدأ براد يسرح في خياله ويستغرق في أحلامه ويرى نفسه في صحبة هاتين الفتاتين يداعبهما ويلهو معهما ، كل ذلك عندما تقدم رجل منه وقال : " هل يمكن أن تأتى معى من فضلك ؟ " .

جفلت عينا براد مستيقظاً من أحلامه وقال : " آسف ؟ هل يمكن أن تأتي معي يا سيدى ؟ " لقد كان للرجل وجه وسيم واثق ، وكان يحاول أن يكون مطمئناً لبراد من خلال ابتسامة مشجعة ، مما جعل براد يشعر بالارتياب في الحال ، فغالباً ما يتصرف رجال الشرطة بطريقة ودودة ومهذبة ، ولكنه لم يفعل أى شىء مع هاتين الفتاتين ، لقد كان واثقاً من ذلك . لم يلمس أيًّا منهما ولم يقل أى شىء لهما ــــ .

قال الرجل : " سيدى وهل يمكن أن تأتي معى من فضلك ؟ من المهم أن تذهب إلى هناك ... هناك ... " .

نظر براد إلى حيث أشار الرجل ورأى بعض الرجال يرتدون ما بدا أشبه بزى موحد ، ربما كانوا من رجال الأمن ، وكان هناك

رجلان آخران يرتديان معطفين أبيضين ، وكأنهما من مصحة . وكان هناك طاقم عمل من التلفاز ، أو طاقم من رجال التصوير يقومون بالتصوير لغرض ما ، وشعر براد فجأة بجنون العظمة .

قال الرجل الوسيم : " سيدى ، من فضلك . إننا فى حاجة ماسة إليك " .

" لماذا تحتاجون إلى ؟ " .

" سيدى ، من فضلك . . . " كان الرجل ممسكاً بساعد براد ، ثم جذبه بقوة أكثر وقال : " سيدى ، إننا نجمع بعض البالغين الذين يكررون ركوب الألعاب ـــــ " .

البالغون الذين يكررون ركوب الألعاب . ارتعد براد ، لقد عرفوا أمره ، والآن هذا الرجل الوسيم الذى يتحدث بأسنان ساحرة كان يقوده نحو الأشخاص الذين يرتدون المعاطف البيضاء . لقد كانوا بوضوح مجتمعين من أجله ، حاول براد أن يحرر نفسه ، لكن الرجل الوسيم كان ممسكاً به .

كان قلب براد يخفق بشدة ، وشعر بفيضان من الخوف يسرى خلال جسمه ، فانحنى وسحب مسدسه من الجراب وقال : " لا ! دعونى أذهب " .

بدا الرجل الوسيم مصدومًا ، مسك الرجل يده وقال : " خذ الأمور ببساطة ، سيكون الأمر ـــــ " .

انطلق المسدس الذى كان فى يد براد ، ولم يدرك أن ذلك قد حدث حتى رأى الرجل يترنح وبدأ يسقط ، وتعلق ببراد ، وأطلق براد رصاصة أخرى ، وسقط الرجل فى الخلف . كان كل شخص فى المكان يصرخ ، وصرخ أحدهم : " لقد أطلق الرصاص على دكتور بيلارمينو ! لقد أطلق الرصاص على بيلارمينو ! " .

عندئذٍ أصبح براد مشوشًا للغاية ، لقد كانت الجماهير تجرى بعيدًا ، وجرت الفتيات ، لقد فسد كل شيء ؛ وعندما صاح نحوه رجال يرتدون زيًا رسميًا أطلق النار عليهم أيضًا ، وأصبح العالم أسود .

الفصل ٩٣

فى اجتماع فصل الخريف الذى تعقده هيئة منظمة تحويل تكنولوجيا الجامعات المنظمة التى كرست نفسها لترخيص الأعمال التى يقوم بها علماء الجامعة ، ألقى جاك بى واطسون ، رجل الخير ، خطابه المثير ، وقد تناول خطابه موضوعات واطسون المألوفة : النمو المذهل للتكنولوجيا الحيوية ، أهمية منح براءات اختراع على اكتشاف الجينات ، أهمية التصدق على الفقراء ، وضرورة الحفاظ على الوضع الراهن لاستقرار عالم التجارة والأعمال وثروة الجامعات . إن صحة وثروة جامعاتنا تعتمد على شركائنا الأقوياء فى التكنولوجيا الحيوية ؛ فهذا هو المفتاح إلى المعرفة ، والمفتاح إلى المستقبل !

لقد أخبرهم بما أرادوا سماعه ، وترك المسرح للتصفيق المدوى المعتاد . القليلون من الحضور فقط لاحظوا أنه يمشى بعرج خفيف ، وأن ذراعه اليمنى لم تعد تتأرجح بحرية مثل ذراعه اليسرى .

خلف المسرح جذب ذراع سيدة جميلة ، وقال : " أين دكتور روبينز ؟ " .

قالت : " إنه ينتظرك فى عيادته " .

أخذ واطسون يسب ويلعن ، ثم استند إلى المرأة بينما مشى للخارج إلى السيارة الليموزين المنتظرة . لقد كانت الليلة باردة ، وكان هناك بعض الضباب البسيط . قال واطسون : " اللعنة على هؤلاء الأطباء ، إننى لن أجرى أيٍ اختبارات لعينة أخرى " .

" لم يذكر دكتور روبينز شيئاً عن أى اختبارات " .

فتح السائق الباب ، وقفز واطسون للداخل بطريقة غريبة ، كان يجر رجله بصعوبة . لقد ساعدته السيدة فى الدخول واسترخى للخلف ، وأخذ يجفل من الألم ، وركبت السيدة من الجانب الآخر وقالت : " هل الألم سيئ ؟ " .

" إنه يصبح أسوأٍ فى الليل " .

" هل تريد قرصاً ؟ " .

" لقد أخذت قرصًا بالفعل " وتنفس بعمق ثم قال : " هل يعرف روبينز ما هذا الذى أصابنى ؟ " .

" أعتقد ذلك " .

" هل أخبرك ؟ " .

" لا " .

" أنت تكذبين " .

" لم يخبرنى ، يا جاك " .

" يا إلهى " .

أسرعت الليموزين تشق طريقها فى ظلام الليل ، وحدق واطسون خارج النافذة ، وتنفس بصعوبة .

كانت عيادة المستشفى مهجورة وخالية فى هذه الساعة من الليل . كان فريد روبينز ، الذى يبلغ من العمر ٣٧ عاماً وسيمًا كنجوم السينما ، وكان ينتظر واطسون مع اثنين من الأطباء الأصغر سنًا ، فى غرفة فحص كبيرة . وضع روبينز لوحات مضيئة عليها أشعة إكس ، والترحيل الكهربائى ونتائج الرنين المغناطيسى .

سقط واطسون بثقل على الكرسي . أشار للأطباء الصغار : يمكنكم أن تذهبوا " .

" ولكن جاك ـــــ " .

قال واطسون لروبينز : " أخبرني بالأمر وحدى ، لقد اختبرني ١٩ طبيباً لعيناً خلال الشهرين الماضيين . وأجريت الكثير من الرنين المغناطيسي والأشعات المقطعية لدرجة أني أتوهج في الظلام " . وأشار للسيدة : " انتظرى بالخارج ، أنت أيضاً " .

خرجوا جميعاً ، وكان واطسون وحده مع روبينز .

" يقولون إنك أذكى طبيب مشخص في أمريكا ، يا فريد ، إذن أخبرني بالأمر " .

قال روبينز : " حسنًا ، إنها عملية بيولوجية كيميائية مثل أى شيء ، لهذا أردت ـــــ " .

قال واطسون : " منذ ثلاثة أشهر مضت شعرت بألم في رجلي ، وبعد أسبوع من ذلك كنت أجر رجلي . لقد تآكل حذائي من الطرف ، وسريعًا عانيت من مشكلة في صعود السلالم . والآن لدى ضعف في الذراع اليمنى ، لا أستطيع أن أضغط على معجون الأسنان بيدى ، وأشعر بصعوبة في التنفس . كل ذلك في ثلاثة شهور ! إذن أخبرني ماذا يحدث لى ؟ " .

قال روبينز : " إنه مرض يسمى شلل فوجلمان ، إنه غير شائع ، ولكنه ليس نادراً . تصاب به آلاف قليلة من الحالات في العام ، ربما خمسين ألف حالة في العالم . وقد تم تشخيصة للمرض لأول مرة في عام ١٨٩٠ بواسطة طبيب فرنسي ـــــ " .

" هل يمكنك أن تعالجه ؟ " .

قال روبينز : " عند هذه النقطة ، لا توجد علاجات مُرضية " .

" هل هناك *أى* علاجات ؟ " .

" أنظمة ملطفة ومساندة ، ومساج وفيتامينات ب ـــــ " .

" لكن ليسٍ له علاجات " .

" ليس حقا ، يا جاك ، لا " .

" وما الذى يسبب هذا المرض ؟ " .

" لقد توصلنا إلى ما يسبب المرض ؛ فمنذ خمس سنوات مضت ، قام فريق أندرز فى سكريبس باكتشاف جين " بى. آر . دى . ٧ . إيه " الذى يشفر بروتيناً يعالج النخاعين حول الخلايا العصبية . لقد أظهروا أن نقطة تحول فى الجين ينتج عنها شلل فوجلمان عند الحيوانات " .

قال واطسون : " حسنًا ، أنت تخبرنى بأن لدى مرض نقص وراثيًّا مثل أى مرض وراثى " .

" نعم ، ولكن ـــــ " .

" منذ متى تم اكتشاف الجين ؟ هل منذ خمس سنوات ؟ إذن فمن الطبيعى أن يكون هناك محاولات قد تمت من أجل استبدال الجين ، إن البروتين المشفر الذى يصنع داخل الجسم ...... " .

" إن محاولة العلاج عن طريق استبدال الجين أمر خطير ، بالطبع " .

" وهل أهتم بذلك ؟ انظر إلى يا فريد . كم تبقى لى من الوقت ؟ " .

" إن المدى الزمنى متغير ، ولكن ... " .

" انطقها " .

" ربما أربعة شهور " .

" يا إلهى ! " وأخذ نفساً ومرر يده على جبهته ، وأخذ نفسًا آخر وقال : " حسناً ، إذن هذا هو الموقف . دعنا نقم بالعلاج ؛ فبعد خمس سنوات من اكتشاف الجين لابد أن يكون لديهم نظام علاجى " .

قال روبينز : " ليس لديهم " .

" يجب أن يكون لدى شخص ما " .

" ليس لديهم ، لقد حصلت شركة سكريبس على براءة اكتشاف الجين ورخصته لشركة بينارت باجوف ، شركة الأدوية السويسرية العملاقة . كان هذا الترخيص جزءًا من مجموعة اتفاقيات مع شركة سكريبس ، بشأن عشرين تعاونًا آخر . ولم يعتبر جين " بى . آر . دى . ٧ . إيه " . ذا أهمية خاصة " .

" ماذا تقول ؟ " .

" لقد حددت بينارت أتعاب ترخيص عالية للجين " .

" لماذا ؟ إنه مرض خاص ، ليس هناك معنى أن ـــــ " .

قال روبينز باستهجان : " إنها شركة كبيرة . من يعرف السبب وراء قيامهم بالأشياء . قسم التراخيص لديهم يحدد الأتعاب لحوالٍى ٨٠٠ جين يملكونها ويتحكمون فيها . هناك أربعون شخصاً يعملون فى هذا القسم . إنها بيروقراطية . على أى حال لقد جعلوا أتعاب الحصول على الترخيص مرتفعة " .

" يا إلهى ! " .

" ولا توجد أى معامل فى أى مكان فى العالم ، عملت على هذا المرض فى السنوات الخمس الماضية " .

" يا إلهى ! " .

" إن الحصول على ترخيص العمل عليه أمر مكلف جدًا ، يا جاك " .

" إذن سأشترى هذا الجين اللعين " .

" لا تستطيع . لقد سبق أن تحققت من الأمر . إنه ليس للبيع " .

" كل شىء للبيع " .

" أى بيع يتم بمعرفة شركة بينارت يجب الموافقة عليه بواسطة مكتب سكريبس لنقل التكنولوجيا الذى لن يأخذ ـــ " .

" لا يهم سأرخصها بنفسى " .

" يمكن أن تفعل ذلك . نعم " .

" وسأرتب نقل الجين بنفسى ، وسنحضر فريقاً طبياً فى هذا المستشفى ليقوم بهذا العمل " .

" أنا فى الواقع أتمنى لو استطعنا ذلك ، يا جاك ، ولكن عملية نقل الجين خطيرة للغاية ، ولن يخاطر أى معمل هذه الأيام ويقدم على القيام بها . لم يذهب أحد للسجن بعد بسبب الفشل فى نقل جين إلى جسد مريض ، ولكن هناك الكثير من حالات الوفاة ، و ــــــ " .

" انظر إلى ، فريد " .

" يمكن أن تقوم بها فى شنغهاى " .

" لا ، لا ، سنجرى العملية هنا " .

عض فريد على شفتيه وقال : " جاك ، يجب أن تواجه الواقع . إن معدل النجاح أقل من ١٪ . أقصد ، إذا كنا قد قمنا بالعمل والبحث على الجين خلال السنوات الخمس ، لكان لدينا نتائج الاختبار على الحيوانات ، واختبارات على حامل المرض ، واختبارات على نظم كابت التمنيع ، وكل أنواع الخطوات لزيادة فرص النجاح ، ولكن المجازفة بشىء غير محسوب العواقب .... " .

" هذا هو كل ما لدى وقت من أجله . الإقدام على شىء غير محسوب العواقب " .

هز فريد روبينز رأسه .

قال واطسون : " سأدفع مائة مليون دولار لأى معمل يفعل ذلك . استأجر عيادة خاصة فى أركيديا ، لن يعرف أحد بالأمر ، سأكون وحدى على علم به . وقم بالعملية هناك . سواء نجحت أو لم تنجح " .

هز روبينز رأسه فى حزن وقال : " أنا آسف ، يا جاك . أنا حقاً آسف ! " .

الفصل ٩٤

أضاءت الأنوار العلوية لغرفة التشريح ، صف من الأضواء تلو الآخر فكر جوريفيتش في أن الطريقة التى أضيئت بها الغرفة كانت بداية درامية للقطة التى كان سيصورها ، وكان الشخص الذى يرتدى معطف المعمل ذا مظهر مميز للغاية ؛ حيث إنه كان له شعر فضى اللون ، وكان يرتدى نظارة ذات إطار سلكى ، لقد كان هذا الرجل هو طبيب التشريح الدولى الشهير للثدييات " جورج أريكسون " .

كان جوريفيتش يستخدم كاميرا يدوية ، وقال بينما أخذ يصور : " دكتور أريكسون ، هل يمكنك أن تشرح لى ماذا نفعل اليوم ؟ " .

" إننا نعمل على فحص نموذج اكتسب شهرة على مستوى العالم ، إنه الأورانجتون المتكلم المزعوم فى أندونسيا . قيل إن الحيوان قد تحدث بلغتين على الأقل . حسنًا ، سنرى " .

التفت دكتور أريكسون إلى المنضدة الصلب ؛ حيث كانت الجثة مغطاة بقماش أبيض . جذب الغطاء بعيدًا فى تباهٍ وقال : " هذا أورانجتون شاب أو فى مرحلة ما قبل البلوغ وموطنه الأصلى سوماطرة . (بونجو أبيللي) وهو مميز بصغر حجمه عن أورانجتون بورنيو ، وهذا النموذج ذكر ويبلغ من

العمر تقريبًا ثلاث سنوات ، وهو فى صحة جيدة ، دون خدوش خارجية أو جروح . . . حسناً والآن سنبدأ " والتقط مشرطاً .

" ومن خلال إحداث قطع فى منتصف الرقبة ، أكشف الجهاز العضلى الأمامى للحنجرة والبلعوم . لاحظوا الجزء البارز العلوى والسفلى من العضلة ، وهنا ، القص اللامى . . . هممم " انحنى أريكسون على عنق الحيوان ، ووجد جوريفيتش أنه من الصعب أن يناور من أجل الحصول على اللقطة .

فسأله : " ماذا ترى يا بروفيسير ؟ " .

" أنا أنظر الآن إلى العضلات الإبرية والدرقية هنا ، وهنا . . . وهذا شيق جدًا ؛ ففى الوضع الطبيعى فى حيوان البونجو نجد أن العضلات الأمامية نامية بشكل ضعيف ، وينقصها التحكم الحركى الدقيق الذى يتمتع به جهاز الكلام البشرى ، ولكن هذا الكائن يبدو حالة انتقالية ؛ فلديه بعض خصائص البلعوم الكلاسيكى للقرد ، وبعض خصائص إضافية للعنق البشرى .

لاحظوا السترنوكليدوماستويد ... " .

فكر جوريفيتش السترنوكليدوماستويد يا إلهى يا لها من كلمة طويلة معقدة قال : " يا بروفيسير ، هل يمكن أن تقولها بلغة مبسطة ؟ " .

" لا ، المصطلحات تكون باللاتينية ، أنا لا أعرف ترجمتها ـــ " .

" أقصد أن تشرحها بمصطلحات الأشخاص غير المتخصصين ؟ لمشاهدينا ؟ " .

" آه ، بالطبع ، كل هذه العضلات الخارجية ، معظمها مرتبط بالعظم اللامى ـ بمعنى تفاحة آدم ـ هذه العضلات أشبه بعضلات البشر منها إلى القرود " .

" رأيك ماذا يمكن أن يكون السبب فى ذلك ؟ " .

" من الواضح أن السبب بعض التحول " .

" وباقى الحيوان هل هو أقرب للإنسان أيضاً ؟ " .

قال أريكسون بصرامة : " أنا لم أر باقى الحيوان ولكننا سنصل لذلك ، فى الوقت المناسب .

وسأكون مهتماً بشكل خاص بفحص أى تعاقب فى فقرة العنق فى الثقب الكبير فى الجمجمة ، وبالطبع سأهتم بفحص عمق اللحاء الحركى ، الذى وصل عمقه إلى درجة أن مادة الدماغ السنجابية قد حفظت .

" هل تتوقع وجود شبه بشرية فى المخ ؟ " .

قال أريكسون : " بصراحة لا ، لا أتوقع ذلك " ، وركز انتباهه لأعلى الجمجمة ، ممرراً يده بالقفاز على الشعر المتفرق لفروة رأس الأورانجتون ، وجس العظام تحتها ، وقال : " كما ترون ، فى هذا الحيوان ، العظام الجدارية تنحدر للداخل ، تجاه قمة قحف الجمجمة ، بينما البشر لديهم عظام جدارية منتفخة ؛ إن قمة رأسهم أعرض من القاعدة ـــــ " .

ابتعد إريكسون عن المنضدة . قال جورفيتش : " إذن أنت تقول إن هذا الحيوان هو مزيج من البشر والقرد ؟ " .

قال إريكسون : " لا ، هذا قرد . إنه قرد غير مألوف بالتأكيد ، لكنه مجرد قرد " .

مجموعة استثمار جون بى . واطسون

للنشر الفورى

توفى اليوم رجل الخير المشهور جون بى . جاك واطسون ، مؤسس مجموعة واطسون للاستثمار فى شنغهاى بالصين . كان السيد واطسون من الرجال المجدين على مستوى العالم لما قدمه من أعمال خيرية وما بذله من مجهودات لصالح الفقراء والمضطهدين فى العالم . لقد أصاب السيد واطسون المرض لفترة قصيرة ، لكنه عانى من نوع من أنواع السرطانات شديدة الخطورة . لقد دخل فى عيادة خاصة بشنغهاى وتوفى بعد ثلاثة أيام ، وقد حزن عليه أصدقاؤه وزملاؤه فى جميع أنحاء العالم .

سنوافيكم بتفاصيل الخبر لاحقاً

الفصل ٩٥

لقد اندهش هنرى كيندال عندما وجد أن جيرارد استطاع أن يساعد ديف في واجبه المنزلى فى الحساب ، ولكن ذلك لن يستمر طويلاً ؛ ففى آخر الأمر ربما يحتاج ديف لتعليم خاص . لقد ورث ديف عن الشمبانزى ضعف الانتباه . ووجد صعوبة متزايدة فى مجاراة الأطفال الآخرين فى الفصل ، خصوصًا فى حصة القراءة ، التى كانت صعبة ومؤلمة بالنسبة له . وقد جعلته قدراته البدنية مع فريق آخر فى الملعب . لكن الأطفال الآخرين لم يسمحوا له بأن يلعب لأن وجوده فى أى فريق لن يكون شيئاً منصفاً لما يتمتع به من قوة وسرعة تفوق أى طفل آخر ؛ لذلك فقد أصبح ديف متزلجاً ممتازاً على الأمواج .

والآن قد ظهرت الحقيقة . لقد كانت هناك مقالة محزنة نشرت فى مجلة الناس ، وكانت المقالة تحت عنوان " الأسرة الحديثة " والتى قالت إن أحدث صيحة فى عالم الأسر لم تعد الأسرة التى يكون أفرادها من نفس الجنس ، أو الأسرة المختلطة ، أو الأسرة المكونة من أفراد مختلفة . تقول تراسى كيندال إن هذه الأشكال من الأسر هى أشكال القرن الماضى ، أما القرن الحديث فيحمل شكلاً مختلفاً ، ولابد أنها تعرف هذا الشكل الحديث ؛ وذلك لأن أسرة كيندال التى تعيش فى

لاجولا ، بولاية كاليفورنيا ، هى أسرة تحتوى على أفراد محورة جينياً ، وهى أسرة متداخلة الفصائل - الأمر الذى يخلق جواً من الإثارة فى المنزل أكثر مما لو أحضرت قروداً من ذوات الأربع لتعيش معك فيه !

وقد استُدعى هنرى ليشهد أمام الكونجرس ، وقد وجدها تجربة مميزة ؛ فقد تحدث رجال الكونجرس لمدة ساعتين للكاميرات ، ثم نهضوا ورحلوا ، من أجل القيام بعمل مهم فى مكان آخر ، ثم تحدث الشهود كل لمدة ست دقائق ، ولكن لم يكن هناك أى من أعضاء الكونجرس ليستمعوا إلى ملاحظاتهم . بعد ذلك ، أعلن كل أعضاء الكونجرس أنهم قريباً سيلقون خطابات عن موضوع التحور الجينى .

وتم حصول هنرى على لقب عالم العام بواسطة جمعية مؤيدى الحرية البيولوجية ؛ أما جيرمى ريفكين فقد وصفه بأنه " مجرم حرب " ، وقد نبذه الكثير من رجال الدين ، ومنعت الكثير من دور العبادة دخوله إليها .

وانتقد المعهد القومى للصحة عمله ، ولكن بديل روبرت بيلارمينو فى رئاسة علم الوراثة كان " وليام جلادستون " ، كان جلادستون أكثر تفتحاً عقلياً وأقل تعظيمًا لنفسه من بيلارمينو . وأصبح هنرى الآن يسافر بشكل مستمر ، ويلقى محاضرات عن أساليب التحور الجينى فى حلقات دراسية بالجامعات فى جميع أنحاء البلد .

وقد سار هنرى محلاً للجدال والخلاف الواسع ؛ فقد سماه رجل الدين الموقر بيللى جون بولاية تنيسى " الشيطان المجسد " ، أما بيل مايور ؛ ذلك الرجعى المنتمى إلى الجناح الأيسر ، فقد نشر مقالة طويلة وكثيرة النقاش فى صحيفة نيويورك ريفيو أوف بوكس تحت عنوان " مطرود من جنة عدن : لماذا يجب أن نمنع التحور الجينى الأشبة بالمحاكاة المضحكة " وقد فشلت المقالة فى أن تذكر أن الحيوانات المحورة

جينياً موجودة بالفعل منذ حقبتين . لقد تم تحوير كلاب ، وقطط ، وبكتيريا ، وفئران ، وخراف وماشية ، وعندما تم سؤال عالم كبير فى المعهد القومى للصحة عن المقال سعل وقال : " ما *نيويورك ريفيو* ؟ " .

وتولت لين كيندال إدارة موقع شبكة تايمز للتحور الجينى ، الذى ذكرت فيه تفاصيل الحياة اليومية لديف ، وجيرارد ، وأسرتها البشرية الكاملة ، جيمى وتريسى .

بعد عام فى لاجولا ، بدأ جيرارد يصدر أصوات نغمات الاتصال بأرقام هاتفية ، تلك النغمات الخاصة بكل رقم على الهاتف وتصدر عند الاتصال بالرقم ، وكان قد فعل ذلك من قبل ، ولكن النغمات كانت غامضة على أسرة كيندال . من الواضح أنها نغمات هاتف أجنبى ، لكنهم فشلوا فى التعرف على البلدة التى قد تكون مصدر هذه النغمة . سألوه : " من أين أتيت بهذا يا جيرارد ؟ " .

أخذ جيرارد يغنى : " لا أستطيع أن أغمض عينى بعد الآن ، منذ أن خرجت أول مرة من الباب . لقد أصبح جيرارد مفتوناً بموسيقى الريف الأمريكى . إنك دائماً ما تتخلى عنى " .

" من أى بلد أتيت بنغمة الهاتف يا جيرارد ؟ " .

لم يتلقوا إجابة عن سؤالهم هذا . لقد تحدث بعض الفرنسية ، وغالبًا ما كان يتكلم بلهجة بريطانية . لقد افترضوا أنه أوربى .

وفى يوم حضر أحد طلاب هنرى الخريجين من فرنسا لتناول الغداء بمنزلهم ، وسمع النغمات التى يصدرها جيرارد . قال : " يا إلهى ، أنا أعرف ماذا يفعل . واستمع للحظة ، وقال : لا يوجد كود للمدينة ولكن بخلاف ذلك . . . دعنا نحاول " ، جذب هاتفه الخلوى وبدأ يطلب الرقم وقال : " كررها مرة أخرى يا جيرارد " .

كرر جيرارد النغمات .

" ومرة أخرى يا جيرارد " .

غنى جيرارد : " الحياة كتاب ، يجب أن تقرأه ، الحياة قصة ، يجب أن تقصها ... " .

قال الطالب الخريج : " أنا أعرف هذه الأغنية " .

" إنها يوروفيجن " .

وفي نهاية الأمر ، أصدر جيرارد نغمات الاتصال . أجرى الطالب المكالمة ، وكان تخمينه الأول أن هذه النغمات من باريس . ردت سيدة على الهاتف . قال بالفرنسية : " معذرة هل تعرفين ببغاء رمادياً اسمه جيرارد ؟ " .

بدأت السيدة في البكاء : " دعني أتحدث إليه ، هل هو بخير ؟ " .

" نعم إنه بخير " .

وأمسكوا بالهاتف عند سارية جيرارد ، واستمع إلى صوت السيدة . هز رأسه من الإثارة ثم قال : " أهذا من حيث تعيشين ؟ آه ، أمي ستحب هنا ! " .

وصلت جيل بوند لزيارتهم بعد أيام قليلة . لقد بقيت لديهم لمدة أسبوع ، وعادت بمفردها . يبدو أن جيرارد فضل البقاء في منزل كيندال ، وبعد ذلك بأيام كان يغني :

اعتادت حبيبتى أن تبقى طول الليل ،
لقد جعلتنى أبكى ، وأخطأت فى حقى ،
لقد جرحتنى دون ندم ، أنا لا أكذب
والآن تبدلت الأدوار وجاء دورها لتبكى ؛
لأنى كنت أحبها ، لكن انتهى كل شىء الآن .

وبشكل عام ، سارت الأشياء بشكل أفضل مما توقع أى شخص ؛ لقد كانت الأسرة مشغولة ، ولكن كل شخص قد تأقلم .

كان هناك فقط أمران مزعجان . لقد لاحظ هنرى أنه قد نما شعر قليل رمادى لديف حول أنفه وفكه ، مما يعنى أن ديف ، مثله مثل الحيوانات المحورة جينيا ، قد يموت أصغر من المعتاد .

وفى يوم من أيام الخريف بينما كان ديف يسير مع هنرى فى معرض البلدة ، ممسكا بيد هنرى جاء مزارع وقال : " أريد أن أحصل على واحد منهم ليعمل فى مزرعتى " .

جعل ذلك هنرى يقشعر .

ملاحظات المؤلف

فى نهاية البحث الذى أجريته من أجل هذا الكتاب توصلت إلى النتائج التالية :

١. ضرورة وقف منح براءات الاختراع على اكتشاف الجينات . ربما بدا منح براءات الاختراع على الجينات أمراً معقولاً منذ عشرين عاماً مضت ، ولكن هذا المجال قد طرأت عليه الكثير من التغيرات التى لم يتسن لأحد التنبؤ بوقوعها ، واليوم لدينا العديد من الشواهد التى تؤكد أن منح براءات الاختراع على الجينات أمر غير ضرورى ، وغير حكيم ، بل إنه أمر ضار .

هناك ارتباك وتشوش كبير بشأن منح براءات الاختراع على اكتشاف الجينات . كثير من المراقبين ينادون بوضع حد لبراءات الاختراع التى تمنح على الجينات وبداخلهم مشاعر مناهضة لمحاولات تحويل الجينات إلى ملكية خاصة ، أو ملكية للرأسماليين ، لكن الأمر ليس على هذا النحو ؛ فمن المنطقى للغاية أن يسعى رجال الصناعة للتوصل إلى آلية والتى تضمن تحقيق الربح من استثمار مثمر ، وهذه الآلية تتضمن وضع قيود على المنافسة حول

منتج تم تصنيعه ، ولكن هذه الحماية التى تحاول الصناعة توفيرها للمنتج لا تعنى ضرورة الحصول على حق براءات اختراع على الجينات نفسها ، بل على العكس من ذلك ، إن منح براءات الاختراع على الجينات يتعارض مع تقاليد حماية الملكية الفكرية .

أولاً ، إن الجينات هى عنصر من العناصر الطبيعية مثلها فى ذلك مثل الجاذبية ، وضوء الشمس ، وأوراق الشجر ؛ فالجينات هي جزء من العالم الطبيعى وعناصر الطبيعة لا يمكن امتلاكها ؛ فيمكنك أن تملك حق إجراء اختبار جينى معين ، أو ربما تملك عقاراً يؤثر على جين محدد ، ولكن ليس في وسعك امتلاك الجين نفسه . يمكنك أن تملك علاجاً لمرض ما ، ولكن ليس فى وسعك امتلاك المرض نفسه ، ومنح براءات الاختراع على الجينات يخرق هذه القاعدة الأساسية . بالطبع يمكن للمرء أن يجادل بشأن ماهية العناصر الطبيعية ، وهناك أشخاص يدفع لهم خصيصاً من أجل ذلك . ولكن إليكم اختباراً بسيطاً يمكنكم من معرفة إذا ما كانت الجينات من العناصر الطبيعية أم لا . فإذا كان هناك شىء قد وجد على الأرض قبل وصول الإنسان العاقل إليها بملايين السنين ، أليس ذلك دليلاً كافياً على أن هذا الشيء من العناصر الطبيعية . لذا فإن أى ادعاء بأن الجينات هى اختراع إنسانى لهو سخيف وغير مقبول ، وإن منح براءة الاختراع على اكتشاف الجينات أشبه بمنح براءة الاختراع على اكتشاف الحديد أو الكربون .

ولأن الجينات عنصر من العناصر الطبيعية ، فإن منح براءات الاختراع على اكتشافها يعد احتكاراً غير مقبول وغير مستحق ، فمن الطبيعى أن الحصول على حق براءة الاختراع يمكننى من حماية اختراع ، ولكنه فى الوقت ذاته

يـشجع الآخـرين علـى القيـام بتعـديلاتهم الخاصـة . فـإن اختراعى لجهاز " الآى بـود " لا يمنعـك مـن صنع مـشغل موسـيقى رقمـى ؛ وإن حـصولى علـى بـراءة اخـتراع لمصيدة فئـران مـن الخـشب ، لا يمنعـك مـن الحـصول علـى بـراءة اختراع لمصيدة فئران من التيتانيوم .

ولكن ليس هذا مـا يحـدث مـع بـراءات الاخـتراع التـى تمنح على اكتشاف الجينات ؛ فبراءات الاختراع تتألف من معلومات خالصة موجودة بالفعل في الطبيعة ، ونظراً لأنـه لم يكن هناك اختراع من الأساس ، فلا يمكـن لأحـد ابتكـار أى استخدام آخر للجين دون خـرق بـراءة الاخـتراع ؛ ممـا يغلـق البـاب أمـام أى تجديـد أو ابتكـار ؛ فـالأمر أشـبه بالحصول على براءة اختراع لأنف الإنسان البـشرية ، فـإذا حصل أحدهم على براءة اختراع للأنفس ، لن يمكنك ارتداء نظارة ، أو استخدام المناديل الورقية ، أو رشـاش الأنـف ، أو وضـع مـساحيق التجميـل أو العطـر لأن جميعهـا أشـياء تعتمـد علـى جانـب مـن جوانـب الأنـف فيمكنـك أن تـضع مستحضر الحماية من أشعة الشمس علـى جـسدك بأكملـه ، ولكن ليس على أنفك ؛ لأن أى تغيير أو تعـديل علـى أنفـك يخرق براءة اختراع الأنوف . ويمكن أن يتم مقاضاة الطهـاة بسبب صنعهم لطعام شهى ذى رائحـة طيبـة دون الحـصول على تصريح بذلك ، وهكذا ، وبالطبع سنتفق جميعاً على أن الحصول على براءة اختراع على الأنفٍ هى فكرة عبثية غير مقبولة . فإذا كان كـل منـا يملـك أنفـاً ، فكيـف يمكـن لأى شـخص امتلاكهـا ، وكـذلك الحـصول علـى بـراءة اخـتراع للجينات فكرة عبثيةٍ غير مقبولة لنفس السبب .

يتطلب الأمر قدراً من التخيل لرؤية كيف تعمل براءات الاخـتراع القائمـة علـى الاحتكـار علـى إعاقـة الابتكـار والإبداع . إذا كان مبتكر شخصية " أو جـستى دوبـين " لـه

الحق فى امتلاك جميع شخصيات المحققين السريين فى الروايات البوليسية ، فما كان ليصبح لدينا مطلقاً شخصيات مثل " شارلوك هولمز " ، " سام سباد " ، فيليب مارلو " ، " الآنسة ماربل " ، " المفتش مايجريت " ، " بيتر ويمسى " ، " هيركيول بوارو " ، " مايك هامر " ، " جى . جى جيتس " وغيرها من الشخصيات . كنا سنحرم من هذه الابتكارات الثرية بسبب براءة اختراع قامت عن طريق الخطأ ، ولكن هذا تماماً هو نفس الخطأ فى براءات الاختراع على الجينات .

إن منح براءات الاختراع على الجينات لهو سياسة عامة سيئة ، ولدينا شواهد كثيرة على أن براءات الاختراع على الجينات أضرت بمصالح المرضى وكبحت البحث العلمى ؛ فعندما حصل " مايرياد " على براءة اختراع لجينين متعلقين بسرطان الثدى ، تكلف الأمر حوالى ثلاثة آلاف دولار لإجراء الاختبار ، على الرغم من أن تكلفة القيام باختبار جينى لا يعد شيئاً مقارنة بتكلفة تطوير علاج للمرض ، ولذلك لم يكن من المدهش أن يلغى مكتب منح براءات الاختراع الأوروبى براءة الاختراع على الإجراءات البحثية ، وقد أعلنت الحكومة الكندية أنها ستجرى الاختبارات الجينية دون الدفع لأصحاب براءات الاختراع . ومنذ بضع سنوات مضت ، رفض مالكو " جين مرض كانفان " أن يجعلوا الاختبار على المرض متاحاً على نطاق واسع ، على الرغم من أن الأسر التى عانت من هذا المرض شاركت بوقتها ، وأموالها ، وأنسجتها من أجل اكتشاف هذا الجين ، ونفس هذه الأسر اليوم لا تستطيع تكبد تكاليف إجراء الاختبار على المرض .

هذا قطعاً انتهاك مشين ، ولكنه رغم ذلك لا يعبر عن العواقب الوخيمة التى يمكن أن يتسبب فيها احتكار

الجينـات ؛ ففـي ذروة انتـشار مـرض سـارس لمتلازمـة الالتهاب التنفسي الحاد) ، أعيقت الأبحـاث علـى المـرض لأن العلماء لم يكونوا واثقين من هوية مالك الجينوم ـ حيث رفعت ثلاث دعاوى قضائية لامتلاك هذا الجينوم فـي نفس الوقت . ونتيجة لـذلك ، لم يـتم إجـراء الأبحـاث بالـشكل المطلوب والمتوقع على مرض سارس ، وأمر مثل هذا يجب أن يصيب أى شخص عاقل بالذعر ؛ فقد كان هناك مـرض معدٍ تسبب في وفاة عشر بالمائة ممن أصيبوا به وانتشر في أربعة وعـشرين دولـة علـى مـستوى العـالم ، ورغـم ذلـك منعـت الأبحاث الطبية لمحاربة المرض ـ بسبب المخاوف من خـرق براءة الاختراع وما تقدمه من حماية .

وفى هذه اللحظة التى أخـط فيهـا سـطورى تلـك ، فـإن الجينات الخاصة بمرض الالتهاب الكبـدى الوبـائى سـى ، ومرض " إتش . آى . فى " فيروس نقص المناعة المكتـسبة ، والأنفلـونزا الناعوريـة ، وجينـات مختلفـة لمـرض الـسكر جميعاً ملك لبعض المؤسسات ولا يجب أن تكون كذلك ؛ فـلا يجب أن يملك أحدهم مرضاً .

وإذا وضعت نهاية بـراءات الاخـتراع علـى الجينـات ، ربما أتوقع صيحات مـن الغـضب والتهديـدات بـأن رجـال الأعمال سيتركون المجال البحثي ويتوقفـون عـن تمويلـه ، وسوف تفلس الـشركات ، وسـوف تتـأثر الرعايـة الـصحية سلباً بذلك وسـوف يمـوت النـاس . ولكنـى أعتقـد أنـه مـن الأرجح أن وضع نهايـة لـبراءات الاخـتراع علـى الجينـات سيحرر الجميع من قيودهم ، وسيؤدى إلى حدوث ثورة مـن المنتجات الجدية التى ستعمل لصالح الجماهير .

٢. وضـع خطـوط إرشـادية واضـحة لاسـتخدامات الأنـسجة البـشرية . إن عملية جمـع الأنـسجة البـشرية

تمثـل أهميـة بالغـة ، وذات قيمـة بالغـة كـذلك للبحـث الطبى ، وبشكل متزايد ، وبالفعل هنـاك قواعـد فيدراليـة مناسـبة تحكـم وتـدير بنـوك الأنـسجة ، إلا أن المحـاكم الفيدرالية تجاهلت هذه القواعـد والقـوانين . فـى الماضـى ، أصدرت المحاكم أحكاماً بشأن الخلايا الإنسانية اعتماداً على قـوانين الملكيـة المطبقـة فـى ذلـك الوقـت . وبـصفة عامـة ، حكمت تلك المحاكم أنه بمجرد أن تغادر خلاياك جسدك لا يصير لك أى حقوق فيها أو سـلطان عليهـا . إنهـم يـشبهون التبرع بالخلايا ، بإهداء كتاب لإحدى المكتبات . ولكن كـل فرد لديه شعور قوى بملكيته لجسده بكـل مـا فيـه ، ولـن يتلاشى هذا الشعور مطلقاً بسبب تقنية قانونية مثل هـذه . ولهذا إننا فى حاجة إلى تشريح جديد واضح ومؤثر .

لماذا نحن فى حاجة إلى تشريح جديد ؟ لنفكر على سبيل المثال فى الحكم الذى صدر مؤخراً فى قـضية دكتـور ويليـام كاتالونا . لقد قام هذا الطبيب البـارز المتخـصص فـى مـرض سرطان البروستاتا بجمـع عينـات مـن خلايـا مرضـاه حتـى يستطيع العمل على المرض وإجراء أبحاثـه عليـه ، وعنـدما ترك دكتور كاتالونا الجامعة التى كان يعمل بها ، حاول أن يأخذ الخلايا معه ، ولكنّ جامعـة واشـنطن رفـضت ذلـك ؛ مدعية أن الخلايا ملكها ، وقد دعم القاضى الجامعة وأصـدر حكمه لصالحها ، وتـسبب هـذا الحكـم فـى أن تـصبح هـذه الحقائق التافهة هـى المعيـار الثابـت الـذى خلقتـه جامعـة واشنطن . ويشعر المرضى الآن بغـضب عـارم ، لقـد اعتقـدوا أنهم قد تبرعوا بخلاياهم لطبيبهم الحبيب ، وليس لجامعة تتوارى خلفه من أجل مصالحها ، لقد اعتقدوا أنهم تبرعـوا بخلاياهم تحديداً من أجل البحث الطبى على مرض سـرطان البروسـتاتا ، ولـيس لأى اسـتغلال آخـر ، والـذى تـدعى الجامعة أنه من حقها .

وفكرة أنه بمجرد انفصال خلاياك عنك لا يكون لك أى حق فيها هى فكرة عبثية غير مقبولة ولنتدبر ذلك فى ظل القانون الحالى ، إذا قام أحدهم بالتقاط صورة لى فإننى أتمتع بحقوق عند استغلال هذه الصورة وللأبد ، فإذا قام أحدهم بنشر هذه الصورة أو استغلالها فى إعلان بعد عشرين عاما يكون لا يزال لى حقوق فى ذلك . ولكن إذا أخذ أحدهم خلاياك ـ والتى هى جزء من جسدى ـ لا يكون لى أى حقوق فيها ؛ مما يعنى أننى أتمتع بحقوق على صورتى ، أكثر من تلك التى بها على أنسجتى الملموسة والتى هى جزء من جسدى .

وهذا التشريع المطلوب يجب أن يضمن حق المواطنين فى التحكم فى خلاياهم ؛ فإننى أتبرع بخلاياى لغرض محدد ، ويجب أن تستغل فى هذا الغرض فقط ، وإذا رغب أحدهم بعد ذلك فى استغلالها لغرض آخر ، فلابد أن يأخذ تصريحاً منى بذلك ، وإذا لم يتمكن من الحصول على هذا التصريح ، فلا يمكنه بالتالى استخدامها .

وهذه القاعدة تلبى حاجة عاطفية مهمة . ولكنها كذلك تقر بأنه ربما تكون هناك أسباب قانونية ودينية تمنعنى من عدم السماح باستغلال خلاياى لغرض آخر .

ويجب ألا نخشى من أنه ربما تسبب مثل هذه التشريعات فى إعاقة البحث العلمى . فبعد كل شىء ، يبدو أن مؤسسات الصحة القومية قادرة على إجراء الأبحاث بينما تتبع هذه القواعد ، وعلينا كذلك ألا نقبل الجدال الذى يزعم بأن هذه القواعد تمثل حملاً شاقاً ومرهقاً . فإذا كان بمقدور المجلة التى تشترك فيها أن تخطرك بأن اشتراكك فيها قد انتهى ، فبإمكان الجامعة كذلك أن تخطرك إذا رغبت فى استخدام خلاياك فى غرض جديد .

٣. **سن القوانين التى تضمن أن البيانات والمعلومات الخاصة بالاختبارات الجينية سيكون مشاعاً عاماً ،** سنكون فى حاجة إلى تشريح جديد إذا أعلنت هيئة الرقابة على الأغذية والأدوية نتائج مخالفة لنتائج محاولات العلاج الجينى الفعلية . فى الوقت الراهن ، لا يمكنها القيام بذلك . ولكن فى الماضى ، حاول بعض الباحثين منع الإعلان عن وفاة المرضى ، مدعين أن حالات الوفاة تلك تمثل سراً تجارياً .

الجمهور اليوم فى وعى متزايد بالقصور الذى تعانى منه الأنظمة التى نستخدمها للإفصاح عن المعلومات الطبية ؛ فالمعلومات والبيانات الخاصة بالأبحاث لم تعد متاحة للعلماء الآخرين حتى يتعين عليهم فحصها ؟ إذا لم يعد الكشف الكامل عن البيانات أمراً مطلوباً ، وبات التأكد من النتائج التى تتوصل إليها الأبحاث ، بدقة ومصداقية أمراً نادراً . ونتيجة ذلك هو أن الجمهور أصبح عرضة لمعلومات مشوشة لا تتسم بالمصداقية . هذا وقد أصبح الانحياز والمحاباة فى الدراسات المنشورة حقيقة مريرة . عندما قام الطبيب النفسى " جون دايفيز " بفحص الاختبارات التى تم تمويلها بواسطة شركات صناعة الأدوية فى إطار المنافسة على إنتاج أكثر خمسة أدوية مختلفة فاعلة لعلاج مرض الذهان ، وجد أن تسعين بالمائة من المرات ، أن العقار الذى تمت صناعته بواسطة الشركات التى ترعى (تدفع من أجل) الدراسة تم الحكم بتفوق عقارها على العقاقير الأخرى . فأيًّا من كان من دفع من أجل الدراسة تم الحكم بأن لديه أفضل عقار .

إن ما سأقوله ليس بالشىء الجديد عليكم ؛ فجميعنا يعلم أن الدراسات البحثية التى يجريها هؤلاء الذين لهم اهتمامات مادية أو أى اهتمامات أخرى تتعلق بالنتائج ،

لا تكون ذات مصداقية ؛ وذلك لأنها فى الأساس تم بناؤها على الانحياز والمعاناة ، ويجب التعامل مع هذا الواقع من خلال نظام معلوماتى أو هيئة لا تسمح بالاختبارات القائمة على المحاباة ، وأن تأخذ الخطوات اللازمة لتضمن أن هذا لن يحدث ، ولكن وللأسف يظل الانحياز المتزايد أمراً شائعاً للغاية فى المجال الطبى ، وكذلك يوجد هذا الانحياز فى مجالات علمية خطيرة كذلك .

يجب على الحكومة أن تأخذ موقفاً حاسماً ؛ فعلى المدى البعيد لن تستمر المعلومات المغلوطة وسوف تنكشف بأى حال من الأحوال ، وعلى المدى القريب ، فإن جميع أنواع المجموعات يلوون الحقائق بطريقتهم لخدمة أغراضهم ، ولن يترددوا فى الاستعانة بأعضاء مجلس الشيوخ الموالين لهم سواء كانوا من الحزب الديمقراطى أو الجمهورى ، وسوف يستمر ذلك إذا لم يطالب الجمهور بالتغيير .

٤. **عدم فرض الحظر على الأبحاث** . ترغب جماعات مختلفة ذات توجهات سياسية مختلفة فى فرض حظر على أحد جوانب الأبحاث الجينية ، وإننى أتفق معهم فى أن هناك بعض الأبحاث المحددة التى لا يجب الاستمرار فى إجرائها ، على الأقل الآن . ولكن من الناحية العملية ، إننى أعارض أى حظر يفرض على الأبحاث أو التكنولوجيا .

لا يمكن فرض الحظر بالقوة ، ولا أعلم لماذا لم نَعِ هذا الدرس جيداً ؛ فمنذ منع المسكرات إلى الحرب ضد المخدرات ، عشنا فى وهمٍ أن السلوكيات يمكن منعها والقضاء عليها ، ولكننا دائماً ما نفشل فى ذلك ، وعلى النطاق العالمى ، قد يكون للحظر معنى آخر : فحتى إذا أوقفت البحث فى إحدى الدول ، فربما لا يزال نفس

البحث يتم إجراؤه في شنغهاى . إذن ماذا ستكون قد جنيت من ذلك ؟

وبالطبع ، لا تنتهي الآمال ، ولا يجف ينبوع الخيالات : حيث إن هناك مجموعات مختلفة تتخيل أن في مقدورها فرض حظر على المستوى العالمي على أبحاث محددة ، ولكن على حدٍ علمي ، لم ينجح أى حظر عالمي على أى شيء مطلقاً ، وليس من المحتمل أن تكون الأبحاث الجينية الأولى في ذلك .

٥. إلغاء العمل بقانون " بايا ـ دول " . في عام ١٩٨٠ قرر الكونجرس عدم جعل الاكتشافات التي تتوصل إليها الجامعات متوفرة على نطاق واسع ؛ فلا يمكن تداولها بين العامة ، وحتى يأخذوا الأمور إلى موضع جديد ، تم تشريع قانون يسمح لباحثي الجامعات ببيع ما توصلوا إليه من اكتشافات لحسابهم الخاص ، حتى وإذا كان تم تمويل هذه الأبحاث بواسطة الأموال العامة وليس الجامعة .

ونتيجة لهذا التشريع ، فإن معظم العلماء الآن يتعاملون مع شركات خاصة سواء كانت شركاتهم الخاصة التي أنشأوها ، أو شركات أخرى تعمل في مجال التكنولوجيا الحيوية . منذ ثلاثين عاماً مضت كان هناك اختلاف واضح بين الأبحاث التي تجريها الجامعات والأبحاث التي تقوم بها الصناعات الخاصة . واليوم لا يمكنك تمييز هذا الاختلاف ، بل إنه حتى غير موجود . منذ ثلاثين عاماً مضت ، كان العلماء الذين ليس لهم اهتمامات شخصية متواجدين دائماً لمناقشة أى أمر قد يؤثر على العامة ؛ أما الآن فالعلماء لديهم مصالح واهتمامات شخصية تؤثر على أحكامهم .

لقد تغيرت المؤسسات الأكاديمية على نحو غير متوقع : تعامل تشريع " بايا ـ دول " الأساسي مع الجامعات على أنها مؤسسات غير تجارية ، وشجعها على جعل أبحاثها متاحة للمؤسسات التجارية . ولكن اليوم ، تحاول الجامعات مضاعفة أرباحها إلى أقصى درجة ممكنة ، من خلال قيام الجامعات نفسها بأعمال تجارية أكثر وأكثر ، وزيادة قيمة منتجاتهم عن طريق ترخيص الجامعات لها في نهاية الأمر . على سبيل المثال . إذا ظنت الجامعات أنها ستطرح عقاراً جديداً ، فإنها تقوم باختبارات هيئة الرقابة على الأدوية والأغذية بنفسها ، وهكذا . وبهذا فإن قانون " بايا ـ دول " ، على نقيض الغرض الذى شرع من أجله ، أسهم في زيادة الاهتمام التجارى للجامعات . وكثير من المراقبين أكدوا أن لهذا التشريع تأثيراً مفسداً ومدمناً على الجامعات بوصفها مؤسسات تعليمية .

ودائماً ما كانت الفائدة التى عادت على المواطنين الأمريكيين من تشريع " بايا ـ دول " موضع شك ؛ هؤلاء المواطنين الذين أصبحوا ، من خلال حكوماتهم ، مستثمرين ليس لهم مثيل فى سخائهم ؛ فالمواطن الأمريكى هو من يدفع الضرائب ، وتلك الضرائب هى التى تقوم بتمويل العمليات البحثية ، ولكن عندما يحين الوقت لجنى الثمار ، يبيع الباحثون هذه الثمار لصالح المؤسسات ومنافعهم الشخصية ، وبعد ذلك يقومون ببيع العقار مرة أخرى إلى المواطنين . وبذلك يدفع المستهلك ، مبالغ مضاعفة من أجل الحصول على عقار كان قد أسهم فى تمويله من الأساس .

فمن الطبيعى ، عندما يقوم صاحب رأس المال باستثمار أمواله فى البحث الطبى ، فإنه يتوقع أن يحصل على عائد مميز جراء استثماره ذلك ، ولكن المواطنين الأمريكيين لا

يحصلون على أى عائد على الإطلاق ؛ لقد توقع تشريع " بايا - دول " أن العامة سيحصلون على وصفات علاجية إعجازية كثيرة تبرر الأموال التى دفعوها على تلك الاستثمارات ولكن هذا لم يحدث .

بل على نقيض ذلك ، لقد فاقت المثالب المكاسب . ولقد أصبحت السرية والتكتم هى السمة الغالبة على الأبحاث اليوم ؛ مما أعاق التقدم الطبى . والجامعات التى كانت بمثابة الملاذ الثقافى والتعليمى من العالم المادى ، أصبحت الآن مؤسسات تجارية - ولم يعد هناك ملاذ أو مأوى . والعلماء الذين كانوا يهتمون بخدمة البشرية تحولوا إلى رجال أعمال يهتمون بالمكسب والخسارة ، وقد أصبحت حياة العقول أمراً غريباً غير معترف به .

كل هذه الاتجاهات كانت واضحة تماماً للمراقبين منذ خمسة عشر عاماً مضت ، ولكن لم يعرها أحد اهتماماً كبيراً حينها ، والآن لقد صارت المشكلة واضحة للجميع . والخطوة الصحيحة الأولى من أجل استعادة التوازن بين الحياة الأكاديمية والمؤسسات التجارية هى إلغاء قانون " بايا - دول " .

شخص غير مشتبه به هو وأسرته؛ لأنهم يمتلكون جينات نادرة في كروموسوماتهم...

تجمع رواية وماذا بعد؟ بين الحقيقة والخيال في أحداث متلاحقة تدور حول عالم يختلف فيه كل شيء عما يبدو عليه، ويزخر باحتمالات جديدة في كل لحظة. إن رواية وماذا بعد؟ تتحدى فكرتنا عما هو واقعي، ومفهومنا عمّا هو أخلاقي. إنها رواية تجمع بين ما هو كوميدي وغريب وبين ما هو مخيف ومرعب؛ كما أنها تقوض افتراضاتنا، وتكشف عن اختيارات جديدة صادمة لم نكن نتوقعها بالمرة.

المستقبل اقرب مما تتصور

اشتهر **مايكل كرايتون** بروايتيه حديقة الديناصورات وحالة خوف، كما أنه مؤلف المسلسل التليفزيوني ER وقد نشر أولى رواياته المثيرة للجدل بينما لا يزال في كلية الطب.

MICHAEL
CRICHTON








6 281072 056650
282204236